

"مثالية".  
روزي والشر

"صيغت بحب".  
لورا جين ويليامز

"لا بد من قراءتها".  
بيج تون

لمؤلفة الرواية التي بيع منها مليون نسخة

بيث أوليري

"ملكة الأدب المبهج".  
مجلة بريما

"أفضل رواية عن جدارة".  
صحيفة ناصن

# رحلة الطريق

في عربة واحدة، خمسة ركاب، وماضٍ طويل يزخر بالصراعات...

مكتبة جرير  
JARIR BOOKSTORE  
... not just a bookstore ...

# الغلاف الأمامي

"متألية"  
روزني والنس

"صيغت بحب"  
لورا جين ويليامز

"لا بد من قراءتها"  
بيج تون

لمؤلفة الرواية التي بيع منها مليون نسخة

بيت أوليري

"ملكة الأدب المبهج"  
مجلة بريما

"أفضل رواية عن جدارة"  
صحيفة نا صن

# رحلة الطريق

في عربة واحدة، خمسة ركاب، وماضٍ طويل يزخر بالصراعات...

مكتبة جرير  
JARIR BOOKSTORE  
...not just a Bookstore



# حقوق الطبع والنشر

# رحلة الطريق

بيت أوليري



للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت [www.jarir.com](http://www.jarir.com)

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: [jbpublishions@jarirbookstore.com](mailto:jbpublishions@jarirbookstore.com)

تحديد مسؤولية / إخلاء مسؤولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والنااتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسؤولية ونخلي مسؤوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسؤولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

## الطبعة الأولى 2025

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.  
Copyright © 2025. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو أية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

Copyright © 2021 Beth O'Leary Ltd  
All rights reserved

# THE ROAD TRIP

**BETH O'LEARY**



# إشادات بهذه الرواية

«رواية مثالية».  
روزي والش

«قصة أخاذاة تماس القلب اءور حول إىجاد الحب وءسارءه».  
لورا ءىن وىلىامز

«أفضل ما كءبء أولىرى ءءى الآن».  
ءىلىان ماكالىسءر

«رواية أءرى راءعة بكى المعانى زاخرة بالشءصىاء  
الءى لن ءنساها أبءاً».  
ماىك ءاىل

«رواية مرءة ومؤءرة وءمس شءاف القلوب».  
هىلىن هونء

«رواية أسرة بءق، أخذء بءلابىب عقى وءءزء عن  
ءركها ءءى أءمء قراءءها».  
بىء ءون

«رواية رومانسفة ءءاً ومؤءرة ومروفة بشكل عبقرى ...  
مماءزة بلا أءنى شك».  
لوىس أونىل

«رواية مرحة وترفع من معنويات قارئها».  
شيلا أوفلانجان

«رواية حب مؤثرة ولطيفة جدًا».  
ريتشارد روبر

«رواية مثيرة تجذب اهتمام القارئ ومرحة جدًا .. لا بد من قراءتها».  
نادي زويلا للكتاب

«تثبت بيت أوليري استحقاقها لقب 'ملكة الأدب المبهج'».  
مجلة بريما

«كتاب لطيف وشائق ومؤلف ببراعة»  
صحيفة صندي إكسبريس

«قصة ساحرة يصعب على المرء ألا يقع في حبها».  
مجلة وومن

«كتاب رائع!»  
مجلة صن

«رواية كوميدية مألوفة ولطيفة»  
مجلة ريد

«قصة دافئة ومليئة بالحب».  
مجلة كلوسر

**«رواية لا تُنسى»  
مجلة ماي ويكلي**

**«مرحة ومؤثرة على حد السواء»  
مجلة ذاتس لايف!**

«أسلوب أوليري الجذاب في الكتابة والمحادثات القصيرة التي تبثها في رواياتها لم تعجز يوماً عن جذب اهتمام القراء».  
مجلة شيميزينج

**«حتماً ستحب أن تشارك الأبطال رحلتهم»  
مجلة هابيفول**

«أخاذة ومؤثرة في الوقت نفسه، وتضفي عليها بيث حسها الذي يتبدى في طريقة كتابتها وفي الدعابة التي تغلف الرواية».  
مجلة مامي بيدجز

**«كتاب جميل ومؤثر»  
مجلة بيلا**

«هذه الرواية مرحة بقدر رواية بيث الأولى *The Flat Share*  
ولكنها تفوقها في عمق المشاعر.  
صحيفة بيلفاست تلجراف

بيث أوليري هي من أكثر المؤلفين مبيعاً، وفقاً لصحيفة صندي تايمز، تُرجمت رواياتها إلى أكثر من ثلاثين لغة. وقد بيع أكثر من ثلاثة أرباع مليون نسخة من أول رواية لها *The*

*FlatShare*. ومنذ ذلك الوقت تغيرت حياتها تمامًا. وقد تم اختيار روايتها الثانية *The Switch* لإنتاجها فيلمًا من قبل شركة أمبلين بارتنرز، وهي شركة الإنتاج التي يملكها ستيفن سبيلبرج. تكتب بيت كتبها في ريف هامبشاير برفقة كلب جولدن ريتريفر سيئ السلوك. وإذا لم تكن جالسة على مكتبها، فستجدها عادةً منزوية على نفسها في مكان مع كتاب وفنجان شاي ملتفة بعدة سترات صوفية (مهما كانت حالة الطقس).

كتب أخرى للمؤلفة

*The Flatshare*

*The Switch*

**إهداء**

إلى وصفاتي

الحاضر

# ديلان

يقول لي ماركوس وهو يعدّل حزام الأمان: "أقول لك إن طريق الصداقة الحقيقية ليس طريقًا ممهّدًا".

وهذه أول مرة أسمع فيها اعتذارًا صادقًا من ماركوس، وقد تضمن حتى الآن ست عبارات مبتذلة، واستشهادين أدبيين مشوهين، كما لم ينظر في عينيّ. وقد جرت على لسانه كلمة 'أسف'، لكنها كانت مسبوقه بعبارة 'إنني لا أجد قول'، وهو الأمر الذي قوّض مصداقيتها نوعًا ما.

أزيد مستوى السرعة وأقول له: "أليست العبارة الأصلية أن تقول 'إن طريق الحب الحقيقي ليس طريقًا ممهّدًا؟' وهي من إحدى مسرحيات شكسبير، فيما أعتقد".

إننا بالقرب من متجر تيسكو الذي يعمل على مدار الساعة. والوقت الآن هو الرابعة والنصف صباحًا، والظلام ساد من حولنا، لكن الضوء الأصفر الخافت المنبعث من أنوار المتجر يُظهر ثلاثة أشخاص في سيارة أمامنا كما لو كانوا قد انتقلوا تحت ضوء كاشف. نحن خلفهم مباشرة، وكل منا، نحن وهم، نتبع المسار البطيء المضطرب للشاحنة في الأمام.

ألمح وجه السائقة في مرآة الرؤية الخلفية لسيارتها. يذكّرني وجهها بآدي - إذا شغل شخص ما بالك بشدة، فإنك ستراه في كل مكان.

يتأفف ماركوس ويقول: "إنني أعبر عن مشاعري يا ديLAN. فهذا شيء لا يحتمل. فلتنتبه، أرجوك، لكي تتمكن من سماعي".

أبتسم عندئذ وأقول: "حسنًا. أنا أسمعك".

وأستمر في القيادة متجاوزًا المخبز. وأرى عيني السائقة أمامي مرة أخرى في المرآة، وكان حاجباها مرفوعين قليلاً خلف نظارتها المربعة.

يقول: "كل ما أقوله هو أننا واجهنا بعض الصعاب، أعرف ذلك، ولم أتصرف حيالها كما ينبغي، وهذا... من المؤسف حقاً أن ذلك قد حدث".

مذهلة حقاً تلك المناورات اللغوية التي يلجأ إليها ليجنب نفسه قول ' آسف ' بكل بساطة. ومن ثم أعتصم بالصمت. ويسعل ماركوس ويتململ أكثر، فأكاد أشفق عليه، وأخبره بأن كل شيء على ما يرام، وأنه ليس ملزماً بقول ' آسف ' إن لم يكن مستعداً، وبينما كنا نتجاوز الحاجز، يسطع ضوء آخر على السيارة التي أمامنا، فأنسى ماركوس. أنزلت السائقة زجاج النافذة، ومدت ذراعها إلى الخارج، ممسكة سقف السيارة. كان معصمها مزيئاً بأساور تتلألأ بلون أحمر وفضي في وهج ضوء السيارة. وهذه حركة مألوفة لدرجة مؤلمة - الذراع، ونحافتها، وشحوبها، وطريقة حركتها، وتلك الأساور، تلك الخرزات المستديرة الطفولية الملتفة حول معصمها. إنني أستطيع معرفتها في أي مكان. ويهتز قلبي كأنني اقترفت خطأ كبيراً، لأنها كانت آدي. والتقت عيناها بعيني في مرآة الرؤية الخلفية.

وعندئذ يصرخ ماركوس.

كان ماركوس قد أطلق صرخة رعب مماثلة من قبل حين اجتزنا لافتة لفائف النقانق النباتية الخاصة بمطاعم جريجز، لذا لم أستجب إلى صرخته حينها بالسرعة التي يفترض أن أستجيب بها. وحين تتوقف السيارة أمامي فجأة، وأفشل في الضغط على مكابح سيارتنا المرسيديس التي تزن سبعين طنًا فيما يبدو، ويملكها والد ماركوس، لا يتبقى لدي وقت سوى ما يكفي للندم على ذلك.

# آدي

اصطدام عنيف.

يرتد رأسي بقوة لدرجة أن نظارتي تطير إلى الخلف فوق مسند الرأس. وأسمع شخصًا يصرخ. أوه، يا للكارثة!... يسري ألم قاتل في رقبتني، وكل ما أفكر فيه هو: يا للهول، ماذا فعلت؟ ترى هل صدمت شيئًا؟

تقول ديب بجوارني: "يا للمصيبة! هل أنت بخير؟".

أتحسس باحثة عن نظارتي. فمن الواضح أنها ليست هنا.

وأقول بصعوبة: "ما الذي حدث للتو؟".

تمتد يداي المرتعشتان إلى عجلة القيادة، ثم إلى مكابح اليد، ثم إلى مرآة الرؤية الخلفية؛ لأعرف أين أنا.

أراه في المرآة. نظري غائم قليلاً دون نظارتي. أراه كأنه غير حقيقي نوعًا ما، لكنه هو بلا أدنى شك. إنه مألوف لدرجة أنني شعرت لحظة بأنني أنظر إلى انعكاسي أنا في المرآة. وانطلق قلبي خائفًا فجأة كأنه مندفع نحو الفضاء.

تخرج ديب من السيارة. وأمامنا، تتحرك شاحنة القمامة، وتسقط أضواء مصابيحها الأمامية على ذيل الثعلب الذي توقفت بسببه. ينتقل الثعلب متمهلاً إلى الرصيف. وببطء تتجمع تفاصيل المشهد في رأسي: توقفت الشاحنة بسبب الثعلب، وتوقفت أنا بسبب الشاحنة، أما ديLAN فلم يتوقف مطلقًا. ثم... حدث الاصطدام.

أنظر إلى ديلان في المرأة؛ لا يزال ينظر إليّ. وكل شيء آخذ في الإبطاء أو الخفوت أو التلاشي، كما لو كان شخص قد أطفأ العالم.

لم أرَ ديلان منذ عشرين شهرًا. ولا شك في أنه تغير بطريقة أو بأخرى. فقد تغير كل شيء آخر. لكن من موضعي هذا أيضًا، وفي شبه الظلمة هذه كذلك، عرفت الهيئة المميزة لأنفه، وأهدابه الطويلة، وعينيه الخضراوين المصفرتين الشبيهتين بجلد الثعبان. أعرف أن هاتين العينين ستكونان واسعتين، وتتجلى فيهما الصدمة على نحو ما كانتا حين تركني.

تقول أختي: "حسنًا، لقد جعلتنا السيارة الصغيرة فخورين".

السيارة الصغيرة. سيارتنا. كل شيء يعود إلى رأسي مسرعًا، وأفك حزام الأمان، بعد ثلاث محاولات. كانت يدي ترتعش. وعندما ألقى نظرة أخرى على مرآة الرؤية الخلفية، تركز عيناى على داخل السيارة لا خلفها، وهناك كان رودني، منكفئًا إلى الأمام فوق مقعدنا الخلفي، ويداه على رأسه، وأنفه يلامس ركبتيه.

يا للمصيبة. لقد نسيت رودني تمامًا.

أسأله: "أأنت بخير؟".

بينما كانت ديب تسألني: "هل أنت بخير يا آدي؟". وتطل برأسها داخل السيارة، ثم تتجهم وتقول: "هل تؤلمك رقبتك أيضًا؟".

أجيبها: "أجل"، لأنني حين سألتني، أدركت أنها تؤلمني كثيرًا.

يقول رودني: "يا للهول"، ويتحول مؤقتًا من وضعية الجنين التي كان يتخذها، ويردف: "ماذا حدث؟".

كان رودني قد نشر أمس على مجموعة فيسبوك باسم 'زواج شيري وكريش' يسأل عما إن كان هناك من يمكنه أن ينقله من مدينة تشيتشستر. ولمّا لم يرد عليه أحد، أشفقنا عليه

أنا وديب. وكل ما أعرفه عن رودني أن لديه مشروب ويتابكس الجاهز للطور، وأنه منبطح دائماً، ومكتوب على قميصه ' أنا دائم الهرب، لكنني ما زلت هنا' ، مع ذلك أعتقد أنني فهمت جوهر شخصيته إلى حد كبير.

وتقول له ديب وهي تنتصب لتنظر إلى السيارة خلفنا مرة أخرى: "لقد اصطدم شخص أحرق بسيارتنا من الخلف".

أناديها: "ديب...".

"ماذا؟".

"أعتقد أنه ديLAN؛ من في تلك السيارة".

تقلص أنفها، ثم أخذت تتحني ناظرة إليّ مرة أخرى، وتقول: "تقصدان ديLAN أبوت؟".

أجيب باضطراب: "نعم".

أغامر وألثفت ناظرة. لكن رقبتني لم تطاوعني. وألاحظ عندئذ شخصاً يخرج من مقعد الراكب في السيارة المرسيديس. كان نحيلًا وشاحبًا في عتمة الشارع، وأضواء المتاجر من خلفه تسقط على شعره المجعد. وها هو قلبي يخفق مرة أخرى بسرعة جنونية.

أقول: "إنه مع ماركوس".

ترد ديب وقد اتسعت عيناها من الدهشة: "ماركوس؟".

أجيبها: "أجل. يا إلهي". إنه موقف مريع. فكيف يفترض بي أن أتصرف الآن؟ أطلب بيانات تأمين السيارة؟ وأسأل: "هل تضررت السيارة؟".

وأخرج من السيارة في اللحظة التي يخرج فيها ديLAN من المرسيديس. لقد كان يرتدي قميصًا أبيض، وسروالًا قصيرًا، وينتعل حذاء مهترئًا من أحذية القوارب. وهناك حلقة معدنية للمفاتيح متدلّية من حزامه وموضوعة في جيبه. كانت تلك فكرتي، لأمنعه من إضاعة مفاتيحه كعادته دائمًا.

يتقدم نحو المصباح الأمامية للسيارة المرسيديس. ويبدو شديد الوسامة، لدرجة أنني أحس ألمًا في صدري. وأكتشف أن رؤيته أصعب مما كنت أتوقع. أريد فعل ألف شيء في لحظة واحدة: أن أركض إليه، وأن أهرب منه، وأن أنكمش وأبكي. وفوق كل ذلك، لديّ ذلك الشعور شديد السخافة بأن شخصًا ما أصابه الشلل فلم يفعل ما هو مطلوب منه، كأنما كان هناك شيء لم يجرّ تسجيله في مجريات الكون، في حين أنه كان يجب أن يُسجل، لأنه كان من المفترض أن أرى ديLAN في العطلة الأسبوعية، للمرة الأولى منذ ما يقارب العامين، لكن هذا ينبغي أن يكون في حفل الزفاف.

يقول: "آدي؟".

فأرد بصعوبة: "أهلاً ديLAN".

ويقول ماركوس: "هل تسببت سيارة صغيرة في إتلاف سيارة أبي المرسيديس؟".

وتمتد يدي عن قصد إلى شعري المنسدل على جبيني. لم أضع أي مساحيق تجميل، وثيابي قذرة، ولم أستخدم أي شيء في شعري. لقد أمضيت شهرًا عصيبة في التخطيط للثياب التي من المفترض أن أرتديها حين أرى ديLAN مرة أخرى، وليس هذا ما خططت له. لكنه لم يتفحصني من أعلى إلى أسفل، ولم يبدُ أنه انتبه كذلك إلى لون شعري الجديد - نظر في عينيّ، وداوم النظر. أحس كأن العالم كله تعثر الآن وعليه أن يلتقط أنفاسه.

يقول ماركوس: "يا للمهزلة! سيارة صغيرة! يا لها من إهانة!".

فتقول ديب: "ما هذا الهراء؟ ماذا تفعل؟ لقد صدمتنا من فورك من الخلف!".

يتلفت ديلان حوله في حيرة. وأجمع شتات نفسي.

أقول وأنا أدلك رقبتى المصابة: "هل أصيب أحد؟ هل أصيب رودني؟".

يسأل ماركوس: "من؟".

وينادي رودني قائلاً: "إنني بخير!"، وهو لا يزال في المقعد الخلفي للسيارة.

تساعده ديب على الخروج. وكان أحرى بي أن أفعل ذلك. لكن عقلي كان مشوشًا نوعًا ما.

يقول ديلان وهو يعاين أخيرًا مصد السيارة المرسيديس: "يا للكارثة! أنا أسف يا ماركوس".

يرد ماركوس: "أوه، لا تقلق يا صديقي، حقًا. أتعرف كم مرة أتلفت إحدى سيارات أبي؟ إنه ربما لا يلاحظ الأمر".

أتقدم متفحصة الجزء الخلفي المصدوم من سيارة ديب الصغيرة. لم يبد أنها تضررت كثيرًا حقًا - كان صوت الاصطدام عاليًا لدرجة أنني ظننت أن شيئًا مهمًا انفصل عنها. أحد الإطارات مثلًا.

وقبل أن أنتبه إلى ما كانت ديب تفعله، أجدتها جالسة في مقعد القيادة، لتشغل المحرك مرة أخرى.

تقول: "إنها بخير تمامًا. يا لها من سيارة! كانت تلك أفضل نقود أنفقتها في حياتي". وتقودها متقدمة قليلًا، وتصعد فوق الرصيف، وتشغل مصابيح التحذير.

يعود ديلان إلى المرسيديس، ويفتش في صندوق القفازات. ويتحدث هو وماركوس عن خدمة المساعدة الخاصة بحوادث الطرق، ويرسل إليه ماركوس عنوان بريد إلكتروني من هاتفه، بينما كنت أفكر قائلة لنفسي ... إن شعر ديلان صار أقصر، هذا هو الفارق. هذا ما أفكر فيه. أعرف أنه ينبغي أن أفكر في حادث السيارة وما إلى ذلك، لكن كل ما أفكر فيه

هو الانخراط في لعبة كشف الاختلافات، والنظر إلى ديLAN والتساؤل عما ينقصه وعما هو جديد فيه.

ينظر مرة أخرى إلى عينيّ. وأحس بجسدي يزداد حرارة. فهناك شيء فريد في عيني ديLAN... إنها من النوع الذي يستولي عليك، كأنهما شبكة عنكبوت. ومن ثم أرغم نفسي على النظر بعيدًا.

أسأل ماركوس: "هل أنتما إذن... ذاهبان إلى زفاف شيري، كما أظن؟"، ارتعش صوتي. ولم أستطع النظر إليه. وأحس فجأة بالامتنان للمصد الخلفي المنبجج للسيارة الصغيرة الذي جعلني أنهمك في تفحصه.

يصيح ماركوس وهو ينظر إلى المرسيديس: "كنا". ربما كان غير قادر على النظر إليّ هو الآخر. ويردف: "لكن من المستحيل أن نقود هذه السيارة الآن مسافة ستمائة كيلو متر. لا بد من أخذها إلى ورشة التصليح. وسيارتكم أيضًا".

تطلق ديب صوتًا مستهزئًا، وكانت قد خرجت بالفعل من السيارة مرة أخرى، وقد انشغلت بحك خدش بكم سترتها القديمة ذات القلنسوة المهترئة. تقول: "آه، إنها بخير"، ثم تفتح صندوق السيارة وتغلقه لتتأكد من سلامته، وتردف: "انبججت قليلًا، هذا كل شيء".

ينادي ديLAN قائلاً: "لقد جن جنون سيارتك يا ماركوس".

أستطيع رؤية شاشة المرسيديس، حتى من مكاني هذا، وهي تومض بأضواء التحذير. أضواء ساطعة تمامًا. وأدير وجهي بعيدًا. أليس من المعتاد أنه حين تتعطل سيارة ماركوس، يكون ديLAN هو من يقوم بفحصها؟

يقول ديLAN: "ستكون شاحنة الجر هنا خلال ثلاثين دقيقة لتأخذها إلى ورشة التصليح".

تقول ديب غير مصدقة: "ثلاثون دقيقة؟".

يجيبها ماركوس وهو يشير إلى السيارة: "هذا جزء من خدمة ما بعد البيع. إنها مرسيديس يا حلوتي".

ترد: "اسمي ديب، ولست حلوتك. لقد التقينا عدة مرات من قبل".

يقول ماركوس بخفة: "قطعًا. إنني أتذكر ذلك". ولم يكن مقنعًا تمامًا.

أشعر بعيني ديLAN تجذبانني إليهما، بينما نحاول جميعًا تبادل بيانات التأمين. أفتش عن هاتفي، وتفتش ديب عن الأوراق في صندوق القفازات، وأنا طيلة ذلك أشعر بحضور ديLAN بشدة، كأنه يشغل حيزًا أكبر عشر مرات من أي شخص آخر.

يقول ماركوس فيما ينتظر أن تنتهي من تبادل بيانات التأمين: "وكيف سنذهب إلى الزفاف؟".

يجيبه ديLAN: "ليس أماننا سوى اللجوء إلى المواصلات العامة".

يقول ماركوس مستنكرًا كأن شخصًا اقترح عليه أن يذهب إلى زفاف شيري زحفًا: "المواصلات العامة؟". لا تزال بغيضًا إذن يا ماركوس. لا عجب في ذلك.

يسعل رودني. إنه مستند إلى جانب السيارة الصغيرة، وهو يطالع هاتفه. ليس في عقلي الآن متسع لرودني.

يقول: "إذا انطلقتما الآن، فسوف تصلان، حسب خرائط جوجل، في الساعة الثانية إلا ربعًا".

يتفقد ماركوس ساعته.

ويقول ديLAN: "حسنًا، لا بأس بذلك".

ويستكمل رودني قائلاً: "... يوم الثلاثاء".

يقول ديLAN وماركوس معاً: "ماذا؟".

يتخذ وجه رودني تعبيراً ينم عن أسف. ويقول: "الساعة الآن الرابعة والنصف في صباح يوم الأحد، وهو عطلة للبنوك، وأنتما تريدان الذهاب من تشيتشستر إلى ريف أسكتلندا".

يرفع ماركوس يديه في الهواء، ويقول: هذا البلد خير مثال للفوضى".

ننظر أنا وديب أحدنا إلى الآخر. لا، لا، لا، لا...

أقول متجهة إلى سيارتنا: "هيا بنا. هل ستقودين أنت؟".

ترد ديب بينما أصدع إلى مقعد الراكب: "آدي...".

وينادي ماركوس قائلاً: "إلى أين تحسبان نفسيكما ذاهبتين؟".

أغلق باب السيارة بقوة.

ويقول ماركوس بينما ديب تجلس في مقعد القيادة: "مهلاً! عليكما أن تأخذانا إلى الزفاف!".

أقول لديب: "كلا. تجاهليه. ادخل يا رودني!".

يستجيب رودني لأمري. وكان هذا لطيفاً منه. فأنا لا أعرفه حقاً بما يكفي لأصيح فيه أمره.

يقول ماركوس: "ما هذا الهراء؟ آدي. مهلاً. إذا لم توصلينا إلى الزفاف، فلن نصل في الوقت المناسب".

ويقترب من نافذتي وينقر على الزجاج بأطراف أصابعه. لكنني لا أفتح زجاج النافذة.

يقول: "آدي! كفى! لا شك في أنك تدينين لـ ديLAN بخدمة".

يقول ديLAN شيئاً لماركوس، لكنني لم أسمعه.

تقول ديب عابسة: "يا إلهي، إنه وغد".

أغمض عيني.

تسألني ديب قائلة: "أعتقدين أنك تستطيعين ذلك؟ أعني اصطحابهما معنا؟".

أجيبها: "كلا. لا أستطيع... ليس كلاهما".

ترد: "فلتتجاهليه إذن. هيا بنا".

يعاود ماركوس النقر على الزجاج مرة أخرى. أطبق أسناني بقوة، ورقبتي لا تزال تؤلمني، وأواصل النظر أمامي.

أقول: "من المفترض أن تكون رحلتنا ممتعة".

هذه أول عطلة أسبوعية لـ ديب بعيداً عن طفلها الوليد، رايلي. وهو كل ما تحدثنا عنه طيلة أشهر. وقد خططت لكل توقف، وكل وجبة خفيفة سنتناولها.

ترد ديب: "ستظل ممتعة، مع ذلك".

أقول محاولة إقناعها: "لا يوجد مكان كافٍ".

يقول رودني: "يمكنني أن أفسح لهما مكاناً!".

أنا أكره رودني حقاً.

أقول وأنا أضغط بقبضتي على عيني: "إنها رحلة طويلة يا ديب، وسأظل ساعات طويلة عالقة مع ديلان في السيارة نفسها. لقد أمضيت قرابة عامين أتقل بأقصى درجات الحذر في تشيتشستر لئلا أصادف هذا الرجل ولو ثانية واحدة، فما بالك بثمانى ساعات".

تقول ديب مشيرة نحو الخارج: "لست أقول لناخذهما معنا. بل أقول هيا بنا".

نقل ديلان المرسيديس إلى مكان أكثر أماناً لانتظار شاحنة الجر فيه. وأستدير في مقعدي في اللحظة التي كان يخرج فيها من السيارة مرة أخرى، لقد كان نحيفاً، وغير مهندم الثياب، وطوله مائة وثمانون سنتيمتراً تقريباً.

أعرف أنني عندما تلتقي عيناى بعينيه، لن أقدر على تركه هنا.

وكان هو الآخر يعرف ذلك. وقد حرك شفتيه معتذراً وهو ينظر نحوي.

لو حصلت عن كل مرة اعتذر لي فيها ديلان أبوت، على جنيه واحد، لصرت ثرية بما يكفي لشراء تلك المرسيديس.

# ديلان

أحيانًا تخطر لي القصيدة كلها مرة واحدة، كما لو أن شخصًا ألقاها عند قدمي مثل كلب يلعب لعبة جلب الكرة. وبينما كنت أصدع إلى المقعد الخلفي في سيارة ديب، وأتشم عطر آدي المألوف لدرجة الألم، خطر لي بيتان ونصف البيت في جزء من الثانية. لم تتغير وتغيرت/ عينان اعتادتتا عيني/ وأنا...

أنا ماذا؟ ماذا أكون؟ أنا فوضى خالصة. وكل مرة أنظر فيها في عيني آدي، يندفع شيء ما داخلي، شيء يشبه الدولفين، وربما يظن المرء أنه بعد أن مضى عشرون شهرًا لن يؤلمني ذلك مطلقًا على هذا النحو، لكنه ألمني. ذلك النوع من الألم الذي يجعلك ترغب في العويل.

يقول ماركوس وهو يدفعني نحو كتف رودني: "هلا تزحزحت؟". أمد يدي، وقد كدت أسقط في حجر رودني.

أقول أنا ورودني في اللحظة نفسها معًا: "آسف".

راحتاي متعرقتان؛ وأظل أزدرد رريقي، كما لو أن ذلك سيساعدني على إبقاء مشاعري داخلي. تبدو آدي مختلفة كثيرًا: شعرها مقصوص حتى ليكاد يكون في طول شعري نفسه، وقد صبغته بلون رمادي فضي، ونظارتها - التي استعديت بمعجزة من صندوق السيارة الصغيرة بعد الحادث - ذات إطار عريض أشبه بنظارات عازفي الجاز، وجذابة الشكل. تبدو أكثر جمالًا من أي وقت مضى. وأشعر بأنني أنظر إلى توأم متطابق لآدي: هي هي لكنها مختلفة. لم تتغير وتغيرت.

لا شك في أن عليّ أن أقول شيئًا، لكنني عاجز عن التفكير في أي شيء. فمن عادتي أن أكون بارعًا في هذا النوع من الأمور - من عادتي أن أكون ماهرًا في ذلك. أحشر نفسي في منتصف المقعد، وأشاهد سيارة والد ماركوس وهي تُجر بعيدًا في الشارع المعتم، متشبثة

باستسلام بمؤخرة شاحنة الجر، وأتمنى لو أستدعي شيئاً من الزهو الذي كان لديّ حين التقيت آدي أول مرة، حين لم تكن لديّ أدنى فكرة عن التغيير الشامل التام الذي ستحدثه في حياتي.

تقول آدي، بينما تنطلق ديب من جانب الطريق: "ما الذي جعلك تنطلق مبكراً بهذه الدرجة، على أية حال؟ إنك تكره القيادة في الصباح الباكر".

ها هي تضع المكياج على وجهها مستعينة بمرآة في مصد الشمس الموجود فوق مقعد الراكب؛ وأنا أشاهدها وهي تمزج المعجون على ظهر يدها مع كريم بشرتها.

يجيبها ماركوس وهو يحاول الاسترخاء في مقعده: "معلوماتك قديمة قليلاً"، ويلكزني بمرفقه في جانبي أثناء ذلك ويواصل حديثه: "إن ديLAN لديه، هذه الأيام، آراء متشددة عن ضرورة بدء السفر في الرابعة فجراً".

أخفض نظري خجلاً إلى ركبتي، فقد كانت آدي هي التي علمتني أن الرحلات البرية تكون أفضل كثيراً حين ينطلق المرء في هدأة الفجر، بينما لا يزال اليوم مليئاً بالآمال. ومع أنها كانت على حق، فحين كنا معاً، كنت أشتكى دائماً من مدى حرصها على الانطلاق مبكراً جداً حين تكون أماننا رحلة طويلة.

يقول رودني مبتهجاً وهو يطالع هاتفه: "من الجيد أننا بدأنا مبكراً!، فيما كان مرفقاه مضمومين إلى جانبيه قدر استطاعته.

أما ماركوس، فلم يقدم أي تضحية من هذا القبيل من أجل راحتي: كان مستريحاً في جلسته أشد الارتياح، وكانت ركبته مستندة إلى ركبتي دون اكتراث، وكان مرفقه في حجري تقريباً. وتنهدت لما انتبهت إلى الفارق.

ويتابع رودني: "سيكون من الصعب علينا الوصول قبل حفل الشواء العائلي. إذ لا يزال أماننا أكثر من ثماني ساعات من القيادة، والساعة الآن الخامسة والنصف بالفعل!".

أسأله: "آه، ستحضر حفل الشواء قبل الزفاف إذن؟".

يومئ مؤيدًا. كان سؤاله محاولة مكشوفة لمعرفة ما يفعل رودني هنا، لكنني أمل أن يبدو سؤاله مجرد حديث ودي. ففي اللحظة المريعة غير المحتملة التي خرجوا فيها من السيارة للمرة الأولى، ظننت أنه ذاهب إلى الزفاف بصفته رفيق آدي - فقد قالت شيري منذ بضعة أشهر إن آدي قد تُحضر معها شخصًا. لكن لا يوجد ما يوحي بأي علاقة بينهما؛ حتى إنه يبدو إلى حد كبير أن آدي تتجاهله.

إنها في الحقيقة تتجاهل الجميع نوعًا ما. وبعد تلك اللحظات الأولى التي تذيب القلب وتعتصر الأمعاء من النظر إلى عيني، بدا من الواضح أنها تحرص على تجنب نظراتي كلما حاولت اجتذاب انتباهها. وفي تلك الأثناء، كان ماركوس ينقر على زجاج السيارة بإيقاع عالٍ وصبياني؛ ترمقه ديب بنظرة غاضبة، وهي تحاول التركيز في الانعطاف إلى طريق تشيتشستر الجانبي.

يقول ماركوس: "ألا يمكننا تشغيل بعض الموسيقى أو أي شيء من هذا القبيل؟".

أعرف ما سيحدث قبل أن تضغط آدي على زر التشغيل؛ وحالما أسمع المقدمة الموسيقية، أضطر إلى مغالبة ابتسامتي. لا أعرف الأغنية، لكن موسيقى الكانترى الأمريكية مميزة على نحو لا لبس فيه - ولا يحتاج المرء إلا إلى سماع بعض الأنغام ليستيقن أنه سيسمع حكايات عن قبلات في آخر الليل على الشرفات، وزيارات إلى الحانات، وجولات طويلة بالسيارة مع فتيات جميلات في مقعد الراكب. فدائمًا ما أحببت آدي وديب موسيقى الكانترى منذ أيام مراهقتهما؛ وكنت معتادًا إغاضة آدي في هذا الأمر بصفتي رجلًا تمتلئ قائمة أغانيه المطولة بأغاني تايلور سويفت. والآن، لا يمكنني سماع أنغام آلة البانجو دون التفكير في آدي وهي ترقص على إيقاع أغنية لفرقة فلوريدا جورجيا لاين وهي مرتدية أحد قمصاني القديمة، أو وهي تمدن مع أغنية 'أتأملك' لرودني أتكينز، وزجاج نافذة السيارة مفتوح، أو حين تتجرد من ملابسها ببطء على أنغام أغنية 'جسد كطريق مألوف'.

تقول آدي: "هذه غير مناسبة"، وتحرك يدها فوق الهاتف.

وتقول ديب: "إنني أحبها! اتركها"، وترفع الصوت.

ويقول ماركوس: "ما هذا العبث؟".

وأرى آدي تنتصب في جلستها لدى سماع لهجته.

وتقول آدي: "إنها أغنية لريان جريفين. واسمها 'أود لو أهجرني أيضًا' ". ومن ثم أجفل

لدى سماع اسم الأغنية، بينما يشهق ماركوس من الضحك.

ويقول: "أوه، وهكذا هو الأمر الآن؟".

فترد آدي قائلة: "إنها قائمة تشغيل تضم أغاني كانتري قديمة"، بينما ينتشر لون وردي شاحب على جلد رقبتها، وليس بدرجة واحدة، بل على هيئة بقع تشبه البتلات. وتردف: "وهذا ما سنستمع إليه على مدى الساعات الثماني التالية. لذا من الأفضل لك أن تتكيف مع الأمر".

يفتح ماركوس باب السيارة.

"ما هذا...".

"ما هذه الحماقة يا ماركوس...".

يحدث هرج الآن في المقعد الخلفي. ويضربني ماركوس بمرفقه. لم يكن الباب مفتوحًا إلا بمقدار بضعة سنتيمترات، لكن الريح تعيث في السيارة، ويميل رودني فوقي الآن محاولاً الوصول إلى مقبض الباب ليقفله، وصارت هناك أربع أو خمس أيادٍ تتشبث بباب السيارة، ويخدش بعضها بعضًا، فيما غطى شعر رودني البني وجهي، وكانت ساقي مشتبكة على نحو ما بساق ماركوس...

يصيح ماركوس: "سأبحث عن توصيلة أخرى"، وأسمع تأثير الأدرينالين في صوته، تلك الزعقة التي تنتاب صوته حين يفعل شيئًا غبيًا. ويردف: "دعني أخرج! لا يمكنني احتمال هذا ثماني ساعات! أطفئوا هذه الأغاني!". ويضحك وأنا أضرب يده بقوة لدرجة أن يدي نفسها ألمتني.

ويقول رودني: "إنك لمجنون! إننا نسير بسرعة خمسة وتسعين كيلومترًا في الساعة!".

وتتطوح السيارة. وألمح عيني ديب في مرآة الرؤية الخلفية: كانت تضيق عينيها متجهمة وهي تركز محاولة أن تحافظ على مسارها. وعن يميننا تومض السيارات مارقة بجوارنا في تيار من الأضواء الأمامية شديدة السطوع، تاركة خطوطًا بيضاء مصفرة في مجال رؤيتي.

توقف آدي الأغنية. ويغلق ماركوس الباب. لقد سكتت الموسيقى الآن، ولم تعد الريح تهدر عبر الباب ويمكن سماع كل صوت في السيارة: صوت تنفس رودني بصعوبة، وصوت استرخاء ديب مرة أخرى في مقعد القيادة. ومع اندفاع الأدرينالين بسبب الشجار تراودني رغبة ملحة في توجيه لكمة إلى أنف ماركوس.

أسأله بصوت كالفحيح: "ما خطبك حقًا؟".

وأشعر عندئذ بأن آدي تلتفت ناظرة إليّ - ربما كانت متفاجئة - لكنها لا تلبث أن تلتفت مرة أخرى إلى الطريق قبل أن أنظر إليها.

يزدرد ماركوس ريقه متوجسًا، ويرمقني بطرف عينه، ويمكنني القول إنه يتمنى بالفعل لو كان قد تصرف على نحو أفضل، لكنني مهتاج بشدة لدرجة أنني لم أهدأ بسبب ذلك. وما هي إلا لحظة حتى أرغم نفسه على إطلاق ضحكة.

يقول: "أريد موسيقى مناسبة للسفر! فلتشغلي بعض أغاني سبرنجستين، إذا سمحت".

تمر برهة طويلة دون أن تقول آدي أي شيء.

وتقول أخيراً: "فلتتوقفي عند محطة الوقود التالية، إذا سمحت يا ديب".

تسألها ديب: "أتريدين دخول الحمام؟".

ترد آدي: "كلا، لكن علينا أن ننزل ماركوس. لكي يتمكن من إيجاد توصيلة. كما طلب".

وتشغل أغنية الكانترى مرة أخرى.

# آدي

تبين أنه لا توجد أي محطة قريبة. ولما وصلنا أخيرًا إلى إحدى محطات الوقود، كنت بحاجة حقًا إلى دخول الحمام، وإلى بعض الهواء أيضًا. وبدأت السيارة فجأة كأنها أصغر سيارة في هذه الدنيا الشاقة كلها.

تناهى إلى سمعي صوت آتٍ من خلفي يسألني بقلق: "هل سنترك ماركوس هنا بالفعل؟".

أهرول عبر ساحة محطة الوقود نحو المبنى. لقد كان هدفي أن أتحرك سريعًا لئلا يتبعني ديLAN ويتحدث إليّ. وقد تمكنت حتى الآن من تجنب أي تواصل بصري مباشر معه منذ ركبنا جميعًا السيارة الصغيرة. وأعتقد أن هذه خطة ستظل متبعة على مدى الستمئة كيلومتر المقبلة.

أكتشف أن رودني يستطيع السير بسرعة شديدة لا تناسب رجلًا أخرق مثله. وألتفت ناظرة إليه.

أجيبه: "ربما لا، لا. لكن ماركوس يميل إلى المبالغة في تصرفاته. ومن الأفضل أن تقضي على هذه التصرفات في المهد، وإلا فسيظل يزعجك طوال اليوم".

يسألني: "وكيف تعرفينه؟".

ويندفع رودني إلى الأمام حين نصل إلى المبنى ليفتح لي الباب. أفتح عيني غير مصدقة. إنه أخرق جدًّا، وفيه شيء يوحي بأنه مراهق، مع أنه في الثلاثين من عمره، على الأقل بلا ريب.

أجيبه: "كنت أواعد ديLAN من قبل".

يقول رودني: "أوه. أوه. يا إلهي، كم هذا غريب على نحو لا يصدق!"، ويضع كلتا يديه على فمه.

أضحك على الرغم مني، وأقول له: "أجل، شيء من هذا القبيل".

ألتقط حفنة من ألواح الشيكولاتة من نهاية الممر. لقد أحضرنا لهذه الرحلة أنا وديب ما يكفي شخصين من الوجبات الخفيفة، لكن ديLAN يأكل كثيرًا مثل حسان. وسينفد منا الطعام قبل أن نصل إلى فريهام إذا بدأ التهام الحلوى.

أقول لرودني: "يؤسفني أنك تورطت قليلًا في الأمر، لكن سيكون كل شيء على ما يرام. فأنا وديلان يمكننا التصرف على نحو متحضر بضع ساعات، فلا تقلق".

يسألني رودني وهو يحمل إحدى سلال التسوق من أجلي: "أوه، إذن فقد انتهى كل شيء على نحو ودي بينكما؟". ألقى في السلة ألواح الشيكولاتة، إضافة إلى خمس عبوات بسكويت ومجموعة من الأكياس المليئة بالحلويات.

أقول: "هه، ودي؟".

في الليلة التي تركني فيها ديLAN، صرخت في وجهه، وليس بالطريقة التي يفعلها الناس في العادة - مثل الصياح وما إلى ذلك - وإنما صرخت فعليًا: كان فمي مفتوحًا عن آخره، وكان الصراخ ينهش حلقي. ولكمت صدره بقبضتي، وبكيت حتى انهار جسدي كله ولم أكل بعدها طيلة ثلاثة أيام.

أجيبه: "تقريبًا. شبه ودي".

حين نعود في طريقنا إلى السيارة، أجد ديLAN مستندًا إلى جانبها، وذراعاها مطويتان أمام صدره، ويحدق ناحية اليسار، الشمس تشرق من خلفه، ويبدو كأنه خارج من صورة إعلان

ما. إعلان فرقة موسيقية مستقلة، أو عطر غالي الثمن. وإن كان لا يزال يبدو غير مهتم، ذا نظرة حاملة، لكنه أصبح أكثر نضجًا الآن - ويبدو أن ملامحه صارت أكثر تحديدًا.

أستمر في النظر إليه طويلًا، وحين يلتفت ناظرًا إليّ، تلتقي أعيننا لحظة قبل أن أنظر إلى قدمي خافضة ناظريّ.

وينادي حين تقترب: "آدي".

ويتقدم ليساعدني على حمل الأكياس، فأنحرف جانبًا، وأتجاوزه إلى صندوق السيارة.

يقول بهدوء أكبر: "من فضلك يا آدي، علينا أن نتحدث. إننا سنقضي معظم اليوم معًا في السيارة. ألا تريدين أن... كما تعرفين... أن نجعل الأمر أقل حرجًا فقط؟".

أقفل باب صندوق السيارة. لقد وضعت فيه الوجبات الخفيفة الإضافية في الحال، لكن لم يعد من الممكن رؤية الكثير عبر الباب الخلفي للسيارة الآن. فقد حزم ديLAN وماركوس معهما الكثير من الأشياء، فيما يبدو، وهناك أيضًا أدوات ديب للرضاعة الطبيعية: مضختان للثدي، وحقيبة تبريد، وزجاجات...

يقول رودني: "سأتمشى قليلًا، لكي أنشط ساقي. أراكما بعد خمس دقائق؟".

لم يكن يجدر بي أن أقول له إن علاقتي بديLAN انتهت على نحو شبه ودي. فلم يكن ليتركني وحدي مع ديLAN لو كنت أخبرته بأنه دمر حياتي.

ويقول ديLAN: "آدي... ألا يمكنك كذلك أن تنظري إليّ؟".

لست واثقة في الحقيقة بأنني أستطيع ذلك. فمحاولة النظر إلى ديLAN تؤلمني. كأنما نحن قطبا مغناطيس متشابهان، فلا ينفكان يتنافران. ونظرت بدلًا من ذلك نحو الحديقة، حيث يدرّب بعض الناس كلابهم. وكان كلب بوجل صغير يدور في دوائر، وكان كلب غرير يرتدي طاقم أحزمة وريديًا سخيًا. وكانت الشمس تبزغ من خلفهم، راسمة ظلًا طويلة على

العشب. وأرى ماركوس منحنيًا ليداعب كلب الراعي. وأتمنى أن يكون الكلب عدوانيًا. لا أريده أن يعض ماركوس أو أي شيء من هذا القبيل، وإنما يمكن أن يزمجر في وجهه ويخيفه قليلًا.

أسأله: "أين ديب؟".

يرد: "لقد جاءتها مكالمة من أمكما بخصوص رايلي".

أنظر إليه سريعًا: "هل أخبرتك عن رايلي؟".

في عينيه رقة. يقول: "لم تخبرني إلا الآن. وكنت أظن أنك... أنك كنت ستخبريني... كما تعرفين... بأشياء مثل إنجاب ديب طفلاً".

"لقد اتفقنا على عدم التواصل".

"أنتِ وحدك من قلت ذلك".

أرفع حاجبي.

يقول: "أنا آسف. آسف".

أعبث بحليي. لقد طليت أظافري أخيرًا من أجل الزفاف، لكنها لا تزال قصيرة جدًا لدرجة أنها تبدو سخيفة شيئًا ما. كأنها بذور حمراء صغيرة.

ويقول ديLAN حين لا يجد منى ردًا: "على أية حال، أنا سعيد من أجل ديب".

أقول: "ألسنت مندهشًا قليلًا؟".

يبتسم، فأبدأ أبتسم أنا الأخرى، لكنني لا ألبث أن أكبح نفسي.

"ألن تسأل من الأب؟".

"أظنها لا تحتاج إلى أحد. مثل جايا حين أنجبت أورانوس، كما تعلمين".

تقلت مني الابتسامة على الرغم من كل جهودي الحثيثة. وأرد بجفاء: "تعلم أنني لا أعلم".

يسارع قائلاً: "صحيح". ويرجع شعره بأصابعه إلى الخلف، كما لو كان لا يزال طويلاً لدرجة سقوطه أمام عينيه - عادة قديمة. ويردف شارحاً: "إنها أسطورة يونانية، تشبیهه متعجرف سخيف مني، اعذريني. فكل ما قصدته هو أن ديب لم تحتج إلى رجل قط، أليس كذلك؟ لا أقصد أن وجود الرجل شيء مهم، لكن... آه، يا للعناء".

يقول صوت خلفنا: "لننقل هذا العرض إلى السيارة". ويندفع ماركوس من بيننا، ويفتح باب المقعد الخلفي. ويتبع قائلاً: "ربما ينبغي أن تديري المحرك. فرودني يركض قادمًا".

ألتفت في اللحظة التي تظهر فيها ديب، وهي تضع هاتفها في جيب سترتها. وتصد إلى السيارة بعد ماركوس، بينما أجلس في مقعد القيادة. ويصيبني الذعر: أيعني ذلك أن ديLAN سيجلس معي في الأمام؟

تسأل ديب: "ما حَظ رودني؟".

ألتفت ناظرة نحو الحديقة. كان رودني يركض صوبنا مرفرفاً بذراعيه وساقيه الطوال، وشعره يهفهف. ومن خلفه كلب الراعي يجر صاحبه من قياده.

أتمتم قائلة: "أوه، رائع"، وأصعد إلى السيارة، وأحاول تشغيل المحرك.

ويتأوه ماركوس بينما كان رودني يندفع إلى المقعد الخلفي لاهتًا منقطع الأنفاس.

يقول رودني: "أسف! أسف! أسف!".

وتتأفف ديب قائلة: "انتبه إلى يديك إذا سمحت. فهذه اليد في ججري".

يرد رودني مرتعبًا لاهثًا: "يا للهول، أنا أسف جدًا".

ويصعد ديLAN إلى المقعد الأمامي. إنه يحاول أن ينظر في عيني مرة أخرى.

تجيبه ديب: "لا بأس. لقد أخرجت طفلاً من هذا الموضع، لذا لا بأس إطلاقًا".

يقول رودني: "أوه، كلا. إنني لم أقصد... أنا أسف جدًا".

ويقول ماركوس: "لقد نسيت كم أحبك يا ديب".

فترد ديب وقد بدا عليها الاهتمام: "حقًا؟ لأنني لا أحبك إطلاقًا".

أخرج من محطة الوقود. لا يمكنني المقاومة - وألتفت نحو ديLAN في المقعد المجاور.

يقول هامسًا لكيلا يسمعه أحد غيري: "لم يبقَ غير خمسمائة وثمانين كيلومترًا فقط، لا تقلقي".

ماركوس يشرح لديب أنه 'كثيرًا ما يسيء الآخرون فهمه'، وأنه 'في طور الإصلاح، مثل ضال في رواية ركيكة من القرن التاسع عشر'.

أقول: "خمسمائة وثمانون كيلومترًا! إنني واثقة بأنها ستطوى سريعًا".

# ديلان

نسير مسرعين على الطريق إيه 34. والحرارة أشبه بالعسل، لزجة وحلوة. الصباح يتحول إلى صباح صيفي مجيد: السماء زرقاء صافية كاللازورد، والحقول منبسطة على جانبي الطريق تحت أشعة الشمس الساطعة. إنه يوم من تلك الأيام التي تشبه طعم الثلج المجروش ومستحضرات تسمير البشرة، والفراولة الناضجة، والتأثير الحلو للكثير من المشروبات المنعشة.

وتقول آدي وهي ترفع مكيف الهواء إلى أقصى درجة: "ستذوب الشيكولاتة بهذا الشكل".  
أتأهب لدى سماع الكلمة.

"الشيكولاتة؟".

فترد قائلة دون إبعاد عينيها عن الطريق: "ليست من أجلك".

أسترخي في مقعدي مرة أخرى. كنت أحسب أننا أحرزنا شيئاً من التقدم - كانت قد التفتت في وقت سابق شبه مبتسمة؛ ابتسامة طفيفة مثل قضة صغيرة من شيء لذيذ، فحلق قلبي عاليًا. والابتسامة الحقيقية من آدي جائزة حقيقية: من الصعب الفوز بها، إنها تجعل نبض القلب يتوقف حين ترسم على محياها. ومن المؤسف أن حقيقة هذا لا تبدو الآن أقل مما كان عليه الأمر منذ عامين. لكنها عادت تتعامل ببرود مرة أخرى؛ فقد مرت ثلاثون دقيقة منذ تركنا محطة الوقود دون أن نتحدث إليّ مباشرة. وليس لي أن أعترض، وينبغي ألا أغضب، لكنني غاضب - يبدو ذلك تصرفاً ينم عن سلوك طفولي، وأنا أحب أن أفكر في أننا أرقى من ذلك.

أتململ في مقعدي، فتلتفت نحوي، ثم تمد يدها لترفع صوت الراديو. كان يذيع أغنية من أغاني البوب، أغنية خفيفة متكررة الإيقاع، إنها شيء وسط بين ذوق آدي وذوق ماركوس؛ ومع ارتفاع صوت الأغنية، لم يعد بوسعي سماع الثرثرة الدائرة في المقعد الخلفي. وكان آخر ما سمعته هو شرح رودني قواعد لعبة الكوديتش الحقيقية لديب، مع تعليق مسلٍ من وقت إلى آخر من ماركوس.

وتقول آدي: "هيا، تكلم. قل كل ما تريد قوله".

فأقول لها بأكبر ما أستطيعه من مرح: "أنا شفاف إلى هذه الدرجة؟".

فترد بصوت قاطع: "أجل. أنت شفاف".

أزدرد رريقي مضطرباً: "إنني... إنك لا تزالين مصرّة على معاقبتي".

وأندم في اللحظة التي أنطق فيها بذلك، وأتمنى لو لم أفعل.

"معاقبتك؟".

يبدو هواء المكيف كأنه أنفاس بطيئة باردة تضرب وجهي؛ كنت أفضل أن أفتح النافذة، لكن ماركوس اشتكى من قبل بسبب ما يفعله الهواء بشعره، ولست مستعداً ولا أملك الصبر لخوض ذلك الجدل مرة أخرى. أحول وجهي نحوها لكي يضرب تيار الهواء الفاتر خدي، وبهذه الطريقة يمكنني تأمل آدي وهي تقود. احمرت أطراف أذنيها، التي لا تكاد ترى من خلال أطراف شعرها. وهي الآن تضع نظارة شمس، ونظارتها الأخرى مرفوعة فوق رأسها، رافعة معها خصلة كبيرة من شعرها عن وجهها؛ يمكنني رؤية لون شعرها الأصلي عند الجذور.

وأقول لها: "ما زلت ممتنعة عن التحدث معي".

فترد: "إن عدم التحدث معك لم يكن بغرض معاقبتك يا ديلان. إنه في الحقيقة لا علاقة له بك من الأصل. وكل ما هنالك أنني كنت بحاجة إلى شيء من المساحة الشخصية".

أنظر إلى يدي غاضاً نظري: "حسبت أنك لن تحتاجي إلى تلك المساحة في نهاية المطاف، هذا ما افترضته".

تحقق إليّ؛ ولا يمكنني فهم عينيها من خلف النظارة الشمسية.

وتسألني: "أكنت تنتظر؟".

أجيبها: "لم... لم أكن أنتظر بالتحديد، وإنما...".

ينحبس لساني، وينبسط الصمت بيننا، مثل شريط بالغ الطول. ألمح التعبير على وجه الراكبة في السيارة المقابلة لنا على الطريق السريع - امرأة في منتصف العمر تعتمر قبعة، وتحقق بعينين مدهوشتين إلى سيارتنا. وألقي نظرة على الآخرين في الخلف، وأتخيل ما تراه. إن مجموعة من الأشخاص في العشرينيات من عمرهم محشورون بسعادة في سيارة حمراء زاهية صغيرة في السابعة والنصف صباحاً في عطلة الأحد.

لا فكرة لديها عن الحقيقة. ولو كان بمقدور المرء أن يحوّل الأسرار إلى طاقة، لما احتجنا إلى الوقود - سنجد لدينا من الضغائن في هذه السيارة ما يكفي ليصل بنا أسكتلندا.

الماضي

# آدي

أحدق إلى السقف. إذ كان سكن الحارس في فيلا شيري تحت المنزل - بمساحة الطابق الأول نفسه، في الطابق السفلي مباشرة. إنه شقة جميلة، ما لم يمانع المرء في عدم وجود أي نوافذ. وحين يتعلق الأمر بالعيش في جنوب فرنسا طوال الصيف مقابل إقامة مجانية وبضع مئات من اليورو في الشهر، فلا مانع لديّ إطلاقاً في عدم وجود نوافذ.

وصلت أسرة، هذا الصباح، أصدقاء والدي شيري. وقد جاءت بسيارة أجرة من المطار، وذلك من حسن حظنا؛ لأنني أنا وديب شربنا ثلاث زجاجات شراب في شرفة الجناح الرئيسي، الليلة الماضية، ولبثنا نحدق إلى النجوم حتى طلوع الصبح. فربما كنت لم أصل بعد إلى السن القانونية للقيادة، وقد صرنا في منتصف النهار بالفعل.

أنا واثقة تمامًا بأن هذا الصيف هو الأهم في حياتي. كأن... كأن هناك موسيقى ملحمية تصدح في الخلفية، أو كأن هناك تحولاً جذرياً يوشك أن يحدث. لن أكون آدي الصغيرة هذا الصيف، ولن أكون آدي التي تبقى في الخلف. ولن أكون الشخص الذي تنسى ذكره حين يسألك زملاؤك عن الأشخاص الموجودين في المقهى. ولن أكون الفتاة التي ينساها المرء تمامًا لأنه قابل فتاة أفضل، بل يمكنني أن أكون كما أريد.

هذا هو صيفي في الأساس. ولا يعني ذلك أن الأمور بات واضحة الآن؛ لأنني لست في أفضل أحوالي، وأشعر بالصداع؛ من تأثير الشراب لدرجة أنني لا أقدر على التحرك كثيرًا.

أحدق عابسة إلى السقف. إن هناك شيئًا غير طبيعي بخصوص تلك العائلة الجديدة. فليست شقة الحارس عازلة للصوت - وعادة ما تكون لدينا فكرة لا بأس بها عما يحدث في الأعلى. أكثر مما نرغب في العموم. لكنني الآن أكاد لا أسمع أي شيء. إنهم هنا بلا شك - فقد أيقظني صوت سيارة الأجرة حين توقفت في وقت سابق. وأسمع صوت حركة. لكنها... حركة هادئة. كأنه ليس هناك سوى شخص واحد يتحرك.

وقع أقدام شخص واحد يتجه عبر المطبخ إلى مبرد الشراب، ويعود مرة أخرى. وصوت استحمام شخص واحد. وهناك نافذة واحدة تركت مفتوحة حيث ينغلق باب إحدى غرف النوم حين تهب الريح عبر النافذة.

أوقظ ديب في الثانية والرابع بعد الظهر. وتدخل إلى المطبخ مرتدية ملابس نوم متهدلة وقميصًا خاصًا بفرقة موسيقية فرنسية حصلت عليه من علاقة عابرة في أفينون، ثم تتوقف مصغية.

تسألني: "أين الناس؟".

"لا أدري. أنا متأكدة من أنه لا يوجد سوى رجل واحد هنا".

تتشاب وتأخذ قرح القهوة الذي أقدمه إليها. وتقول: "هه! هذا غريب. ربما كان ذلك الرجل قد قتل عائلته كلها أثناء الرحلة إلى هنا".

يمكننا دائمًا أن نعرف ما إذا كان الشخص رجلاً أو امرأة؛ من سماع وقع قدميه. فالرجال أثقل خطوًا.

أسألها: "أهذا رأيك؟".

فتهز ديب كتفيها، وتبدأ تقطيع خبز الأمس. ويتطاير منه الفتات والقشور كأنه نشارة خشب في ورشة نجار.

تسألني: "ما رأيك أنت؟".

أقول: "ربما سيأتي الجميع فيما بعد. وربما توقفوا في نيس لمقابلة بعض الخلان، أجل".

هذا أحد الأشياء الصيفية التي لن نراها طريفة، العام المقبل، لكنها تمتعني أنا وديب الآن. فمئذ وصلنا إلى هنا، التقطنا العبارات التي نسمعها عبر السقف، أو التي تتناهى إلى أسماعنا

من الشرفة: مثل خلان، وديكور، ونشوان، ورباني. لم ألتقي أناسًا مثل نزلاء فيلا سيريز من قبل. إنهم لا يسألون عن أسعار الأشياء قبل شرائها، ويشربون أغلى المشروبات كما لو كانت شيئًا زهيدًا. ويملكون العديد من المنازل والحيوانات الأليفة، ولديهم آراء في كل شيء حرفيًا. ومن السهل تمامًا الاستهزاء بهم.

تقول ديب: "كانت أم شيري سترسل رسالة لو أنهم سيأتون فيما بعد".

يتخذ وجهي تعبير من يقول 'أجل، هذا صحيح'. وتدهن ديب الزبد على خبزها، واضعة طبقة بسّمك شريحة جبن.

أقول لها: "لا أظنه عجوزًا. فهو يمشي بخفة".

ترفع ديب حاجبيها: "ربما كان أحد المستخدمين".

وهذا تعبير آخر تعلمناه هنا. 'مستخدم' كأنه اسم وظيفي.

ينتقل ضيفنا الوحيد الغامض إلى المطبخ، فوق رءوسنا مباشرة. ونتجمد في موضعنا، أنا ومعني كوب من عصير البرتقال كنت أرفعه إلى فمي، وديب ومعها الخبز بالزبد أمام أنفها.

تفتح الثلاجة في الطابق العلوي. ونسمع صوت صلصلة، ثم تنغلق.

وتقول ديب: "ممن يشربون نهارًا"، وتتوقف مفكرة، وتردف: "إذا لم يكن هنا غير شخص واحد طوال الأسبوع، فهل علينا حقًا أن نكون، نحن الاثنين، هنا؟".

"هل ستتخلين عني مرة أخرى؟".

تنظر ديب نحوي عابسة، محاولة أن تخمن ما إذا كنت أمانع حقًا. فلست واثقة، لأكون صادقة. لقد اتفقنا على أن تذهب كل منا، طوال مدة مكوثنا هنا، لاستكشاف فرنسا كلما سنحت الفرصة. ومع ذلك، ما حدث هو أن ديب كانت تعشق المغامرة أكثر مني. وأنا أفهم

ذلك؛ فهي أسرع مني ملأً. وأنا أحب هذه الفيلا؛ أحب المسبح الشاسع، ومزارع الكروم، ورائحة الهواء في الصباح الباكر. أما ديب فليست شاعرية هكذا. فهي تعدُّ الفيلا مجرد منزل، وإن كان منزلاً فسيحاً.

وأحياناً ما أحب البراح الإضافي حين تكون غير موجودة. لكنني أكره أيضاً أن أكون الشخص الذي يبقى وحيداً.

وتقول ديب: "هناك رجل خارج مدينة نيم لديه منزل فارغ. شيء مثل تجمع محلي. لكنه أشبه بتجمع للحفلات. وليس من ذلك النوع المتكشف. ألا تريدني أن أذهب؟".

لم تفهم ديب يوماً معنى أنصاف المشاعر. أستدير عنها مغتاضة، وألتفت قائلة: "عليك أن تذهبي بالطبع"، بينما أحرق دون تركيز إلى ما في الثلاجة.

فتقول ديب: "إذا كنت تريدني مني البقاء هنا، فسأبقى، أنت تعلمين ذلك".

ألتفت ناظرة إليها. لا يبدو على وجهها ما ينم عن أي انفعال. ومن المستحيل أن أبقى غاضبة من ديب. لقد وجدت مكاناً آخر يمكنها أن تكون فيه، وبحسب تفكيرها، ما المانع في ذلك إن لم أكن بحاجة إليها؟

أقول لها وأنا أغلق الثلاجة: "لا، فلتذهبي. ولتبحثي لنفسك عن شاب فرنسي جذاب".

نسكت مرة أخرى. ففي الأعلى، كان الرجل الوحيد يمشي من المطبخ متجهاً إلى الشرفة. وكان يتحدث. ويهمهم. ولم أستطع تبين ما يقوله.

تسألني ديب وهي تميل رأسها: "أيكلم نفسه؟ ربما كان رجلاً مجنوناً دخل هنا. وربما كان لدينا سارق مساكن".

أقترب من باب شقتنا وأفتحه قليلاً. الفيلا مبنية على تلة ويقع بابنا بعيداً إلى يمين المبنى، مختفياً عن الأنظار تحت الممشى المؤدي من المطبخ إلى الشرفة المرتفعة والمسبح

الشاسع.

يمكنني أن أرى، من فتحة الباب، النصف السفلي للنزير وهو يمر قرب الأسوار حول الشرفة. إنه يرتدي سروالاً قصيراً بلون الحجر، ولا ينتعل أي حذاء. وينقر بزجاجة شراب نصف ممتلئة على فخذه وهو يمشي. لم يبدُ عليه أنه سارق مساكن.

تشرع ديب قائلة: "ماذا...".

فأسكتها وأحاول الإصغاء. إنه يقرأ شيئاً.

كان يقول: "كان متورطاً في مغامرة عظيمة، منحته إياها جلوريانا...".

تسألني ديب في أذني: "أيقراً مسرحية لشكسبير أو شيئاً من هذا القبيل؟". وتدفعني جانباً وتفتح الباب أكثر.

أهمس لها: "احذري يا ديب". ليس من المفترض أن يتلصص الحارس على الضيوف. وهذه الوظيفة هي أفضل عمل صيفي يمكنني تخيله. وكثيراً ما يعتريني الخوف من أن يفسد أحدنا الأمر بشدة لدرجة أن يلاحظ أحد ذلك ويتصل بوالدي شيري.

ويستمر في قراءته: "لتهبه عبادتها، وتوليه نعمتها، والتي كان يتوق إليها أكثر من أي شيء دنيوي، ودائماً ما تاق إليها - حتى وهو... سحراً"، يتوقف الرجل عن القراءة ويرفع زجاجة الشراب ويقول: "يا للبلوى الكارثية المستفحلة".

إنه ثري - يبدو مثل هيو جرانت. وتغطي ديب فمها لتكتم ضحكتها. ويتجمد الرجل في مكانه. وأشهب بقوة وأجذبها من فتحة الباب.

وأقول وأنا أجرها عبر غرفة المعيشة: "تعالى. فلنتجنب إغضابه في اليوم الأول، كائناً من كان".

تقول ديب: "أعتقد أنه رشيق القوام"، بينما ترتمي على الأريكة. والأريكة، مثل معظم الأثاث في شقتنا، كانت في المنزل الرئيسي من قبل، ثم أنزلت إلى الطابق السفلي حين قررت أم شيري تغيير مظهر المكان. إنها أريكة مخملية وردية داكنة، وعليها بقعة شراب كبيرة على مسند الذراع اليمنى - ولم تكن لنا علاقة بهذه البقعة، لحسن الحظ.

أقول لها: "أعرفت كل هذا من شكل قدمه؟".

تومئ ديب مؤيدة: "يمكنك معرفة الكثير من شكل القدم".

هذا نوع من تعليقات ديب التي تعلمت التغاضي عنها، لأنني سأتورط في عالم من الغرابة المتناهية إن بدأت الجدل معها.

أسألها: "هل ستبقين هنا إذن؟ بعد أن رأيت كاحليه الجذابين؟".

تنريث ديب برهة، ثم تهز رأسها: "يمكنني الحصول على الفتيان المترفين الذين يرتدون سراويل قصيرة غالية في بلدنا. لكنني أفضل أن أرفه عن نفسي بشاب هيبى فرنسي طويل الشعر".

أسألها وأنا أضم وسادة إلى صدري: "أتظنين أنك قد تسأمين من ذلك في يوم ما؟".

"أسأم من ماذا؟".

"من الاقتصار على العلاقات العابرة فقط".

تمد ديب ساقها على الأريكة. وكان طلاء أظافرها متقشرًا، وهناك على كل من ساقها البنيتين الطويلتين كدمة. ورثت ديب لون بشرة أبيها - فقد كان جدها لأبيها غائبًا - بينما ورثت أنا البشرة البيضاء من أبي. ودائمًا ما رأيت أنه من المزعج أن يقول الناس عنا إننا أختان غير شقيقتين. فديب هي توأم روحي، وهي نصفى الآخر، والشخص الوحيد الذي يفهمني. وأنا مرساها، أنا الشخص الوحيد الذي تعود إليه دائمًا. فما من شيء ناقص بيننا.

حين كنا صغيرتين، كنت أكره دائمًا أن يأتي والد ديب لزيارتها. وكان يأخذها إلى مكان ما، وحدهما فقط، في رحلة إلى الحديقة، أو يذهبان بالحافلة إلى المدينة. وكان أبي يبدو حزينًا قلقًا إلى أن تعود ديب إلى المنزل، وترغب في تركيب نماذج القطارات المصغرة معه، فيشرق وجهه مرة أخرى. وعلى الرغم من فظاعة ما سأقول، فقد فرحت حين تشاجر والد ديب مع أمي، وكنت حينها في الثامنة، وتوقف في النهاية عن المجيء لزيارتنا. وبطريقة ديب المعهودة، شطبت أباها البيولوجي من حياتها الآن. فديب لا تمنح فرصة ثانية أبدًا.

تسألني: "وما الذي يدعوني إلى السأم؟ إن لديّ خيارات متنوعة لا نهاية لها".

"لكن ألا ترغبين في الاستقرار في يوم من الأيام؟".

"أي استقرار؟ وما الذي يدعوني إلى الاستقرار؟ إنني أعرف من أنا وأعرف ما أريد. لا أحتاج إلى شخص ليجعلني أشعر بالاكتمال، أو أيًا كان الهدف من وجوده".

"لكن ماذا عن الأطفال؟ ألا ترغبين في أطفال؟".

تحك بطنها وترفع رأسها محدقة إلى السقف، وتقول: "كلا. هذا شيء أنا واثقة به. لا أريد أي أطفال. أبدًا".

ألوح مودعة ديب وهي راحلة إلى نيم في سيارتها المستأجرة المنبججة المتهالكة - لم أعرف أنها راحلة إلا حين سمعت صوت محرك السيارة الذي أدارته. فديب لا تحب الوداع حقًا. وهي تكره العناق، وهو أكثر ما يزعجها في مسألة الوداع، بما أن الناس ينتظرون تبادل العناق دائمًا عند الوداع. ومنذ كنا طفلتين، كنا أنا وهي نودع بعضنا البعض بالرسائل النصية، بعد الرحيل. وأنا أحب ذلك نوعًا ما - ونادرًا ما نتبادل الرسائل في الأوقات الأخرى، خاصة أن الجميع باتوا يستخدمون واتساب، لذا فإن محادثتنا النصية دائمًا ما تكون سلسلة من خلال العبارات المقتضبة اللطيفة.

أرسل إليها رسالة: وداعًا، أحبك، اتصلي بي إن احتجت إليّ.

فترد: وأنا أيضًا. إن احتجت إليّ، فسأكون عندك.

عادة ما نقدم أنفسنا، أنا وديب، إلى الضيوف حينما يصلون، لكنني قررت، هذه المرة، أن أنتظر إلى المساء، حتى تكون قد رحلت. فلا حاجة إلى إعطاء الانطباع بوجود حارسين، في حين أن أحدهما لن يبقى.

أشق طريقي عبر مدخل الخدم إلى الفيلا. ويوجد سلم حلزوني ضيق يفضي من شقتنا إلى ردهة صغيرة خارج مطبخ الفيلا مباشرة. أجد الباب بين المطبخ والسلم مغلقًا من الجانب الذي أقف فيه، لكنني أطرقه بقوة، على أية حال. لقد وقعت في الفخ من قبل، ودخلت دون تربث، ورأيت ضيفًا أسكتلنديًا بدينًا يتناول طعامه وهو عارٍ تمامًا.

أنادي عبر الباب: "مرحبًا؟ سيد أبوت؟".

لا يأتيني أي رد. أفتح قفل الباب وأخطو إلى الداخل بحذر. لا أجد أحدًا. وأجد في المطبخ أدلة: بقايا خبز فرنسي، وزجاجات فارغة، وقشور جبن، وقطعة كاملة من الزبد تسيح في شمس الأصيل. أطقق بلساني منزعة، ثم أكبح نفسي؛ لأن هذا بالتحديد ما قد تفعله أُمي في وضع مماثل.

أقضم إحدى قطع الخبز الفرنسي وأنا أنظف المكان. أيًا كان ذلك الشخص، فهو معتاد وجود من ينظف بعده. وهو مخمور بلا شك، نظرًا إلى عدد الزجاجات الفارغة. أبتلع آخر قطعة خبز، وأتوقف في منتصف المطبخ. إن الأجواء هادئة فيما عدا صوت الصراير المتواصل في الخارج. لست معتادة الهدوء في هذا المنزل. وأحيانًا ما تخرج العائلة أثناء النهار، لكنها عادة ما تعود في المساء، وعادة ما تكون ديب معي في معظم الأوقات.

يداخلني شيء من الرعب. أنا وحدي مع رجل غريب مخمور في المنزل. أحصي الزجاجات الفارغة. خمس زجاجات شراب.

أتفقد المطبخ مرة أخرى، وأطل برأسي لأرى الشرفة، ثم أتجول متجهة إلى صالة المدخل الكبرى في الفيلا.

أنادي بصوت أقل ارتفاعًا هذه المرة: "مرحبًا؟".

الأجواء أكثر برودة هنا، بما أن الأبواب المزدوجة الكبيرة مغلقة بإحكام، حاجبة حرارة الشمس. وهناك سترة ملقاة أسفل السلم. أعلقها مرة أخرى على السور. إنها من الجينز الناعم المبطن بالفرو - لا شك في أنه جاء من بلد بارد الأجواء. ولا شك في أن المرء لا يحتمل ارتدائها هنا. وبينما كنت أعلقها، أشم رائحتها: رائحة برتقال، ورائحة خشب، ورائحة ذكورية.

أنادي مرة أخرى: "سيد أبوت؟".

أصل إلى غرفة الاستقبال، ثم قاعة الطعام، ثم قاعة الرقص، وغرفة المعيشة. إنها جميعًا على حالها التي كانت عليها حين جهزنا الفيلا من أجل الضيوف الجدد. إنه في الطابق العلوي إذن. ونحن لا نعد أبدًا إلى الطابق العلوي حين يكون الضيوف هنا، إلا إذا طلبوا منا إصلاح بالوعة مسدودة أو أي شيء من هذا القبيل. فغرف النوم هي مساحتهم الشخصية.

يعتريني شيء من الارتياح، فأعود إلى سلم الخدم، وأقفل الباب خلفي. إن الشقة كما هي دائمًا: مريحة، وغير مرتبة وخالية من أي ضوء طبيعي. أغوص في الأريكة المخملية الوردية وأشغل التلفاز. أجد عرضًا دراميًا فرنسيًا، إيقاعه سريع جدًا بالنسبة إليّ، لكنني بحاجة إلى بعض الضجيج فقط. ربما كان ينبغي أن أطلب من ديب البقاء معي. إنني أكره هذا الشعور بالضيق حين أترك بمفردي. أرفع صوت التلفاز.

سأحاول مقابلة السيد أبوت في الغد. لكن ليس في وقت مبكر أكثر من اللازم. فسيحتاج إلى الكثير من النوم بعد كل ما شربه.

يوقظني صوت اصطفاق النوافذ في اليوم التالي. فمن الواضح أنه لا يستطيع تثبيتها كما كانت. أسعل وأسحب الأغطية فوق رأسي. إن الريح عاصف - وسوف يتسبب في تحطيم لوح زجاج إذا ظل تاركًا كل شيء يصطفق مع الريح على هذا النحو.

إنه يغمغم مع نفسه في المطبخ. لا يمكنني فهم ما يقول عبر السقف، لكن يبدو لي من ارتفاع نبرته وانخفاضه أنه يقرأ شيئًا.

أتفقد هاتفي. الساعة الآن الثامنة صباحًا - وهذا وقت مبكر جدًا لأصعد وأقدم نفسي إليه فيه. لقد انتهى الشعور الغريب بالضيق الذي استحوذ عليّ، الليلة الماضية، وأنا الآن سعيدة بهذا البراح الإضافي في السرير المزدوج. إن ديب مزعجة جدًا حين تنام بجانبني في السرير. وقد بدأت منذ بضع ليالٍ التحدث أثناء نومها عن السياسيين المحافظين.

أستلقي مصغية إلى ضيفنا الوحيد وهو يحدث ضجيجًا في المنزل. وأسائل نفسي عن شكله. ولم يكن لدي الكثير لأضيفه إليه من مخيلتي - رأيته من الخصر إلى الأسفل، وسمعت صوته. أتوقع أن يكون شعره داكنًا مجعدًا، وعيناه بنيتين؛ وربما كانت لديه لحية خفيفة؛ ويرتدي قميصًا فضفاضًا، وقلادة تتدلى حول رقبتة.

يغني بضع كلمات من أغنية ما - أغنية بوب لست أحفظها جيدًا. وأبتسم ناظرة إلى السقف. لقد كان غناؤه نشازًا خالصًا.

وحين أنهض من السرير، أجد الساعة قد بلغت التاسعة، وهو في الشرفة يتناول قهوته. سمعت ماكينة القهوة وهي تطن، وسمعت وقع قدميه على الممشى في الخارج قبل أن أستجمع قواي لأخرج من تحت الأغطية. وأغرق في التفكير في ملابسني - أرتدي سروالًا قصيرًا، أم تنورة أم فستانًا؟ وفي النهاية، حين أنزعج من نفسي، ألتقط قميصًا وسروالًا عن الأرض وأبسهما، وأرفع شعري إلى أعلى، وأجمعه على هيئة كعكة، وأربطه بأحد أساوري.

لا أجد السيد أبوت في أي مكان حين أصل إلى الشرفة. ولا يوجد فنجان قهوة هنا، لذا فأياً كان المكان الذي ذهب إليه، فقد أخذه معه. أتفقد الحديقة الخضراء الجافة والمتربة وأحواض الزهر التي يتعب فيها فيكتور، البستاني، كل خميس، لكن لا أرى أحداً في أي مكان من أراضي الفيلا. ترى هل أخطأت السمع؟ أمضي إلى المطبخ، وأفك شعري مرة أخرى.

المكان أكثر ترتيباً اليوم. وأجد هناك رسالة.

مرحباً أيها الحارس الشبحي. آسف أشد الأسف على الفوضى التي أحدثتها الليلة الماضية، لقد تماديت قليلاً. لقد خرجت لاستكشاف الأرجاء الآن، لكن ربما يمكنك إلقاء نظرة على النوافذ في غرفة نومي بينما أنا في الخارج. لا أعرف كيف أمنعها من الاصطفاق على هذا النحو الدائم. صوتها المزعج يقودني إلى الجنون.

ديلان أبوت

ضحيجها يقوده إلى الجنون، حقاً؟ أدير عيني إلى أعلى، وأكور الرسالة في يدي، ثم أفسها في جيب الخلفي. لا تحتاج النوافذ اللعينة إلى أي مهارة. ولو أنه نظر إليها عشر ثوانٍ لعرف الموضع الذي تُثبت منه في الجدار لتظل مفتوحة. أتوجه إلى غرفة نومه لتفقدتها على أية حال. إنني أعرف الغرفة التي نزل فيها. لقد صرت بارعة في معرفة أي الأبواب يفتح وينغلق الآن. أما الحمامان الثالث والرابع فأخلط بينهما أحياناً، وأحياناً أخرى أخلط بين غرفتي النوم الثامنة والسادسة، لكنني أعرف الأخرى جيداً.

لقد اختار أفضل غرفة نوم بالمنزل كله، في ذلك الجناح الذي كنا نتأمل فيه النجوم أنا وديب من الشرفة أمس الأول. وكان فيها سرير ذو أربعة أعمدة مفروش بالحرير الدمشقي الأزرق، ونوافذ ضخمة تطل على حقول الكروم. كان السرير غير مرتب، وملابسه ملقاة عند باب الحمام، كأنه خرج منها متعجلاً قبل أن يدخل تحت الدش. وتنتشر في الغرفة رائحة السترة نفسها: رائحة برتقال، ورائحة مسك، ورائحة ذكورية.

أفتح النافذة. من الواضح أنه ما من مشكلة في مصاريعها، وهذا هو المتوقع. أثبتتها من أجله، وأفكر في كتابة رد على رسالته، لكن ماذا يفترض بي أن أكتب؟ أكتب: انظر إلى المصاريع وافعل ذلك في المرة المقبلة؟ تخيلت نفسي أكتبها وأوقّعها باسم الحارس الشبحي، لكن لا. آدي هذا الصيف ليست شبحية في أي شيء. وبدلاً من ذلك، وانصياعاً لنزوة مفاجئة، أنفخ في زجاج النافذة، وأكتب اسمي على الضباب. أديلين. دون أن أطبع قبلة.

يمر وقت طويل دون أن يعود، لدرجة أنني أغامر بالنزول إلى المسبح - قالت لنا والدة شيري إننا يمكننا فعل ذلك حين لا يكون هناك ضيوف في الفيلا. ثم أعود إلى الشقة وأعتصر شعري في حوض المطبخ، وأسمع عندئذ طرقة على الباب.

أخفض بصري ناظرة إلى جسدي. يا للكارثة. ثوب سباحة مبلل، وليس على جسدي غيره. أهرع إلى غرفة النوم، وأفتش في خزانة الملابس، كان هذا تصرفاً لا معنى له؛ لأن كل الثياب المناسبة لمقابلة على الأرض أو في المغسلة. وأسمع طرقة أخرى. يا للكارثة. ألتقط كتلة قماش برتقالية اللون - فستاناً منفوشاً، ما من بقع واضحة فيه، سيفي بالعرض - وأرتديه وأنا أهرع عائدة إلى الباب.

أفتح الباب، فأراه أمامي. رجل الطابق العلوي. لقد أخطأت تماماً في تخيله. عيناه أول ما ألاحظه: شاحبتنا الخضرة، تكادان تكونان صفراوين، لهما مظهر ناعس. ورموشه أطول كثيراً مما يراه المرء عادة لدى الرجال، وشعره رخو بني اللون كأن الشمس سفعت أطرافه. والشيء الوحيد الذي أصبت في تخيله هو قميصه: كان قميصاً قطنياً شاحباً، ومجعداً وغير مزرر من أعلاه حتى جزء كبير إلى الأسفل.

ما من قلادة متدلّية حول عنقه، وإنما خاتم ذهبي في خنصره. وأرى خلفه أثر قدمي المبللتين، من المسبح إلى الباب الأمامي للشقة.

يقول وهو يتأملني مأخوذاً، ويهز رأسه وشعره كذلك: "أوه! مرحباً".

أرد قائلة: "مرحبًا"، وأمتنع عن قول ' سيد أبوت ' . فقد شعرت بأنه من الغرابة أن أنادي شابًا في مثل عمري بالسيد. كان شعري المبلل يقطر ماء على ظهري، وأحسست بالامتنان لأن ذلك يهدئي - أنا مرتبكة تمامًا، بعد كل هذه الهرولة في الأرجاء.

يبتسم ابتسامة بسيطة ويقول: "تخيلت أنك رجل عجوز مغضن... حارس شبحي".

أضحك وأسأله: "لماذا؟".

يهز كتفيه. لكن لم يزل شعوري بالارتباك - أعتقد أنه هو السبب، ربما، بسبب عينيه الخضراوين، أو قميصه المفتوح.

يقول: "حارس. من المفترض أن يبدو... مغضنًا".

أنتصب في وقفتي أكثر: "حسنًا، أنت أيضًا لست كما توقعت. فحين سمعت اسم ' عائلة أبوت '... ظننت... يبدو الاسم فقط... أوه، لا أدري... كأن هناك أكثر من شخص واحد".

يزم شفتيه ويقول: "أجل. هذا صحيح. يؤسفني أن الباقيين بدا لهم ألا يأتوا، لذا ليس لديك غيري. أشكرك على إصلاح نوافذ غرفتي. إنك حارس معجزة".

أقول: "كل ما هنالك..."، وأتوقف ولا أكمل، ثم أستدرك: "على الرحب والسعة".

ينظر أحدهما إلى الآخر. وأصبح واعية تمامًا بجسدي: كيف أرفع كتفي، وثوب السباحة المبلل الذي يبيلل فستاني أيضًا. وهو يتأملني بثبات. يرمقني بنظرة هادئة واثقة من النوع الذي يغوي المرء في المقهى وهو ينتظر شرابه. إنها نظرة تمرن عليها كثيرًا، إذ تبدو متعمدة جدًا. كأنما كان قد رأى شخصًا غيره يفعلها، لكنه لم يسبق له أن جربها بنفسه قط.

أسأله: "بم يمكنني أن أساعدك؟".

وأعدل فستاني، الذي التصق بثوب السباحة.

يرد: "مبدئيًا، لقد أضعت مفتاحي".

تتغير نظرتة الهادئة لحظة، وتتحول إلى نظرة صبيانية. هذا أفضل كثيرًا. إنه وسيم، على نحو غير مهندم وبأس نوعًا ما. كأنه جرو من سلالة يوركشاير تيرير. أو صبي في فرقة موسيقية تنافس في مسابقة إكس موسيقية قبل أن يصبح مشهورًا.

ويرد: "لا يمكن ائتماني على أي مفاتيح".

أجيبه: "يمكنني حل هذه المشكلة بالتأكيد".

"أشكرك. إنك شديدة اللطف. و..."، ويسكت قليلاً، وينظر إليّ كما لو كان يتخذ قرارًا ويستترد قائلاً: "إنني أبحث عن شخص".

"أنت... ماذا تعني؟".

"إنني أحاول العثور على شخص، وأعتقد أنك يمكنك مساعدتي؟".

أميل رأسي، وقد غلبني الفضول. ويتسارع نبضي. ربما كان شديد الوسامة حقًا. تنتقل عيناه على بقع البلبل في فستاني، ثم يرفعها إلى وجهي مرة أخرى. كل ذلك بسرعة كبيرة، كأنه لم يقصد ذلك، وكما لو كان قلقًا من أن أكون قد لاحظت نظراته. أزم شفتي لأخفي ابتسامتي. وأتساءل عما إذا كان أكثر براعة حين لا يكون ثملًا، أم أنه هكذا دائمًا.

يسألني: "ألديك سيارة؟".

أومئ مؤكدة.

فيرد: "أيمكنك أن توصليني إلى مكان ما؟".

# ديلان

لكأنها جنية ماء، بشعرها الفاحم المبتل، وعينيها الزرقاوين النهريتين. وكأنني نبشت عنها واستخرجتها من باطن الأرض حين وجدتها هنا في هذه الشقة الصغيرة، مدفونة تحت هذا المنزل، وكأنها كانت تنتظرنني، وجئت أخيرًا لأحررها من هذا المكان الخالي من النوافذ.

قد أكون بالغت في الشرب قليلاً. آمل ألا تلاحظ ذلك. إنني أحاول أن أحرق إليها بطريقة فاتنة، وليس بطريقة شهوانية، لكنني شربت ثلاثة أرباع زجاجة وأنا أقرأ قصيدة ' أستروفيل وستيلا' لفيليب سيدني بين التلال فوق الفيلا مع غدائي، وعليّ الاعتراف بأنني لا أثق بحكمي تمامًا.

وبينما كنت أصدع في مقعد الراكب بالسيارة المستأجرة للحراسة زرقاء العينين، حاولت أن أستفيق وأستمع إلى ما تقوله - كانت تتحدث عن مصاريع النوافذ - لكن عقلي كان شاردًا مع فكرة جديدة، فكرة عن الأيدي الصغيرة السريعة ذات الأظافر المقضومة.

وبينما كنا نخرج من باب الفيلا، ألقيت نظرة أخرى على وجهها من الجانب: أنف رقيق مرتفع، وطيف من نمش على وجنتيها، كأنه قطرات ماء شفيفة على الرمال. وفي معدتي انقباض، نصفه خوف، ونصفه حماسة، أو ربما مجرد رغبة. وكنت موقنًا بأن هذا الصيف سيكون مذهلاً، وها أنا هنا في هذه اللحظة، والرياح تضرب أذني، وحرارة الشمس تسفع خدي، ومعني هذه الجميلة ذات الشعر الفاحم بجواري، وجلدها العاجي فوق جلد المقعد، و...

تقول فجأة: "سوف تكسر باب الثلاجة، بالمناسبة".

أجفل: "ماذا؟".

"باب الثلاجة. إنك لا تنفك تجذبه ممسكًا المقبض من أسفل. فحاول أن تمسكه من الأعلى،  
أيمكنك ذلك؟... وإلا فسندطر أنا وديب إلى البحث عن يصلحه، وسيظن كل الحرفيين  
هنا أننا غبيتان. وسينتهي بنا الأمر إلى محاولة إصلاحه بأنفسنا".

ذهلت قليلاً.

أسألها مستجمعاً تركيزي: "وكيف عرفت ذلك؟ أكنت تراقبينني، أيتها الحارسة الشبحية  
الصغيرة؟".

تلتفت ناظرة إليّ، وقد بدت الحدة في عينيها الزرقاوين. وأرى لديها شامة فوق شفرتها، عن  
يسار الجزء الذي ترتفع فيه شفرتها العليا برقة.

وتقول: "لا تنعتني بالصغيرة. فهذه لهجة متعالية".

أشعر بالارتباك. وينفلت مني الشعور بالثقة والروعة. أكنت أحاول بطريقة خاطئة طوال  
الوقت؟ لكن عذري أنها صغيرة حقاً: عظامها رقيقة وهشة، وترقوتها تبرز تحت الجلد كأنها  
جذر شجرة، ومعصماها نحيلان لدرجة أنه يمكنني أن أحيطهما معاً بيد واحدة. تعود تنظر  
إلى الطريق وعلى شفرتها ابتسامة بسيطة؛ أعتقد أنها لاحظت ارتبائي.

وتواصل: "ولم أكن أراقبك، وإنما كنت أستمع فقط. فكل الأواني في الجزء العلوي من  
الثلاجة تهتز حين تجذب الباب بهذه الطريقة".

"تستمعين؟". هممم! لقد أمضيت معظم اليومين الماضيين أقرأ بصوت عالٍ أبياتاً من  
قصيدة ملكة الجن - مصدر إلهامي الأساسي للمجموعة الشعرية التي أعمل عليها، كنوع من  
التكريم لسبنسر. وغنيت أمس أغنية '22' لتايلور سويفت وأنا في الشرفة ومعني زجاجة  
شراب استخدمتها كأنها مكبر صوت.

وتقول وهي تعض شفتها السفلى: "لديك صوت غنائي جميل". وأشاهد أسنانها البيضاء تنغرس في الجلد الوردي الناعم، وأتخيل، خلال ثانية في جراحة، تلك الأسنان تنغرس في كتفي العارية.

أسألها: "حقًا؟".

ترمقني بنظرة دهشة وتقول: "كلا. كلا بالطبع. صوتك مريع. فمن المستحيل ألا تكون على علم بذلك".

يغزوني الارتباك مرة أخرى. لقد أصبح استجماع شجاعتي أصعب نوعًا ما. أقول: "إنك وقحة؛ هل أخبرك أحد بذلك من قبل، أيتها الحارسة الشبحية؟".

ترد: "اسمي آدي. ولست وقحة. بل صريحة. وهذا شيء ساحر".

تقول ذلك كما لو كانت اكتشفته بنفسها في الحال، ثم تبتسم لي ابتسامة تنفذ إلى أعماقي. ويضيع مني بيت الشعر الذي كنت أفكر فيه حين أستغرق في تأمل انحناءة شفتها، والتصاق ذلك الفستان بجسدها. والطريقة غير المريحة التي تصدني بها. وأعيد تقييمها: صحيح أنها تشبه جنية ماء، لكنها جنية صغيرة شرسة لها أنياب ومخالب، نصف رقيقة، ونصف بريّة. إن ماركوس لو كان هنا لأعجب بها.

من الغريب أن أكون هنا دون ماركوس. لقد كنا نرتحل أنا وهو، طيلة الصيف - كنت أنوي تخصيص ثلاثة أسابيع من رحلتنا من أجل عطلة عائلية هنا في فيلا شيري، لكن أهلي جميعًا ألغوا كل شيء بعد إعادة عرض تقليدية للمسلسل الشهير لدى عائلة أبوت، وهو الشجار الخالد المعروف باسم 'لقد خيبتكم أملي جميعًا'. ودائمًا ما تنتهي تلك التحفة الخالدة بصياح أبي وتوجيه الشتائم والبصاق إلينا جميعًا، فلا نتوانى أنا وأخي في إنفاق مبالغ لا بأس بها على نحو متهور لمجرد إغاضته. لكنني كنت رقيقًا به، هذا العام: فكل ما فعلته هو أنني حرمته من فرصة استعادة أمواله من خلال حضوري هذه العطلة وحدي.

لا تزال أمي ترسل إليّ رسائل صوتية، ثلاث مرات في اليوم. وكلها متشابهة: حبيبي ديلان، والدك نادم أشد الندم، أرجوك اتصل بنا.

من المضحك أن أبي لم يهاتفني بنفسه قط، بالنظر إلى شدة ندمه.

كانت العطلة الصيفية الطويلة في أوروبا فكرته. وعليّ أن أرتحل، بوصفي رجلًا إنجليزيًا تقليديًا، وأنثر بذوري في القارة قبل أن أعود إلى واجبات الحياة الحقيقية. وقد رفضت هذه الفكرة بشكل قاطع، طوال الصيف بالطبع... وما جئت هنا إلا لأبحث عن جريس.

لكنني تبينت أنه من الصعب العثور على جريس. وها هي آدي، صغيرة وجميلة، جنية حقيقية أمام عينيّ.

وتسألني آدي ونحن نشق طريقنا عبر مزارع الكروم: "من الذي رأى صديقتك في لا روك أليك؟". ما من أحد على الطريق غيرنا، وعلى الرغم من صوت الريح كذلك يمكن للمرء سماع أصوات الصراصير وهي تنشد أغنيتها الغريبة بين الحشائش الجافة على جانبي الطريق الأسفلتي.

أجيبها ملوحًا بذراعي: "مجرد صديق لأحد أصدقائي". لكن الحقيقة أنني عرفت من خلال تتبع صورة جريس الأخيرة على أنستجرام؛ أفضل ألا أخبر آدي بذلك. أفقت قليلًا من تأثير الشراب - ربما كان السبب هو هواء الجبل المنعش - ودون تأثير الشراب، بدأت أدرك أنها أبعد من أن أنالها إلى حد ما. فأدي ذكية، وواثقة بنفسها، ولديها ساقان مذهلتان لدرجة إعجازية، ولا أظن أنني وضعت أي مستحضر على شعري، هذا الصباح. وأتحقق من الأمر خلصة - كلا، لم أضع أي شيء، يا للمصيبة.

تسألني آدي: "أهي تائهة أم ماذا؟".

أفكر لحظة وأقول في النهاية: "إنها هوائية، تحب أن تجعل الناس يتوهون مع التخمينات".

ترفع آدي حاجبيها وتقول: "تبدو مملة".

أرد عابسًا: "إنها رائعة".

"ما دمت تقول ذلك".

كانت جريس على علاقة بماركوس معظم السنة الثالثة، ومع ذلك لم يكن أي منهما يعطي تصنيفًا محددًا لعلاقتهم. وقد غازلتني على نحو ما جن بعد عشاء المعلمين في الفصل الثالث من العام الدراسي، بينما أخذ ماركوس يضحك. وقال حين جلست جريس في حجري، ونظرتُ إليه ثملاً وتائهاً بعض الشيء: ' وما المانع؟ '. كنا نتشارك كل شيء آخر. وبذلك صارت بيني وبين جريس... هذه العلاقة، أيًا كان اسمها، قبل العطلة الصيفية، ثم اختفت بعد ذلك. وتركت لنا رسالة تقول فيها: ' لقد سافرت يا أولاد. تعالوا وأمسكوا بي. جريس '.

كان الأمر ممتعًا فترة من الوقت، وقد منح تجوالنا أنا وماركوس الذي كان بلا هدف في أنحاء أوروبا غاية، لكننا لم نعثر عليها بعد، وقد أصبحت الأدلة التي تتركها لنا - مثل الرسائل الغريبة، ورسائل البريد الصوتي في آخر الليل، والرسائل التي ينقلها إلينا أصحاب بيوت الشباب - أكثر إيجازًا وأقل عددًا. وكنت قلقًا إلى حد ما من احتمال فقدانها الاهتمام بكل منا، وعجزنا عن اقتفاء أثرها؛ ومتى حدث ذلك، فلن يكون لديّ أي خيار غير التفكير في جواب عن السؤال المتعلق بما أفعله في حياتي، وهو سؤال أبذل كل ما يسعني من جهد لتجنبه.

يتعرج الطريق أمامنا صاعدًا على جانب التل، ومفضيًا إلى أرض شجرية معتمة، ثم يفتح مرة أخرى كاشفًا عن حقول طباشيرية جافة يغطيها الكروم. ولا أقصد أن أكون انتقاديًا، لكن آدي تقود السيارة ببطء شديد - هذه الطرق الخلفية مصممة للقيادة سريعًا، لكنها تزحف صاعدة التل، وتدوس على الفرامل في كل انعطافة، كأنها امرأة عجوز في سيارة عتيقة الطراز.

وتقول آدي: "إنك تبدو لي كأنك ممن تقاد بهم السيارة أكثر مما يقودونها بأنفسهم. لكنني أشعر بأن قيادتي لا تعجبك".

أرد قائلاً: "أبي هو من اعتاد أن تقاد به السيارة، أما أنا فأقود".

تضحك آدي قائلة: "أوه، رأيت ما تقول. ألسنت شخصاً متواضعاً!".

يتجههم وجهي وأحس بالغضب - منها أول الأمر، ثم من نفسي - لكن قبل أن أفكر في رد مناسب، نعطف بالسيارة فأرى أمامنا في الأعلى قرية منحوتة في الصخر، قرية بالغة الجمال لدرجة أنها تستحوذ على انتباهي كله. وكانت البيوت منتشرة على الصخر الطبيعي للمنحدر، وكان لها درجة اللون الأصفر الشاحب نفسه الأشبه بالرمال، وكانت أسقفها غير المتناسقة تميل في كل اتجاه بين أشجار السرو والزيتون. وفوق التل كانت هناك قلعة، ونوافذ برجها المستدقة متجهة نحونا كأنها أعين ضيقة.

أصغر مبدياً دهشتي، وأقول: "هذا المكان كأنه آت من حكاية خيالية".

فتقول آدي: "إنه المكان الأقل تفضيلاً لأختي. فهي تكره المرتفعات".

أرد عليها: "لديك نظرة سلبية نوعاً ما تجاه العالم"، بينما نشق طريقنا صاعدين نحو القرية. وتفصح أشجار الزيتون المجال أمام أسيجة نباتية كثيفة وجدران حجرية على جانب التل، وحشائش مصفرة تتشبث بالشقوق بقوة.

ترد آدي مندهشة: "أنا؟".

أجيبها: "القلعة الآتية من حكاية خرافية تعدّينها بالغة الارتفاع، وصديقتي الهوائية ترينها مملة، وصوتي في الغناء لا يعجبك...".

تنوقف وتزم شفتيها مفكرة. وتتحرك الشامة في مكانها. وفجأة يصبح النظر إلى شفتيها فوق احتمالي: أتوه فيهما، وأفكر في تقبيلهما، وأتخيل فمها فوق جلدي. وتنظر إلى عينيّ

وتبدو نظرتها زائغة نوعًا ما.

يغمرنى الاضطراب. وتعود تنظر إلى الطريق، وتتنحى في ممر جانبي لتفصح الطريق لشاحنة تُحدث جلبة، وهي مفتوحة من الخلف تنزل التل.

تقول: "لا أعد نفسي ذات نظرة سلبية. وإنما عملية، ربما".

يتخذ وجهي تعبيرًا متعجبًا - لم يزل الثمل عني بعد - وترى وجهي فتضحك.

تسألني: "ماذا؟".

أجيبها: "كل ما هنالك... عملية! إن هذا شيء يقال عن شخص متقدم في السن ومترهل. مثل عمة بارعة في رتق الجوارب".

ترد آدي بجفاء: "أوه، أشكرك"، وتنزل نظارتها الشمسية عن رأسها بينما ينعطف بنا الطريق مرة أخرى، ما يجعلنا في مواجهة الشمس المنخفضة الحامية.

أذكرها: "أنت من قلت إنك عملية. أما أنا فقد أسميك... مشاكسة".

تقول: "إذا كنت تريد ألا تُطرد من السيارة، فأنصحك بالأ تفعل".

"حقًا؟".

أعترف بأنني كنت أعرف أن ذلك سيغضبها.

أسألها: "ما رأيك لو قلت عنيدة؟ أو وقحة؟".

يزول غضبها وأرى ابتسامة في ركن شفيتها. وتقول: "إنك تحاول استثارتني، أليس كذلك؟".

إذن، هي تحب أن تُستشار. أستمر على النحو نفسه.

"إنني أحاول أن أريك كم أنا مستنير. بعد قليل من ارتكاب الخطأ".

"وماذا عن الأحكام التي تطلقها على قيادتي".

"وذلك أيضًا".

أوشك أن أنجح - لقد صارت لهجتها أكثر ودًا. نحن الآن في القرية، والمنظر بين المنازل يخلب الأبواب: تلال ضبابية زرقاء بعيدة خلف الحقول المترامية لأشجار الزيتون والكروم. إن هناك شيئًا أسطوريًا في كل ما يحيط بنا. ويبدو المكان كأنه منظر مسرحي أكثر من أن يكون مكانًا طبيعيًا، كما لو أنه مخصص لتمثيل الحكايات هنا، ويثقل الشعور بالعظمة كاهلي وأنا أستنشق رائحة أشجار الزيتون القوية في الهواء.

تركن أدي السيارة على نحو موازٍ للطريق خارج مقهى صغير. فيه طاوولات بلاستيكية قابعة تحت سقيفة من الخيزران؛ وفيه مجموعة من الرجال الفرنسيين يجلسون عند الباب يراقبوننا بشيء من الاهتمام ونحن نشق طريقنا داخلين.

أسأل المرأة خلف منضدة البيع عما إن كانت قد رأت شابة هيبية فارعة لها شعر وردي يصل إلى خصرها، وأقراط ذهبية في أنفها، ووشم على شكل وردة إنجليزية على كتفها. تجيبني المرأة بالنفي، فأجرب أن أقول إن شعرها أرجواني أو أزرق - تغير جريس لون شعرها بالطريقة التي يغير بها ماركوس فتيات السنة الأولى الجميلات اللاتي لم يعرفن سمعته المخزية بعد.

تقول المرأة خلف منضدة البيع: 'أوه تلك الفتاة ذات الشعر الأزرق - لقد كانت هناك منذ أسبوع أو نحوه، وكان معها رجل. رجل أكبر سنًا له كرش كبير، ولديه ساعة جيب. وكان يدللها، وأطعمته مكعبات جبن الجرويير. كلا، لم تترك رسالة'.

أضيق عينيّ. وبقدر ما أود أن أقول إن هذه الأفعال لا تبدو كأنها أفعال جريس، لا يوجد شيء حقًا يبدو أن جريس قد لا تفعله - لا يمكن توقع تصرفاتها إطلاقًا. وهذا ما يحبه ماركوس فيها، فيما أعتقد.

وتقول آدي فيما نمضي إلى إحدى الطاوات في الخارج، ومع كل منا مشروب برتقال: "إنك بارع في التحدث بالفرنسية".

أجيبها: "أستطيع تدبر أموري بما يكفي. وماذا عنك؟". وأتساءل فجأة عن مدى ما فهمته من حديثي مع المرأة.

ترد قائلة وهي ترمقني بطرف عينها: "أوه، مريعة تمامًا، حقًا. لكنني أفهم من الفرنسية ما يكفي لأعرف أن تلك المرأة أخبرتك بأن ثمة رجلًا كان مع صديقتك". وتمدد ساقها؛ يمكنني الشعور بالرجال الفرنسيين وهم يحدقون إليها، وأعينهم تتابع حركاتها. وترد: "أيزعجك ذلك؟".

أجيبها: "كلا، ليس تمامًا". وأمرر يدي خلال شعري المشعث على نحو فظيع، وأحاول ألا أختلس نظرة إلى ساق آدي.

ترفع حاجبها في ريبة، وتعود إلى شفيتها ابتسامة الإغاظه، وتقول: "يبدو أنك تبذل جهدًا هائلًا من أجل امرأة لا تهتم بأن ترسل إليك ولو بطاقة بريدية".

"ليس الأمر هكذا مع جريس"، أقول ذلك لأنني لا أريد أن تراني بهذه الطريقة؛ أن تراني رجلًا يلاحق امرأة لا تريد له أن يعثر عليها.

تقابل آدي قولي بإمالة رأسها، وتسألني: "ولماذا عائلتك ليست هنا إذن؟". أتساءل عما إذا كانت متوترة. وإذا كانت كذلك، فهي تخفي الأمر جيدًا؛ من الصعب فهم تعبيرات ملامحها الرقيقة الشبيهة بالجنيات، والناعمة مثل صفحة جديدة في مفكرة.

"خلاف عائلي. ليس أمرًا ذا بال".

تسألني: "وأين بقيتهم؟ في المنزل؟ هل تخلوا عن قضاء ثلاثة أسابيع في فيلا سيريز؟"، وتتوقف عن الكلام حين أهز كتفي مؤيدًا، وتتسع عينها دهشة وتقول: "ومن ذا يطاوعه قلبه ليفعل ذلك؟ إن المكان هنا خلاب".

هو كذلك حقًا. وأشعر بالفخر الآن لأنني جئت، وأقول شيئًا غامضًا في نفسي عن تقديري الجمال الذي يجعل عيني آدي تبدوان بهذه الرقة. وتظل ناظرة إلى عيني برهة طويلة؛ ويحتاج نبضي حارًا تحت جلدي.

أسألها: "وكيف كنت تُسليين نفسك خلال وجودك هنا؟".

ترمقني بنظرة ماكرة تبدي أنها تعرف ما يعنيه هذا السؤال حقًا.

وتقول بوجه لا ينم عن شيء: "كنت أقيم علاقات مع الضيوف. بلا توقف حقًا. علاقات في كل مكان".

أشاهدها وهي ترشف مشروبها بالماصة. مجرد سماعها وهي تقول ذلك أمر مثير لدرجة محرجة. أريدها. لم أكن في علاقة منذ شهرين، وفجأة لا يمكنني التفكير في فعل أي شيء آخر؛ أشعر بحاجة مسكرة إلى الانحناء نحوها وتقبيلها.

أسألها: "أحقًا تقولين؟".

فترد: "كلا، كلا بالطبع. سيكون ذلك غير مهني لدرجة تثير الاشمئزاز".

أجل، حسنًا. أكف عما أفكر فيه فجأة، وأبعد عيني عن شفيتها.

تضحك قائلة: "إنني أعابثك لا أكثر".

أنا الآن في حيرة تامة. أكانت تقييم علاقات هناك حقًا أم لا؟ وهل الدخول في علاقة مع الضيوف أمر محظور، في نظرها؟ يا للهول، أتمنى ألا يكون كذلك. فلو كان الأمر كذلك، فربما أنتقل إلى أي فندق قريب، مع أن هذا قد يبدو تصرفًا... بائسًا.

عينا آدي ماكرتان؛ أرتشف مشروبي، وأحاول استجماع أفكاري.

تقول: "إن معظم الضيوف - كيف أعبر عن الأمر - مترهلون. آباء وأجداد ورجال أثرياء مع صديقات مثيرات متشبثات دائمًا بأذرعهم".

أتمكن من قول: "هه؟ ولذلك...".

"ولذلك فقد قضيت الشهرين الأخيرين أؤدي عملي".

"أجل. بالطبع".

"وأأمل ببقايا الشراب التي يتركونها بعد رحيلهم. وأكتسب سمرة. وأتأمل النجوم وأنا مستلقية على ظهري في المسبح اللامتناهي".

أعتقد أن هذا يعني أنه ما من مشكلة إذا نظرت إلى ساقها مرة أخرى.

ترى نظري يتنقل على جسمها، وتلتوي شفتها، وتقول: "فيم تفكر؟".

يخفق قلبي أسرع. وأجيبها: "لن يكون من اللائق أن أخبرك بما أفكر فيه".

ترفع حاجبيها: "حقًا؟"، وتزداد ابتسامتها ظهورًا، وتهدأ أعصابي قليلاً. تتحرك فتلمس قدمها الحافية ساقى - لقد خلعت صندلها تحت الطاولة. وواصلت قائلة: "ربما علينا إذن أن نجد مكانًا أكثر خصوصية".

أسألها: "كم من الوقت تستغرق العودة إلى الفيلا؟". تتطور الأمور سريعاً أكبر مما كنت أرغب.

تدفع مفاتيح السيارة نحوي فوق الطاولة وتقول: "هذا يعتمد على من يقود السيارة، فيما أعتقد".

"أنا واثق بأنني أستطيع توفير خمس عشرة دقيقة من الوقت الذي استغرقتة في الوصول إلى هنا".

تتسع عيناها وتقول: "موافقة. لكن انتبه! فلن أتوانى في منعك ولو بالحيل القذرة".

تهتاج مخيلتي إلى أقصى حد. أخرج الماصة من مشروبي وأشرب ما تبقى، بينما تستغرق آدي في الضحك. أعرف السبب الذي من أجله بنيت هذه القرية الجميلة: لقد بنيت منذ مئات السنين من أجل هذه اللحظة، اللحظة التي تنتعل فيها آدي صندلها، وتخطر أمامي صوب السيارة، بينما جسدها يترجرجح بالوعود.

أتحدى أي شخص أن يقود السيارة أسرع مني في مثل هذه المواقف.

تنزل آدي الفستان عن إحدى كتفيها، ثم الأخرى. أود أن أقول إن عيني كانتا على الطريق لما يقارب عشرين في المائة من الوقت، وقد تذكرت من فوري كل الشراب الذي شربته وقت الغداء، لكن... أوه، لا، نسيت الأمر مرة أخرى، لأن آدي أنزلت فستانها حتى خصرها، ولا يسعني إلا التحديق بكل تركيزي إلى منظر ذلك الجلد العاجي الشاحب. ثوب سباحتها برتقالي داكن، مثلثان صغيران، وبعض خيوط مربوطة خلف رقبتها، وعيناها فانتتان واسعتان، وفمها مفتوح بابتسامة ضاحكة.

يجف حلقي أشد الجفاف؛ وأتمنى في لحظة عابرة لو كان ماركوس هنا ليشهد هذا، ليرى فتاة تتجرد من ثيابها في مقعد الراكب بينما أسير بسرعة على طريق فرنسي ضيق،

والشمس تضرب عيني، ثم تلمس ساقي وأنسى ماركوس تمامًا. صرت أقود بسرعة متهورة، لكن الحقيقة أن هذه أفضل طريقة ممكنة.

في الوقت الذي وصلنا فيه إلى مدخل فيلا سيريز كنت أشعر بدوار لدرجة أنني أرتعش. ألتفت نحو آدي وأقابل نظرتها الحارة، وأرى فيها تلك الإغظة، كأنها تتحداني، لكنني أرى فيها أيضًا بعض الضعف. اقشعر جلدها العاجي في النسيم البارد بفعل المكيف. تتسارع أنفاسي. أكاد لا أعرف كيف أبدأ. تنتقل عيناها إلى شفتي... وبعد ذلك، تلتفت إلى النافذة حين تسمع صوتًا في الخارج.

أستجمع شجاعتني لأضع يدي على ركبتيها حين تقول: "هذه ليست سيارة ديب".

تقف يدي في منتصف الطريق، فوق عصا السرعة، وأتبع نظرتها إلى السيارة المستأجرة الواقفة الآن تحت أشجار الدلب خارج الفيلا. وأحدق إلى السيارة دون تركيز. لا يمكنني التركيز حقًا. أجل، هذه سيارة، أرى ذلك، لكن لماذا قد تكون السيارة أهم من تقبيل آدي في هذه اللحظة خاصة؟

تسألني: "هل تنتظر أحدًا؟".

يصدر عني صوت أشبه بأنين بسيط بسبب الإحباط حين ترفع فستانها مرة أخرى، وأحاول إخفاء أنيني بسعال رجولي.

أجيبها: "هه، كلا". وأعود أنظر، على مضض، إلى السيارة الأخرى، وأحاول إبطاء أنفاسي. أهذه سيارة - تنقبض معدتي، ويتسارع الدم في أوردتي - لكن لا، هذا ليس أبي. أتبين السترة المتدللية على الجزء الخلفي للمقعد أمام المنزل، مواجهًا النوافير والوادي خلف الفيلا. إنها من الجلد البني، من ماركة جوتشي، وقد ارتداها عمي تيرنس كل يوم تقريبًا على مدار الاثني عشر والعشرين عامًا التي مرت من حياتي.

"يا للحظ السيئ". وأطفئ المحرك، وأضغط بجبيني على عجلة القيادة.

تسألني: "ما الأمر؟".

"إنه عمي تيري".

"عمك هنا؟".

"كان من المفترض أن يأتي. أعني قبل الخلاف العائلي".

أنتصب في جلستي، وأغمض عيني لحظة، ثم أفتح باب السيارة.

يزأر صوت من الشرفة قائلاً: "ديلان، يا فتاي! كنت قد بدأت أظن أنك هربت! يا للروعة، من هذه الشابة الفاتنة؟ أين وجدتها؟".

حسنًا، هذا يفي بالغرض. فما من مثبط للرجبة في هذه الدنيا أكثر فاعلية من عمي تيرنس.

أقول بضجر: "أهلاً تيري. هذه آدي. إنها تعمل في فيلا سيريز".

وتقول آدي ملوحة إلى تيري: "مرحبًا، هناك ما يمكنني إحضاره من أجلك يا سيدي؟".

أنظر إليها متعجبًا. إنها تبدي الآن تعبيرًا جديدًا، وابتسامة مزيفة غريبة. هذا إذن هو ما تبدو عليه حين تخاطب العملاء - وإنني مسرور أن أرى مدى اختلافه عن تلك الابتسامة الماكرة الفاتنة التي أبدتها لي بعد لحظات من لقائنا.

يسألها تيري: "العشاء! هل يمكنك إعداد العشاء؟".

أجفل قليلاً وأقول: "إن آدي ليست...".

فتقاطعي قائلة بتهذيب: "بكل تأكيد". وتعدل فستانها فترفعه قليلاً عند الرقبة. وتردف: "يمكنني أن أطلب لك طاهيًا - فهناك بعض الطهاة المحليين البارعين، سأحضر لك القائمة".

أشاهدها تذهب. جسدها لا يترجح الآن. لكن الشوق يقتلني قتلاً.

ويخاطبني تيري صائحاً: "جميلة هذه الفتاة. لكنني أظنك لا تزال مغرماً بتلك الشقراء من أتلاننا".

أجفل مرة أخرى حين تتوقف آدي عند المدخل المفضي إلى المطبخ لحظة، واضعة إحدى يديها على الجدار الحجري. إن تيري رجل عتيق تماماً، ومعلوماته قديمة بكل المقاييس - فتلك السترة لم تبدُ جيدة المظهر منذ التسعينيات، وميشيل من أتلاننا قد اختفت من حياتي منذ الفصل الدراسي الأول في السنة الثالثة.

أسأله: "ماذا تفعل هنا أيها العم تيري؟".

يجيبني: "لقد سمعتُ عن العطلة العائلية بين الكروم التي قررت أن تقضيها على الرغم من الشجار!"، ويبتسم لي ويردف: "ثلاثة أسابيع من الشمس والشراب مع ابن أخي المفضل، دون أي من الرعاع الآخرين، فكيف يمكنني تفويت ذلك؟ تعالَ إلى هنا يا فتى، فلنفتح زجاجة ونحتفل".

أجر قدميَّ على درجات السلم، وأعبر الشرفة. يقبع المسبح عند طرف الشرفة، لامعاً بلونه الأزرق الشاحب؛ وخلف الماء تبدو حقول الكروم حقيقية تماماً تحت وهج الشمس.

يربت تيري على ظهري. لقد تقلص شعره، المتراجع أصلاً، لدرجة أنه لم يبقَ منه غير بقعة صغيرة على رأسه، وقد قص شعره بتلك الطريقة التي كان الرهبان يفضلونها في العصور الوسطى.

"يسعدني أن أراك يا ديLAN".

أطبق أسناني وأرد: "وأنت أيضاً يا تيري".

عائلتي. إنها مثل نزلة برد شديدة لا يمكنني التخلص منها، مثل أغنية بوب كريهة لا يمكنني الكف عن ترديدها. كيف يمكنني التخلص منها.

وأهم من ذلك وأكثر إلحاحًا: كيف يمكنني التخلص من عمي تيري؟

الحاضر

# آدي

أشرفت الشمس تمامًا الآن، وأصبحت أشعتها مسلطة على الزجاج الأمامي، ما يجعلني أضيق عيني حتى وأنا أضع عليهما نظارتي الشمسية. ويبدو الهواء أمامي كأنه مليء بالغبار، كأن كل شيء يحتاج إلى تنظيف.

لم يقل ديLAN كلمة منذ أكثر من نصف ساعة. وقد صرنا على بُعد خمسمائة كيلومتر من إيتريك، ووجوده هنا في هذه السيارة يجعل التنفس صعبًا. لا يزال يضع عطر ما بعد الحلاقة نفسه. خفيف وله رائحة الخشب وشيء من رائحة البرتقال.

يقول ماركوس لديب: "إنني في الحقيقة رجل عصري جدًا، أشكر أشد الشكر". وكانت قد نعتته في الحال بأنه رجل بدائي. وكان قد قال شيئًا ينم عن تحيز جنسي لكنني لم أسمع، وكان ذلك، على الأرجح، من حسن حظي.

ترد ديب: "أوه، حقًا؟".

"أتدريين ماذا فعلت منذ أيام؟".

"ماذا فعلت؟".

يقول: "استخدمت مرطبًا للبشرة".

أضطر إلى مغالبة ابتسامتي. فقد كنت قد نسيت هذا عن ماركوس، نسيت مدى سحره، حين يريد أن يكون كذلك.

ويتابع: "وهل تدريين بم أقنعتي ديLAN؟".

يرد رودني حين تمتنع ديب عن الرد: "بم أقنعك ديLAN؟"، كانت ديب تطالع هاتفها - وهذا سيزعج ماركوس، فهو يحب الانتباه التام إليه.

يقول ماركوس بصوت هامس فاضح: "جعلني أذهب إلى معالجه النفسي".

تضطرب رموش عيني غير مصدقة. ماركوس يخضع لعلاج نفسي؟ ديLAN يخضع لعلاج نفسي؟ كم هذا عجيب! كأن أحدهما يحضر دروس حياكة أو يفعل شيئًا من هذا القبيل. وأكاد أجزم بأن معالجهما النفسي سيحظى بوقت ممتع مع هذين الولدين. وستكون لديه أكداS من النماذج النفسية لدراستها.

وأسأل ديLAN محاولة الحفاظ على نبرتي المرححة: "ما أخبار العلاج النفسي؟".

وأنظر إليه مطولاً حتى أرى جوزة عنقه تتحرك وهو يزدرد ريقه. ثم يجيبني: "جيد، أشكرك على السؤال".

أجل. حسناً إذن. نبقى صامتين برهة. ويقتلني الفضول لأعرف سبب خضوعه للعلاج النفسي. ومتى بدأ؟ وهل كان ذلك بسببي؟ لكن هذا تفكير أناني مني.

يقول: "أدركت أنني كنت... أن بعض العلاقات في حياتي لم تكن صحية تمامًا"، ويزدرد ريقه مرة أخرى.

وكل من في المقعد الخلفي أصبحوا هادئين تمامًا.

ويتابع قائلاً: "رأيت أنني قد أستفيد من المساعدة على حل تلك المشكلات. أعني بالاستعانة بشخص متخصص".

يحمر خدائي مرة أخرى. وهذا الجزاء الحق على أنانيتي.

ويقول ماركوس: "لنلعب لعبة. إنني أشعر بالملل".

فتقول ديب: "المملون هم فقط من يملون".

فيرد ماركوس مصححاً: "المملون فقط هم من يقولون ذلك. فسنلعب لعبة الأسئلة الخمسة. وسأبدأ أنا أولاً. اسألوني عن أي شيء. هيا".

فتسأله ديب في الحال: "ما أسوأ ما فعلته على الإطلاق؟".

يشهق ماركوس: "على أساس أي بنية اجتماعية تريدني مني أن أحدد ما هو 'أسوأ'؟ فأنا لا أعترف حقاً بوجود نظام معياري للأخلاق".

ترد ديب بوجه جامد: "يا للهول، كم أنت مسلّ".

يبدو ماركوس منزعجاً ويقول بعد لحظة: "أمسكت مرة إحدى البطات التي كان أحد جيراننا يرببها وطهوتها. هل هذا يفي بالغرض؟".

يشهق الجميع في وقت واحد.

يصيح رودني: "إن هذا... إن هذا شنيع. لم فعلت ذلك؟".

يهز ماركوس كتفيه: "لم يكن لديّ طعام. وكانت المتاجر مغلقة".

ويرد رودني، بينما أسمعته يرتد منكشئاً في مقعده: "وهل أكلتها؟".

يجيبه ماركوس: "ووضعت عليها صلصة هويزن. السؤال التالي".

تسأله ديب: "هل سبق أن وقعت في الحب؟ أم أن ذلك لا يتفق مع نظامك غير المعياري للأخلاق؟".

يطبق الصمت على السيارة. وأمتنع عن النظر إلى ديLAN.

يقول ماركوس بخفة: "إنني أقع في الحب مائة مرة في الشهر يا عزيزتي".

تبدأ الأغنية التالية: أغنية ' فعلت شيئًا سيئًا' لتايلور سويقت.

أقول قبل أن أتمكن من كبح نفسي: "ما من أحد يقع في الحب مائة مرة. لا يمكنك. فهذا كفيل بقتلك".

يسعل ماركوس بصوت خفيض لدرجة أنني كدت لا أسمعه. وأشعر بأن وجهي احمر خجلاً.

وتقول ديب: "المرّة الوحيدة التي وقعت فيها في الحب كانت حين سلمتني الممرضة طفلي".

أرمقها بنظرة امتنان لأنها غيرت دفة الحديث. ويمكنني الشعور بنظرة ماركوس مسلطة على رقبتني من الخلف. سيبعد عينيه إذا نظرت إليه في المرأة، أعرف أنه سيفعل، لكنني لا أملك الجرأة.

وتسترسل ديب وهي تبتسم لي ابتسامة خاطفة: "إنه في الحقيقة الرجل الوحيد الذي قابلته ووجدت أنه يستحق العناء. السؤال التالي لماركوس".

يسأله رودني: "ما أطف شيء فعلته على الإطلاق من أجل شخص آخر؟".

نلتفت إليه جميعًا وقد غلبتنا الدهشة.

فيسأل مجفلاً: "أهناك مشكلة في سؤالي؟".

يقول ماركوس: "يا للهول، إنك اعتذار يمشي على قدمين، ألسنت كذلك؟".

"أنا... ماذا...".

أقول: "إنه مهذب يا ماركوس. وهذا شيء جيد. فمعظم الناس يحبون ذلك".

يهز ماركوس حاجبيه، وألمح شيئاً في تعابير وجهه في المرأة. ربما كان شيئاً من التحدي.

ويقول: "أوه، انتبه يا ديLAN. فليدك منافس هنا".

أندفع قائلة: "اخرس يا ماركوس. أنت تعرف أن الأمر ليس كذلك".

ويقول ديLAN ماداً يده ليرفع صوت الراديو: "كفى يا رفاق، لنتغاض عن هذا الأمر، رجاء".

فيرد ماركوس: "ليس بهذه الطريقة؟ حسناً. لقد سمعنا ذلك من قبل، أليس كذلك؟".

يتعاطم غضبي مرة واحدة، وأشعر بخديّ يغليان. إنني أكرهه. أكرهه، أكرهه، لكنني مع ذلك ما زلت غير شجاعة بما يكفي لأقول له أن يغرب عن وجهي كما أريد.

يقول ديLAN بصوت تشوبه الحدة: "ماركوس، لا تقل شيئاً قد تندم عليه".

أشعر بأن السيارة تنقلص، كأن نوافذها المتسخة تميل إلى الداخل.

فيرد ماركوس: "ما سأندم عليه هو الجلوس هنا كالمترجح بينما أنت تشتاق إليها من جديد دون أن أقول شيئاً. لقد حطمتك هذه المرأة يا ديLAN. وكنت أظنك أدركت ذلك الآن. ومن الأفضل لك أن تقفز خارج هذه السيارة إلى الطريق السريع، ولا تسمح لها بالتسلل إلى قلبك مرة أخرى".

ما هذا الهراء؟ جسدي كله يغلي، وقلبي يخفق بقوة، ويستبد بي الغضب. وأفتح فمي لأصرخ في وجهه، لكن ديب تتولى الأمر.

ترد قائلة: "كيف لك أن تتكلم عن آدي هكذا، كأنك تعرف شيئاً عن أختي، إنك...".

يقاطعها ماركوس: "أوه، أنا أعرف عن أختك فعلاً".

يصرخ ديلان: "أخرس يا ماركوس"، فأفزع. أمسك عجلة القيادة بقوة لدرجة تشعرني بالألم.

يرد ماركوس: "لن أخرس! لقد سئمت معاملتك لي كأنني حالة بغیضة میئوس منها تحتاج إلى علاجها عندما...".

يقاطعه رودني بصوت متردد: "إممم، آدي؟".

وتقول ديب لماركوس: "إنك محظوظ لأن ديلان يرضى بصدقتك. إنك في الحقيقة محظوظ لأن أي شخص يرضى بصدقتك".

فيصيح فيها ماركوس: "وما مشكلتك في ذلك؟".

يعود رودني ينادي بإلحاح متزايد: "آدي... آدي...".

أشهق قائلة: "أعرف. أعرف. يا للهول...".

ترد ديب صائحة: "ما مشكلتي؟".

بينما يقول ديلان: "ماركوس، لقد قلت إنك ستحاول، قلت...".

ويستمر رودني في مناداتي بصوت أعلى فأعلى، و...

أصرخ: "أخرسوا جميعاً".

وتتطوح السيارة. أظن في البداية أن رأسي يدور - رأسي يتخبط في كل مكان - لكنها السيارة بالتأكيد. فما معنى أن تنحرف السيارة إلى اليسار؟ كان الجليد هو أول ما خطر لي، وشيء يتعلق بتوجيه السيارة أثناء انحرافها على أرض زلقة، لكن الشمس حامية بما يكفي لدرجة أنها تلتصق فوق الأسفلت. هذا قطعاً ليس جليداً.

أنتقل إلى الحارة اليسرى. تحيد السيارة، وأدير عجلة القيادة إلى أقصى اليمين للموازنة، وأعبر فوق الخطوط البيضاء. أحاول إبطاء السيارة. وأظن في لحظة من الجنون الخاطف أن قدمي على الدواسة الخطأ. لا تستجيب السيارة على نحو صحيح حين أدوس المكابح. كأنني أصرخ لكن دون صوت. أضغط بقوة أكبر فتتباطأ السيارة قليلاً، لكنها تظل تحيد مني إلى اليسار، ويصدر عني صوت مضطرب مرتعب...

تقول ديب من خلفي: "هناك حارة طوارئ يا آدي، ادخليها". كان الباقون صامتين جميعاً. يمكنني سماع صوت أنفاسهم.

أواصل المحاولة مع تروس السرعة: الثالث، والثاني، ثم الأول. أتمنى ألا تنتهي حارة الطوارئ هذه. وفي أذني رنين كأن أصوات العالم قد خفتت. لا تزال رقبتني تؤلمني منذ إصابتها، ألاحظ ذلك دون تركيز، من جراء الاصطدام الأخير.

أقول متجهمّة: "تمسكوا جيداً".

سرعتنا الآن لا تزيد على خمسة عشر كيلومتراً في الساعة، لكنني حين أجذب مكابح اليد، أجد الجميع يندفعون إلى الأمام. نجلس صامتين، ثم أخفض رأسي ببطء شديد على عجلة القيادة.

وبينما أنتظر أن يكف قلبي عن الاضطراب حتى إنه يكاد يبلغ حلقومي، يمد ديLAN يده ببطء، ويضغط على أضواء التحذير. ونخرج جميعاً عن صمتنا.

يقول ماركوس خلفي: "يا للنازلة".

ويقول رودني: "يا إلهي".

وتسأل ديب: "هل الجميع بخير؟".

أميل رأسي، فيما جبرني لا يزال على عجلة القيادة، وأنظر إلى ديلان. إن وجهه متغضن من الصدمة. ويذكرني، خلال تلك اللحظة الوجيزة، بتعبيره حين وقف في مدخل شقتنا، وأنا أضربه في صدره بقبضتي وأقول له ' لا' ، بينما هو عاجز عن تركي.

يضحك ماركوس ضحكة صاخبة في المقعد الخلفي، ويقول: "سحقًا لي! لقد أنقذت حياتنا من فورك يا آدي جيلبرت".

ما زلت غير قادرة على إبطاء أنفاسي. وأتساءل عما إذا كانت حوادث الموت الوشيك تصبح مخيفة أكثر أم أقل مع الوقت. أي هل ينبغي أن أكون أكثر هدوءًا لأنني تعرضت بالفعل لحدث تصادم، اليوم؟ أم ينبغي أن أكون أكثر هلعًا لأنني لم أتعاف بعد من الرعب الذي أحسست به في الحادث الأول؟

وأسمع طرقة على نافذة السيارة، من ناحية مقعد الراكب. أشهق في رعب. وأضع يدي سريعًا على صدري. ويصرخ الجميع خلفي. لكن رد فعل ديلان كان الأكثر إثارة للدهشة - يلقي ذراعه أمامي، كما لو أننا ما زلنا نتحرك ونوشك أن نصطدم بشيء.

يقول صوت: "مرحبًا؟ هل أنتم بخير؟".

أضيق عيني ناظرة. كانت الشمس خلف الرجل الواقف عند النافذة - لا يمكنني رؤيته جيدًا. إنه رجل ضخم، خشن المظهر، وربما كان في الخمسينيات من عمره. وتغطي فكه المرتخي لحية يشوبها البياض. وتحت سترته البيضاء، لا يمكنني أن أرى سوى نصف الوشم المكتوب: غير مشرو...

يسألنا: "هل تحتاجون إلى مساعدة؟".

يمد ديلان يده وينزل زجاج النافذة.

ويسعل قائلاً: "مرحبًا. لقد تعطلت سيارتنا. أعتقد أنك رأيت ما حدث".

يتخذ وجه الرجل تعبيرًا متجهماً متعاطفًا. ويقول مشيرًا إلى الأعلى: "لقد رأيتمكم". لقد توقفنا على مقربة شديدة من جسر خرساني كبير ممتد فوق الطريق السريع. وكانت هناك مجموعة من الدرجات على جانب الطريق، على يسارنا. ولا شك أنه نزل حين رأنا. يا له من رجل لطيف. بافتراض أنه ليس قاتلاً يريد انتهاز الفرصة.

ويسأل رودني: "هل علينا أن... كما تعرفون... أن نتصل بجمعية السيارات؟".

وأحدث مخاطبة فاعل الخير متين البنية الذي راح ينظر إلينا عبر نافذة السيارة: "علينا أن نخرج. أليس كذلك؟".

يقول مؤيدًا: "أوه، أجل. أجل، لكن فلتخرجوا من هذه الناحية"، ويشير خلفه.

يخرج ديلان أولاً، ثم ديب، ثم رودني وماركوس. وأكون أنا آخر من يخرج، من فوق عصا تغيير السرعة، وهي مناورة فنية بارعة.

وفي الوقت الذي أخرج فيه من السيارة، تستقر عينا فاعل الخير على ديب وتتسعان ابتهاجًا.

يقول: "مرحبًا أيتها الفاتنة".

ترمقه ديب بنظرة خاطفة، وأكبح رغبتني في إدارة عيني إلى أعلى بنفاد صبر. فليس لدينا وقت لهذا الهراء.

أقول وأنا أنظر في هاتفي: "أحتاج إلى الاتصال بخدمة التأمين ضد الأعطال. أيستطيع أحد أن يمشي إلى أحد تلك الأكشاك الخاصة القريبة للإبلاغ عن مكاننا؟".

يقول ديلان: "سأذهب أنا". ويسعل محرّجًا - ويخرج صوته صافرًا تمامًا.

كانت ديب قد فتحت غطاء المحرك بالفعل، وراحت تتفحص أجزائه. ويتجه رودني إلى فاعل الخير.

يقول له بلهجة مرحة تنم عن عدم تمتعه بموهبة تبادل الأحاديث القصيرة: "كيف حالك؟".

أغمض عينيّ. ليس من المفترض أن تكون العطلة الأسبوعية هكذا. فلماذا لا أقود سيارتي على الطريق السريع بينما أغني مع دوللي بارتون بأعلى صوتي، بينما تلتهم ديب مكعبات الشيكولاتة في مقعد الراكب بجانبي؟ كانت هذه خطتنا. وهي تبدو الآن جميلة تمامًا.

يتصل ديLAN بالرقم من أجلي، ويعود إلى السيارة. يرفرف قميصه مع النسيم، ويده مدسوستان في جيبي بنطاله. إنه يبدو فائقًا تمامًا - وهذا مؤلم. أشيح بوجهي وأحدق إلى السيارات على الطريق، بينما أتصل بخدمة التأمين ضد الأعطال.

هذا خطير. لا أقصد عطل السيارة، وإنما ديLAN. فبينما كنت أشاهده يمشي على الأسفلت وشعره يهفهف مع الريح، أحسست في جزء من الثانية أنني لا أبالي بخطة الغناء مع دوللي بارتون وتناول الشيكولاتة مع أختي. أريد أن أكون هنا. معه.

بعد ساعتين. ساعتين.

يقول ماركوس بينما نفرش بساطًا على جانب الطريق: "إن خدمة التأمين ضد الأعطال لديّ تتعهد بالحضور في غضون ثلاثين دقيقة".

يا للعناء، أنا أكرهه. وما زلت عاجزة أمامه. لو كان غيره هو من قال ما قال قبل تعطل السيارة - عن أنني حطمت ديLAN - لكنت تركته على جانب الطريق. لكن مع ماركوس، حتى الآن، عليّ أن أكافح لئلا أنجر إلى شخصية آدي القديمة. آدي الصغيرة المنسية التي تتخلف عن الآخرين دائمًا. إنه يخرج أسوأ ما في داخلي بكل الطرق تقريبًا.

أجيبه محاولة إبقاء صوتي هادئاً: "أجل صحيح، لكنني أكاد أجزم بأن خدمة التأمين ضد الأعطال لدي أقل تكلفة بما لا يقاس من خدمتك".

يرد قائلاً: "هذا خطأك إذن. فما تدفعينه يُرد إليك".

ألاحظ أنه لا ينظر في عيني. لقد انطلق ديLAN، ورودني وديب، كل في اتجاه مختلف ليقضي كل منهم حاجته، وأنا الآن عالقة مع ماركوس من أجل تجهيز المكان، كم أتمنى لو كانت مثناتي أضعف مما هي عليه.

عليّ فقط أن أتغاضى. أن أتصرف بشكل أكثر نضجاً.

أقول له: "يمكنني أنا وديلان أن نتناسى الماضي يوماً واحداً يا ماركوس. فربما ينبغي لك أن تحاول فعل المثل".

يشهق قائلاً: "هذا ما تتمنيه، أليس كذلك؟".

يأتي صوت فاعل الخير من خلفي قائلاً: "سوف... سوف أمضي في طريقي إذن، هه؟".

يعتريني الخجل، وأستدير ناظرة إليه: "أوه، يا إلهي، أنا آسفة. أشكرك كثيراً على مساعدتنا".

لا أملك الآن الطاقة العقلية لأتصرف بلباقة مع الغرباء. كان رودني أخرج بما يكفي. إنه يعطي ذلك الانطباع بعدم الكفاءة المستحکم. كما لو كان يحتاج إلى رعاية متصلة، مثل طفل صغير، أو مثل أبي في حفل.

أقول: "آسفة، فلم أنتبه لاسمك".

يقول فاعل الخير: "اسمي كيفن". تسبب حركة السيارات حولنا رياحاً مستمرة. ونضطر جميعاً إلى رفع صوتنا قليلاً كما لو كنا في مقهى صاخب. ويردف: "أنا أقود الشاحنات".

يقول ماركوس: "كيفن الذي يقود الشاحنات. يبدو أنك رجل لديه الكثير مما يمكن أن يحكيه - فلماذا لا تجلس معنا وتخبرنا ببعض الحكايات؟".

تعتريني الصدمة؛ فبطريقة ما، وبينما كنت أنظر في الاتجاه الآخر، وجد ماركوس حقيبتني المليئة بالوجبات الخفيفة. وقد اقتنص منها بالفعل نصف لوح الفاكهة بالجوز، وراح يقضم منه. أضيّق عينيّ ثم أعود أنظر إلى كيفن.

لم يكن يبتسم، ليس من الناحية الفعلية، لكنه... يبتسم دون أن يبتسم نوعًا ما. مثلما تفعل الكلاب. والآن بعد أن هدأت، ولم تعد الشمس مسلطة على عينيّ، أستغرق لحظة في النظر إليه لأراه جيدًا. وجدته قصيرًا متين البنية وفيه شيء من الخشونة والتقدم في السن. لا أظن أن كيفن يقضي الكثير من الوقت في العناية الشخصية. إن جسده مليء بالوشوم: على ساقه من الأمام وشم علم المملكة، فوق الركبة مباشرة؛ وعلى جانب رقبته وشم تاريخ '05.09.16'؛ وعلى ساعده وشم كلب صغير وظريف على نحو مدهش، مكتوب تحته ' ارقد بسلام يا كوكي '.

تنتقل عينا كيفن إلى ديب وهي عائدة نحونا. فيقول: "ولمَ لا؟ لقد كنت في مهمة من أجل صديق، ولست في وقت العمل حقًا".

وعلى ذلك يأتي كيفن الذي يقود الشاحنات وينضم إلينا فوق بساط التنزه.

يكاد البساط لا يتسع لنا. نجلس في حلقة حول كومة الوجبات الخفيفة. وارتفعت الشمس بما يكفي لإحراقني، فأضع كَريم الحماية من الشمس، بينما ترفع ديب طرف قميصها ليكتسب بطنها بعض السمرة.

وتقول ديب وهي تضيق عينيها محدقة إلى شاشة هاتفها: "لقد تأخرنا ساعتين تقريبًا عن الموعد المحدد. لن نصل أبدًا في الوقت المناسب لنساعد في تحضيرات حفل الشواء الآن. إننا لا نزال في... أين نحن الآن؟".

يجيبها كيفن وهو يعب من زجاجة الليمونادة التي كان يتناوب عليها هو وديب: "بعد بانبري بقليل".

فتقول ديب وهي تستلقي مرة أخرى على البساط: "سحقًا، إننا لم نصل إلى أي مكان! ألا ينبغي أن يتصل أحدنا بشيري ليبلغها بأننا سنتأخر؟".

نتبادل النظر أنا وديلان. فستغضب شيري إذا تأخرنا عن بداية مراسم الزفاف.

أرد قائلة: "لننتظر قليلًا، فقد يأتي رجال خدمة التأمين ضد الأعطال مبكرًا. لقد قالوا ساعتين على أقصى تقدير. بالإضافة إلى أننا وضعنا في خطتنا الكثير من الوقت من أجل التوقفات يا ديب".

ويسأل كيفن وهو ينظر إلى ديب: "ما قصتكم جميعًا إذن؟ يبدو عددكم أكثر مما تتسع له سيارة صغيرة".

يسعل ديلان. وتمر شاحنة سريعة في الحارة اليسرى، فيطير شعر ديب مهفهُفًا.

ويرد كيفن: "ألا ينبغي لي أن أسأل؟".

يقول ماركوس وهو يشير نحوي: "لقد حطمت آدي قلب ديلان"، ويلتفت مشيرًا إلى ديلان، ويسترسل قائلاً: "منذ سنة ونصف السنة تقريبًا، ثم أتلقت سيارته تمامًا هذا الصباح. وهي تشعر بالذنب لأنها دمرت حياته، لذلك فهي توصلنا معها لأننا جميعًا ذاهبون إلى حفل زفاف شيري؛ وهي الوحيدة في العالم التي أحبت ارتباط ديلان وآدي معًا".

يخفق قلبي بسرعة أكبر، ويغلي الغضب داخلي مرة أخرى. حطمت آدي قلب ديلان. كما لو أنه لم يقتلع قلبي من مكانه. كافحت لأمسك لساني، لأنني يجب ألا أنقاد وراء غضبي، لا بد لي من ذلك.

تنهض ديب مستندة إلى مرفقيها وتقول: "هذا كلام فارغ. وإليك النسخة الأدق: لقد هجر ديLAN آدي في ديسمبر 2017. وهذا أكبر خطأ ارتكبه في حياته بلا شك، وهو يعرف ذلك".

يخض ديLAN بصره إلى العشب.

وتضيف قائلة: "وبعد ذلك اصطدم ديLAN بسيارتنا من الخلف، فتحطمت سيارته. وقلنا إننا سنوصلهما إلى زفاف شيري لأننا أشخاص طيبون. وأنا أيضًا أحببت ارتباط ديLAN وآدي... خلال فترة من الوقت".

ينقل كيفن عينيها بيننا جميعًا، وكان من الجلي أنه يقدر زناد فكره قدر استطاعته.

ثم يسأل مشيرًا نحو رودني: "وهذا؟".

تجيبه ديب وهي تعود للاستلقاء: "أوه، إن رودني ذاهب معنا في الرحلة لا أكثر".

فيقول رودني: "أسف".

يدير ماركوس عينيها نافد الصبر. ولا يزال ديLAN يحدق إلى العشب. وكنت أتمنى لو أستطيع رؤية وجهه جيدًا.

يرد ماركوس مخاطبًا ديLAN ومشيرًا نحو ديب: "ألن ترد عليها؟ فلتتحلّ بشيء من الجرأة يا ديLAN. قل لها إن الأمر لم يكن كذلك".

ويهدر صوت السيارات على الطريق أثناء صمتنا.

فيقول ماركوس وهو ينهض وينفض بنطاله: "أي مهزلة هذه! أهناك من يتذكر ما حدث في 2017، أم أنا وحدي من يتذكر؟".

يقول ديLAN بهدوء: "ماركوس! دعك من الأمر، اتفقنا؟".

يرد ماركوس: "أدع الأمر؟ أدع الأمر؟".

يناديه ديLAN بحدة أكبر، هذه المرة: "ماركوس!".

يدير رودني رأسه يمنة ويسرة بين ماركوس وديلان كما لو كان يشاهد مباراة تنس طاولة. وأطوي قبضتي في حجري. أريد أن أرحل. وتتوتر عضلاتي استعدادًا.

ويقول ماركوس: "وماذا عن إيتيان يا ديLAN؟".

تنغرس أظفاري في راحتي. ويدق قلبي بسرعة مخيفة. لم أتوقع حقًا أن يقول ماركوس ذلك.

تهب ديب قائلة: "لا تتحدث عما لا تفهمه".

وينقل كيفن نظره بيننا جميعًا وقد تجعد جبينه، ويقول: "يا للهول! إنها مثل حلقة من برنامج علاقات معقدة هنا".

ويسأل ماركوس: "ما الذي لا أفهمه؟". يبدو مهتاجًا حقًا، ولا يمكنني النظر إليه. لا يمكنني البقاء هنا أكثر من ذلك. يؤلمني جسدي من شدة التوتر.

أندفع ناهضة فجأة، فأوقع كوب رودني البلاستيكي الصغير المليء بعصير البرتقال. يشهق رودني ويعدل الكوب، لكن العصير انتشر بالفعل على البساط.

أمشي مبتعدة. أتجه إلى جانب الطريق نحو الدرجات التي هبط عليها كيفن حين رأنا. قلبي يخفق بقوة. وأسمع ديب تناديني فلا ألتفت إليها. أستغرق بعض الوقت قبل أن أدرك أن هناك من يتبعني، وأستغرق بضع ثوانٍ أخرى لأعرف أنه ديLAN.

أقول له ملتفتة إليه: "عد إلى الآخرين".

يرد: "لا".

"عد يا ديLAN".

لا يرد هذه المرة، لكنني ما أزال أسمع وقع خطواته على الرغم من صوت السيارات. أمشي أسرع وأصل إلى الطريق الذي يفضي إلى الجسر الممتد فوق الطريق السريع. يوجد ممر هنا، لا يتسع إلا لشخص واحد ليمشي فيه. وعلى الجانبين حقول منفصلة عن الطريق كان العشب ناميًا على حدودها وتنتشر فيها زهور بيضاء. ولولا هدير السيارات من تحتي، لظننت أنني انتقلت إلى الريف فجأة.

يهرول كي يلحق بي وهو يقول: "كفى يا آدي، فلتبطني قليلًا. هل أنت بخير؟".

أتوقف وأدور علي عقبِي بسرعة شديدة لدرجة أنه يرتبك ويكاد يصطدم بي.

أجيبه: "هل أنا بخير؟ إن ماركوس شديد..."، أنظر بعيدًا. ومن الصعب الوقوف على هذا القرب من ديLAN والنظر في عينيه: "إنه وغد لا مثيل له".

"أعرف. سأتحدث إليه".

"كلا، لا تفعل ذلك. أمهلني... دقيقة فقط".

"أعرف أنه من الصعب تجاهله، لكنه أفضل شيء تفعلينه معه".

"أوه، وهذا ما تفعله أنت، أليس كذلك؟".

هذا مألوف جدًا. إنه أشبه بالوقوع في الفخاخ القديمة نفسها. أنا غاضبة لأنني أشعر بالخزي، أعرف ذلك جيدًا، لكنني أقول، مع ذلك، الكلمات التي أعرف أنها ستؤذيه.

وأسترسل قائلة: "لأنه يبدو لي أنك لا تزال صديقه الحميم. وتتبعه مثل جرو".

يفتح ديلان فمه ليرد على كلامي، ثم يغلقه مرة أخرى. ينظر إلى الأرض. فيؤلمني قلبي. أتذكر هذا الشعور بكرهية نفسي جيدًا. ألا أزال كما أنا؟ وهل لأنه مألوف، يعني ذلك أن هذه حقيقتي؟

ربما لم تعد تلك الفخاخ القديمة تناسبني. ويزول غضبي بالسرعة التي تبدى بها.

أقول له: "أنا آسفة. آسفة. إنني لم أقصد... أنا منزعة فقط".

يرفع عينيه ويقول: "ليس الأمر كذلك مع ماركوس. لم يعد كذلك. إنه يتغير".

يا للعناء. كلا. أبعد عيني عنه، وأستدير لأواصل السير مبتعدة عن الطريق السريع.

"إنه لم يتغير إطلاقًا. لا يمكنك تغيير شخص مثل ماركوس".

يرد ديلان بصوت هادئ رزين: "أفهم سبب ظنك هذا. لكنني أوّمن بأنه سيصل إلى نتيجة ما، إنه شخص مختلف".

يمشي ديلان الآن بجواري، على جانب الطريق. وتحتك ذراعه بذراعي، ويلتصق قليلاً بسبب وافي الشمس اللزج على جلدي. أستطيع في لحظة أن أشم رائحته مرة أخرى. تصيبني الرائحة بالدوار، كما لو أن العالم يتماوج، مثلما يحدث حين يعود شخص بالزمن على شاشة التلفاز.

أقول له: "لا يبدو أنه مختلف حين يتعلق الأمر بي".

يرد ديلان بهدوء: "تعلمين أنه لا يعرف القصة الكاملة".

أقول: "أعرف". وأتخذ طريقًا على اليسار إلى عقار مبني حديثًا تصطف على جانبيه سيارات متوقفة، وأضيق عيني حين تلمع الشمس على إحدى النوافذ. وأردف: "لكنه لا يزال وضيعًا".

لا يجادلني ديLAN في ذلك. ونستمر في السير صامتين برهة من الوقت. يبدو هذا غريبًا، كأننا نرتجل فجأة مشهدًا أديناه ألف مرة من قبل. يعلو وجه ديLAN تعبير جاد. ولا يبدو أنني قادرة على استعادة ذلك الغضب الذي بدر مني حين رأيت كيف آذاه كلامي. وأجد فجأة أن كل ما أريده هو أن أجعله يبتسم. ويزداد إحساسي قوة لدرجة أنني أضغط بيدي على معدتي لأوقفه.

يكسر ديLAN الصمت قائلاً: "بينما نحن هنا، وحدنا، فإنني... فإنني أريد أن أقول إنني آسف لما قلته عن قرارك بالتوقف عن التحدث معي. فهذا خيارك وحدك".

ولأكون منصفة، إنه احترم خياره هذا دائماً. مع أنني تألمت كثيراً وأردت التراجع عنه.

أقول: "رأيت أنه سيجعل الأمر أسهل. من أجل..."، لكنني أتوقف عن الكلام.

يرد: "أجل. وهل جعل الأمر أسهل؟".

كلا. ما من شيء جعل الأمر أسهل. كنت محطمة حين تركني ديLAN، ولم تكن هناك طريقة سيرة لأعيد بناء نفسي. قطعة قطعة فقط.

أجيبه في النهاية قائلة: "لم يكن العامان أسهل وقت مر عليّ".

يقول: "أجل". وتحتك ذراعه بذراعي مرة أخرى - عن قصد هذه المرة في اعتقادي.

ويواصل قائلاً: "أتمنى لو كان بإمكانني...".

أقاطعه قائلة بصوت مخنوق: "لا تفعل ذلك. لا تتمن شيئاً".

يبقى هادئاً. ثم يقول: "لقد تغير ماركوس. إنه يتغير. حاولي أن تلاحظي الأمر... أرجوك. من أجلي".

"لا تفعل ذلك أيضاً. لا تقل 'من أجلي' كما لو كنت...".

"أنا آسف. لكنني أريد منك أن تعرفي أنني لم أكن لأركب السيارة مع ماركوس لو كان لا يزال هو الشخص الذي كنت تعرفينه حين كنا معًا".

أنظر إليه. لم يكن ليقول شيئًا كهذا منذ عام ونصف العام. ألعب لعبة تحديد الاختلافات مرة أخرى: الشعر المقصوص، وخط صغير بين حاجبيه... والآن حين عاملني ماركوس بوضاعة، رد عليه ديLAN بحدة. إن هذا شيء جديد أيضًا.

التجهم، الشعر، الحدة - كل ذلك يجعله يبدو مخضرمًا أكثر، محطّمًا قليلًا، وأقوى قليلًا. وهأنذا أفكر بأنانية مرة أخرى.

ينتهد قائلاً وهو ينظر خلفه: "ربما علينا أن... لقد تركنا مجموعة من الناس شديدي الغرابة على جانب الطريق السريع".

أفرك وجهي بكفيّ، وأهتز ضاحكة: "أوه، يا للهول. لقد قتلهم كيفن سائق الشاحنة، على الأرجح".

"أو رودني. دائمًا ما يكون الشخص الهادئ هو الأخطر".

يبتسم كل منا للآخر. وأستدير أولًا، وتحتك ذراعي بذراعه.

أندفع قائلة: "لقد كنت مخطئة. أعني فيما يتعلق بعدم التحدث. لقد جعل الأمر أسوأ. إنني... أتمنى لو لم أطلب منك أن تتركني وشأني".

ألاحظ جانبي فمه وهما يرتفعان. لقد مر عليّ وقت كنت سأفعل فيه أي شيء لأجعله يبتسم هكذا.

يقول ببساطة: "أشكرك على إخباري".

نعود صامتين نحو السيارة الصغيرة. إذ من الصعب إيجاد ما يقال بعد ذلك. أمشي أبطأ مما ينبغي. إنني أحب الشعور بوجوده بجانبني.

يتوقف كلانا حين نصل إلى درجات السلم المؤدية إلى الطريق السريع.

ويقول ديلان: "يا للهول. لا يمكننا تركهم بمفردهم خمس دقائق. أليس كذلك؟".

# ديلان

تحتنا، وعلى حافة الطريق السريع، يشكل رودني وكيفن وماركوس مشهدًا عجيبيًا - إذ يبدو أنهم يمارسون نوعًا من الألعاب الأولمبية للهواة.

يحمل رودني زجاجة فارغة كأنه يحمل رمحًا، وبذراعه الأخرى يحدد اتجاه الرمية (من حسن الحظ أنه يصبوب بعيدًا عن الطريق المزدحم). ويعلم وجهه تعبير ينم عن تركيز يثير الضحك. وفي تلك الأثناء، يجلس ماركوس وكيفن القرفصاء ليرفعا حقيبتين.

يقول ماركوس وهو يمسك حقيبتين: "يعتمد الأمر على قوة الساقين وحدهما. ولا حاجة لقوة أعلى الذراع".

تشاهد أخت آدي ما يحدث وهي فوق بساط التنزه، ويبدو أنها - حسب فهمي المحدود لمثل هذه الأمور - تعتصر حليب ثديها في جهاز غريب يشبه الحوامة مثبت في صدرها.

يرفع كيفن الحقيبة بسهولة ويقول: "يبدو أن قوة أعلى الذراع مفيدة على الرغم من ذلك". ويشرع في تمرين العضلات الأمامية لذراعه باستخدام الحقيبة، بينما يحاول ماركوس - الذي لم يملك الصبر أو التفاني اللازم قط للمواظبة على الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية، أو للمواظبة على القيام بأي شيء آخر في الحقيقة - أن يرفع الحقيبة فوق رأسه مثل أبطال حمل الأثقال. ويصل إلى منتصف الطريق ثم ينزل الحقيبة مرة أخرى وقد احمر وجهه من الجهد.

ويقول: "أحاول الإمساك بها بطريقة أفضل".

يضحك كيفن وهو يؤدي بعض تمارين القرفصاء العادية.

وتتنهد آدي بجانبه، وتقول: "لا أحب الطريقة التي تنظر بها ديب إلى سائق الشاحنة هذا".

أسألها: "كيفن؟ أتقولين حقًا؟".

"إنها لم تمارس أي علاقة غرامية منذ أن وضعت رايلي. وقد قالت شيئًا من قبل عن رغبتها في العودة إلى الميدان في هذه العطلة الأسبوعية".

يحاكي تعبيرها تعبيرتي.

أسألها: "وهل رودني ضمن حساباتها؟"، بينما أشاهده وهو يتدرب على الرمي قبل تأدية الرمية الحقيقية. إنه يبدو أشبه بشخصية كرتونية متناهية النحافة ببروز ركبتيه المعوجتين وقدميه المتقوستين. تحلق الزجاجاة فوق جانب الطريق، ولا تصل تمامًا إلى خط الأشجار في القمة، ثم تتدحرج هابطة مرة أخرى.

تقول آدي بنبرة فيها شيء أشبه ما يكون بالإعجاب: "أظن أنه يساير الآخرين فقط. ولا يبدو أنه مهتم بديب مثلهما، أليس كذلك؟".

أجيبها: "لا شك في أن كيفن مغرم كثيرًا، لكنني أعتقد أن ماركوس..."، وأتوقف مترددًا ثم أواصل: "ماركوس يفعل ما اعتاد أن يفعله كلما كان بالقرب من امرأة. ولا أعني أن ديب من المحتمل أن توافق بأي شكل من الأشكال، مع وضع كل الأمور في الاعتبار. أوه، يا للمصيبة، ها هو ذا"، قلت عبارتي الأخيرة بينما كان ماركوس يتعثر وتسقط الحقيبة منه مرتظمة بالأرض بجانبه. "أكان لا بد له أن يختار حقيبتتي؟".

يضع كيفن حقيبة ماركوس على الأرض بعناية. ويرفع رودني يده؛ يستغرق كيفن لحظات ليدرك أن رودني يريد أن يضرب كفاً بكف. ويوحى الابتهاج البادي على وجه رودني حين يضربان كفيهما معًا بأنه معتاد ترك الناس يده معلقة في الهواء.

يقول كيفن متواثبًا على أطراف قدميه، ويبدو أنه أحس بالنشاط من تمارين ذراعيه: "إنكم مضحكون حقًا".

فيقول ماركوس وهو ينفذ ثيابه حين ينهض واقفًا: "حقًا؟ حتى رودني؟ عليك أن توسع أفاقك يا كيفن. أتعلم أنني قابلت ذات مرة امرأة تستطيع لعق أصابع قدميها؟ هذه تعد مضحكة".

يقول رودني: "يا للقرف"، بينما يحدث كيفن هديرًا وهو يضحك ويضرب ماركوس على ظهره بكل مودة.

ترانا ديب وتلوح لنا، ثم تزيل مضخة ثديها؛ لم ينقذني من رؤية ثدي أخت آدي غير سرعة بديهتي.

ويقول كيفن وفي صوته بحة تجعلني أتساءل عما إن كان رأى ثدي ديب أكثر مما رأيت: "إذا كنتم تريدون أي شيء آخر من طعام أو شراب، فليست المسافة بعيدة من هنا إلى تيسكو".

تهب ديب واقفة وتقول له بخفة: "لماذا لا تريني الطريق؟".

فتقول آدي: "لقد عزمت على الأمر".

أقول لها: "ماذا؟ لا تقولي إنك تقصدين أنهما سيقيمان علاقة في الطريق إلى تيسكو، أهذا ما تعنين؟".

فترد آدي بجفاء: "لقد تغيرت حقًا"، ثم يحمر خذاها حين تدرك ما قالت. ولها الحق في أن يحمرَّ وجهها خجلًا - لقد شردت بفكري في اللحظة التي نطقت فيها عبارتها، وتذكرت الليالي التي لم نصبر فيها حتى نصل إلى المنزل، والعلاقات التي أقمناها أمام الجدران، وفي المقعد الخلفي للسيارة، وعلى التربة الطباشيرية الجافة لحقل الكروم المجاور لفيلا سيريز...

ويقول كيفن ملوحًا بابتهاج: "أنا ذاهب إلى المتاجر!". وتبدو ابتسامته العريضة كأنه يكشر عن أسنانه - وأحس بأنه ليس معتادًا الابتسام على نحو خاص. إن النظر إلى كيفن يساعد على التخلص من هذه الأفكار، لذا أشاهده وهو يشق طريقه نحو جانب الطريق، وأحاول التركيز على رأسه الأضلع البشع.

لكن الأمر لا ينجح. وكل ما أفكر فيه هو خصر آدي الناعم اللدن، وجسدها، وشعرها الفاحم الطويل المنتشر على صدري وهي تضغط بشفتيها على جلدي. يبدو لي الآن من غير المعقول أن التصاق جسدها بجسدي لم يكن محض خيال - ففي يوم من الأيام كان بإمكانني أن أمد يدي وأمسها.

الماضي

# آدي

"ألا يمكن للفتاة أن تجد لنا زجاجة شراب أخرى؟ أكاد أجزم بأن لديها مخبأً سرّياً في مكان ما".

الفتاة. الفتاة. لقد تناوب الكثير من النزلاء المزعجين على فيلا سيريز، على مدى الأسابيع الستة الماضية، لكن عم ديLAN، تيري، يهيج أعصابي أكثر من أي شخص آخر. لقد لبث هو وديلان في الشرفة منذ عودتنا من لا روك أريك - كنت أؤدي مهماتي هنا في الأسفل وفي المنزل، لكنني لا أزال قادرة على سماعهما. إن تيري من نوع الرجال المتطارفين الذين يقابلهم المرء في مقهى أمام ماكينة اللعب التي تعمل بالعملات المعدنية. ومن النوع الذي لا تطيقه النساء، لكنه يتكلم كما لو أنه يعرف كل الفتيات في المقهى معرفة وثيقة جداً. هو ذلك النوع من الرجال، لكنه أكبر عشرين عاماً. ولا يزال ظريفاً، ولا يطاق في نظر النساء.

أعبس وأنا أنظر إلى صورتي في المرآة على جدار غرفة المعيشة بالشقة. كان ما فعلته شيئاً ماجئاً. وأنا أفضل من ذلك. إنني فقط... أحتاج إلى هدنة.

أتفحص نفسي من كذب. المرآة محدبة قليلاً - أو ربما كانت مقعرة، لا أعرف الفرق بينهما. على أية حال، إنها تجعل أنفي يبدو دقيقاً، وعينيّ ضخمتين كعيني الحشرات. أدير رأسي قليلاً يمناً ويسرة، متسائلة عما يعجب ديLAN فيّ. وعما إن كان سيظل على إعجابه في الغد.

كثيراً ما أحسست بأن لديّ وجهاً يسهل نسيانه. أما ديب فلديها هذان الحاجبان العريضان الجميلان اللذان لم تشذبهما قط - ويجعلان وجهها يبدو مميزاً جداً، كأنها عارضة أزياء. أما حاجبائي فيبدوان مثل... لا أدري. لا يمكنني حتى التفكير في أي شيء بوسعي قوله عنهما.

أُفّ. أشيخ بوجهي عن المرأة، وأمسك زجاجة الشراب التي أحضرتها من مخبئي السري أنا وديب - وإن كان ذلك يثبت، بكل أسف، أن تيري مصيب، فإن لدينا مخبأ بالفعل. ينبض قلبي بسرعة كبيرة وأنا ماضية إلى الشرفة. سخيقة هي الطريقة التي يستجيب بها جسدي في حضور ديلان. لم أنجذب إلى أي شخص هكذا منذ أمد بعيد.

أقول حين أقترب منهما: "ها هي الزجاجة!".

يتحسن مزاجي قليلاً حين أرى وجه ديلان - لقد زالت عنه تلك النظرة الواثقة المصطنعة التي كانت تعلوه في وقت سابق، ويحدق الآن إليّ كما لو كان مشتاقاً، كما لو كان يريد تجريدي من ثيابي ببطء. تتقلص معدتي. لقد افترضت أن وصول تيري سيضع حدًا للتحديق. كما لو كان وجود متفرج إضافي سيجعل ديلان يدرك الحقيقة ويقول لنفسه 'أوه، إنها ليست بهذا الجمال، على أية حال'.

يقول تيري وهو يمد يده إلى الزجاجة: "فتاة طيبة. كنت أعرف أنني أحبك".

أضحك ضحكة رنانة لا تشبه ضحكتي الحقيقية في شيء، وأقول: "أهناك شيء آخر يمكنني جلبه إليكما؟".

فيسألني تيري مشيراً إلى كرسي خالٍ: "ألن تنضمي إلينا؟ لا شك في أنك تشعرين بالوحدة هناك في مجاهل المبنى...".

يعبس ديلان ويتململ في مقعده. لا داعي لقلقه. فلن أجلس معهما طوال أمسية من المزاح العائلي مع العم تيري المنحرف.

أجيبه: "أعتقد في الحقيقة أنني سأوي إلى الفراش. كان يومي شاقاً".

يتركاني أمضي في سبيلي بأدنى قدر من الممانعة، وحين أقفل باب الشقة خلفي، أستند إليه مغمضة عيني. وأتذكر نظرة ديلان. نظرة الاشتياق. وتنحبس أنفاسي.

أحاول الخلود إلى النوم - لم أنم كثيرًا طوال الصيف - لكنني أشعر بالأرق. الجو حار جدًا. أخرج إحدى ساقَيَّ من تحت الغطاء، ثم أخرج الأخرى، ثم أزيل الغطاء كله وأتركه مكومًا في ركن السرير عند قدميَّ.

ولأكون صادقة، أنا مستلقية هنا على أمل أن يدق الباب. حين أسمع طرقة على الباب، أكون قد بدأت أشعر بالنعاس أخيرًا، وأظن لحظة أنني أحلم. لكن ها هي مجددًا، طرقة مزدوجة خافتة.

أثب جالسة في السرير. وفي فمي طعم كريبه، وشفطاي جافتان. لا فكرة لديّ عن مظهر شعري الآن. أهرع إلى الحمام لأمرر فرشاة الأسنان في أنحاء فمي، وأمشط شعري المتشابك باستعجال وألفه على هيئة كعكة فوضوية. يبدو شعري معتنى به أكثر من اللازم - أعيد تهيئته. وحين أصل إلى الباب، تكون النظرة الناعسة التي أصطنعها أمام ديLAN متكلفة جدًا. أنا الآن مستيقظة تمامًا. ولا يزال نسيم الليل دافئًا، وحين يخطو ديLAN داخل الشقة يجلب معه رائحة الكروم التي تحمل أثر الشمس.

يهمس لي حين أقفل الباب خلفنا: "لم أكن واثقًا بأنك ستستيقظين. تبدين لي ممن يستغرقون في النوم".

أنا كذلك بالفعل. وكثيرًا ما اشتكى صديقي السابق من أنني أغط بصوت عالٍ مقارنة بحجمي، لكن هذا لا يبدو اعترافًا يزيدني فتنة في نظره، لذا أهز رأسي نافية.

أجيبه: "لقد كنت... لم أكن منتظرة بالتحديد، لكن..."، يغلبني الخجل، وأتمنى بالفعل لو أنني قلت شيئًا يبدو أكثر ثقة. أي شيء يليق بأدي التي أريد أن أكونها، هذا الصيف.

تلوح ابتسامة بطيئة على شفطيه. ويلوح الغرور في عينيه مرة أخرى. إنه يصطنع تلك الثقة التي كان يبدو عليها حين ظهر أول مرة على عتبة بابي. ويمد يده ويأخذ يدي، ويجذبني برفق إليه.

يقول بصوت خفيض: "أشعر بأننا تركنا بعض الأشياء التي لم نُقل".

أخطو مقتربة لدرجة أنني أضطر لرفع وجهي إلى أعلى لأنظر إليه. ويتسارع نبضي مرة أخرى لمجرد وجود يدي في يده. لقد صفف شعره البني الرخو جيدًا الآن، وهو منسدل بأناقة على جبينه. وهذا يجعله يبدو أكثر تشعُّبًا على نحو ما.

أتهد قائلة: "أوه؟ لم يُقل؟".

يقول: "ربما كنت أقصد أشياء لم تُفعل"، ويفلت يدي ليفك أزرار القميص الداخلي الذي ألبسه عند نومي. تتحرك أصابعه ببطء، بادئة من الأعلى، وتحتك أطراف أصابعه بصدري وهو يفك الأزرار. لا يفتح قماش قميصي إلا بعد أن ينتهي من فك كل الأزرار. تنحبس أنفاسي حين يدفع الحمالات إلى الخلف من فوق كتفي، ويترك القميص يتكوم خلفي على الأرض.

ما زلنا في المطبخ - لم نبتعد إلا خطوات قليلة عن الباب الأمامي. ويلبث برهة لا يفعل شيئًا غير النظر إليّ. عيناه واسعتان، وفمه مفتوح. تتقطع أنفاسي. ثم يقترب ويلف ذراعيه حولي، وتنزل يده إلى خصري، وتقترب شفاته من شفتيّ. ويرتد ظهري إلى الباب بقوة حين يتلامس لسانانا.

هذه ليست قبلة أولى، وإنما مداعبة. أفقد إحساسي بالوقت وبكل شيء، تشعرني الرغبة بدوار، وأسمع نفسي وأنا أتأوه، وأقبض بيدي على قميصه حتى يبتعد عني قليلًا، فأمرره من فوق رأسه لأخلعه عنه. وحين يلامس جلدي العاري جلده، نشهق معًا.

يقول وهو يرد شعري بيده إلى الخلف بينما يقرب شفتيه من شفتيّ: "يا للهول! إنك تقتلينني بالفعل".

فجأة أسمع طرْقًا على الباب خلفي.

أفزع بشدة لدرجة أن أسناني تصطدم بأسنان ديLAN بقوة. نبتعد مضطربين عن الباب، وكل منا ملتف حول الآخر. يدور ديLAN في الوقت المناسب ليواريني حين يطل العم تيري برأسه من فتحة الباب.

ما أرذل هذا الرجل. إن تيري، بلا شك، من الرجال الذين يقرعون الباب في الوقت الذي يديرون فيه مقبضه.

ينادي قائلاً: "يا من هنا! مادي؟ أوه، حسنًا، مرحبًا، ها أنتما!"، ويضحك: "هل قاطعتكما؟".

أنكمش متوارية في ديLAN، وأدفن وجهي في صدره. ويلف ذراعيه حولي. إنه يسميني مادي. لقد نوديت بهذا الاسم كثيرًا، وباسم آلي وآني أيضًا.

يقول ديLAN: "ابتعد يا تيري! ابتعد حتى تتهيا السيدة".

فيرد تيري ضاحكًا: "أمرك يا ديLAN!"، وأسمع صوت الباب ينغلق مرة أخرى.

أقول ووجهي لا يزال مدفونًا في صدر ديLAN: "يا للهول".

ويقول ديLAN: "عمي تيري البغيض الأحمق"، ويتحرك ليلتقط قميصي الداخلي وقميصه من أرضية المطبخ. كان يلهث بشدة لدرجة أن صدره كان يعلو ويهبط. ولم تكن حالي تختلف عن حاله.

وينادي تيري: "ما زلت أستطيع سماعك يا فتى!".

فيصيح ديLAN بقوة لدرجة تفزعني: "ما الذي جاء بك لتطرق بابها في الثانية صباحًا!".

ويرد تيري صائحًا هو الآخر: "وما الذي جاء بك أنت لتطرق بابها في الثانية صباحًا! هذا ما أريد معرفته".

يقول ديLAN وهو يمرر يده بغضب في شعره: "أعتقد أن هذا واضح كالشمس. واسمها آدي وليس مادي".

أشهب ضاحكة. هذا موقف مرعب بلا شك وليس مضحكًا إطلاقًا، لكنه... مضحك نوعًا ما. خاصة ذلك النداء الذي أطلقه تيري وهو يطل برأسه من الباب.

يقول تيري: "سمعت ضجيجًا حين نزلت لأتناول وجبة خفيفة. وظننت أنه من الأفضل أن أتأكد من أن السيدة بخير!".

فأناديه قائلة: "أنا بخير، أشكرك يا سيد أبوت"، ثم أغطي وجهي بيدي، وأهمس قائلة: "يا للفضيحة".

ويقول ديLAN متوسلاً: "أنا آسف جدًا". شعره منسدل على رأسه، وشفته منتفختان. لقد زال تبجحه وغروره الآن. ويبدو لي أكثر جاذبية على هذه الصورة. وهو يبدو كأنه مصاب بدوار هكذا.

أقف على أطراف أصابعي لأطبع قبلة بطيئة على رقبته. وأشعر بجوزة عنقه تتحرك وهو يغالب تأوّهه.

وأهمس له: "سنعوض ذلك في مرة أخرى. تعرف الآن أين تجدني".

# ديلان

لقد سحرتني. أنا أوديسيوس في جزيرة سيرسي، أنا روميو شكسبير، أنا... أنا أعاني هيامًا شبه دائم.

مرت أربع ساعات منذ طبعت آدي تلك القبلية الحارقة على رقبتني وسط فوضى مطبخها الصغير، ولم أنم إلا ساعة واحدة منذ ذلك الوقت. إن عقلي يفيض بقصائد مُلحة حارة، قصائد متطرفة؛ تبدو أكثر تطرفًا حين أكتبها. وفي لحظة مجنونة في نحو الساعة السادسة صباحًا، قررت أن أطويها وأدسها من تحت باب غرفة نومها، لكنني منعت نفسي، لحسن الحظ، حين خرجت من غرفتي، مدركًا أن هذا سيجعلني أبدو منحرفًا بلا ريب، أو يائسًا، وهذا أسوأ ربما. ومن ثم عدت بدلًا من ذلك إلى سريري، وتخيلت أنني أقرأها لها هنا، ونحن عاريان، ثم اضطررت بعد ذلك إلى الاستحمام.

بلغت الساعة العاشرة صباحًا قبل أن أراها مرة أخرى. وصلت إلى الشرفة حيث نتناول أنا وتيري قهوتنا - لقد استعادت نضارتها، وترتدي فستانًا صغيرًا منقوشًا يهفهف حول ساقها من الأعلى مع كل خطوة. وفي يدها كيس ورقي ملطخ ببقع الزبد: مخبوزات طازجة من القرية المجاورة. تلمس أصابعها أصابعي وأنا آخذ المخبوزات. ولم تكن المخبوزات محفزة للرجبة على هذا النحو قط.

أهمهم قائلاً: "أشكرك".

تقول: "تبدو مرهقًا قليلًا"، وتتحرك تلك الشامة على شفرتها العليا وهي تغالب ابتسامتها، وتسالني: "ألم تنم جيدًا؟".

ينادي تيري: "يقول ابن أخي إنني مدين لك باعتذار! أنا آسف على التطفل، لقد كان ذلك تصرفًا غير مهذب مني".

وحين تلتفت عني إلى تيري، أشعر بأنني أريدها أن تعاود النظر إليّ في الحال. أريدها كلها لنفسني.

ويقول تيري ملوحًا بذراعه: "لقد نسيت كل ما حدث. لا أتذكر أي شيء. اتفقنا؟".

تتوقف آدي لحظة، ثم تقول بابتسامة خفيفة: "أشكرك. أقدّر لك ذلك"، ثم تستدير وتمشي مبتعدة.

أسألها مندفعًا: "إلى أين تذهبين؟".

تلتفت ناظرة إليّ وتقول مبتسمة: "لديّ عمل أقوم به. ستراني في الأرجاء".

تعود بينما نتناول غداءنا على الشرفة؛ ترتدي الآن ثوب سباحة أحمر، وتشعر في إزالة أوراق الشجر من المسبح. أحس بأنني سأبكي. فما تفعله يتضمن الكثير من الانحناء.

أتمل قبل الأصيل، ظنًا مني أن ذلك سيساعدني، أو سيجعل عمي تيري يبدو أكثر إثارة للاهتمام، على الأقل. وكل ما أحصده هو أن تنفك عقدة لساني.

أقول لتيري وأنا أرتد بظهري على الأريكة: "أعتقد أنها قد تكون المنشودة". الجو حار جدًا لدرجة أنه لا يمكننا الجلوس في الخارج الآن - عدنا إلى غرفة المعيشة الهائلة بمفروشاتها الحريرية ووسائدها التي لا تعد.

يضحك تيري: "لنر ما إن كنت ستظل على رأيك حين تنال مبتغاك..."، ويشير إشارة وقحة تجعلني أرغب في تحطيم زجاجة الشراب على رأسه.

أجيبه بتصميم وأنا أملاً كأسني: "ليس الأمر هكذا. إنها... رائعة جدًا. ولم يسبق لي أن انجذبت إلى أحد بهذه القوة".

قصت أن أقول ' بهذا القدر ' ، لكن ما قلته كان أكثر دقة. ويؤلمني توقي إليها.

يقول تيري بلهجة العارف الخبير: "آه، اندفاع الشباب. فلتنتظر حتى تراها تزداد بدانة، ويبدأ هوسها بقنوات التسوق".

"إن كل ما تتفوه به غير مقبول إطلاقًا، أيها العم تيري".

فيقول وهو يعاود الجلوس ويوازن كأس الشراب فوق بطنه: "إن جيلك شديد الحساسية".

أعبُ شرابي مرة واحدة. فلم يمر عليّ أي يوم يمثل هذا البطء.

يدعو تيري آدي لتناول العشاء معنا حين نمر بها في الصالة، لكنها ترفض ناظرة إليّ. لا أدري معنى نظرتها هذه: أتقصد بها أن ترفض شيئًا آخر غير دعوة العشاء، بعد أن مر بعض الوقت وفكرت في الأمر؟ يجعلني التفكير في أنها لا تريدني أن آتي إلى شقتها، الليلة، أشعر بالدوار واليأس.

لم يكف عمي تيري على العشاء عن الحديث عن عمي روبي، وسوء استثماره أمواله في التسعينيات من القرن الماضي. إن هذا أقل الأشياء إثارة لاهتمامي - أكره الحديث عن المال، يشعرنى بعدم الارتياح - ومع كل هذه الثروة لا شك في أنه سيستغرق وقتًا أطول في تناول طعامه لدرجة أنني أردت أن أمد يدي وأخطف بشوكتي بقية شريحة اللحم من طبقه. إذ لم يكن فرغ من مسح عصارة اللحم بخبزه حين نهضت ورفعت الأطباق، فصرخ بينما كنت أخطفها من تحت يديه.

ويقول بينما أحمل الأطباق إلى المطبخ وأكومها جانبًا: "أعرف سبب حرصك على التخلص مني. إنك تريد التسلل إلى مسكن الخدم، أليس كذلك؟".

أطبق أسناني بقوة وأجيبه: "أجل، أريد أن أرى آدي".

"لقد جعلتك بالفعل كالخاتم في خنصرها، هذا واضح. فقد لبثت تحوم في الأرجاء بثياب السباحة، طوال اليوم، لتثيرك".

أعود إلى غرفة الطعام بينما يهز رأسه ضاحكًا.

ويواصل حديثه: "ستستحوذ عليك هذه الفتاة تمامًا".

تيري شخص بغيض دائمًا، لكن سماعه وهو يتحدث عن آدي بهذه الطريقة كان شيئًا لا يطاق. أضمت قبضتي يديّ مغتاطًا. إنه ليس سيئًا مثل أبي على الأقل. وأتخيل لحظة ما قد يكون عليه الأمر لو أن عائلتي كلها قررت المجيء في هذه العطلة، كما كان أبي ينوي في الأساس. إن عمي روبي وزوجته الأمريكية الذابلة؛ وأبناء أعمامي الثلاثة حادي الأنوف من نوتنج هيل؛ وأخي لوك دون صديقه خافيير، لأن خافيير لا يُدعى أبدًا. كان لوك سيتحمل كراهية عائلتي لعلاقته بخافيير في عذاب هادئ مكتوم، وكنت سأود لو ألكم شخصًا، وكان أبي سيخبرنا بمدى خيبة أمله فينا، وكانت أمي ستقضي العطلة في محاولة إصلاح كل شيء، كدأبها دائمًا.

لكن لا، هذه العطلة هدية من السماء، على الرغم من وجود تيري. أرخي قبضتي ببطء.

وأقول له محاولاً ألا أبدو مستميتًا، مع أنني كذلك بالطبع: "اسمعي، إذا استطعت أن تقضي هذه الليلة بمفردك، فيمكننا أن نذهب، أنا وأنت، في جولة غدًا بمزارع الكروم المحلية. طوال اليوم. ولا أحد معنا. ولن أشرب كذلك؛ لكي أستطيع أن أقود بك السيارة".

يبدو تيري بين نارين. فدائمًا ما وصف نفسه بأنه 'محب للصحة'، ويجن جنونه تمامًا حين يترك وحده، ولو دقيقة. لكن تذوق الشراب إحدى هواياته المفضلة، وأعرف أن وعدي إياه بتكريس يوم كامل له سيكون له بعض التأثير.

يذعن قائلاً: "حسنًا. ربما يمكنني... قراءة... كتاب".

ويتلفت حوله بطريقة خرقاء نوعًا ما.

أقول له: "هناك تلفاز في غرفة المعيشة. وتوجد كل أفلام فاست آند فيوريوس على أقراص مضغوطة. كلها".

يشرق وجهه قليلاً، ويقول: "حسنًا، استمتع يا فتى". ويغمز مردفًا: "سأنام واضعًا سدادتين في أذنيّ".

أكبح اختلاجة فرح. "هذا... حسن. أشكرك. طابت ليلتك يا تيري".

# آدي

يصل ديلان إلى باب شقتي لاهتًا منقطع الأنفاس. ولا شك في أنه نزل راكضًا من غرفة الطعام. كان من الرائع مشاهدة عينيه المتلهفتين تتبعانني طوال اليوم. بدا فائتًا جذابًا أمس - أما اليوم فيبدو محبوبًا. رأيته في وقت سابق وهو يكتب في دفتر ملاحظات له غلاف جلدي بالقرب من المسبح، ولسانه يبرز بين صفي أسنانه.

قال لاهتًا: "مرحبًا. جئتك على أمل أنك لا تزال، بعد يوم من سماع آراء عمي المنفرة، ربما لديك رغبة في تقبيلي".

أضحك مرتكزة على قدم واحدة. أرتدي الآن سروال دانجري مقصوفاً من فوق الركبة، ومن تحته ثوب سباحتي الأحمر. دائماً ما أشعر بأنني على راحتني أكثر وأنا ألبس سروال دانجري. كنت منزعجة من نفسي، هذا الصباح، لأنني ارتديت فستانًا قصيرًا من أجل ديلان حين عدت من المخبز. لقد نجح الفستان تمامًا - كان فكه متدليًا بالمعنى الحرفي - لكنني شعرت بأنه تصرف... مبتذل قليلًا.

أسأله: "كيف استطعت التخلص منه؟".

تنقبض يدا ديلان وترتحيان، كما لو كان يتحرق للوصول إليّ. ومن ثم تزداد الحرارة في بطني.

يجيبني وهو يبعد شعره عن عينيه: "لقد وعدته بقضاء يوم كامل معه في زيارة مزارع الكروم في الغد. أيمكنني الدخول؟".

أتوقف كما لو كنت مترددة في الموافقة، لكن الأسي البادي في وجهه المرهق يجعل من الصعب الاستمرار في ذلك. أضحك وأفسح له ليمر: "ادخل".

يقول: "أوه، أشكرك"، ثم يغلق الباب خلفه، ويمسكني بلطف، لكن بثبات من كتفيّ، ويرفعني قليلاً إلى أعلى. ويسألني: "أين كنا؟".

أجيبه وأنا أقربه أكثر: "بالقرب من هنا، فيما أعتقد". إنه أطول مني شبرًا على الأقل، وأنا واقفة بالفعل على أطراف أصابعي رافعة رأسي إلى أعلى لأرى عينيه. فعيناه مفعمتان باللهفة.

"سيكون فيك موتي يا آدي. لقد أنفقت الثماني عشرة ساعة الأخيرة شاعرًا بالدوار؛ لشدة هيامي بك".

لم ألتق قط رجلًا يجيد التحدث مثل ديلان. لا أقصد لهجته، كلا، لكن الكلمات التي يقولها. فكل ما ينطق به يبدو كأنه يجب أن يُكتب.

أجيبه وأنا أجعل جسدي يتوافق مع جسده: "لم يمت أحد من الهيام قط. وربما يفيدك القليل من الصبر".

"الصبر ممل أشد الملل، فيما أعلم".

يقبّلني. إنه بارع في التقبيل، لكن هذا ليس سبب هياج جسدي في اللحظة التي تلمس فيها شفته شفّتي، وإنما النية التي تعبّر عنها القبلة. فهذه القبلة كأنها تقول ' أنا هنا طوال الليل، هذه المرة '.

لا يشبه أحدًا ممن عرفتهم من قبل. إننا نتصرف بتمهل الآن. وتمر الدقائق وتصيبنا بدوار، كما لو كنت أحلم. يتصرف هو بشراسة، ثم بلطف وحلاوة متناهية لدرجة أنني أندesh حين أجد نفسي انتقلت من مكاني، وتخزني عيناه حين يميل بجبينه على جبيني ويتحرك قليلاً من الأمام والخلف، لا يكفيني هذا، ليس بعد، إلى أن أجد نفسي مثل الهلام وتحتاجني رغبتني فيه.

ننام متشابكين ومتعرقين. وأستيقظ في الظلام تائهة تمامًا. إن الشعر في صدره يدغدغ خدي. أنهض جالسة وأخفض بصري نحو فوضى الملابس وملءات السرير، والكتاب الذي ركلته عن المنضدة بجانب السرير في وقت ما بعد منتصف الليل. وأنتبه إلى هيئة جسد ديLAN العاري الطويل الأسمر، حين تعتاد عيناى الظلام.

أبتسم في الظلام واضعة يدي على وجهي. يبدو هذا... أكثر من مجرد غراميات صيفية. إنه يبدو ملحميًا.

حين أصحو مرة أخرى أجد الشمس قد طلعت، وتيري يقرع باب الشقة.

لقد نمت ورأسي فوق ذراع ديLAN. وتتقلص ذراعه متشنجة فجأة وهو يصحو، فأبعد رأسي، متجنبة صفة قوية على وجهي.

أصيح قائلة: "آه!".

يقول: "ما الأمر؟"، ويدير عينيه الناعستين نحوي. ينظر إليّ وشعره منسدل على عينيه، وينظر مرة أخرى. "أوه، مرحبًا".

لا يسعني إلا أن أبتسم: "مرحبًا. لقد كدت تلكمني".

ينهض ديLAN مضطجعًا على الوسادة، ويمرر أصابعه خلال شعره ليرده إلى الخلف: "حقًا فعلت؟". ويفرك خديه كما لو كان يحاول إيقاظ وجهه. "أوه، يا للهول! أنا آسف. إنني كثير التقلب أثناء نومي. آسف جدًا. وأنت تغطين أثناء نومك أيضًا، لذا نعد متعادلين".

ينادي تيري من خارج الشقة: "مرحبًا؟ ديLAN!".

أزجر دافنة وجهي في الوسادة. يستحيل أن نكون قد نمنا أكثر من ثلاث ساعات. أحب أن أبقى في السرير تسع ساعات أخرى أو نحو ذلك.

يصيح ديلان في اتجاه السقف: "عمي تيري البغيض".

أضحك في الوسادة، ثم أسأله: "أكل عائلتك بهذه الغرابة؟".

يجيبني: "أوه، بالتأكيد. لكن بطرق مختلفة، ومتنوعة"، ويدور بجسده ويطلع قبلة على كتفي، ويقول ساندًا جبهته على جبهتي: "صباح الخير. أرجوك أن تبقي كما أنتِ هكذا، بهذا الثوب، وفي هذا السرير، إلى أن أعود من رحلة الشراب مع عمي".

أقول وأنا ألتف ناظرة إليه: "أنا لا أرتدي أي ثوب".

فيرد: "هذا بالضبط ما قصدته".

ويناديه تيري: "علينا أن ننتقل يا ديلان!".

يميل ديلان نحوي، ويقبّلني برفق على شفتي، ويقول: "حسنًا، يمكنك أن ترتدي ملابسك وتتجولي في الأرجاء إن كان لا بد من ذلك. لكن إياك أن تختفي. أرجوك!".

"أنا هنا طوال الصيف، لن أذهب إلى أي مكان".

يبتسم عندئذ، وهو مستلقٍ وغير مهتم قليلاً، وقد انسدل شعره أمام عينيه مرة أخرى. ويقول: "ممتاز". ويقبّلني برقّة، ويردف: "لقد كانت الليلة الماضية... ليلة لا تنسى. إنك استثنائية".

يحمر وجهي بشدة لدرجة أنه ضحك - لا شك أنه يستطيع الشعور بالحرارة الصادرة من جلدي. أريد أن أخبره بأنه دائماً ما يقول أفضل ما يمكن أن يقال، لكن يبدو لي أنني سأنجرف إذا فعلت ذلك. إنني لا أريده أن يغتر. لا أريده أن يعرف مدى استحواذه الكامل عليّ. فلو عرف ذلك، فستكون لديه سلطة عليّ. وعندئذ ستتلاشى المتعة التي أحسستها أمس حين كانت عيناه المتلهفتان تتبعانني حول المسبح.

الحاضر

# ديلان

وصل رجال التأمين ضد الأعطال الطائرة لإصلاح سيارة ديب. أحاول حقًا الاستماع إلى شرحهم فيما يخص ما حدث للمكابح والأجزاء المسؤولة عن التوجيه، لكن هناك شيئًا في الحديث عن السيارات يجعلني أفقد كل تركيزي. إنه يشبه ما يحدث حين يتحدث والدي عن لعبة الراجبي. تمكنت من حفظ مسرحية الليلة الثانية عشرة عن ظهر قلب وأنا في عمر السادسة عشرة، لكنني لا أفهم ما الذي يفعلونه حين يقفون في وضع التضام أثناء لعبة الراجبي.

وبينما ينخرط كيفن في محادثة تفصيلية مع ديب عن زيت المكابح، ورووني الملتصق به يوميًا باهتمام، كنت أشاهد آدي. بينما كان ماركوس يراقبني.

يقترّب ماركوس قائلًا ويدها في جيبيّه: "إنك لا تنفكُ تتأملها هكذا، ولسوف تثير غضبها".

ما زلنا على جانب الطريق؛ لقد تعودت بالفعل على ضجيج السيارات من حولنا لدرجة أنني لم أعد أنتبه إليه الآن، وحين أدرك ذلك أتذكر الصراخ في فرنسا، وكيف كنت أتجاهل صفيّرها اللانهائي ولا أنتبه إلى أنها كانت تصفر إلا حين يسود الصمت فجأة.

يضحك رجل إصلاح الأعطال بسبب شيء تقوله آدي، فأحس بألم يجتاحني حين أراها تبتسم له هي الأخرى. إنه وسيم - ربما كان إسبانيًا، ولديه لحية قصيرة وعينان جميلتان.

يقول ماركوس هامسًا وهو يتبعني على جانب الطريق نحو الآخرين: "أعرف أنك لا تريد سماع ذلك، ولست أحاول أن أكون وغدًا. صحيح أنني تصرفت على نحو لا يليق في السيارة، لكن رأيي لا يزال كما هو يا ديLAN - لن أكون صديقًا مخلصًا إن لم أقل ذلك. لا يمكنك العودة إلى ما كنت فيه. وعليك المضي في حياتك. كنت أحسبك تجاوزت الأمر بالفعل. لقد مر ما يقرب من عامين، أليس كذلك؟".

أود لو أضربه. ربما يمكنني ضربه مرة واحدة. فكثيرًا ما أردت ذلك مرات عديدة ولم أضربه قط. ربما لكمة واحدة تشبع رغبتني، ومن بعدها يمكنني العودة إلى كوني صديقًا ناضجًا مساندًا.

وتنادي ديب ملوِّحة بهاتفها: "آدي... آدي... شيري تتصل".

عادت ديب من رحلتها إلى تيسكو سعيدة وغير مهتمة. وعندما طرحَت الأسئلة البديهية - من قبيل كيف حدث؟ وأين حدث؟ - أعلنت بسرور عظيم أن كيفن لديه شحنة من الكراسي في الجزء الخلفي من شاحنته، وأنها استطاعت أن تمارس اثنين من أنشطتها المفضلة في وقت واحد: الحميمة والجلوس بارتياح.

أصبح قائلاً: "لا تردِّي".

بينما تقول آدي في اللحظة نفسها: "لا تجيبي!".

الجميع يرقبون الهاتف وهو يرن في يد ديب.

وتقول ديب حين تتحول المكالمة إلى البريد الصوتي: "سنضطر إلى إخبارها، في نهاية المطاف. فلن نستطيع أبدًا أن نصل لنساعد في التحضير لحفل الشواء".

وتفتح تطبيق الخرائط على هاتفها.

وتقول: "لقد قطعنا مائة وخمسين كيلومترًا في خمس ساعات ونصف الساعة، ولا يزال أمامنا... خمسمائة كيلومتر للوصول".

ترفع آدي رأسها مزمجرة نحو السماء، وتقول: "كيف فسدت الأمور هكذا؟".

فيقول ماركوس: "لنحاول فقط أن نقود السيارة بسرعة أكبر".

وترد ديب: "أمامنا خمس ساعات من القيادة المتواصلة، والساعة الآن... قاربت الحادية عشرة".

"في أي وقت قلنا إننا سنكون هناك؟".

تقول آدي بانزعاج: "في الثالثة. ولن أقود أسرع مما كنت. لقد حصلت على ثلاث مخالفات بالفعل على رخصتي".

أحدق إليها بفم مفتوح. لكنها تستمر في تجنب نظراتي.

وتقول ديب: "ولن أقود بسرعة أنا أيضًا. فلديّ ابن. وليس مسموحًا لي بالمخاطرة، هذه الأيام".

تقول آدي وهي تعض شفرتها: "سأراسلها. فسيكون... فسيكون ذلك أفضل".

يصدر الجميع أصوات تأييد، كما لو كانت هذه فكرة ألمعية، بينما نعلم جميعًا أنها فكرة للتهرب فقط.

تقول آدي: "حسنًا - عودوا جميعًا إلى السيارة. أوه! آسفة يا كيفن. لقد نسيت أنك لم تكن معنا".

يبدو أن هذا يسرُّ كيفن. ثم تتذبذب ابتسامته التي تبدو كأنه يكشر عن أسنانه، ويقول: "أنتم ذاهبون؟ حقًا؟".

تجيبه آدي مشيرة إلى رجال إصلاح الأعطال وهي تبتسم لهم: "لقد أصلحوا السيارة".

لا شك في أن ذلك الإسباني تأمل جسدها. ولا بد لي ألا أبدو كما لو أنني أبالي بذلك. لكنني أبالي، كثيرًا. يا للعناء، إنها شديدة الجمال.

أنتبه إلى ماركوس يراقبني مرة أخرى، وقد رفع حاجبيه، وأحاول جاهدًا النظر إلى أي شيء آخر غير آدي.

ويقول كيفن: "ألا تريدون البقاء لتناول الغداء؟ أو لتروا كابينة الشاحنة من الداخل؟ هه؟".

كل كلامه هذا كان موجّهًا إلى ديب، التي كانت منهمكة في تعبئة الطعام في أكياس بلاستيكية، ويبدو عليها أنها أخرجت كيفن من حساباتها تمامًا. فمنذ عودتهما من تيسكو كانت تنظر إليه باللامبالاة نفسها التي تنظر بها آدي إلى رودني. إنه لأمر مميز حقًا؛ تلك القدرة لدى عائلة جيلبرت على التركيز على الأمور التي تهمهم وتجاهل كل ما عداها.

يقول كيفن وقد تلاشت ابتسامته التي تبدو كأنه يكشر عن أسنانه: "حسنًا"، ثم يدعك ذقنه ويردف: "وداعًا".

ويقول ماركوس وهو يصعد إلى المقعد الأمامي للسيارة: "مع السلامة يا كيفن". لقد انحسرت مودته تجاهه منذ ذهبت ديب إلى تيسكو معه؛ لا يحب ماركوس أن يخسر، حتى لو لم يكن مهتمًا بالفوز من الأساس.

يودع بقيتنا كيفن، ولا يبقى غير ديب. تنتهي من ترتيب القمامة وبقايا الطعام التي تخلصنا منها جميعًا على جانب الطريق، وتسد أسفل ظهرها بيدها وهي تنتصب.

تقول وقد أولته انتباهها أخيرًا: "أوه. مع السلامة يا كيفن. شكرًا".

يحاول كيفن مرة أخيرة: "عسى أن نلتقي مرة أخرى!".

فترد ديب وهي تفتح صندوق السيارة، وتلقي فيه كيس القمامة: "يبدو ذلك بعيد الاحتمال".

فيصيح بينما هي تغلق باب السيارة: "اتصلي بي!".

تستغرق ديب بعض الوقت حتى تنتقل إلى الحارة البطيئة - تنطلق السيارات مسرعة بالقرب منا، أشعة الشمس منعكسة على أسطحها - وينتظر كيفن على جانب الطريق ليلوح لنا. وأشاهده ينكمش في المرآة، وأشعر بأن ساق آدي ملتصقة بساقي في المقعد الخلفي، وأتساءل عن سبب الصعوبة التي نواجهها جميعًا في فراق نساء عائلة جيلبرت.

نقود السيارة ساعة أو نحوها دون حدوث أي شيء. أو إن تحرينا الدقة، يجدر أن أقول دون حوادث - ففيما يتعلق بي، فإن كل حركة بسيطة من ساق آدي قبالة ساقي تستحق قصيدة كاملة.

يصيبني وجودها بهذا القرب مني بالدوار. لقد فكرت في رؤيتها مرة أخرى عددًا لا يحصى من المرات، لكن الأمر لم يكن كما توقعت. فحين تخيلت هذا، كنت أتخيلها كما كانت حين تركتها - إذ كانت عيناها متعبتين حزينتين، وشعرها الداكن يصل إلى خصرها - أما الآن فهي مختلفة. إنها أكثر دفئًا، وأقل تحفظًا، وواثقة على نحو عجيب؛ صارت تعرف نفسها أفضل. ولم تعد أطراف أظافرها متآكلة حتى اللحم، وفيها شيء من الرزانة الجديدة تمامًا عليها.

ولون الشعر بالطبع والنظارات، وهما أمران أجدهما في منتهى الإثارة.

تقول ديب ملتفتة وهي تنتقل بالسيارة إلى الحارة السريعة: "ما حكايتك إذن يا رودني؟".

يجيبها رودني: "ليست لدي حكاية؟".

يصطنع ماركوس ضحكة. كان يحدق عبر النافذة من المقعد الأمامي، بهدوء يدعو للريبة. إن الجو شديد الحرارة في السيارة؛ وهناك نوع من الركود السمج في الهواء، مثل ذلك الضباب الفاسد بغرفة نام فيها شخص ولم تتعرض للتهوية منذ ذلك الحين.

تقول آدي: "لكل شخص حكاية".

وتنظر نحوِي، لكن ذلك يجعل وجهينا شديدي القرب - أهدنا على بُعد قُبلة من الآخر - فتلفت إلى الأمام مرة أخرى في لمح البصر، وقد لَوّن الخجل خديها.

وتقول أمرة: "رودني؟".

يرتبك رودني: "أوه، حقًا، لا شيء لديّ لأحكيه!".

أنظر إليه بشفقة، ثم أدرك - مثلما أدركت آدي في الحال - أن وجهي ووجهه شديدا القرب الآن، ونحن ملتفتان أهدنا إلى الآخر. ويمكنني رؤية مسام أنفه.

أقول له: "هيا يا رودني - ماذا تعمل، على سبيل المثال؟"، وأعود أنظر إلى الطريق أمامي. إن الجلوس في المنتصف هو أسوأ شيء دون شك. فأول شيء، لا مكان لأضع قدمي فيه، وأشعر بأن ذراعي غير مرتاحتين إطلاقًا كأنهما طرفان إضافيان كان أولى بي أن أتحلّى باللياقة الكافية لتركهما في صندوق السيارة.

يجيب رودني: "أعمل مع شيري. أنا في فريق المبيعات".

أعرف، دون أن أنظر، أن آدي مندهشة مثلي. لا أدري كيف لم يخطر لأحد منا أن يسأل رودني عن معرفته بشيري، لكن لم تكن هذه هي الإجابة التي كنت أتوقعها. فمذ انتقال شيري للعيش مع كريشنا في تشيتشستر، وهي تعمل لدى شركة فاخرة للسفر، وتنظم عطلات تبلغ قيمتها عشرة آلاف جنيه إسترليني لأشخاص مشغولين تمامًا، لدرجة أنهم يعجزون عن تنظيم تلك العطلات بأنفسهم. وليست شركتها واحدة من تلك المواقع التي تتصل بك لتحجز قبل انتهاء الفرصة، وإنما هي وكالة سفر بالغة الفخامة لديها مكاتب فارهة، وموظفون يعاملون المرء دائمًا بلطف شديد. والتعامل بلطف أمر يحتاج إلى نوع معين من الأشخاص، لا شك في ذلك. إنه شيء حصري تمامًا.

ورودني لا يبدو عليه أي شيء حصري إطلاقًا.

لا بد لي من قول شيء - لقد مرت برهة طويلة دون أن أرد عليه. فأقول بحماسة أكثر من اللازم: "هذا رائع!". ترمقني آدي بنظرة تنم عن استغرابها، فأصطنع تعبير من يقول ' ماذا كنت ستقولين لو كنت مكاني؟'، وأشعر بأنها تبتسم، دون أن أراها.

ويسأله ماركوس دون أن يلتفت: "ما أكثر شيء محرج قمت به على الإطلاق، يا رودني؟". تقول له آدي مؤنبة: "ماركوس".

يرد: "ماذا؟ لعبة الأسئلة الخمسة! لقد لعبناها من قبل، أليس كذلك؟"، ويلتفت عندئذ مبتسمًا: "هيا يا رودني، سيكون الأمر ممتعًا. إننا جميعًا أصدقاء هنا، أليس كذلك؟".

هذا قول غير دقيق إطلاقًا.

يغمغم رودني: "هممم. أكثر شيء محرج... أوه، دعني أفكر... لقد تبولت أثناء نومي ذات مرة".

ويطبق الصمت برهة طويلة.

فيتبع قائلاً: "وكانت هناك فتاة نائمة بجواري".

ينطلق الجميع في صوت واحد: "ماذا؟".

"ماذا؟ أتقصد وأنت بالغ هكذا؟".

يقول رودني: "أجل في الحقيقة، هاها!".

أتوجس خيفة حين أجد ماركوس يضحك في نفسه. أظن أن رودني لم يعرف نهاية هذه القصة، وسيندم بشدة على مشاركتنا إياها.

ويقول رودني بأمل: "السؤال التالي".

فتسأله ديب بفضول: "أتقصد أنك أفرغت مثانتك كلها؟ أم مجرد قطرات بسيطة؟".

يجيبها رودني: "أوه، يا للهول، هاها! يُستحسن ألا نركز على التفاصيل".

فيقول ماركوس: "أعتقد أنك لا تفهم الأمر يا رودني، فالتفاصيل هي أهم ما في الأمر".

تميل آدي عليّ لحظة وهي تعدل حزام الأمان. وأتساءل عما إذا كانت تحس بتلك الحرارة بيننا أيضًا، وعما إذا كان جانبها الأيسر مشتعلًا مثل جانبي الأيمن وشديد الحساسية للمس.

وتقول آدي: "لنترك لرودني المجال لاستعادة شيء من كرامته. متى صرتما صديقين أنت وشيري، يا رودني؟".

فيرد ماركوس: "يا له من إهدار للأسئلة".

ويجيبها رودني بفخر: "في حفل رأس السنة، العام قبل الماضي".

أتذكر حين كانت شيري تخبرني بذلك الحفل. فدائمًا ما كانت لديها نوادر رائعة، وسبب ذلك، إلى حد كبير، أنها حمقاء - فهي دائمًا في ورطة. وقد اعتدت فترة من الوقت أن أتمنى أن تقع لها ورطة؛ لأنها حين تحتاج إلى من ينقذها، عادة ما تكون آدي هي التي تهب لنجدها. وعادة ما ترضخ شيري في النهاية وتخبرني بتفاصيل كيف بدت آدي، وما كانت تفعله، وما إذا كانت تواعد أحدًا، وكل الأسئلة الأخرى التي كنت أصر على تعذيب نفسي بطرحها.

كان ذلك الحفل تحديدًا قبل شهر واحد من قضاء الليلة معي في تشيتشستر حين التقت شيري للمرة الأولى بكريشنا؛ خطيبها الحالي. وفي ذلك الحفل كانت لديها تجربة مشؤومة مع رجل ظل عامًا بعد ذلك يرسل إليها قصائد ركيكة جدًّا، وهي قصة جعلتني أشعر دائمًا بانزعاج شديد (دائمًا ما يمس الشعراء السيئون وترًا حساسًا لدي)؛ وإذا كنت أتذكر جيدًا، فقد اشترت شيري شرابًا لكل من في العمل وقبلت سبعة من زملائها في ذلك الحفل. كانت

هذه نادرة نموذجية من نوادر شيري؛ أتذكرها وهي تحكيها بالمقهى في نوبة من الضحك، حين قالت لها جريس 'عزيزتي، ألا تخجلين أبدأ؟'، وردت شيري قائلة: 'وفيم يفيد الخجل إلا في تقييد الناس؟'.

أسأل رودني: "شيري ظريفة، أليس كذلك؟".

يقول مبتسمًا: "إنها مذهلة. لقد ساعدتني في كل شيء".

أها - إنه إذن حالة خيرية لدى شيري. فشيري تجمع المشردين والضالين حولها، كأنها أرملة فاضلة من القرن التاسع عشر؛ لقد جمعت في إحدى المرات خمسة عشر مرهقًا بلا مأوى في خيمة كبيرة بحديقة والديها؛ ولديها ثمانية حيوانات ممن أنقذتها، ولم يتبق لها جميعًا غير ستة أرجل. بل إن عمل آدي وديب حارستين مؤقتتين كان نتيجة ثانوية لطيبة شيري التي لا حد لها: كانت ديب قد تركت عملاً لتبحث عن عمل آخر، وكانت آدي تخطط لقضاء الصيف في العمل بمقهى محلي يملكه رجل عجوز قبل أن تتدخل شيري وتحصل لهما على أربعة أشهر في بروفانس.

يغزوني الاضطراب. فالتفكير في ذلك الصيف يبعث الألم في حلقي. لا يمكنني معاودة التركيز على الحرارة والغبار والتوتر العاطفي دون الشعور بأنني رميت النرد، وحصلت على أرقام خاسرة. كان كلانا لم يتشكل بعد. وكنا واثقين بأنفسنا جدًا، وكنا تائهين تمامًا.

لو التقينا الآن، بعد أن نضجنا، أكننا سنتمكن من إنجاز الأمر؟

تبدأ أغنية جديدة. أغنية تايلور سويفت 'إلى بعضنا لن نعود أبدًا، أبدًا'.

تذكير من الكون في الوقت المناسب. أو بالأحرى من ماركوس، الذي أدركت الآن أنه يتحكم في قائمة التشغيل.

# آدي

يا للعناء، الجو حار في هذه السيارة. لا يستطيع مكيف الهواء أن يلطف الجو لخمسة أشخاص بالغين في درجة حرارة تبلغ - أتحقق من هاتفي - ثلاثين درجة. وتشير التوقعات إلى أنها ستصل إلى ستة وثلاثين درجة عند منتصف الظهيرة. أتمنى الآن لو أنني لم أكلف نفسي عناء وضع مساحيق التجميل. ستكون كالوحد على ذقني حين نصل إلى إسكتلندا.

يتململ ديLAN بجانبني. إنه رجل مهذب ولا يشتكى من جلوسه في المنتصف، لكن ركبتيه كانتا مرفوعتين نحو صدره، وقد سحب مرفقيه إلى الداخل. وضعيته تشبه ديناصور التيريكس. سنوفر الكثير من المساحة إذا جلسنا في حجره.

تتحرك رموش عينيّ مضطربة. كانت هذه فكرة... غير لائقة. جسد ديLAN ملتصق بجانبني. إنه يشع حرارة، وبينما تغني تايلور سويفت عبر مكبر الصوت في السيارة - ماركوس يركز على أغاني تايلور سويفت، ربما يحاول أن يوصل رسالة ما - أفكر في مدى السهولة التي قد أضع بها يدي على ركبة ديLAN. أضم راحتيّ معاً بدلاً من ذلك، وأضعهما بين ساقيّ، وأحاول تمالك نفسي.

هذا ديLAN. لقد هجرني. وأنا لم أعد أحبه.

لكن يا للهول، رائحة البرتقال الخشبية الخاصة به. لقد نسي جسدي كل المعاناة، وانكسار القلب، ولا يتذكر إلا وجهي وهو مدفون في جلد رقبتة الساخن حين كان بجوارني. النشوة ومنتعة النوم بالقرب منه.

يقول رودني: "أريد أحد خبز الشوفان؟".

يعتريني الاضطراب، وأضم ساقِيَّ إحداهما للأخرى. ويخفق قلبي بسرعة أكبر. أشعر كما لو أن ديLAN يعرف ذلك بطريقة ما. إنه يبقي نفسه جامدًا، كما لو كان لا يثق بنفسه إذا تحرك. وعلى الراديو أغنية مثيرة وحيوية - ربما أغنية ' عشيق ' - وهذا يزيد الأمر سوءًا.

كنت قد نسيت شعور الرغبة في شخص إلى هذه الدرجة. أهنأك من جعلني أشعر على هذا النحو إطلاقًا؟ وهل هناك من سيجعلني أشعر بهذا بتلك الصورة مرة أخرى؟ يا إلهي، يا لها من فكرة رهيبه!

أميل إلى الأمام لأتمكن من رؤية رودني من أمام ديLAN. إنه يحمل علبة كبيرة مليئة بخبز الشوفان المخبوز في المنزل. لا أعرف من أين جاء بها. وبينما أتفحص محتويات الوعاء البلاستيكي في حجر رودني، يمكنني الشعور بعيني ديLAN تنتقلان على جلد كتفيّ العاريتين. يقشعر جلد رقبتني من الخلف. ويشعرنني العرق بالحكة بين لوحني كتفيّ. أريده أن يلمسني. وأن يمرر إصبعه على ظهري.

أسارع بالانتصاب مرة أخرى، وأنظر أمامي باستقامة.

أقول لرودني: "شكرًا، لا أريد".

فيقول رودني مبتهجًا: "سآكل وحدي إنن"، ويبدأ الأكل.

في المرة المقبلة التي نتوقف فيها سأحرص على الجلوس بين ماركوس ورودني. سيساعدني ذلك كثيرًا.

الماضي

# ديلان

إنها تصيبني بالدوار. أنا ثمل بها.

لقد قضينا أسبوعًا من الغراميات الحلوة، والشمس تهبط خلف الكروم مثل صفار بيض يسقط في وعاء. إن الليالي ممتدة طويلة، لنا وحدنا. بات تيري متسامحًا حيال وجود آدي لجزء من اليوم، لكنني لا أحظى بها فعلاً إلا حين يأوي إلى الفراش - فهي لا تكون على طبيعتها في وجود تيري، لكن متى تغلق باب الشقة وتخلع نعلها، فإنها تصير آدي الخالصة دون أي تكلف.

اتفقنا، الليلة، على أن نلتقي على الشرفة حين ينام تيري؛ إنها ترتدي ثياب نوم حريرية بلون الخوخ مع سروال قصير، وشعرها الطويل الفاحم منسدل ليغطي كتفها. وتمد يدها لتمعني حين أدنو منها، وتبتسم تلك الابتسامة التي تعني بأشياء جديدة لذيدة شهية.

تجرد من ثيابها ببطء. وجلدها الشاحب يبدو أقرب إلى الفضة في ضوء النجوم، ويخطر لي بيت من قصيدة، قصيدة فضية من فتاة تضيئها النجوم، لكنني أتجاهله حين تتجه إلى الماء وتغوص فيه، جسمها الأبيض النحيل شهاب في الظلام. تخترق سطح الماء برقة فلا يكاد يتموج.

وينطلق صوت إنذار المسبح.

يا للصوت المدوي. تصرخ آدي وتغطي أذنيها، وتخوض في الماء باحثة عن الأضرار المناسبة؛ كنت سأساعدها لو لم أكن مستغرقًا في الضحك وأنا منحني إلى الأمام، لكنني مستثار، ما زلت مصابًا بالدوار، أصاب بالدوار على الدوام في الحقيقة حين تكون آدي بالقرب مني. ندور ملتفتين في وقت واحد بمجرد أن يتوقف صوت الإنذار، وها هو ذا: الضوء المنذر في نافذة العم تيري.

أزمجر مغمغماً بينما أوصل الضحك: "العم تيري البغيض الأحمق".

تستلقي آدي فوق الماء وتنشر ذراعيها متخذة شكل نجمة. وتقول: "سيظن أن الريح هي السبب. هيا. تعال".

أرقب الضوء بحذر.

فتقول: "أبعد حديثك عن عيش كل لحظة، وإيجاد المعنى والسعي إلى ' اللذة الخالصة المكثفة ' ألا تنضم إلى حبيبتك في المسبح؟".

حبيبة. لقد وجدت الكلمة مكاناً لها في القصائد التي دونتها في دفترتي بعد أن غادرت سريرها، وقد بدأت تتحول بالفعل، بدأت تفقد نصفها الأخير، وتتحول بسرعة إلى حب.

لا شك لديّ فيما إذا كان هذا الشعور حباً حقاً - فماذا يكون إن لم يكن كذلك؟ إنه شيء معذب ومبهج لدرجة أنني عاجز عن التعبير عنه بالكتابة.

وبعد لحظة من التردد، أخلع ملابسني وأقفز في المسبح.

تقول آدي مبتسمة: "قفزة رشيقة جداً"، وتسبح مقتربة وتشدني إليها. جسدها بارد، وجلدها متغضن، وعلى أطراف أهدابها قطرات صغيرة تشبه قطعاً من الألماس.

يصر باب الفيلا منفتحاً. نتجمد في مكاننا. وتضع آدي إصبعاً على شفتيّ.

ينادي تيري: "مرحباً؟".

تضع آدي وجهها على رقبتني، مغالبة ضحكها. فما من إنارة هنا، لا شيء غير النجوم، لكنه إن خرج إلى الشرفة، فسيري بياض جسدينا في الماء الأزرق القاتم.

ينغلق الباب مرة أخرى. لقد عاد إلى الداخل.

تقول آدي: "أرأيت؟ ألم أقل لك؟".

ندور في الماء يحضن كل منا الآخر على مهل. منذ أيام قليلة لم أكن لأصبر على ذلك - كنت أثبتها على حافة المسبح وأبدأ تقبيل كل موضع في جسدها. لكن بعد سبع ليالٍ وأنا أثبتها على هذا النحو، يمكنني الآن التلذذ بها على مهل.

أهمس لها: "آدي".

"ماذا؟".

"أنت مذهلة. أتعرفين ذلك؟".

تطبع قبلة بشفتيها الرطبتين على نحري. أرتجف. أذكر نفسي بالاستمرار في التلذذ بها على مهل، مع أن الأمر بات أقل إغراء الآن.

أقول: "هأنذا..."، وأخطف قبلة سريعة قوية، وأكمل: "أقضي صيفي متلويًا كالسمكة، وأغير شكلي، وأحاول اكتشاف ذاتي...".

يعتريني الاضطراب، حتى مجرد الكلام عن الأمر يعيد ذلك الهلع المثير للرعدة إلى حلقي، وأشعر بثقل كأن يداً ثقيلة تضغط على صدري، ويرن صوت أبي في أذني؛ أركز على آدي، وعلى شعرها المبتل الأملس الراجع إلى الخلف وهو يلمع في الظلام. آدي، إجابتي عن كل شيء.

وأواصل: "وهأنتذي، كاملة بالفعل".

تضحك ضحكة بسيطة، فتضرب أنفاسها رقبتني.

وترد: "هذا كلام فارغ. ما من أحد كامل. وأنا خاصة. لا تفعل ذلك".

"أفعل ماذا؟".

"لا تجعل مني فتاة أحلامك الخيالية الساحرة".

أرد رأسي إلى الخلف لأتمكن من رؤية وجهها، ولا أستبينه في الظلام.

أسألها: "لم تقولين ذلك؟".

تجيبني: "أعني مثل الأفلام. تلك الفتاة التي تكون موجودة لتساعد البطل في اكتشاف ذاته. ولا تكون لها قصتها الخاصة أبدًا".

أعبس. إنها عادة ما تفعل ذلك، عادة ما تحوّل أي إطرء إلى شيء غير مريح.

"لم أقصد أي شيء من هذا القبيل".

"ليس لأنني أعرف ما أريد أن أكون، وأين أريد أن أعيش، وكل ما إلى ذلك، فمعنى ذلك أنني... انتهيت من كل شيء. إنني ما زلت أبحث عن طريقي أيضًا. أعني، من يدري إن كنت سأتحمل برنامج التدريس حين ينتهي هذا الصيف".

أهز رأسي نافيًا وأشدها إليّ مرة أخرى، لم أعد أتحرك في الماء: "ستكونين رائعة. ستكونين معلمة مدهشة. أنت معلمة بالفطرة". وأخفض رأسي لأقبلها ثم أضيف: "إنك تعلميني أشياء جديدة دائمًا".

تبتسم بتردد، فأقترب أكثر، وأرفعها إلى أعلى لتلف ساقيها حول خصري.

تقول: "أخشى ألا يتعامل معي أحد بجدية".

"ولم قد يفعلون ذلك؟".

تعض شفتها السفلى، وترد شعري المبتل عن وجهي، وتقول: "لا أدري. الناس يفعلون ذلك معي فحسب".

أرى في عينيها ذلك الضعف النادر الخالص مرة أخرى؛ تنظر إليّ مترقبة، ويتسلل إليّ شعور بأنها تختبرني.

وتسترسل: "ربما كان فيّ شيء يوحي بذلك. يوحي بقلة الكفاءة".

أرد رأسي إلى الخلف، وقد اعتراني ذهول حقيقي: "قلة الكفاءة؟ أنت؟".

تضحك بصوت خفيض آتٍ من حلقها، وتبعد عينيها: "إنني فقط... دائمًا ما كنت متوسطة. متوسطة القدرات في المدرسة. ومتوسطة الدرجات. الشيء الوحيد الذي لم يكن متوسطًا فيّ هو طولي".

إنها قصيرة. وأنا أحب ذلك، أحب حين أغطي ظهرها بيد واحدة، وأحب حين ترفع رأسها وتميله إلى الخلف لكي تقبّلني.

أقول لها بصوت جاد: "هذا شيء متناهي الأهمية يا آدي جيلبرت".

تسألني: "ما هو؟".

أميل عليها حتى لا يبقى بين شفرتينا غير سنتيمتر، وأهمس: "أنت... استثنائية".

تقول: "أوه، اخرس"، وتبتعد عني سابحة على ظهرها.

أندفع نحوها قائلاً بلهجة امرأة: "لا، لا. كفي عن هذا العبث. سنقبلين هذا المديح حتى لو كان سيقتلك".

تضحك الآن، ثم تقول وهي تتملص مني مرة أخرى: "لا، يا للهول، لا تقل ذلك"، وتنفلت من بين أصابعي كالماء.

أقول: "إنك استثنائية تمامًا. أتعرفين ما قد يفعله الناس ليكونوا ناضجين مثلك في عمر الحادية والعشرين؟ إنك لا تتأثرين بكلام أي إنسان، ولا أنا كذلك، وأنا ساحر جدًا"، وأندفع مرة أخرى، وأمسك كاحلها إلى أن تسبح مبتعدة وهي تضحك، وتنثر الماء حولها، فأواصل: "إنك تهتمين بالآخرين - لا تحسبي أنني لم ألاحظ محاولتك السيطرة على إفراط عمي تيري في الشراب، أو مساعدتك فيكتور في إزالة الأعشاب الضارة منذ أصيب ظهره".

ترد قائلة وهي واقفة في الماء في الطرف العميق من المسبح: "أوه، دعك من هذا. فستكون غيبًا إن لم تكن لاحظت أن تيري يوشك أن يعاني مشكلة في الكبد. وكان أحرق بي أن أساعد فيكتور في إزالة الأعشاب قبل أن يصاب ظهره. لقد كان ذلك هو العمل فوق المتوسط الذي يجب أن أقوم به".

أدير عيني إلى أعلى نافد الصبر: "إنك تحرصين على القيام بعملك على النحو الصحيح. ومع أنه ليس هنا غيري أنا وتيري، فإنك لا تزالين تهتمين بكل شيء، وتلاحظين كل التفاصيل".

"لذا أحضرت إليك منشفة جديدة، هذا الصباح، ورميت الأطعمة الفاسدة الموجودة في باب الثلجة. يا له من إنجاز". وتغطس آدي تحت الماء لتبتعد عني كأنها دولفين.

أقول وقد بدأت أغضب: "آدي! لا يتعلق الأمر بذلك الكلام الفارغ المدون على الورق، حقًا. وإنما يتعلق بهذا. إنك بارعة في الحياة. وفي جميع الأمور المهمة. أعني أنك تقولين إنني أتحدث دائمًا عن إيجاد اللذة والمعنى وعيش اللحظة، وأنا... أو بالأحرى كلنا...".

تقاطعني: "حسنًا، تعني أولئك الذين لديهم رفاهية قضاء الوقت في تأمل معنى الحياة".

"حسنًا، حسنًا، لكنني أقصد... إنك بارعة تمامًا في التعامل مع الحياة كما هي. لا أعرف أحدًا يستطيع فعل ذلك".

ترد آدي: "كل من تعرفهم يلتحقون بأرقى الجامعات، وهم، من ثم، يكتثرون من التفكير".

"هل ستقبلين في يوم ما شيئًا واحدًا لطيفًا أقوله عنك؟".

تسبح مقتربة مني أخيرًا وهي تقول: "يمكنك أن تقول إنني أبدو جميلة، الليلة".

"إنك تبدين جميلة، الليلة".

"آه، إنك تقول ذلك فقط لأنني...".

أمسك بها، وأدغدغها بأقصى ما أستطيع في الماء - تفقد توازنها ويتناثر الماء حولها وتضحك، رأسها يرتد إلى الخلف، وعيناها تشعان سرورًا.

أطاردها إلى نهاية المسبح. وبينما هي تتلوى، تمد ذراعها إلى حافة المسبح، كأنها في حلم في الظلام، وتلف ساقيها حولي مرة أخرى. نتحرك ببطء، بينما صدورنا تعلو وتهبط، ثم نتوقف. تمرر أصابعها في شعري مرة أخرى، بقوة أكبر، هذه المرة.

تهمس: "أنا معجبة بك يا ديلان. معجبة أكثر مما ينبغي".

يتسارع نبضي: "ليس هناك ما ينبغي".

"هناك ما ينبغي بالطبع. اصبر بضعة أشهر فقط، وسوف تنطلق ملاحقًا الشقراء التالية من أتلاننا. أنت بمفاهيمك الرومانسية، وأحاديثك المنمقة، ودفترك المليء بالأشعار..."، وترفع رأسها ناظرة إلى النجوم وتواصل قائلة: "سوف تكسر قلبي يا ديلان أبوت. أشعر بذلك".

أُتْجَهِمُ وَأُمِدُّ يَدِي لِأَعْيِدُ رَأْسَهَا إِلَى أَسْفَلٍ مَرَّةً أُخْرَى: "كَلَّا. إِنَّ هَذَا... لَقَدْ كُنْتُ... إِنَّنا لَسْنَا  
كَذَلِكَ. إِنَّنا مُخْتَلِفَانِ، أَنَا وَأَنْتِ. لَنْ أَكْسِرَ قَلْبَكَ أَبَدًا يَا آدِي".

تَبْتَسِمُ بِسُخْرِيَةٍ وَتَقُولُ: "وَهَكَذَا قَالَ كُلُّ سَيِّدٍ لِلْفَتَاةِ الَّتِي تَعِيشُ فِي مَسْكَنِ الْخَدَمِ، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ؟".

# آدي

حسنًا، أنا مرعوبة.

تتطور الأمور بيننا بسرعة كبيرة. يمكن لأي شخص أن يرى ذلك. فلم تمضِ غير ثمانية أيام. لا يزال بالطبع ينظر إليّ كأنني ملكة - إننا لا نفترق تقريبًا، وهو لا يعرفني بما يكفي ليروي فيّ ما لا يعجبه.

أتمنى لو أنني لم أقل البارحة كل ذلك الكلام عن كوني متوسطة. كان أحري بي أن أتصرف بهدوء، وأن أبقيه في حالة المطاردة. إن هذا ما كانت ستفعله ديب، ولا يتوقف الرجال أبدًا عن حبها. إنها في الحقيقة تجد حبههم مزعجًا تمامًا.

لكن المشكلة أن ديLAN فائن جدًا. بعينيه الناعستين الخضراوين الضاربتين إلى الصفرة. والطريقة التي يبدو أنه يراني بها. إن كل ذلك يجعلني مفتونة به، وهذا تحديدًا أغبى شيء يمكن لامرأة أن تفعله بعد أسبوع واحد من التعرف على رجل في عطلة.

أقضي الصباح بعيدًا عن الفيلا. كنا نحتاج إلى بعض الطعام، وأستغرق وقتًا أطول مما يجب في متجر إنترمارشيه. وبعد ذلك، أقود سيارتي إلى القرية، وأتحدث مع صاحب المقهى بلغة فرنسية ضعيفة بينما أتناول قطعة كبيرة من مخبوزات الشيكولاتة. أجعله يضحك ويقف منتصبًا أكثر قليلاً. لا أحتاج إلى ديLAN. كان صيفي هكذا قبل مجيئه، وهذا جميل.

أنوي التوجه إلى شقتي مباشرة حين أعود، لكن ديLAN جالس يقرأ شعرًا بصوت عالٍ على السور الحجري الملتف حول الشرفة. إنه على بُعد عشرة أمتار مني هنا في الفناء. وساقاه متدليتان، وهو يحدث نفسه بشيء عن قصاصات فضية من ضوء النجوم. أعجز عن منع

نفسى من التوقف متطلعة إليه، رافعة ساعديّ لأحجب الشمس عن عينيّ. ومن ثم يجتاح  
الشعور صدري كعاصفة كبيرة.

يصيح قائلاً: "أوه، عظيم. شخص ما يغني. إنه لمن المخرج أن يغني المرء بلا بغية".  
"بغية!".

يقول متعجلاً: "صيغة بلاغية بحتة"، فأضحك، ويواصل: "الفاعل والفعل والمفعول وما  
إلى ذلك".

أسأله: "أهذه واحدة من قصائدك؟". لم يرني أيّاً من أعماله قط، مع أنه دائماً ما يسعده أن  
يقرأ عليّ مقتطفات من أعمال القرن السادس عشر. لا أرى فيها أي شيء منطقي. فكلما  
أعجب ديLAN بشيء عميق على نحو مذهل، رأيت أن ذلك الشيء يمكن التعبير عنه بكلمات  
أقل.

يجيبني ديLAN: "كانت كذلك، لكن فقط لأنني تشئت. أنا أقرأ فيليب سيدني"، ويلوح بكتاب  
مهترئ الغلاف نحوي ويضيف: "السير فيليب سيدني بالأحرى. رجل بلاط، ودبلوماسي  
وشاعر".

أقول مستنتجة: "أهو رجل قديم؟".

يجيب ضاحكاً: "أجل. مات عام 1586".

"إنه قديم تماماً".

يتدلى خفا ديLAN البنيان المهترئان من قدميه فوق حافة السور.

أناديه قائلة: "فلتقرأ عليّ شيئاً"، أريد أن أفهمه، ذلك الشعر. إنه غريب تماماً بالنسبة إليّ.

يبدأ قائلاً: "حبي الحقيقي يملك قلبي، وأنا أملك قلبه".

أتساءل: "قلبه؟".

يجيبني: "إن المتحدثة امرأة، لا فيليب نفسه. إنه لا يقول إنه مغرم برجل. لقد كان كارهاً للميول غير الطبيعية، فقد كان رجلاً ثرياً في القرن السادس عشر. تعالي هنا، ألا تأتيين؟ أريد أن أحضنك".

أبتسم على الرغم مني. وأقول بينما أتجه إلى السلم المؤدي إلى الشرفة: "اسمه فيليب! ودعك من الألقاب الرسمية، هلا فعلت؟".

يقول ديLAN بوجه جامد: "فيل. فيلمان. فيلستر".

أفهمه الآن: "هيا، استمر. كنت تقول إن حبك الحقيقي يملك قلبك وأنت تملك قلبه"، وأصعد على السور إلى جانبه، فيلف ذراعه حول خصري، ويشدني إليه. أختطف شرابه، وأعب منه جرعة كبيرة.

"حبي الحقيقي يملك قلبي، وأنا أملك قلبه. وبمجرد منح أحدهما يؤخذ الآخر. أحمل قلبه العزيز وهو لا يمكن أن يضيع قلبي. ما من مقايضة أفضل من ذلك مطلقاً".

أفهم ذلك نوعاً ما، في الحقيقة. الحب صفقة. وربما كان تخلي المرء عن قلبه أمراً مخيفاً، لكنه ممكن إذا فعل الشخص الآخر الشيء نفسه في اللحظة نفسها، مثل جنديين يخفضان سلاحيهما.

بقية القصيدة كلمات متشابكة خاطئة الترتيب - من قبيل: مني عليه خفت من الأذى، وأشياء من هذا القبيل. ولما فرغ من القراءة ناولته شرابه، وأخذت الكتاب.

يقول ديLAN: "ما رأيك؟". تبدو عليه الحماسة وأنا آخذ الكتاب. وهذا شيء لطيف، لكنه يخيفني أيضاً إلى حد ما، بسبب تلك المرات التي يقرأ لي فيها أشياء لا أفهمها.

أقول: "إذا قلت إن هذه القصيدة أعجبتني، فهل ستريني إحدى قصائدك؟".

يتغير وجهه: "أوه، يا إلهي، سيكون ذلك أشبه بأن أريك مذكراتي في سن المراهقة. أو...".

"أو تُريني سجل بحثك على الإنترنت؟".

يبتسم ديلان: "لماذا؟ ماذا يوجد في سجلك أنت؟".

أسأله رافعة أحد حاجبي: "أهذا ما تريده؟ أهو شيء مقابل شيء؟".

يقول ديلان: "أتسمين شعري شيئاً؟"، ثم يتظاهر بالتفكير ويقول بمكر: "مع أنه سيكون من الرائع أن تريني شيئاً لك...".

"أخرس. أنت تعرف ما قصدته. أتريدني أن أخبرك بشيء محرج أيضاً؟".

يجيبني: "لا شك في أن ذلك سيساعد"، ويرتشف من شرابه، ويمكنني القول إنه يغالب ابتسامته.

أتردد لحظة، ثم أمرر ساقِي من فوق السور، تاركة الكتاب على الحافة. جعلني قضاء الصباح بعيداً عن الفيلا أشعر بالسيطرة مرة أخرى. ولا بأس من إعطائه المزيد من المعلومات عني، أليس كذلك؟

أقول له: "تعال".

وأسبقه عائداً إلى الشقة، وأمضي إلى الخزانة التي نضع فيها حقائبنا أنا وديب. يميل ديلان عند فتحة الباب، ويشاهدني وأنا أخرج حقيبتني وأفتحها.

ويضحك حين يرى ما في داخلها، فيحمر خداه في الحال. لقد كنت أعدت إغلاق الحقيبة حين التفت ذراعه حولي من الخلف.

يقول: "كلا، كلا، لا تغلقها. أنا أحب ذلك. قولي إنك تهوين تركيب نماذج القطارات المصغرة".

أتلوى بين ذراعيه. فلماذا أفعل ذلك؟

فيقول بلطف أكبر: "إنني أحب ذلك يا آدي. لم أكن أضحك منك. وإنما كانت... كانت ضحكة فرح. ضحكة اندهاش".

يطبع قبلة على خدي. وبعد لحظة طويلة مؤلمة، أخرج قطار 'الإسكتلندي الطائر'. كان مدسوسًا في قاع الحقيبة حتى لا يتضرر. وكانت هناك عجلة مفقودة، وفيما عدا ذلك مر بسلام من الرحلة إلى فرنسا.

أقول: "إنه شيء عودنا إياه أبي". يحاول ديLAN أن يديرني بين ذراعيه، لكنني أظل كما أنا. هكذا أسهل، وأنا لا أنظر إليه. وأسترسل: "كثيرًا ما أحب ذلك. وقد اعتدنا تركيبها معًا، أنا وهو وديب، حين كنت طفلة. وقد مرت ديب بتلك المرحلة التي كانت مغرمة فيها بالقطارات، وهكذا بدأ الأمر، ولم يتوقف أبي بعدها قط. وعادة ما كنت أساعده في تركيب قطار كلما عدت إلى المنزل. وهذا هو ما ركبناه قبل مجئنا إلى فرنسا".

يقول ديLAN: "لا شك في أنه يستغرق الكثير من الوقت. أيمكنني رؤيته؟".

أتركه يأخذه مني، وأخطو مبتعدة. أختلس النظر إليه من تحت رموشي. لا يضحك الآن. إنه يتفحص نموذج القطار كما لو كان شيئًا متناهي الروعة.

وأشعر كما لو أنه وضع العملة الأخيرة في ماكينة الحظ. تعاودني كل المشاعر دفعة واحدة، وأقع في حبه، أجل، لا يمكنني إيقاف نفسي.

يقول وهو يتأمل الوصلات: "إنه مدهش. هل الأمر صعب؟".

أهز رأسي نافية. وتجتاحني المشاعر الآن، وأنا واثقة بأنه قادر على رؤيتها تشع مني.

أجيبه بعد جهد: "يحتاج الأمر إلى صبر فقط".

يقول: "آه، إذن سأكون فاشلاً فيها".

أضحك: "أجل، ستكون مريعاً".

يقبلني في خدي مرة أخرى. ولا يزال خدائي متقدين.

أسأله: "حسناً، أين المقابل؟"، بينما أخطو مبتعدة، وإلا فسأدفن نفسي في صدره. إن مشاعري تتعاضم على نحو لا يصدق.

يتجههم: "حقاً؟"، ويفرك ذراعه بكف يده إلى أعلى وأسفل: "هل يجب عليّ ذلك؟".

"لقد أريتك قطاري!".

"إن قطارك رائع. أما قصائدي ف... فإنها انغماس متعجرف في الذات".

"إنني لعلى يقين بأنها رائعة".

يهز رأسه نافيّاً: "كلا. إنها هراء. حقاً يا آدي، إنها ركيكة تماماً".

"دعك من ذلك. أعرف أن لديك دفترًا في جيبك".

"أتقصدين هذا؟ هذا ليس دفترًا".

أندفع نحوه، فيهرب مهرولاً نحو المطبخ، ثم ينزل إلى الفناء، ويعبره نحو الحدائق. ألحق به على العشب وأعرقله. يصيح بينما نتدحرج نحو شجيرة إكليل الجبل.

ويقول ضاحكاً لاهئاً: "يا للهول! أنت لاعبة رجبى في السر أيضاً؟".

أجيبه وأنا أفتش جيب بنطاله: "لديّ ما يؤهلني لها. فهل ستتركني أسرق الدفتر كله، أم ستقرأ لي قصيدة؟".

يقول وهو يتدحرج خارج الدغل، وينفض ثيابه: "سأقرأ لك قصيدة، سأقرأ قصيدة". ويمد يده ليساعدني على النهوض، ثم يسحبني إلى المقعد الموجود على طرف العشب. المنظر مذهل من هنا. أشجار الكرم مصطفة على مسافات متساوية فوق التلال، كأنها أشرطة خضر.

يقلب ديلان في دفتره. وأمد ساقَيَّ بعرض حجره وأستقر فيه.

يقول بصوت خافت: "ما رأيك في قصيدة قصيرة؟".

"لا بأس. قصيدة قصيرة".

يسعل ويبدأ.

قبل أن أسمع اسمها

أتهياً - طيلة هذا الوقت

في الظلام أنتظر،

مضطرباً، غير مكتمل، تائهاً -

ولم يكن ثمة نجم هادٍ أسترشد به.

وإنما كان هناك قلب، قلبي.

كانت تملكه كذلك حينئذ،

قبل أن أسمع اسمها.

تترقق في عينيّ دمة. لا أفهم ما تعنيه القصيدة، لا أفهم حقًا، لكنني أعتقد أن ذلك غير مهم. فأنا أعرف أنه كتبها من أجلي.

يناديني مستفهمًا: "آدي؟ آدي؟".

أرتبك وأخفي وجهي في رقبتة. وأهمس له: "إنها جميلة... تعجبني كثيرًا".

# ديلان

نقضي الليل للمرة الأولى في جناحي وليس في شقة آدي. يجعلها حجم المنزل الكبير تبدو أصغر من أي وقت، ويدها المرهفتان على السور المصنوع من خشب البلوط أثناء صعودها السلم، وقد تركت حذاءها الصغير في الأسفل؛ تبدو جامحة بعض الشيء، وهي تتملص من قبضتي وتسير بخفة شديدة لدرجة أنني أكاد لا أسمع وقع خطواتها. لكنها متى نأوي إلى السرير، تعود إلى طبيعتها مرة أخرى: شرسة وفاتنة، وفاتنة العينين، وقاسية حين أجعلها تنتظر.

أعتزم، الليلة، أن أقول لها إنني أحبها. في الأمر مخاطرة، لا شك في ذلك - فهناك احتمال كبير حقًا بأن أخيفها بذلك. إنها دائمًا ما تهرب ثم تعود، تختفي في القرية ساعات ثم تقبع إلى جانبي مثل القطة حين ترجع؛ تفتح تلك الحقيبة ثم تحاول إغلاقها مرة أخرى، كأنها تمنى لو لم تفتح لي قلبها. إنها مذبذبة بين مد وجزر، جنيتي النهرية هذه.

تستلقي آدي واضعة رأسها على صدري، وساقها متشابكتان مع الأغصان الزرقاء الداكنة، وشعرها منسدل على ذراعي. أتأملها، فيؤلمني جمالها، أحبها، أحب كل شامة صغيرة على خدها، ولا بد لي من إخبارها، لا بد لي، الكلمة تحرق لساني.

أشعر قائلاً: "آدي، إنني...".

تقاطعي: "يا للهول!".

وتتحرك بسرعة كبيرة لدرجة أنها تنهض وتلصق ظهرها بجدار غرفة النوم قبل أن أعي ما قالت.

"آدي؟ ماذا هناك؟ ما الخطب؟".

"هناك! في الخارج! رأيت وجهًا!".

"في الخارج؟ إننا على ارتفاع طابقين!".

يدق قلبي سريعًا. لست بارعًا في هذا النوع من الأمور. لست من نوع الرجال الذين ينسلون من أسرتهم في الليل ليتحققوا من سبب الجلبة في الطابق السفلي، لكنني ممن يقولون: ليس هناك شيء على الأرجح، ويبقون تحت الأغطية، يرتجفون في صمت.

تقول آدي: "أنا واثقة بأنني رأيت وجهًا". وجهها شاحب جدًا. وتردف: "ظل خلف الزجاج مباشرة لحظة، ثم اختفى".

أنهض من السرير، وألتقط سروالي وأناول آدي ثوبها. فترتديه بيدين مرتعشتين.

وتقول: "أقسم بأنني رأيتته".

أجيبها: "أصدقك". لا أريد تصديقها تحديدًا، لكن عندما أرى وجهها المرتعب، يتبخر لدي كل أمل في أنها تمزح. وأضيف: "ربما كان تيري يتجول في الأرجاء".

ترد آدي وهي تفرك ذراعيها: "لم يكن تيري. أين المفتاح؟".

"ماذا؟".

تقول نافذة الصبر: "مفتاح الأبواب. الأبواب المفضية إلى الشرفة".

أقول: "أوه، يا إلهي، لا تقولي إنك ستخرجين إلى هناك. لن أدعك. ماذا لو كان هناك سفاح في الخارج؟".

تحقق إليّ ذاهلة وتقول: "وما خطتك إذن؟ ستنتظره حتى يأتي إلى هنا؟".

"أجل! كلا، أعني أن هنا أكثر أمانًا! فهنا جدران وأبواب موصدة تحول بيننا وبين السفاحين!".

يصدر عن آدي عندئذ ما يشبه الضحك. فكها مطبق الآن، وترفع رأسها وتقول: "لن أبقى محاصرة هنا أنتظر. هذا أسوأ كثيرًا. ديLAN، هيا يا حبيبي، أعطني المفتاح".

لم تنادني بكلمة حبيبي من قبل قط، ولا أعرف ما إذا كانت الكلمة أعجبتني - أحسست بأنها كلمة قد تقولها لصديق، أو بالأحرى لطفل مذعور. أنتصب في وقفتي وأمد ظهري وكتفي.

أقول: "سأخرج. لأرى من في الخارج".

ترفع آدي حاجبيها قليلًا وتقول: "حقًا؟ هل أنت واثق بذلك؟".

يدهشني أن أكتشف أنني واثق حقًا. ويخطر لي إدراك متواضع: هذا إذن هو الحب. هذا يشرح الكثير عن العديد من التصرفات غير العقلانية عبر التاريخ - فكل رجل ذهب إلى حرب لا بد أنه كان مغرمًا حقًا بفتاة.

أتناول المفتاح عن المنضدة بجوار السرير وأمضي إلى أبواب الشرفة، وأحاول جاهدًا ألا أنسى أن أتنفس.

وحالما أحاول فتح القفل، أسمع ضربة قوية على الزجاج، وأرى يدين تنبسطان على الزجاج، ووجهًا شديد الشحوب، وعينين واسعتين ليس فيهما غير البياض، وأسنانًا مكشوفة.

أفزع بشدة لدرجة أنني أتعثر في السجادة، وأراجع متعثراً إلى الخلف، وأرتطم بالأرض بقوة لدرجة أنني أشعر بألم بسيط أسفل ظهري. تصرخ آدي صرخة نعر حقيقية خارجة من

أعماقها، وأحسب في لحظة مرعبة أنني قد أبول في سروالي. الضربة، والعينان والأسنان. نظرت بعيدًا حين تعثرت؛ وفي لحظة ممتدة لا نهاية لها أعجز عن معاودة النظر مرة أخرى.

وحين أعاود النظر، أجد الوجه لا يزال هناك، مبتسمًا، يهز مقابض الأبواب. أستغرق لحظة أخرى - لحظة رهيبة وباردة كالثلج - لأنظر في عيني الشخص، وأدرك تحديدًا هوية هذا الواقف في شرفتي.

أقول: "أوه، يا للهول... لا تفزعي يا آدي، إنه ماركوس".

أنهض حذرًا. لا يزال ماركوس يقهقه ويضرب بيديه على أبواب الشرفة، وأهز رأسي ناهيًا إياه وأنا أحاول فتحها.

وأقول له: "كُف عن العبث بالمقابض. إنك تزيد الأمر سوءًا".

تسألني آدي: "أتعرف ذلك الرجل؟".

ألتفت إليها. كانت قابضة على طوق فستانها، وقد شحب وجهها، واتسعت عيناها حتى صارتا مستديرتين؛ إنها تذكّرني بشيء وحشي، مثل حيوان الأبخص أو البومة. شعرها مشعث ومتشابك من الاستلقاء في السرير، وفي لحظة غريبة أو لحظتين، يتحول الأدرينالين إلى شيء أشبه بالاشتھاء، وأحس بأنني أريدها مرة أخرى، وأنسى ماركوس الواقف في الشرفة.

يقول ماركوس ضاغظًا بوجهه على الزجاج وناظرًا إلى آدي: "مرحبًا! ترى أين عثر عليك؟ إنك أشبه بدمية صغيرة، أليس كذلك؟".

تقول آدي وهي تقترب لتقف بجواري: "ماذا تقول؟ من هذا الرجل يا ديLAN؟".

ولما تمكنت أخيرًا من فتح الأبواب واندفع ماركوس إلى الغرفة، شعرت بالفخر، على نحو سخيف، بآدي. كان ماركوس قد قال حين سافرت إلى أفينيون: 'حاول ألا تمل من دوني'،

وها أنا الآن مع آدي بعينيها الزرقاوين الشرستين وشعرها الناعم الفاحم، وقد وجدتها دون عون من أحد.

يمد إليها ماركوس يده ويبتسم ابتسامته الأكثر سحرًا واستئسادًا. تفوح منه رائحة الشراب، رائحة لاذعة كرائحة فاكهة عفنة. ويقول لها: "هل سامحتني؟".

فترفع آدي حاجبها قائلة: "أسامحك على أي أساس؟".

يقول: "ماذا؟".

فترد وهي تلتقط ملابسها الداخلية من عند قدم السرير وتكورها وتحشرها في جيب فستانها: "المسامحة عادة ما تكتسب. وما حدث هناك في الشرفة... لم يكن أمرًا مضحكًا"، وتمضي نحو الباب.

أقول مندفعًا إلى جانبها: "مهلاً، مهلاً، لا تذهبي. حسبت أنك ستنامين هنا". لقد انسرب اليوم، وانفلت من بين أصابعي، وما زلت لم أقل الكلمات التي تحوم بثقل حول رأسي. أريد أن أنطقها الآن: 'لا تذهبي، أنا أحبك'. لكن...

تقول: "أحتاج إلى بعض الوقت لأهدأ".

أنا الآن قريب منها، ويمكنني رؤية ارتعاشات بسيطة تسري في أطرافها من أعلى وأسفل؛ والحمرة في خديها شديدة جدًا.

أسألها: "هل أنت بخير؟".

تبتسم لي ابتسامة خاطفة، وتقول: "أنا بخير"، وتنظر إلى ماركوس قائلة بشيء من السخرية، إن لم يخطئ ظني: "سعدت برؤيتك"، ثم تخرج من الباب.

"أريدها".

هذا أول ما يقوله ماركوس لي.

أرد وأنا لا أزال أنظر نحو الباب، تائهاً شيئاً ما: "أنت...". لقد رحلت آدي بسرعة كبيرة، و...

يكرر ماركوس: "تلك الفتاة. أريدها. تبدو مثيرة للاهتمام".

وتتحرر فجأة تلك الغريزة الوقائية التي كنت أفنقر إليها تماماً حين سمعنا الجلبة في الشرفة، وتنطلق بكل قوتها. وأود لو أقول له: 'لا يمكنك الحصول عليها'. وتجتاحني دفعة لا بد أن تكون عدوانية، أو ربما من الأدرينالين - إنه شيء عميق وغريزي، يشبه من بعيد الزخم الذي يجعل قلبي يتسارع حين تلمس آدي شفتيّ بشفتيها.

يحدق ماركوس إليّ كأنه يقيّمني. ويرد خصلة من شعره المجعد خلف أذنه ويتجههم.

ويقول: "أوه، إنك معجب بها. ظننتك تلهو معها فقط".

أجفل، فيضحك ماركوس.

يقول: "أوه، إنك معجب بها حقاً. إنك حتى لا تحتمل حديثي عن لهوك معها".

"فلت..."، أود لو أقول له: 'فلتكف عن قول ذلك، كُفّ عن قول ذلك، كف عن قول ذلك'.

يقول ماركوس: "إن هذه الفتاة هي السبب في أنك لم تخبرني بأن عائلتك لم تأت؟ كان يمكننا أن نقضي أسبوعين هنا بالفعل!"، ويدور وهو ينطق عبارته الأخيرة وقد مد ذراعيه. وكان يرتدي قميصاً أبيض واسعاً وسروالاً قصيراً يبدو لي قصيراً على نحو سخيف، لكنه يناسبه على نحو ما؛ وكان شعره طويلاً بما يكفي ليجمعه على شكل ذيل حصان عند مؤخر رأسه، وذلك أيضاً يبدو مناسباً له.

أجيبه: "أنا هنا مع عمي تيري. فلم أحسب أنك قد ترغب في المجيء".

يرفع ماركوس حاجبيه، وكان من الواضح أنه غير مقتنع بالكذبة. ويقول وهو يميل إلى الأمام ليلكمني في ذراعي: "كنت تعرف أنني سأخطفها منك، ذلك هو السبب".

تؤلمني لكمته. وأستدير جانبًا محاولًا الضحك لئلا يعرف أن لكمته جعلت عينيّ تغرورقان. يؤلمني جسدي كله؛ من شدة رغبتني في اللحاق بآدي - ينبغي أن أكون معها في الأسفل، وليس هنا مع ماركوس.

يمد يده في جيبه، ويخرج كيسًا بلاستيكيًا داخله لفافة من الأعشاب المخدرة. ويلوح بها أمام وجهي.

ويسألني: "هنا أم في الخارج؟".

لم أدخن منذ وصولي إلى هنا. وكان نوعًا من التغيير الرائع أن يكون ذهني صافيًا، وأفكر في الرفض، لكنني على الرغم من وجود الفكرة في رأسي، أعرف أنني لن أرفض.

أقول له: "في الخارج"، بينما أفكر في اضطرار آدي إلى إزالة الرائحة من الستائر والملاءات. وأردف: "تعال. فسندهب إلى المسبح".

وبينما نحن نتحدث في الشرفة عن الأسبوع الذي قضاه ماركوس وحده، أفكر في آدي وديب. فبناء على ما أخبرتني به آدي، فإنها هي وأختها تشبهانني أنا وماركوس: إننا متلازمان دائمًا ولا نفترق أبدًا. وأتساءل عما إن كانت آدي تستاء من ذلك أحيانًا، من كونها أخت ديب الصغيرة، وشريكها في الجريمة دائمًا.

يقول ماركوس فجأة وهو يركل الماء بإحدى قدميه: "أأنت متأكد من أنه لا يمكنني الحصول على تلك الفتاة ذات العينين الزرقاوين؟".

أستغرق برهة لأدرك أنه يتحدث عن آدي. وأجيبه: "يا لك من رجل بدائي حقيقي".

فيقول: "ماذا! أنا أسألك. إنني أتصرف بشكل مهذب"، ومد ذراعيه في الهواء كأنما يقول ' انظر إليّ، ألسنت متحضراً؟' .

أرد بصوت تدهشني نبرة الهدوء فيه: "لا يمكنك الحصول عليها". وليس من عادتي أن أرفض لماركوس طلباً - ليس من عادة أي شخص آخر في العموم.

"أوه، إنها ملك لك، أليس كذلك؟ يا للهول، إننا نصبح متشبهين بما نملك! من منا رجل الكهف الآن؟".

"إنها...".

إن آدي أفضل من أن نتحدث عنها بهذا النوع من الحديث. إنها جامحة وذكية، حادة وعبقرية، وتفلت دائماً من يديّ. ليست ملكي. وإنما أنا ملكها.

وأكتفي بالقول: "إنها مختلفة. إن آدي مختلفة".

# آدي

أستغرق وقتًا طويلًا لأهدأ. يا له من وغد. من ذا يفعل ما فعل؟ من ذا يصل إلى منزل شخص آخر ويتسلق متسللاً إلى الشرفة، ويحاول اقتحام المنزل، بدلاً من مجرد طرُق الباب اللعين.

ألقي الملابس المتسخة في الغسالة. أهذه هي حياة ديLAN بعيدًا عن هنا؟ أناس من شاكلة عمه، وذلك المنحط الذي نعتني بالدمية الصغيرة؟ نحن في منتصف الليل - وهذه ليست الساعة التي أغسل فيها الملابس، لكنني عاجزة عن النوم وأريد أن أفعل أي شيء.

أتمنى لو كانت ديب هنا لتجعلني أضحك من كل ذلك. لم يكن الأمر ليبدو لها أمرًا ذا بال - من الواضح أن ماركوس وغد نوعًا ما، وهذا كل ما في الأمر. أما بالنسبة إليّ، فيبدو كأن... كأن الفقاعة انفجرت. أولى بي أن أعرف أن الأمور مع ديLAN كانت رائعة لدرجة يصعب تصديقها.

ألتزم في الصباح التالي بما اعتدت فعله، وأمضي إلى القرية لإحضار كل المخبوزات. وحين أعود أجد تيري وماركوس مستلقين عن يمين ديLAN وشماله في الشرفة. كانوا هادئين، ويضعون نظارات الشمس. الصخر ساخن تمامًا تحت قدمي الحافيتين.

يقول ماركوس رافعًا نظارته الشمسية حين أقرب: "أوه، أهى من أجلي".

ينهض ديLAN بسرعة ويقابلني في منتصف الطريق.

يقول هامسًا: "مرحبًا". ونبدو لحظة، حين تتلامس أصابعنا، كأنما نحن وحدنا في الحر.

ويصيح ماركوس: "ما هذا يا ديLAN؟ هل نسيت كيف تشارك غيرك الأشياء؟".

أترك الحقيبة قائلة: "يوجد الكثير من المخبوزات فيها"، وأخطو متراجعة: "لقد اشتريت ما يكفي".

أبقى بعيدة لما تبقى من النهار. يثير ماركوس أعصابي إلى أقصى الحدود. إن له بنية أشبه بعارضي أزياء شركة توب شوب، فهو نحيل وشاحب البشرة، ويبدو واثقًا بهذا الشعر المجعد نصف المصفف. لذا يبدو وسيماً، كأنه أحد أفراد فرقة موسيقية. لكن لديه شيئاً من البرودة المستقرة في عينيه على نحو ما.

يطرق ديLAN بابي في منتصف الليل. أبتسم ووجهي إلى السقف. أويت إلى سريري، لكنني كنت أتمنى أن يأتي. ويعجبني أنه تركني على راحتني، اليوم، لكن يعجبني أكثر أنه جاء إليّ حالما خلد الآخرون إلى الفراش.

أفتح الباب وأنا مرتدية ثياب نومي - قميصاً قصيراً، وسروالاً قطنياً قصيراً. ليس ديLAN. وإنما ماركوس.

يقول وعلى وجهه شبه ابتسامة وقد أمال رأسه: "مساء الخير. أعتقد أننا بدأنا بداية خطأ. ألا تريدان المجيء وتناول شراب في الشرفة؟ وأن نتصالح؟ من أجل ديLAN؟".

يتحدث بكل هدوء وطبيعية، لكنه ينظر في عينيّ بثبات أكثر قليلاً مما يلزم. ويجعلني ذلك غير مرتاحة إطلاقاً. كأن هناك محادثة أخرى تجري في رأسه، لكنني عاجزة عن فهمها.

أسأله: "أين ديLAN؟".

يجيبني ماركوس: "أوه، لا تلوميه لعدم وجوده هنا. فقد أصررت على رؤيتك وحدي. أردت أن أعتذر".

حسنًا، إنه لم يعتذر، أليس كذلك؟ إنه لم يقل 'أسف' في الحقيقة.

ويقول مستندًا إلى إطار الباب: "هيا"، يرتفع قميصه إلى أعلى، ويكشف عن مثلث أبيض من بطنه محدد العضلات، ويواصل: "لنثمل ونر ما إذا كنت سأروك بحلول الصباح. عادة ما ينجح ذلك".

ديلان جالس ينتظرنا في الشرفة، وقدماه متدليتان في المسبح. يبتسم حين يراني، ويرد شعره عن عينيه، ويربت على الحجر بجانبه مشيرًا إليّ بالجلوس. كنت قد جلست بجوار ديلان تقريبًا حين قفز ماركوس في الماء بقوة. أجفلت متراجعة، وقد تولتني الدهشة وبللني رشاش الماء - يا للمصيبة.

يضحك ديلان ويقول بلهجة ودود: "يا للهول يا ماركوس، إنك لطفل كبير".

يطفو ماركوس على الماء، وقد انسدت خصل شعره المجعدة على رأسه، ويقول: "فلنشرب جميعًا"، وينقض على زجاجة حمراء بجوار ديلان.

وبينما يسبح ماركوس مبتعدًا ومعه الشراب، ينظر ديلان إليّ. يبدو عليه القلق. هذا شيء جيد - ينبغي له ذلك.

ويهمس وهو يناولني كأسه: "هل أنت بخير؟".

أجيبه بعد أن أرشف رشفة مستطيلة من الشراب: "إممم، ظننت أنك من كان يطرق الباب، هذا كل ما في الأمر".

يعض ديلان شفته ثم يقول: "أوه، لا، أكان ذلك غير لائق؟ أكان ينبغي أن أجيء إليك أولاً؟ لم أعرف ما إذا كان يجب أن... لقد كان ماركوس واثقًا بأنك تريد مني أن يعتذر، وبدا لي...".

يقاطعنا ماركوس سائلًا: "أيمكنكما الصعود إلى السطح؟". إنه الآن مستلقٍ على ظهره، والزجاجة المفتوحة تهتز في يده. وألاحظ أنه يبقيها بعناية في وضع مستقيم.

نلتفت أنا وديلان ناظرين إلى الفيلا.

أجيبه بعد لحظة: "هناك سقيفة. يمكنك الوصول إليها من غرفة النوم المجاورة لغرفة ديلان. لكنني لا أعتقد أن هناك طريقة للوصول إلى السطح".

يسبح ماركوس إلى حافة المسبح ويرفع نفسه خارجاً منه. يتقاطر الماء منه، ويلتصق قميصه بجسمه. لا يكلف نفسه عناء تنشيف نفسه، وإنما يمضي مباشرة إلى المنزل، تاركاً نهراً صغيراً يتدفق من خلفه.

أقول: "دعني أأخمن. إننا سنصعد إلى السطح".

يجيبني ديلان ماداً ذراعيه في الهواء: "حينما يعقد ماركوس عزمه على شيء... فعادة ما يناله".

يوجد باب سري يوصل بين السقيفة والسطح. لا أعرف كيف لم أراه من قبل. أعتقد أن السبب هو أنني لم أفكر قط في الصعود إلى السطح المائل لفيلا من ثلاثة طوابق.

ولما استكشفنا الطابق العلوي كله، وعرفنا موضع الباب السري، ووجدنا سلماً، وفتحنا الباب السري، كنا جميعاً سكارى. رأسي يدور وأنا أتسلق الدرجات، لكنني واعية بما يكفي لأعرف أن ما أفعله خطير جداً. صعد ماركوس هناك بالفعل. ويمكنني سماع وقع خطواته على القرميد. أخفض بصري إلى ديلان؛ يبدو مختلفاً من هذه الزاوية، كأنه أصغر سنّاً إلى حد ما.

ينادي ماركوس من فوق السطح: "هل ستأتي يا ديلان؟".

أصعد درجة أخرى، ويظهر رأسي وكتفائي فوق الباب السري. من الصعب فهم تعبير وجه ماركوس في الظلام وهو ينظر فيراني بدلاً من صديقه المقرب.

أقول في النهاية: "ألا تنوي مساعدتي؟".

يمد يده إليّ. السطح قليل الميل هنا، ويضع ماركوس قدمه قبالة الميزاب لئلا تنزلق، لكن لا يزال هذا أمرًا جنونيًا. يمكن أن نموت حقًا.

أتناول يده وأسمح له بمساعدتي. جلده بارد. تفوح منه رائحة المسبح، ورائحة عطر ما بعد الحلاقة مثل ديلان، لكن على نحو أكثر حدة. أتحرك وأنا جالسة، وأستدير بحذر لكي أتمكن من الاستلقاء والنظر إلى سماء الليل.

'يا عجبًا!'. توجد نجوم كثيرة، أكثر مما رأيت في أي وقت. إنها في كل مكان، متناثرة حولنا في كل مكان، حتى أطراف مجال رؤيتي. وأفكر قائلة لنفسي 'السماء كبيرة جدًا'. لقد شربت الكثير بسرعة كبيرة - لم تكن فكرة كهذه لتراودني لو كنت في حالتي الطبيعية.

يقول ماركوس: "مهيبة، أليس كذلك؟ حسب قول إدموند بيرك".

لا فكرة لديّ عما قد يعنيه ذلك. لو كان ديلان هو من قال ذلك لسألته، لكن يستحيل أن أسأل ماركوس.

يسعل ديلان تحتنا، ثم يقول هامسًا: "يا للمصيبة، لقد استيقظ تيري! سأذهب لأصرفه، امكثا كما أنتما".

يطلق ماركوس ضحكة بسيطة. المكان معتم هنا، لا يوجد سوى الضوء المنبعث من مصباح السقيفة عبر الباب السري. تحتك يد ماركوس بظاهر يدي لحظة وهو يتنقل فوق القرميد.

يقول ماركوس: "إنه خائف من الصعود".

"من تقصد؟ ديلان؟".

"إنه لا يحب الأماكن المرتفعة. لكنه عادة ما ينسى ذلك حتى يجد نفسه في مكان مرتفع".

أسمع في صوت ماركوس ما يشبه الضحك. أكاد لا أقدر على النظر إلى كل النجوم فوقنا،  
كأن عقلي لا يستوعب كل هذا العدد من النجوم.

ويقول ماركوس: "لم تكوني خائفة".

"بل كنت".

"لكنك سعدت، على أية حال".

"أجل".

"أنت من النساء اللاتي دائماً ما يفعلن أشياء خطيرة؟".

أبتسم لقوله وأجيبه: "كلا، لست كذلك إطلاقاً. لست بهذا التهور".

فيقول: "أعتقد أنك كذلك". ويتحرك. أعتقد أنه استدار لينظر إليّ، مع أنه من الصعب التأكد  
من ذلك في الظلام. ويواصل: "وأنا ماهر في فهم الناس".

أرد مازحة: "صحيح، أنت كذلك قطعاً".

يقول: "كانت تقاريرك المدرسية تقول دائماً إنك تملكين الكثير من الإمكانيات. وقد ظلت  
ترتدين هذه الأساور حول معصمك منذ كنت في الثالثة عشرة، وربما قبل ذلك - تشعرين  
بأنك عارية دونها. وتحبين الرقص، وتحبين أن تبرزي، وتكرهين أن تُنسي. وحين تقفين  
على حافة مرتفعة مع شخص آخر... تفكرين لحظة في دفعه إلى أسفل".

تنزلق قدمي قليلاً فأشهب. ويضحك ماركوس.

يسألني: "هل أنا مصيب؟".

أجيبه وأنا أعاود الاستقرار ويهدأ نبضي: "بل مبتذل. لدرجة أنك تحاول أن تشرح نفسي لي".

"آه، لكنني مصيب مع ذلك".

أهز رأسي نافية، لكنني أكتشف مع مرور المساء في هذا الكلام أنه من الصعب الغضب من ماركوس. إنه يوحى للمرء بأنه لا يأخذ أي شيء على محمل الجد. وأي محاولة لتوبيخه ستكون بمنزلة محاولة تأديب قطة.

أعترف قائلة: "أنا أحب الرقص. أصبت في هذه".

يقول: "كنت سأرقص معك الآن لو كان السطح أقل ميلاً".

أتجهم. إنه يغالمني. لا أعرف حقًا ما يمكن أن أفعله حيال ذلك، ويمتد بيننا الصمت، على نحو غريب، إلى أن يضحك في الظلام.

يقول: "إنك معجبة حقًا بديلان، أليس كذلك؟".

"أجل، أنا معجبة به حقًا".

"هل أخبرك عن جريس؟".

"أتقصد المرأة التي كان يبحث عنها حين وصل إلى هنا؟ أجل، أخبرني". لم نتحدث عنها كثيرًا. ما يكفي فقط لأشعر بثقة تامة بأنه ليس مشغولاً بها لدرجة كبيرة.

يقول ماركوس: "إنن أخبرك بأنها كانت معي حين بدأ علاقتك بها؟".

"إنني... ماذا؟"

"أوه، إنه لم يخني، أو يفعل أي شيء مبتذل من هذا القبيل. يمكنني الشعور بأن رأيك في الأمر ينبعث منك كأنه موجة. وكنت أعرف، وهو كان يعرف، هذه هي الطريقة التي نتبادل بها الأشياء".

أسمع وقع قدمي ديLAN وهو يعود إلى السقيفة تحتنا. ينادينا قائلاً: "أهو مرتفع كثيرًا؟ أعني، أعرف أنه مرتفع، لكن... هل هو مرتفع كثيرًا؟ أو هل يوحي بأنه مرتفع كثيرًا؟".

يضحك ماركوس ويقول: "إنه يخدع نفسه إن كان يظن حقًا أنه سيصعد"، وحين تحتك يده بيدي هذه المرة لا يمكنني اعتبار الأمر مجرد مصادفة غير مقصودة.

أقول بحدة: "سيصعد"، وأبتعد ثم أردف منادية ديLAN: "لا يمكنك أن تعرف أنك في مكان مرتفع! المكان مظلم تمامًا هنا! لا يوجد غير الكثير من النجوم. فهيا. المشهد رائع هنا، وسيعجبك. اصعد السلم، وأخرج رأسك لتري بنفسك".

يظهر ديLAN في النهاية، والضوء على جسده من أسفل. وجهه متخشب بطريقة لم أرها من قبل. ولا يسعني إلا أن أبتسم. يبدو فائقًا تمامًا، وعيناه الخضراوان الناعستان شبه مغمضتين، وشعره هائش تمامًا.

أقول له: "انظر إلى أعلى، انظر فقط إلى أعلى".

يميل رأسه إلى الخلف. أسمع صوت أنفاسه. وماركوس صامت بجانبني.

يقول ديLAN: "يا إلهي. هذا أشبه بـ..." ويسكت.

يقول ماركوس متهكمًا: "لا يوجد الكثير مما يجعل ديLAN عاجزًا عن إيجاد تشبيه".

يعود ديLAN ينظر نحونا. فلم تعد عيناه شبه مغمضتين، لكنني لا أعرف إن كان ينظر إلي أم إلى ماركوس.

يقول ماركوس حين يطول الانتظار: "ها؟ هل ستأتي يا صديقي أم لا؟ هل ستصعد أم  
ستهبط؟".

يخطو ديLAN بتردد صاعدًا السلم، ويتوقف مرة أخرى. ويقول بصوت مخنوق: "يا إلهي".

أتحرك مقتربة وأقول: "لست مضطرًا. يمكنك رؤية المشهد جيدًا من هنا".

يتخذ فمه مظهرًا ثابتًا، كما لو كان مطبقًا أسنانه، ويصعد خطوة أخرى على السلم، ثم  
يزحف إلى السطح. وصدرة آخذ في العلو والهبوط حين يصل إلى جوارى، لكنه يستلقي  
بجانبى دون أن ينبس. أمد يدي إلى يده وأضغط عليها بقوة.

يقول ماركوس وقد بدا منبهراً إلى حد ما: "ألسنّ مليئًا بالمفاجآت يا ديLAN أبوت؟".

الحاضر

# ديلان

ديب هي من تقود السيارة، ودوللي بارتون تغني، وماركوس جائع؛ أنا على شبه يقين بأن اجتماع هذه الأشياء الثلاثة ستكون عاقبته سيئة، لذلك فأنا على شفير الهاوية تمامًا.

تقول ديب لماركوس بصوت يطغى على صوت الأغنية: "عليك أن تنتظر فقط".

لا تزال آدي جالسة بجواري، ولا تزال تشتت انتباهي لدرجة أنني أضطر إلى إغماض عينيّ كلما تحركت. ومن حسن الحظ أن رودني، الذي كان محشورًا في الجانب الآخر، يدندن من وقت إلى آخر مع أغنية 'هانتذا قد عدت'، بكلمات غير صحيحة لدرجة تهيج الأعصاب.

يصيح ماركوس بشكل مفاجئ لدرجة تجعلنا نفرع جميعًا: "هناك!".

تقول ديب: "سحقًا لك! كُف عن الصياح في وجهي!".

يقول ماركوس بالحاح: "فلتتوقفي إذن! أنا أحتاج إلى طعام".

أميل إلى الأمام وأقول: "اعلمي أنه من السهل التعامل معه كثيرًا حين يشبع".

تقول ديب شيئًا بين الزمجرة والسباب، وتتوقف في المكان المناسب، بعد أن تضغط على المكابح بقوة لدرجة أننا نرتمي جميعًا إلى الأمام. وتفرك آدي رقبتها من الخلف متألمة.

أسألها بينما تتوقف ديب بجوار عربة الشطائر: "هل أنت بخير؟".

أرغب لحظة في أن تقول آدي إنها ليست بخير، لكي أتمكن من فعل شيء؛ أن أتأكد من كتفها، أو رقبتها، أي شيء لألمسها فقط. إنه لمن الغريب والمضني أن يكون جسدي ملتصقًا بالفتاة التي أعرف جسدها مثلما أعرف جسدي تقريبًا، وأن تحتك فخذي بفخذها دون أن أستطيع وضع يدي على ذراعها.

تقول: "أنا بخير، أجل، مجرد ألم من الإصابة السابقة". وتشيح بوجهها عني، ناظرة نحو الأشجار التي تتخللها أشعة الشمس بينما تتحسس عضلات رقبتها بأصابعها؛ تختلج يداي من الرغبة في تغطية أصابعها بأصابعي.

يقول ماركوس وهو ينزل من مقعد الراكب في الأمام، ويقفل الباب: "شطائر لحم مقعد!".

تفتح آدي الباب وأخرج في إثرها؛ ساقاي متخشبتان تمامًا لدرجة أنني حين أقف يصدر عني ذلك التأوه الذي يصدره الرجال في سن عمي تيري حين يجلسون على الأريكة.

تنشكى ديب قائلة وهي تلحق بنا: "ليس من المفترض أن نتوقف لتناول الغداء قبل أن نصل إلى ستوك - أون - ترينت".

يلتفت ماركوس قائلاً: "أنت من حظيت بعلاقة سريعة مع سائق شاحنة".

هناك بضعة رجال يرتدون قمصانًا مبللة بالعرق يأكلون شطائر اللحم المقعد في سياراتهم، ويحدقون في اتجاه الشمس الحامية، لكن ما من طابور هناك، وماركوس يكاد يركض إلى العربة.

وتتساءل ديب ملتفتة نحوي أنا وآدي: "أكان ماركوس يحاكمني على تصرفاتي من فوره، أعتقدان ذلك؟ هل أحتاج إلى توبيخه؟".

تجيبها آدي: "بالتأكيد".

بينما أقول في اللحظة نفسها: "كلا بالتأكيد".

يلتفت كلاهما نحوي ويرفع كل منهما حاجبيه في انسجام تام.

أقول مآدًا ذراعي: "إن ماركوس لا يحاكم أحدًا على تصرفاته في الحقيقة، بصراحة".  
ترعبني النظرات المتطابقة للأختين جيلبرت إلى حد ما، ويتوقف قلبي قليلاً. أستدرك

قائلًا: "أعني، لا يوجد تقريبًا أي تصرف في الحياة قد يراه ماركوس غير مقبول".

فتقول ديب: "لا يهمني أدنى اهتمام ما إذا كان ماركوس معجبًا بتصرفاتي في الحياة أم لا. فأنا سعيدة بها، بما في ذلك علاقتي مع سائق الشاحنة. لكن إذا كانت لديه آراء عن قراراتي، فأود أن أخبره بأن يحتفظ بها لنفسه".

هذا أحد الأشياء التي يبدو أنها لم تتغير في ديب. ربما أصبحت أمًا الآن - وهو شيء لم أحسب أنني قد أقوله في يوم عن ديب - لكن لا تزال لديها تلك القدرة الخرافية على عدم الاكتراث حقًا بما يراه الآخرون. ولم أقابل في حياتي شخصًا غيرها لديه تلك المهارة؛ هناك الكثير ممن يتظاهرون بامتلاكها، لكن ما من أحد يجسدها تمامًا مثل ديب.

يقول ماركوس بعد أن طلب ما يحتاج إليه من العربة: "ما زلت أستطيع سماعك. وأؤكد لك أنه ليس لدي أي آراء إطلاقًا فيما يتعلق بقراراتك في الحياة. أنا شخصيًا من هواة العلاقات السريعة مع الغرباء".

يعود نحونا وهو يقضم قطعة كبيرة من شطيرة اللحم المقدد، بينما رودني من خلفه يطلب ما يريد.

يقول رودني: "شطيرة لحم مقدد مع البيض والفطر وصلصة البرجر، من فضلك يا سيدي!".

فيقول ماركوس مشيرًا نحو رودني: "أما خياراته في الحياة فهي التي لدي آراء فيما يتعلق بها".

أقول لآدي، بينما يبدأ ماركوس وديب التشاحن مرة أخرى: "ماذا تطالبين؟".

ترد بسرعة: "أوه، سأطلب بنفسني"، وتمد يدها إلى جيب سروالها الدانجري.

هذه من الأمور التي كانت ستجعلني أتجمد من قبل: أي محادثة حول المال مع آدي كانت تبدو كأنها فخ، لأنني لم أتعامل معها قط على نحو صحيح. وكنت أصمم على الدفع، وهذا

خطأ في رأيها؛ وكنت أثير ضجة كبيرة حول تركها تدفع، وهو خطأ آخر؛ أو أقول شيئاً غيبياً من قبيل ' أي جدوى لمن يدفع ثمن هذا؟ إنه شيء زهيد '. وحين اعتادت آدي أن تقول إنني غريب فيما يتعلق بالمال، كنت أجد الأمر مغضباً، لكنني أفهمه الآن. فقد صرت، هذه الأيام، على دراية تامة بالرعب الشديد الناتج عن رفض بطاقة الائتمان، والمتعة الحقيقية المتمثلة في العثور على شيء أريده للعشاء في قسم التخفيضات بمتجر البقالة. وكان لدي صديق يصر على الدفع بدلاً مني في الكثير من المرات، والآن، أعرف تحديداً الشعور الناتج عن ذلك.

أجيبها: "تفضلي"، وأتنحى قليلاً لتتمكن آدي من طلب ما تحتاج إليه أولاً. ما أريده هو أن أبدو سهلاً وبسيطاً، وأعتقد أنني اقتربت من ذلك كثيراً، أو على الأقل، أقرب ما يمكن للمرء أن يصل إليه عندما يبذل جهداً كبيراً لئلا يبذل أي جهد على الإطلاق.

تنظر آدي إليّ مرتين قبل أن تطلب ما تريد. مجرد التفاتة صغيرة متكررة برأسها، لكنني أحب ذلك، أحب أن أكون قد أدهشتها. ووددت لو أصبح قائلاً: ' انظري، لقد تغيرت! إنني مختلف، إنني أفضل، لقد كنت مُحقة، كنت غريباً فيما يتعلق بكل هذه الأمور، لكن انظري كم صرت ودوداً مألوفاً! ' .

وبدلاً من ذلك، أقول للمرأة داخل العربة: "شطيرة لحم مقعد وبيض، من فضلك، دون صلصة".

# آدي

أهمس إلى ديب قائلة: "لم يحاول ديLAN من فوره أن يمنعني من دفع ثمن ما طلبت".

إنها مستندة إلى السيارة، ومنهمكة في التهام قطعة من النقانق. وتأكل ديب بسرعة خطيرة. وهي تدعي أن المسألة كلها مسألة تركيز، لكنني واثقة بأنها لا تمضغ طعامها.

وتسألني ديب والطعام في فمها: "ماذا؟ ألم يعترض على الأقل ويتصرف بغرابة ويرمي أي شيء أولاً؟".

أسكتها وأنظر إلى ديLAN. كان واقفاً مع ماركوس ورودني، ويبدو مثيراً لدرجة توجع القلب، ولو كان يأكل شطيرة اللحم المقدد والبيض، وذلك شيء يصعب فعله على نحو جذاب.

أقول: "لقد تصرف على نحو طبيعي تماماً حيال الأمر".

وترد ديب: "مذهل. أعتقدين أنه أصبح الآن... آدي؟ ما الخطب يا آدي؟".

هناك شيء في حلقي.

أسعل لكنه يظل هناك، ومن الصعب أن أتنفس، أشعر به مستقرًا أعلى حلقي. وأياً كان ذلك الشيء فهو يبدو هائل الحجم، كأنه كرة جولف، وأنفاسي تتلاحق متسارعة. وبدأت أشعر بالهلع.

ضربني شخص على ظهري، بين لوشي كتفي. بقوة. تنطلق كتلة صغيرة من فمي، وأستطيع التنفس مرة أخرى. أنحني إلى الأمام، محاولة التقاط أنفاسي. وأشعر بالغثيان وأجد طعاماً حمضياً في حلقي. تؤلمني رقبتني مرة أخرى، ألم شديد حارق مثلما يحدث حين يلوي المرء رقبتنه بطريقة خطأ وبسرعة كبيرة.

"هل أنت بخير الآن؟".

أنتصب ببطء وأستدير ناظرة. إنه ماركوس. وهو ينظر إليّ مباشرة، كما لو كان يحاول رؤيتي بالفعل - كان إلى اليوم ينظر إليّ كأنه يحاول ألا ينظر إليّ.

كان هو من ضربني على ظهري. ولا أعرف كيف وصل إلى هنا بهذه السرعة. ديLAN ورودني قادمان أيضًا لكنهما لا يزالان متأخرين عنه ببضع ثوانٍ.

أجيبه بصوت صافر: "أنا بخير".

ماركوس متجههم. يجول بعينه على وجهي. فجأة أصبح شعوري بنظرته مألوفًا تمامًا، ويعتريني الخجل حين أتذكر كيف كان ينظر إليّ ذات مرة.

يقول ديLAN وهو يظهر من خلف ماركوس ورودني في أثره: "آدي، هل أنت بخير؟".

أبلع ربقي وأمسح عينيّ. ما زلت أشعر بالموضع الذي كانت فيه تلك الكتلة في حلقي.

أجيبه: "أنا بخير، لقد علقت في حلقي قطعة من اللحم المقدد".

تراجع ماركوس الآن، لكنني أعرف أن عينيه تتبعانني. وأنظر إلى ديLAN، وهو ينظر إلى ماركوس، لكنه يعاود النظر إليّ حين يحس بنظرتي، وحين تلتقي أعيننا أرى في عينيه رقة متناهية. رقة توجع قلبي. ينبغي ألا ينظر إليّ هكذا، ليس الآن.

الشمس في سبيلها للغروب. وماركوس يشاهدني، وأنا أشاهد ديLAN، وديLAN يُبقي عينيه على كلينا.

نسمع صوت شيء يسقط، وتنخفض أنظار الجميع فجأة، متتبعه الصوت. أوقع رودني من فوره بيضة مقلية كاملة من طرف شطيرته. إنها مستقرة على الأرض، مترهلة وشاحبة، بجوار كتلة اللحم المقدد التي بصقتها من فوري.

تقول ديب بعد لحظة: "لقد تصورت أن تكون هذه الرحلة البرية أكثر روعة مما هي عليه الآن. فماذا عنك؟".

ويقول ماركوس مشيرًا إلى شطيرة رودني: "انتبه يا رودني، إنك توشك أن تسقط اللحم المقدد أيضًا".

الماضي

# ديلان

أستيقظ في اليوم التالي على صداع رهيب، وشقراء طويلة جالسة فوقى، وإحدى يديها تمسك وجهي بقوة. ولولا الصداع، ولولا أن الفتاة الشقراء مألوفة تمامًا، لظننت أنني في حلم جميل، لكنها شيري، بكل أسف.

أقول مبعداً إياها عني: "هووووه! ماذا تفعلين يا امرأة؟".

تجيبني: "لم يبقَ غير لمسة أخيرة! ها هي!".

في يدها الأخرى قلم - هذه علامة غير مبشرة. أمسح وجهي بظهر يدي، وأجدها لا تزال نظيفة، وذلك أسوأ، فمعناه أن الكتابة لا تزول.

أسألها: "ماذا فعلت بي؟ ولماذا أنت هنا من الأساس؟".

تقول شيري وهي تقفز من فوقى: "الجميع هنا!".

أنهض وأفرك عيني: "ماذا تقصدين بالجميع؟".

تنوَّاب شيري، كمألوف عاداتها، في أرجاء جناحي كأنها جرو يستكشف مكاناً جديداً، وهو أمر سخيف على نحو خاص بما أن هذه الفيلا ليست ملگًا لوالديها فحسب، وإنما سميت باسمها كذلك.

تقول شيري بينما يهتز ذيل الحصان الأشقر في رأسها وهي تختفي في الحمام: "لقد راسلني ماركوس، البارحة، قائلاً إنك متحصن هنا وحدك مع صديقتي آدي! لم لم تخبرني! إنني من المؤيدين لأن تكونا ثنائياً، وأتوقع أموراً هائلة، هائلة - يا عجباً، هذه ملابس كثيرة يا ديLAN! ما كل هذا الطموح!".

أدفع الأغطية عني وأخرج من السرير، وأتبع شيري إلى الحمام، وأقودها بعيدًا عن الموضع الذي تفتش فيه في أغراضي الشخصية.

أقول لها: "ألا تتذكرين حين تحدثنا عن مراعاة الخصوصية؟".

ينفتح باب غرفة نومي فجأة قبل أن تتمكن من الرد عليّ. ويندفعون جميعًا داخلين: أخي لوك، وصديقه المقرب خافيير، حاملاً ماركوس خلف ظهره، ومارتا وكوني؛ وهما فتاتان من بيت طلبة السنة الثالثة في الجامعة. وجريس كذلك.

لم أكن أرتمي سوى سروالي الداخلي، لكن ذلك لا يمنعهم من الاندفاع نحوي؛ أتمكن من التراجع إلى الخلف، لذلك حين نسقط، نسقط على الأريكة وقد تشابكت أطرافنا. وتطبع كوني قبلة على إحدى عينيّ - أعتقد أنها كانت تقصد تقبيل جبيني؛ ويعبث لوك بشعري، مثلما اعتاد أبي أن يفعل حين يكون رائق المزاج؛ ويبتسم ماركوس ناظرًا إليّ، ووجهه لا يبعد أكثر من عقلة أصبع عن وجهي. وقد أخضعت شيري لمعالجتها الفنية أيضًا: كانت إحدى عينيه مغطاة برقعة عليها رسمة، مثل القراصنة، ويضع لحية صغيرة متقنة تمامًا.

يقول ماركوس: "صباح الخير. لقد رأيت أن الأمور أصبحت مملة. ألا توافقني؟".

وتنادي شيري: "سنذهب إلى التنزه يا ديLAN"، وتخرج من باب غرفة النوم وهي تقول: "سأحضر آدي!".

أصيح بها: "انتظري!", لكنها ذهبت، وانتهى الأمر، وهناك الكثير من الجثث المفعمة بالحيوية مكدسة فوقي، فلا يمكنني اللحاق بها، فأقول: "سحقًا! ماركوس...".

يقول أخي وهو ينهض عني، ويستقر على أرضية الغرفة وذراعه مستندتان إلى ركبتيه: "ألم يخطر ببالك أن تخبرني بأنك ذاهب في العطلة العائلية وحدك؟". ويرفع حاجبيه متسائلًا بينما يحط خافيير بجواره، وشعره الذي يبلغ خصره منسدل على ذراع لوك، وهو يريح رأسه على كتف أخي.

ويقول لي خافيير: "إن لوك غاضب".

أقول: "توقفي يا كوني"، وأضربها.

كانت تلتقط شيئًا من شعري؛ وتريني ما في يدها، وكان حشرة كبيرة ميتة. أشمئز من ذلك. لا أتذكر على وجه الدقة ما فعلناه، ليلة البارحة.

أشعر قائلاً: "أنا آسف يا لوك، كل ما في الأمر أنني..."، أقول: أردت أن أفعل ما أريد بعض الوقت؟ أم أقول: أردت أن أكون وحدي؟ أم أردت أدي؟ لكنني أكمل بتردد: "لم أكن أعرف حقًا".

يظل حاجبا لوك مرفوعين، لكن خافيير يشد ذراعه، فيخفض حاجبيه متنهدًا. إن أخي له مظهر أبي نفسه: فهو عريض وصارم، وشعره أفتح من شعري وأقصر.

يقول لوك: "أتعلم أن أبي غاضب تمامًا منك".

أجيبه: "في ذلك بعض العزاء، إذن"، ونبتسم معًا.

وألثفت إلى جريس قائلاً: "وأنت. أين كنت؟".

ترد رأسها إلى الخلف لتضحك. فشرها مصبوغ بلون أزرق، وترتدي ملابس توشي بأنها آتية من فورها من فترة ستينيات القرن العشرين: الفستان منقوش على نحو يشبه أنماط التنويم المغناطيسي، والصندل أبيض مربوط على ساقها، وإحدى عصائب الرأس التي تجعل من يرتديها يبدو كأنه منتش نوعًا ما. هذه شهادة على مدى جمالها؛ لأنها على الرغم من كل ذلك لا تبدو سخيفة إطلاقًا. وإنما تبدو مميزة، كالعادة؛ تمتلك جريس ذلك الطابع المسرحي، بأطرافها الطويلة النحيلة وتألقتها، كأنها نجمة صاعدة توشك أن تحقق انطلاقتها الكبرى.

تقول مادةً يدها نحوي لتساعدني على الخروج من الكومة البشرية التي أحاول، وأنا تحتها، التخلص من تأثير ما شربته أمس: "آه، يا عزيزي ديلان، لقد أخبرني مارك بأنك سئمت من مطاردتي"، وتبتسم لي ابتسامة ماكرة، وتتابع قائلة: "وكنت بكل بساطة أريد أن أرى تلك المرأة الأخرى بنفسى".

تصيح شيري وهي لا تزال عند فتحة الباب: "ها هي ذي!".

يستديرون جميعًا لينظروا إلى آدي. إنها ترتدي قميص تريض قصيرًا، وسروالًا قصيرًا، استعدادًا للتنزه، كما وعدت شيري، فيما شعرها الفاحم المشدود إلى الخلف يكشف الانحناءات الرقيقة لعظام وجنتيها، وتبدو أنحف من ذي قبل وهي واقفة بجوار شيري. وأراها تنكمش أمام الاهتمام المشترك من لوك، وخافيير، وماركوس، وجريس، وكوني ومارتا.

تنحرك جريس أولًا، وتمد يديها وتتناول يدي آدي، وتبسط ذراعيهما معًا، وتدفع آدي إلى الخلف لكي تتمكن من النظر إليها جيدًا.

وتقول: "أنا جريس، يسعدني لقاءك. ويمكنني أن أرى السبب الذي يجعل فتياي يتهافتون عليك - إنك رائعة تمامًا؛ يمكنني قول ذلك بمجرد النظر إليك. أتمانعين إذا كتبت عنك؟".

أغمض عيني لحظة.

وتقول آدي بصوت واهن: "معذرة؟".

تقول جريس بسرور: "أوه، إنني أؤلف كتابًا. ويتعلق كله بهذه المرحلة من حياتنا، التي نكون فيها جميعًا تائهين في دوامة الحياة، فنجد أنفسنا، ثم نضل، ثم ننتشي... إنها مرحلة خادعة على نحو رهيب، ككل قصص بلوغ سن الرشد، لكن يبدو أنني عاجزة عن مساعدة نفسي"، وترد رأسها إلى الخلف ضاحكة ضحكة طويلة متمهلة، وتواصل: "ينبغي أن يكون هذا هو عنوان الكتاب: يبدو أنني عاجزة عن مساعدة نفسي، تأليف جريس بيرسي".

يقول ماركوس وهو يدخل إصبغه في حلقة حزام فستانها: "جريس، إنك تخيفينها"، ويجذبها إلى الخلف نحو الآخرين.

تقول جريس بجدية لآدي: "أوه، هل أخفتك حقًا؟ أنا آسفة. فكل ما هنالك أنني لا أحب الأحاديث التمهيدية التافهة - من الواضح أننا سنكون صديقتين، ورأيت أنه من الأفضل أن نبدأ حديثًا جادًا على الفور. فهل أخفتك؟ أخبريني، إن كوني تقول إنني أحتاج إلى أن يخبرني الآخرون، وإلا فلن أتوقف أبدًا، أليس كذلك يا عزيزتي كوني؟".

تنمالك آدي نفسها، شبه ضاحكة - من الصعب ألا يضحك المرء حين يرى تصرفات جريس. وتقول: "لم تخيفني إطلاقًا. وإنه من الرائع أن أقابلك، أن أقابلكم جميعًا".

أسمع من ينادي: "ديلان؟".

إنه عمي تيري. يدخل الغرفة مرتديًا سروالًا قصيرًا للسباحة، وبطنه كثير الشعر يتدلى فوق الشريط المطاطي للسروال، ثم يتوقف فجأة. يجيل بصره في الجميع واحدًا بعد آخر، ثم تستقر نظرتة عليّ.

ويقول: "ديلان، يا فتاي. أتعرف أن هناك رسمة بذيئة على جبينك؟".

# آدي

حسنًا. حسنًا. سأتولى الأمر.

أنا أرتجف شيئًا ما. وأنا موقنة بأن ماركوس لاحظ ذلك، بينما كنت أساعد مارتا في صب أولى مجموعة كئوس من الشراب التي أحضرها أحدهم معه.

أقابل شقيق ديLAN، وصديق شقيقه، وزملاءه في بيت الطلبة، وجريس، كلهم دفعة واحدة؟ هذا كثير.

أرسلت رسالة إلى ديب لكي تعود. إنني أريد دعمًا. ومن حسن حظي أن شيري هنا على الأقل. لقد ابتسمت لي ابتسامة مطمئنة عبر المطبخ، وأحسست بعدها بشيء من التحسن.

يقول لوك: "هيا، دعيني أساعدك بأخذ هذه إلى الخارج".

على المرء أن يدقق النظر ليرى التشابه بين ديLAN وأخيه. فلوك أضخم حجمًا، ويبدو كأنه من نوع الرجال الذين يلعبون الرجبي، ويسمونهم 'راجرز'. لكنه حين يبتسم يتحول وجهه كليًا. يسير بجانبني وقد حمل كل منا كأسين إلى مائدة الغداء الموضوعة في الشرفة. كنت أظن أنني أحتاج إلى الذهاب إلى متجر إنترمارشيه مرة أخرى لشراء ما ينقصنا من طعام، لكن اتضح أن جريس مرت به في طريقها إلى هنا. والمائدة الآن محملة بالأجبان والزيتون والخبز الطازج.

ليست جريس كما توقعت إطلاقًا. تبدو صادقة تمامًا، في رأيي، وهو أمر مدهش بالنسبة إلى امرأة تصبغ شعرها باللون الأزرق، وتقول: سعدت بلقائك - بالفرنسية - دون أن تقصد السخرية. هي الآن تتشمس بالقرب من المسبح، وتبدو فاتنة تمامًا بجوار الجسد المترهل للعم تيري. ينبغي أن أشعر بالتهديد، ربما، لكن جريس... لم تُتِح لي الفرصة لذلك.

يقول لوك ناظرًا إليّ بطرف عينه: "هل أنت على ما يرام؟".

أجيبه مضطربة: "أجل! أجل! كل ما في الأمر...".

يقاطعني قائلاً: "كل ما في الأمر أن هذا كثير عليك. وهذا دأب ماركوس دائماً. ولا شك في أنه لم يكلف نفسه عناء إخبارك، أنت وديلان، بأنه دعانا كلنا". ويدير عينيه إلى أعلى على نحو ودي بينما نضع الكؤوس من أيدينا. ويواصل: "إنه يتصرف بغرابة - وهو غاضب، على الأرجح؛ لأن ديلان مشغول بشخص غيره، للمرة الأولى. ولم أرَ ديلان قط ينظر إلى امرأة بالطريقة التي ينظر بها إليك. ولتعلمي أنني أرى أنك ستكونين مناسبة جداً له. إنه يحتاج إلى من يساعده على الاستقرار. مثلما ساعدتُ خافيير".

أبتسم بسبب التعبير البادي على وجهه لدى ذكر صديقه خافيير. وأقول: "يبدو خافيير شخصاً ممتازاً"، بينما أرتب السكاكين والشوك. وبحكم العادة فيما أعتقد. إنه لمن الغريب نوعاً ما أن أكون هنا بصفتي... أيًا كانت صفتي بالنسبة إلى ديلان، وكذلك بصفتي حارسة الفيلا.

يجيبني: "إنه كذلك فعلاً. أريد أن يحدث ذلك لديلان"، ثم يضيف: "ولماركوس، بالطبع".

"لقد قال ديلان إنكما، أنت وهو، كنتما صديقين لماركوس منذ طفولتكما".

"أجل. لقد تبنيينا ماركوس على نحو ما. أو ربما كان هو من تبنانا. فدائماً ما كانت هذه المجموعة غير مهتمة بالقرابة الطبيعية"، مشيراً إلى مجموعة الأشخاص الجذابين المنتشرين حول تيري قرب المسبح، ويواصل قائلاً: "وأنا وديلان وماركوس لا نختلف عن ذلك. يصنع المرء أسرته الخاصة به، أليس كذلك؟".

أفكر في عائلتي. أبي، الملاذ والسند. وأمي، المتقدمة دائماً خطوة. وديب، التي قالت في رسالتها الأخيرة ' أنت بحاجة إليّ؟ اعتبريني وصلت إليك '.

ينادي ماركوس عبر الشرفة نحونا: "كُفّ عن إزعاج الفتاة الجديدة يا لوك! تعالي يا آدي، أريد أن أريك شيئًا".

أتردد لحظة. ماركوس واقف على السلم المؤدي إلى الفناء. وشعره مجموع خلف رأسه على هيئة ذيل حصان الآن، ومن المفترض أن يبدو مظهره مضحكًا، مع رقعة غطاء العين والرسم المرسومة عليها واللحية الصغيرة، لكنه يبدو... لا أدري... ربما شرييرًا تمامًا.

يقول لوك بجواري: "إنه ليس سيئًا تمامًا. ففي داخله شخص جيد في مكان ما. لكنه تاه قليلًا فحسب".

أنظر إليه متشككة، فيضحك.

ويواصل قائلاً: "لكن قولي له لا بكل الطرق. فهو لا يسمعها كثيرًا. وربما يكون ذلك في صالحه".

بعد لحظة من السكوت، أدير عينيّ إلى أعلى قليلًا، وأقول: "أوه، هيا استمر، فسأجاريه".

أترك لوك عند المائدة، وأمضي إلى ماركوس. ينطلق مهرولًا قبل أن ألحق به، ويقودني عبر العشب إلى منطقة قذرة بالقرب من حدود الفيلا. ويتوقف فجأة لدرجة أنني أكاد أصطدم به، وأضطر إلى وضع يدي على كتفه لأوازن نفسي.

يقول: "صه!"، ويشير إليّ لأقف بجانبه: "انظري".

أتبع نظرتي على العشب الظليل. أستغرق لحظة حتى أرى ما يراه: ثعبان. أشهق بقوة حين أرى عينيه المخيفتين. فلم أرَ ثعبانًا واحدًا طوال الصيف، لكن هذا ثعبان ضخم. ملتف حول نفسه، وكله عضلات. وجلده مرقش بقشور سوداء تقريبًا وصفراء شاحبة.

أجتو أمامه. لا أعرف لماذا؛ لكنني شعرت بأنه التصرف الصحيح. ويجثو ماركوس بجواري، ونلبث برهة على هذا النحو. نراقبه وهو يراقبنا.

أقول: "إنه جميل".

فيرد ماركوس: "قوة خالصة".

أسأله هامسة: "أهو قاتل؟ أو سام، أو أيًا كان؟".

"لا فكرة لدي".

ربما ينبغي أن يخيفني جوابه، لكنني لم أخف. فالثعبان لا يتحرك، بل ينتظر فقط.

يقول ماركوس: "اعلمي أنه يحبك".

أظن في لحظة غريبة أنه يتحدث عن الثعبان.

ويواصل ماركوس كلامه بصوت هادئ: "إن ديLAN من السهل أن يُجرح من الأشخاص الذين يحبهم".

أجيبه: "لن أؤذيه".

يرد قائلاً بنبرة لا تزال مرحة، وعيناه لا تزالان على الثعبان: "ستؤذينه، بالطبع. إنك شديدة التعقيد بالنسبة لشخص مثل ديLAN. ومثيرة للاهتمام بفارق كبير عنه"، وعندئذ يدير رأسه ناظرًا إليّ، ويواصل: "هذا الصيف هو الوقت الذي تتشكلين فيه، أليس كذلك؟ وقد بدأت من فورك فحسب. بدأت تعبتين وتجربين قدراتك في الحال، وهو يكاد يكون مهياً لأن يستسلم ويستقر قائلاً 'هذا ما أريده، لقد قر قراري'".

كان في نظرتي شيء غير لائق، أحس بحرارته. ومن ثم أبقى عينيّ على الثعبان، لكنني أحس بأن خديّ يتوردان خجلاً. كان ينبغي أن أبقى مع لوك في الشرفة. فلوك لطيف ومهذب، وقد قال إنني سأكون مناسبة لديLAN.

أقول: "لست أعبت. لا أدري من أوحى إليك بتلك الفكرة".

نظرتة تحرق وجهي. ويقول: "ربما يجدر بك أن تفعلي".

يبدو كأن هذه المحادثة تخرج عن سيطرتي.

أجيبه محاولة إبقاء صوتي هادئاً كصوته: "إنك تتكلم كما لو كنت تعرفني. إنك لا تعرف أي شيء عني".

"لقد قلت لك إنني بارع في الحكم على الشخصيات. ويعجبني الجانب الماكن والعاث فيك، الجانب الممتع. لكن ديلان يحتاج إلى فتاة طيبة".

أتجهم ويخفق قلبي بقوة. إن هذا كلام لا يليق أبداً. ولا أريد أن أكون هنا. وحين نهضت واقفة، تراجع الثعبان، وزحف مبتعداً.

أجيبه بحزم وأنا أنفض ركبتي: "أنا لست جريس. لا حق لك فيّ لمجرد أنني ملك ديلان".

يقف هو الآخر، فأكاد أخطو متراجعة حين أرى وجهه. كانت عيناه قاتميتين تفيضان غضباً. لقد تحول بسرعة تدعو إلى الحيرة، أو ربما كان يبدو هكذا من قبل، لكنني لم ألحظ ذلك في صوته.

ويقول حين أستدير لأبتعد عنه: "ربما تكونين ملكاً لديلان وحده، لكن ديلان ليس ملكاً لك وحدك".

# ديلان

إن هذا القدر من التنزه أشبه بتمشية القطط، لكنني إذا تركتهم جميعًا يسترخون حول المسبح، كما كانوا يريدون، فلن تحصل شيري على التريض اللازم، وستكون فظة في تعاملها مع الجميع، وهذا، على الأرجح، سيكون أسوأ.

ماركوس في مزاج سيئ، وهذا لا يفيد في تحسين الأمور، أما آدي... فلا أدري أين هي بالتحديد. لكنها ليست معي، هذا ما أعرفه. لقد فقد ماركوس اهتمامه بها الآن على الأقل، وهو أمر متوقع - ما من امرأة استحوذت على اهتمامه قط أكثر من يوم أو يومين، ويبدو أن مرحلة الخطر قد انقضت، لحسن الحظ.

تنادي شيري بالحاح متقافزة في مكانها: "هيا يا ديLAN! لقد قلت أن ننتظر إلى أن يبرد الطقس، وقد برد الطقس الآن، فهل يمكن أن ننتقل؟".

أصيح مناديًا: "مارتا! كوني! انتعلا الأحذية!".

تقول مارتا عابسة: "سمعا وطاعة يا أبي"، وتضحك كوني حين أعبس في وجهيهما.

وأسأل: "أين آدي؟ ماركوس، هل ستتعل هذا الحذاء؟".

يرد ماركوس: "بالتأكيد"، ويندفع متجاوزًا إياي في طريقه إلى المطبخ.

"جريس، هل أنت مستعدة؟".

تجيبني وهي مستلقية على كرسي الشمس: "كلا، لست مستعدة إطلاقًا".

أقول لها: "أيمكنك أن تحاولي؟".

عليّ أن أقول إن جريس صارت أقل سحرًا بعد أن أصبحت غير مهتم بها. وتنزل نظارتها الشمسية وترمقني بنظرة تشي بأنها تعرف بالضبط ما أفكر فيه. أشعر بالخجل؛ فتبتسم ببطء.

تخاطبني قائلة: "أليس من الجيد أنني لست من النوع الحساس؟ سأكون جاهزة قبل مارتا، وأنت تعرف ذلك يا حبيبي. فاذهب إذن وتخلص من انزعاجك في مكان آخر، أرجوك، إنك تحجب عني ضوء الشمس - أو اذهب وابحث عن امرأتك الجميلة التي انتزعناها جميعًا بوقاحة من بين ذراعيك. أليس هذا ما يجعلك حائقًا هكذا؟ إننا أفسدنا ترتيباتك الغرامية بوصولنا الجماعي، كما لو كنا جميعًا نمثل مشهدًا مضحكًا من زواج فيجارو\*؟

سحقًا لجريس - دائمًا ما أنسى مدى ذكاءها الذي تخفيه وراء تألقها وتراخيها وتورياتها. تبتسم لي ابتسامة أخرى جميلة وتعيد نظارتها إلى مكانها مرة أخرى، بينما أنصرف من الشرفة نازلًا السلم المفضي إلى الفناء.

هناك سيارة جديدة مركونة دون اعتناء خلف سيارة آدي المستأجرة؛ أخطو متقدمًا قليلًا فأجد آدي، في ظل شجرة دلب، تتكلم مع امرأة أدركت في الحال أنها ديب بلا ريب. شعرها أسود متموج، وبشرتها بنية فاتحة، وهي واقفة على أطراف قدميها، وتحركهما إلى الداخل والخارج أثناء حديثها، وقميصها منزلق عن كتفها. يوحي مظهرها، ولو من موضعي هذا، بالثقة اللامبالية، كما لو كانت تتسم بعدم الاكتراث الذي نتظاهر به حين نلتقط صورًا لأنفسنا لننشرها على إنستجرام.

ألمح التعبير البادي على وجه آدي وأنا أقترب منهما وأتوقف، وأشاهد، لأن هذه... هذه آدي التي أعرفها. ابتسامتها البسيطة غير المتحفظة، والخالية من التوتر، والعفوية. وتلك الالتماع الفكهة في عينيها، كأنما توشك أن تفاجئنا جميعًا.

تقول ديب: "أتقصدين ذلك الرجل ذا الرأس شبه الأصلع؟". إنها تنظر إلى الشرفة. وأدركت أنني مختبئ الآن خلف الجزء المرتفع من سيارة جريس.

تجيبها آدي ضاحكة: "ماذا؟ كلا، أيتها الشريرة، هذا عمه تيري".

"أوه، أجل، إذن هو ذلك الشخص صاحب ذيل الحصان ورقعة غطاء العين؟".

ترد آدي، بحدة أكبر، هذه المرة: "كلا، ذلك ماركوس. صديق ديLAN المقرب".

أتقدم مقتربًا منهما؛ فمكوثي هنا أكثر من ذلك يبدو لي تلصصًا. ويشرق وجه آدي حين تراني، ويتفجر في صدري شيء، كأنه تفاعل متسلسل، كأنني مشدود إلى عجلة تعذيب.

تقول مقبلة عليّ: "ها هو ديLAN. ديLAN، هذه أختي".

تستدير ديب وتتأملني من شعري إلى قدمي دون موارد، لدرجة أنني أكاد أضحك. إنها لا تشبه آدي في شيء، لكن فيها الكثير من آدي، على الرغم من ذلك - الطريقة التي تميل بها رأسها، وتضييق عينيها بشدة وهي تتأملني.

وتقول في النهاية: "مدهش، لقد اخترت الشخص ذا الرسة البذيئة على وجهه؟".

\* مسرحية من تأليف بومارشيه

الحاضر

# آدي

الأجواء شديدة الحرارة، وجميع من في السيارة مزعجون جدًا.

أنا في مقعد القيادة الآن، وديلان بجانبني. ونحن في مكان خارج مدينة ستوك - أون - تربنت. وهذا يبعد نحو ثلاثمائة وعشرين كيلومترًا جنوب المكان الذي ينبغي أن نكون فيه الآن.

يتساءل ماركوس: "أهناك ما يمكن أكله؟ أنا جائع مرة أخرى".

لا أحتاج إلى النظر في مرآتي لأعرف أن رودني عرض عليه من فوره خبز الشوفان.

يقول ماركوس: "ليس هذا. فهناك حدود لما يمكن للمرء تناوله من عصيدة الحبوب. ولا أقصد أي إهانة يا رودني". ويستدير ليفتش في صندوق السيارة.

تقول ديب: "يا للعناء، هلا انتبهتم إلى أياديكم، أيها الفتيان، من فضلكم؟ آدي، أحتاج إلى استراحة في أقرب وقت لأضح مرة أخرى".

يسألها ماركوس: "أتقصدين أنك ستستخدمين ذلك الجهاز الغريب لصدرك الذي كنت تستخدمينه حين تعطلت السيارة؟ أعليك أن تفعلي ذلك مرة أخرى؟". أنظر إليه في المرآة. لقد استطاع أن يجد بعض حلوى الفاكهة في صندوق السيارة، ويحدق إلى صدر ديب وهو يحاول فتح الحلوى دون وجود أي مجال إطلاقًا لحركة مرفقه.

تقول ديب بوجه جامد: "أنا أدر الحليب".

أقول لها مشيرة إلى اللافتة على جانب الطريق: "محطة الخدمة التالية على بُعد خمسة وعشرين كيلومترًا. أهذا يناسبك يا ديب؟".

تجيبني: "كان هذا مناسبًا لو لم يلكنني أحدهم في صدري".

يقول ماركوس: "حقًا فعلتُ؟ يا للخسارة، إنني لم ألاحظ ذلك قط".

فتقول ديب: "ربما يمكنني أن أضخ في السيارة. رودني، أيمكنك الوصول إلى تلك الحقيبة؟".

تمر فترة قصيرة، كأن هناك إعصارًا في الجزء الخلفي من السيارة. ويتمكن رودني في النهاية من استخراج الحقيبة التي توجد فيها مضخة الثدي. وتمد ديب يدها متحسسة تحت قميصها. ويلتوي رودني مستديرًا في مكانه لكي يولي وجهه إلى الناحية الأخرى، ويغمض عينيه ويغطي وجهه بيديه. أغالب ابتسامتي. وفي تلك الأثناء، يفتح ماركوس كيس حلوى الفاكهة فتتبعثر منه في كل مكان. وتضرب إحداها أذني.

ويقول: "يا للعناء! ناولني تلك القطعة الحمراء هناك يا رودني؟ لم يسبق لي أن كنت مع امرأة ترضع رضاعة طبيعية. ماذا يحدث يا ديب في المواقف الحميمية؟".

يندفع ديLAN قائلاً: "ماركوس!".

يرد ماركوس: "لا؟ ألا يمكنني طرح سؤال كهذا؟ يا للهول! إن التصرف على نحو مهذب أمر مرهق".

أسمع هدير مضخة الثدي التي تعمل بالبطارية. كما لو كانت توجد غسالة خلفي في السيارة.

يقول ماركوس بعد برهة: "حسنًا. لنلعب الأسئلة الخمسة مع ديLAN".

يبدو أكثر هدوءًا الآن. إمام. هذا يدعو إلى القلق. وعلى الأقل عندما يكون مزعجًا أعرف أنه لا ينوي أي شر.

ويرد قائلًا: "سأبدأ أنا. لماذا لم تحاول نشر قصائدك حتى الآن؟".

أخفض صوت الموسيقى، وأنظر بطرف عيني إلى ديLAN. أريد سماع جواب هذا السؤال.

يقول ديLAN في النهاية: "لا أعتقد أنها جديرة بالنشر".

مدهش. هذا هو الجواب الوحيد الذي يمكنني تصديقه، وهو الجواب الذي لم ينطق به حين كنا معًا. وكان دائمًا ما يقول إنها مجرد لغو فارغ، أو يقول إنه ما من أحد سيرغب في قراءتها.

يرد ماركوس: "حسنًا، لا بأس"، ويتململ في مقعده ويرد: "ومتى ستكون جديرة بالنشر؟".

يسأله ديLAN: "أهذا سؤال آخر من أسئلتك الخمسة؟".

يرد ماركوس منزعجًا: "أجل، إنه سؤال آخر".

فيقول ديLAN: "ستكون جديرة بالنشر عندما... لا أدري... عندما أستطيع قراءتها دون أن أجفل".

أتجهم وأقول: "ماذا لو كان ما يميزها هو أنها تجعلك تجفل؟".

"ماذا؟".

"لا أعرف الكثير عن هذه الأمور - وأنت تعرف أنني لا أعرف - لكن أفضل قصائدك كان دائمًا تلك التي تسمح لي بقراءتها، في النهاية".

يخيم الصمت مرة أخرى. حتى إن صوت الموسيقى لم يعد أكثر من همس الآن، وأشعر بالعرق يتقاطر من إبطي.

يقول ديبلان: "لم تقولي ذلك قط".

"حقًا؟".

"أجل. لم أعرف مطلقًا أي قصائدي أعجبك".

يدهشني ذلك تمامًا. أجيبه: "دائمًا ما أعجبتني".

يقول ماركوس: "السؤال التالي. لماذا اقترحت أن نذهب معًا بالسيارة إلى الزفاف؟".

أنظر إلى ديبلان وألمح رد فعله. لقد فوجئ.

يجيبه: "أعتقد أنني رأيت... أننا مستعدان لذلك".

يقول ماركوس: "لماذا؟ لقد قاطعتني لما يقارب العام، ثم ماذا حدث، هل فعلت شيئًا جيدًا؟

وماذا كان ذلك الشيء؟ إنني لا أعرف رأسي من قدمي الآن، يا ديبلان".

ديبلان قاطع ماركوس لما يقارب العام؟ رمقته بنظرة أخرى، لكنه أدار وجهه نحو النافذة.

يقول ديبلان: "لقد كان لوك في الواقع... لقد أخبرني بشأن... مسألة الاعتذار".

يخيم صمت آخر طويل، وما من صوت سوى صوت مضخة ديب، وصوت الموسيقى الخافت والعجلات على الطريق. بدأت حركة المرور التباطؤ مرة أخرى. والسيارات تتقارب من حولنا.

ويتابع ديبلان: "أعتقد أنني فكرت في أن أمنحك فرصة للاقتراب، لكي تعتذر لي أيضًا".

أستمر في النظر في المرآة. وينتبه ماركوس إلى أنني أنظر إليه، فأعود أنظر بسرعة إلى الطريق.

ويواصل ديلان: "أفترض أن ذلك كان اقتراح معالجك النفسي. وأنه كان ثمة سبب لتمكنك من الاعتذار لـ لوك، وخافيير، ومارتا، وزوجة أبيك، وأبيك، وأمي عن حماقاتك الكثيرة وتصرفاتك المخزية، لكنك لم تتمكن من الاقتراب مني بعد".

صوته يتعالى باطراد - إنه مجروح، أو غاضب، لكنه لا يزال متمالكا نفسه. أعرف تلك النبوة جيدا.

تلتقي عيناى بعيني ديب في المرأة. فأفتح عيني على اتساعهما، كأنني أطلب منها ألا تسألني عن سبب كل هذا.

ويرد دي لان بمرح: "عندما تكون مستعدا يا ماركوس. كلي آذان صاغية".

# ديلان

يرن هاتف، فيقطع الصمت الطويل الخانق؛ تفتش ديب في كل مكان، وتستنزل اللعنات، وهي تحاول إيجاد هاتفها دون ترك مضخة الشدي.

يقول ماركوس بصوت خافت، لكنه عالٍ بما يكفي لأسمعه: "أنقذني جرس الهاتف". ويخفق قلبي بقوة على نحو غير مستقر؛ لقد ظننت حقًا أننا سنصل إلى نتيجة هنا، لكن ماركوس لن يدلي باعتذاره عند أول إشارة - لن يعتذر لي أبدًا، على الأرجح، بعد أن طلبت منه ذلك. وإلى ذلك، هو لا يعرف مقدار ما يجب عليه الاعتذار عنه؛ فلا عجب إذن في أن يشعر بأنه لا يعرف رأسه من قدمه. أقبض كفي في حجري. وأذكر نفسي بأنه يحاول، وأفكر فيما قاله لوك حين تحدثنا آخر مرة: 'دعك من ماركوس إن أردت ذلك، فلن أحاسبك على ذلك، صدقني فيما أقول - لكن لا تتظاهر بأنك تمنحه فرصة بينما من الواضح أنك لا تفعل ذلك.'

تقول ديب: "مرحبًا؟ هل رايلي بخير؟".

تنحرف آدي من فورها - تصوب عينيها إلى ديب في المرآة، بينما السيارات من حولنا تسير ببطء، ولها هيئة مقوسة تشبه الخنافس، وضوء الشمس يلتمع على أسطحها.

وتقول ديب: "لا بأس. أوه، أجل، بالتأكيد، الآن مناسب"، فتسترخي آدي. فدائمًا ما كانت لديهما تلك الرابطة، الأختين جيلبرت؛ وكم من مرة حسدت فيها ديب بسبب الطريقة التي تنسجم بها مع آدي على نحو فطري، كما لو أنهما خلقتا لتكونا ثنائياً.

تسألها آدي وهي تميل رأسها: "أهو أبي؟"، ثم لا تلبث أن تبتسم قائلة: "شغلي مكبر الصوت يا ديب".

يخترق صوت والد آدي حرارة السيارة الخائقة، وكأني أستنشق رائحة غسول شعر آدي في الشارع، أو كأني أسمع خشخشة أساورها المصنوعة من الخرز. أو كأني عدت نصف ثانية إلى الحياة التي كنت أملكها فيها.

ويصيح صوته وهو يقول: "... أخبرت أمك بأنه ليس من المفترض أن يكون بهذا اللون، لكنها قالت إنه جيد تمامًا، ولا داعي لإخبارك بالأمر. أوه، يا لحماقتي، ربما لم يكن يجدر بي أن أخبرك بذلك. لكنه كان شديد الصفرة. وإني لوائق بأن براز الأطفال لم يكن أصفر اللون هكذا في أيامنا".

وتسأله ديب: "أي درجة من الصفرة؟".

ألتفت إلى الخلف؛ ماركوس يحدق عبر النافذة متعكر المزاج، لكن يبدو عليه الاشمئزاز حين يسمع ما يقال. وأجد نفسي أبتسم. كانت خسارة آدي مؤلمة لدرجة أنني نادرًا ما فكرت في الأشخاص الآخرين الذين خسرتهم مع خسارتها، لكن سماع صوت نيل يجعلني أشعر بافتقاده إلى درجة يمكنني القول بصراحة إنني لم أفتقد بها أبي نفسه.

يجيبها نيل: "يمكنني القول إنه... في صفرة الخردل. الخردل الإنجليزي... من النوع المطحون".

يقول رودني: "أوه، هذه صفرة شديدة حقًا".

يقول نيل مبتهجًا: "أوه، مرحبًا. من المتكلم إذن؟".

تجيبه ديب: "لدينا رفقة هنا. وكان رودني هو المتكلم، و..."، وتتوقف ولا تكمل.

كانت آدي تهز رأسها بغضب نحوها. وتتلاشى فرحتي بسماع صوت نيل مرة أخرى؛ لأن آدي لا تريد أن يعرف والدها أنني معهما في السيارة. لقد هجرت ابنته: لا شك في أنه يحتقرني.

وتستكمل ديب قائلة: "و... رودني صنع خبز الشوفان"، وتنظر إلى آدي كأنها تقول لها: ' لا أدري ماذا أقول ' .

فيقول نيل بحماسة حقيقية: "خبز الشوفان! رائع!".

تقول ديب بلهجة امرأة تعود إلى الحديث عن الأمور العملية: "أبي، البراز الأصفر. صف لي قوامه. أهو سائل؟ أم أقرب إلى الصلابة؟ أم بين بين؟".

أقول قاطعًا الصمت الذي يعقب إنهاء نيل للمكالمة أخيرًا: "إن والدك رجل لطيف حقًا".

فترد ديب بمحبة لا تخطئها العين: "إنه شديد اللطف. فلماذا. وكيف هو والدك؟"، وتسكت لحظة ثم تقول: "أوه، آسفة، إنه شخص سيئ نوعًا ما، أليس كذلك؟".

يضحك ماركوس عندئذ. يبدو أنه ابتهج قليلاً، وبصراحة، كان من المستحيل أن يبقى غاضبًا طوال المدة التي ناقش فيها نيل، بكل جدية واهتمام، مسألة براز رايلي.

انتهت ديب من ضخ الحليب، وساد الصمت برهة بينما كانت تفتش عن حقيبة التبريد لتخزن فيها زجاجة الحليب. يبدو أن رودني، الذي يحاول تقديم المساعدة بكل وضوح، لديه أطراف أكثر من أخطبوط - وتجفل آدي حين تضرب إحدى ركبتيه ظهر كرسي القيادة.

أقول حين تنتهي الجلبة: "أجل، إن أبي... يصعب التعامل معه. لكنني لا أستطيع لومه وحده على ذلك. فقد خيبت أمله دائمًا - حتى إنني أتفنن في ذلك حقيقة".

أشعر بنظرة آدي مصوبة نحوي، لكنني أبقي عينيَّ على الطريق أمامي. إن الحرارة المنبعثة من الإسفلت تجعل السيارة أمامنا تبدو مشوشة وتحولها إلى لوحة زيتية، ربما، أو بث مباشر على شبكة لا سلكية ضعيفة. اليوم كله له طابع سريالي، والضبابية والحرارة والشمس الحارقة تزيد الأمر غرابة.

وأواصل قائلاً: "لقد توصلنا أنا وهو إلى نوع من الاتفاق الضمني؛ فهو لا شأن له بحياتي، وأنا لا شأن لي بحياته. إننا لم نتحدث منذ ديسمبر 2017".

تبدو الدهشة على آدي حين أذكر التاريخ. ومن ثم أخفض بصري إلى يدي في حجري. وفي لحظة مجنونة أتخيل أنني أمد يدي وأغطي بها يدها على عجلة القيادة.

وأتابع: "لقد اكتشفت شيئاً غير سار إلى حد ما، عن والدي. أو بالأحرى، عن حبيبة والدي، التي تبين أنها تعيش حياة لطيفة جداً في منزل مستقل في ليتل فينيس يدفع أبي تكاليفه من أموال العائلة".

يسود صمت طويل لا يقطعه غير رودني وهو يفتح علبة خبز الشوفان مرة أخرى.

وتقول آدي ببطء: "وقد اكتشفت ذلك في ديسمبر منذ عامين؟".

أومئ مؤيداً بينما لا أزال ناظراً إلى يدي.

يقول ماركوس: "لا تقل هذا الكلام. أفي ذلك اليوم؟".

ألقي على آدي نظرة قلقة. إذ كان الدم يصعد ببطء من صدرها إلى رقبتها، حتى يصبغ خديها.

ويسألني ماركوس: "أهذا ما كنت تتحدث عنه مع لوك حين راسلتك؟".

أجيبه: "أجل. لقد كان في المنزل".

يسألني: "أكان يواجه والدك؟".

أجيبه مصححاً: "بل يتحدث مع أمي. فمواجهة والدي ستكون... آه".

ذلك شيء لم نتحلل بالشجاعة أنا ولوك لفعله، ولا في ذلك الموقف أيضاً.

يقول ماركوس: "أتعرف أن والدك سيحضر زفاف شيري؟". يمكنني استشعار تعبير وجهه: أعرف أنه يرفع حاجبيه كأنه لا يصدق.

أتنفس ببطء على نحو متقطع، لأنني أشعر بالأمر مرة أخرى، في اللحظة التي أفكر فيها بمواجهة والدي - شيء ثقيل يجثم على صدري، كأن شخصًا يضغط بقبضة يده على أضلعي. إن ' القوة التي له لي / ممنوحة، والآن أختار / استعادتها '. هذه أكثر قصائدي شعبية على إنستجرام، وهي مكونة من ثلاثة أسطر فقط، وعنوانها ' بساطة '. إنها أقل قصائدي تفضيلاً بالنسبة إليّ الآن - كتبتها في الأشهر التي أعقبت فقدانني آدي، وقطع صلتي بأبي، والآن، تبدو لي بساطتها المفرطة مثيرة للشفقة هونًا ما. كما لو أن استئصال أبي من حياتي سيحل كل الأمور ببساطة، وأنني سأكون سعيدًا تمامًا ومعافى كليًا، وسيد نفسي.

يندفع ماركوس قائلاً: "ديلان، أنت تعرف أن أمك وأباك مدعوان، أليس كذلك؟".

أجيبه: "بلى، أعرف ذلك".

"ولم ترَ أباك منذ أكثر من سنة ونصف السنة؟".

"كلا. لم أراه".

"وأنت زاهب فحسب... لتراه في الزفاف؟".

"أجل".

يسود الصمت برهة طويلة.

ويسألني ماركوس بجفاء: "أهناك خطة معينة بعد ذلك؟".

تستمر آدي في النظر إليّ، وكانت نظرتها كشعاع شمس على خدي.

أقول بشيء من الاستسلام: "ليس بعد. لكنني آمل أن أعرف ما سأقوله حين أصل إلى هناك. وسيكون لوك هناك أيضًا. ومن ثم ستكون الأمور على ما يرام ما دام لوك هناك".

يقول ماركوس: "حسنًا!، وأسمعه يتمطى، وتتأوه ديب كما لو أنه لكزها بمرفقه في مكان ما. ويواصل قائلاً: "حسنًا، من حسن الحظ أنه لا يزال أمامنا نحو ثلاثمائة كيلومتر أو نحو هذا للتخطيط لذلك الموقف البائس".

الماضي

# آدي

يتبدل ماركوس كليًا بعد أن نعود من مشاهدة الشعبان. تتوقف مغالته، ويتوقف سحره - يتجاهلني تقريبًا. لكنني أحيانًا ما أشعر بنظراته مصوبة نحوي حين أكون غير منتبهة. واستغرق مني الأمر بضعة أيام لأدرك أنه حين يراقبني ماركوس، فإن جريس تراقب ماركوس.

أغیظها قائلة ونحن نغسل أطباق الفطور؛ إحدانا بجوار الأخرى: "إنك تنظرين إليه مجددًا". هي تغسل، وأنا أجفف وأزيل، خلصة، آثار البيض المخفوق التي لم تنظفها.

تجيبني: "من؟ مارك؟". كانت تحدق إلى ماركوس ذاهلة وهو في الشرفة، عبر النافذة فوق حوض المطبخ. وتردف: "أوه، أنا حالة ميئوس منها تمامًا، أليس كذلك؟ كل ما هنالك أنني أراه رائعًا".

إننا ننسجم معًا جيدًا، أنا وجريس. ربما تكون مزعجة في بعض الأحيان، لكنني عشت مع شيري: لديّ تساهل لا بأس به مع الناس الأثرياء المفعمين بالطاقة. وبجانب ذلك، هي ذكية على نحو لا يصدق، وهي لا تتباهى بذلك، مثل ديLAN. وأهم من ذلك أنها لم تنظر مطلقًا إلى ديLAN بالطريقة التي تنظر بها إلى ماركوس.

أقول: "إذا كنت تريه رائعًا هكذا، فلماذا إذن...؟"، أتوقف، وأود لو أقول: لماذا توددتِ إلى صديقه الأقرب أيضًا؟

تستنبط ما سكتُ عنه فتضحك. وتقول: "إنني ملكة تدمير الذات يا عزيزتي، فلا تسأليني عن سبب فعلي أي شيء. وفوق ذلك، مارك ليس من النوع الذي يمكن الاستقرار معه، أليس كذلك؟ لو كانت علاقتنا حصرية، لفقدَ اهتمامه بسرعة أكبر مما فعل. لقد كان يريد جريس

المتحررة، جريس المتهورة في علاقاتها، جريس بعيدة المنال. إنه يهوى الألاعب  
والفضائح".

أقول لها: "إنك تستحقين شخصًا يريدك كما أنت لأنك أنت. ولا يحاول جعلك شخصًا آخر".

ترد رأسها إلى الخلف ضاحكة وتقول: "لم أجد بعد رجلًا هكذا".

أنزعج من قولها، وتنتبه هي إلى ذلك على الفور. تضغط بيدها المغطاة بالصابون على يدي،  
وتثبتها لحظة حتى تنظر إلى عيني.

تقول: "أنا آسفة. لم أكن أقصد ديLAN بقولي. إنه ليس رجلًا سيئًا، إطلاقًا، لم نكن أنا وهو...  
أوه، لم يكن ما بيننا حقيقيًا".

أرغم نفسي على سؤالها: "أكان الأمر حيلة؟ على ديLAN؟ مسألة علاقته بك كلها؟".

تنتبه جريس وتطبق شفتيها، ثم تقول: "أجل. أنا آسفة يا عزيزتي، أعرف أنك ستترين ذلك  
أمرًا مقيتًا، لكنني لا أعتقد أنه أحبني من الأساس، وأصارحك القول، لم أحبه أنا أيضًا بتلك  
الطريقة. كان مارك يفقد اهتمامه بي، و... كان التودد إلى ديLAN وسيلة لجذب انتباه مارك  
بطريقة لم أكن لأحققها من خلال أي رجل آخر. وأعتقد أن ديLAN أحب الحصول على شيء  
كان ملغًا لمارك من قبل".

أرتعد عند سماع قولها. وترمقني جريس بنظرة تعاطف، لكنها تواصل.

"كان الرحيل إلى أوروبا، في الحقيقة، هو ضربتي الكبرى؛ لأنه إذا كان هذان الفتیان  
يحتاجان إلى شيء، فهو الشعور بوجود غاية، لذا فقد طارداني فترة أطول كثيرًا مما كانا  
سيفعلان لو بقينا في أكسفورد. وأظن أنهما أحبا فكرة العلاقة مع المرأة نفسها أكثر مما  
أحباني".

أسناني مطبقة بقوة، لكنني أتمكن من القول: "أنا آسفة. لكن هذا شيء مقيت".

فتقول جريس وهي تناولني طبقًا: "أوه، لقد فعلت من السوء بقدر ما فعل بي يا عزيزتي. وقد فعلت ما هو أسوأ كثيرًا لآخرين غيرهما. فإذا كنت ستتعاملين مع أولئك الفتيان"، وتشير إلى الأشخاص المنتشرين حول المسبح: "فستكون الأمور فوضوية دائمًا إلى حد ما. لكن الفرق أنه مع مارك..."، وتتنهد قبل أن تواصل: "لم يبدُ أنني أثرت فيه بالطريقة التي كنت أوثر بها في أي شخص آخر".

أقول وأنا أضع الطبق: "فهمت".

تبتسم جريس ببطء وتقول: "لقد تسلل ديLAN حقًا إلى قلبك، أليس كذلك؟".

أشعر بالخجل، فتبتسم.

وتتابع وهي تناولني طبقًا آخر بحركة مسرحية: "حسنًا. عسى أن يثبت أنه جدير بك".

إنهم يكسرون الأشياء: مصباح في قاعة الرقص، وباب في الطابق الثاني. وإصبع كوني، وهو ما يستدعي قضاءها ليلة في غرفة الطوارئ الفرنسية مع العم تيري، الذي كان الشخص الوحيد غير المخمور ليوصلها إلى هناك؛ لأنه يعاني أثر الشراب أكثر من أي شخص آخر، ولا يمكنه أن يشرب مثلهم.

إنهم يشربون ويضحكون وينتشون، وتستحيل الأيام غائمة تحت الشمس.

وفي أثناء ذلك، أصلح أنا كل شيء. عدا الإصبع - فهو خارج نطاق خبراتي.

وإنصافًا لهم جميعًا، أقول إنهم يعاملونني أنا وديب كما لو كنا جزءًا من عصبتهم. وليس بوصفنا نقوم على الحراسة. ولا أتذكر أننا غير متساوين هنا إلا حين يفسدون شيئًا، وأجدهم جميعًا ينادونني صائحين. لست واحدة منهم حقًا.

تقول ديب في أحد الأيام وهي تتأملهم جميعًا في الحديقة: "إنهم أشبه بأطفال مفرطي النمو". فكوني واضعة رأسها فوق بطن مارتا، وجريس جالسة مستندة إلى ساقي ماركوس،

ولوك وخافيير مضطجعان. وأعتقد أن ديLAN في الخارج مع العم تيري في مكان ما، يحاول أن يبقيه مستمتعًا. وقد أزلنا أنا وديب الحشرات من المسبح - كانت مارتا، في وقت سابق، قد سبحت مباشرة نحو زنبور عملاق، ويا لهول ما حدث حينئذ.

أسأل ديب: "أتحبينهم؟".

ترد وهي تنكئ على سور الشرفة: "أوه، وكيف لا أحبهم؟ لكنني أفضل أن أبقوهم على مسافة مني، من الناحية الشخصية. لا أدري كيف يمكنك الخوض في هذه المعمعة..."، وتشير نحو الأطراف المتشابكة في الأسفل: "... دون أن ينتهي بك الأمر في حالة من الفوضى".

أميل رأسي نحو كتفها، دون أن أجعله يلمسها. إنني شديدة الامتنان لوجودها هنا، أختي. شعرت أحيانًا، هذا الأسبوع، بأنني تائهة نوعًا ما. أو ربما أفقد الثقة بأن أكون آدي التي أريدها، هذا الصيف. لكن مع ديب، أنا دائمًا في أحسن حالاتي. فمعها أكون آدي كما يجب أن تكون، أنا آدي الحقيقية.

أقول لها: "أحبك! شكرًا لأنك عدت حين وصلوا".

تقول مندهشة: "بالطبع. ما عليك إلا أن تطلبي فتجديني. دائمًا. وإلا فما فائدة الأخت؟".

ديلان مختلف بعض الشيء في وجود أصدقائه. يضحك أكثر، ويتكلم أقل. وشعره ليس شيئًا يتباهى به، وإنما شيء يتندر به غيره. لا يزال فائنًا وصبيانيًا. لكنه... أكثر هدوءًا. حتى إنني في بعض الأحيان لا أعرف أين هو بين الحشد.

لكنه يكون لي في الليل. لقد تركنا لديب السرير الموجود في الشقة، وحينما ينتهي الاحتفال المسائي، أرتمي بجواره في ذلك السرير ذي الأعمدة الأربعة. غراميات كثيرة، لكننا نتحدث كثيرًا أيضًا. وفي ليلتنا الأخيرة، تحدثنا طوال الليل. وأنفي يلامس أنفه، وأيدينا متشابكة.

يهمس قائلاً: "صوت اصطكاك الأسنان بالملعقة حين يكون أحدهم يتناول الحساء، والحشرات التي تخشخش أثناء حركتها، والناس الذين لا يصغون". الساعة الخامسة صباحًا، وصوته مبحوح. إننا نتحدث عن الأشياء التي تثير أعصابنا - لا أدري كيف وصلنا إلى الحديث عن ذلك. ويسألني: "وماذا عنك؟".

أقول: "أوافقك فيما يخص الناس الذين لا يصغون"، وأطبع قبلة خفيفة على شفتيه. "هذه جيدة. والفئران. أكرهها أيضًا. وتثور أعصابي تمامًا حين يقول عمك تيري: 'هكذا هن النساء!'، كأنه ينهي النقاش بقوله هذا. أعني عندما تقول إحدانا شيئًا ليس على هواه". يقول ديLAN متجهماً: "أوه، إن عمي تيري في حد ذاته يثير الأعصاب"، فأضحك، ويتابع: "أنا آسف، لكنه فظيع".

أقول: "إنه..."، حسنًا، ماذا أقول الآن؟ إنه العم ديLAN في نهاية المطاف. أغير الموضوع قائلة: "هل والدك مثله؟ إن تيري شقيقه، أليس كذلك؟".

يسكت برهة طويلة.

ثم يقول في النهاية وقد تغيرت نبرته: "كلا، أبي مختلف. إنه... أصعب من تيري".

أسأله عابسة: "وماذا تعني بقولك 'أصعب'؟".

يجيبني: "إنه ليس ممتعًا كثيرًا. وماذا عن والدك؟".

كان هذا تهربًا سريعًا. فبالنظر إلى أننا أمضينا من فورنا ثلاثة أرباع ساعة في الحديث عن البوكيمون وسلاحف النينجا، ظننت حقًا أن الحديث عن والد ديLAN سيستغرق أكثر من هذه الثواني العشر. أحاول فهم تعبير ديLAN في الظلام.

أسأله بهدوء: "أليس بينكما تفاهم؟".

يقول: "لنقل فقط إنه من أولئك الذين لا يصغون".

يميل نحوى عندئذ ويقبّلني ببطء. أحس بالقبلة تسري داخلي كأنني ابتلعت شيئًا ساخنًا. إنه يحاول إلهائي. وقد نجح.

يعود ديّان يسألني مرة أخرى، وهو يضع رأسه على الوسادة: "ماذا عنك إذن؟ وماذا عن والدك؟".

أجيبه: "إنه والدي، وهذا يكفي، حقًا، لم أفكر قط في صفاته"، لكنني أشعر بنفسي وأنا أبتسم لمجرد التفكير فيه. ويتألم قلبي شوقًا إلى بيتنا، وأشد أصابعي حول أصابع ديّان. وأردف: "أنا مقربة منه بقدر قربي من أمي. إنه بارع حقًا في إسداء النصح، وهو مضحك، لكنه مضحك على طريقة الآباء، كما تعلم".

يضحك ديّان لقولي. أشعر به يسترخي مرة أخرى.

يسألني: "أفتقدينيهما؟ أعني والديك؟".

أجيبه: "أجل، أفتقدتهما". يبدو هذا قولًا محرّجًا شيئًا ما حين يقوله المرء وقد بلغ الحادية والعشرين من عمره، ويحمرُّ وجهي خجلًا في الظلام. وفي أيام الجامعة، كنت دائمًا ما أعود كثيرًا إلى البيت في منتصف الفصل الدراسي، لذا فإن هذه أطول فترة تمر دون أن أراهما في الحقيقة. لكن ديب معي. وقد قضيت صيفًا رائعًا".

يهمس ديّان: "أهو رائع حقًا؟".

يعتريني الارتباك. ويتسارع نبض قلبي. وأقول: "لا أريده أن ينتهي".

صوتي خفيض جدًا لدرجة أن ديّان يقترب لكي يسمعني. وأشعر بأنفاسه على شفّتي مثل الريش.

يهمس لي: "من قال إنه سينتهي؟". أكاد لا أراه في الظلام، لكنني أستطيع رؤية عينيه تتنقلان على وجهي أثناء نظره إليّ.

كنت أعرف ذلك نوعًا ما. فلم أظن أنه سيقول إنه سيترك الفيلا وينتهي كل ما بيننا، وتنتهي غراميات الصيف. لكن مع ذلك، كان قلبي يخفق. أريد التحدث عن هذه المسألة بشدة لدرجة أنها تخيفني. أبتعد قليلاً وأدير وجهي نحو الوسادة. ويمرر ديLAN يده على ظهري، فيجعلني ارتعش.

يقول بهدوء: "أيمكنني أن أقول لك شيئًا؟".

ألتف بجسدي، وأدفع الملاءة بعيدًا عن وجهي، وأجد نفسي ألث فجأة. أعتقد أنه سيقولها وعندما يقولها، سينتهي كل شيء، كأنه سيضع إطارًا زمنيًا لحياتنا. ويشطرها إلى قبل وبعد. أشعر بقربها كأنني منطلقة بسرعة نحو شيء، وفي لحظة من الذعر، أفكر في أنه ينبغي أن أضغط على المكابح.

يقول: "أحبك. أحبك يا آدي".

تسري رعشة كهربية في بدني كله. كأن شخصًا ضغط على زر الإنعاش. ونبض قلبي يدق جدران أذني. أفكر في تلك القصيدة التي تتحدث عن مدى الخوف المتمثل في تسليم قلبك، مثل جندي يخفض سلاحه.

لكنني أحب ديLAN. أحبه عندما يتندر أصدقاؤه على أشعاره، وأحبه وهو يستيقظ من فوره، وعيناه ناعستان وغاضبتان. أحبه كثيرًا لدرجة أنني أحيانًا أجد صعوبة في متابعة الحديث مع أي شخص آخر؛ لأنني لا أفكر إلا فيه، فينا.

أهمس له: "وأنا أحبك أيضًا".

لم أقلها من قبل قط. وحين كان صديقي السابق يحاول التحدث عن الحب، كنت أجد في العادة سببًا للتهرب: مشروبًا نكد، أو صديقًا في الغرفة، أو عنكبوتًا تمر. وقبله، لم آخذ أي إنسان بجدية. وتساءلت عما إن كان ديالان قالها لأحد من قبل.

يقول ديالان وهو يدغدغ رقبتني بأنفه: "أشعر بأنك شاردة، فهل توشكين أن تذهبي إلى متجر إنترمارشيه؟".

أضحك لقوله، مع أنني لم أدرك أنه لاحظ شرودي حين تصاعدت الأمور.

أجيبه: "لا حاجة للذهاب إلى المتجر. أعتقد أنه... أعني، إنك ستسافر الآن، لذا... ماذا سيحدث بعد ذلك؟".

أقبله عندئذ، لأنني أحسست بالإلحاح في نبرتي. إذ لا أحب ذلك. لا أحب أن أفكر في مدى ما سأفتقده.

يقول: "سنتحدث عبر الهاتف طوال الوقت، وعلى سكايب. وسأرسل إليك قصائد على بطاقات بريدية. وسأتي للبحث عنك حين أعود إلى إنجلترا"، ويرد شعري إلى الخلف، ويتابع: "لكن... يمكنني، بدلًا من ذلك، البقاء هنا حتى نهاية الصيف؟ أتريديني أن أبقى؟". ويرد رأسه قليلًا إلى الخلف ناظرًا إليّ.

يمكنني أن أقول 'أجل، فلتتخلّ عن خططك للصيف، ولا تسافر إلى تايلاند وفيتنام، وابق هنا معي'. يمكنني أن أقول له ما أريد منه أن يفعل. وسيفعله - إذا كان هناك شيء أدركته، هذا الأسبوع، فهو أن ديالان سهل القيادة.

أنقاد للإغراء لحظة. وسيكون الأمر بسيطًا تمامًا. مثل انزلاق القدم، أو لمسة باليد.

أقول: "كلا"، وأطبع قبلة على شفتيه: "اذهب أنت. ولا تجعلني أفسد خططك. إن هذا الصيف يدور حول اكتشاف ما تريد، أليس كذلك؟ اذهب إذن واكتشفه. وعد حين تنتهي

فستجدني".

# ديلان

نسافر أنا وماركوس فيما تبقى من الصيف. باتت كتفائي معتادتين الألم الحارق لثقل حقيبة الظهر؛ أرى ما لا يحصى من العجائب التي أحاول استيعابها؛ شواطئ شديدة البياض لدرجة أنها تبدو كالثلج، وغابات كثيفة لدرجة أن الطريق الذي سلكته، أمس، يحتاج إلى إعادة قطع حشائشه بمنجل في اليوم التالي. رحلات في القوارب، وقطارات مكتظة، وصيحات الباعة في الأسواق، ومقايسة السلع، والتعرق والشرب والتساؤل عما أفعله في حياتي، وتوقّي إلى آدي دائماً وأبداً.

كان ينبغي أن أقضي أفضل صيف في حياتي، لكن أينما رحنا أشعر بأنني تائه. فمع آدي في تلك الأسابيع الجميلة المشمسة في بروفانس، شعرت بنفسني تتشكل - لقد استنفدني وقوعي في حب آدي، وللمرة الأولى، شعرت بسعادة كاملة حيال ما وصلت إليه وما أنا عليه.

ظننت أنني سأغادر فرنسا وأخذ ذلك معي، لكنني تركت كل شيء هناك، معها. ففي بعض الأيام أناضل للنهوض من السرير، وهذا يثير اشمئزازي؛ أنا بلا كيان ومضطرب كما كنت دائماً، ودائماً على بُعد سطر واحد من إنهاء قصيدتي، ودائماً أكون متأخراً خطوة عن ماركوس. دائماً أخيب آمال والدي.

يتصل بي أبي وأنا في مطار بنوم بنه. ستعود آدي إلى منزلها في تشيتشستر خلال ثلاثة أيام؛ وقد ذهب ماركوس باحثاً عن مياه معبأة، وأنا أحرق إلى شاشة مواعيد الطائرات المغادرة. من المفترض أن نسافر إلى مدينة سيهانوك لنقضي فيها أسبوعنا الأخير قبل العودة إلى الوطن، لكن... ربما يمكنني العودة الآن. وأن أنتظر آدي في المطار حين تعود، وأرى الفرحة على وجهها حين تراني في انتظارها وسط حشد المنتظرين، فتنتقل راكضة نحوّي وترتمي بين ذراعيّ.

يقول أبي حين أرد على مكالمته: "يحسن بك أن تعود إلى المنزل".

إننا في أواخر أغسطس. وكان من المقرر، وفقًا لخطتنا الأصلية، أن نكون قد عدنا منذ أسابيع - لكن ما جدوى العودة إلى المملكة المتحدة، بينما آدي لا تزال في فرنسا؟

أرد قائلاً: "من الجيد سماع صوتك يا أبي". أقولها بلهجة أقل حدة مما نويت - أراجع في آخر لحظة وينتهي بي الأمر بأن تنم لهجتي عن سرور حقيقي.

"كفك هراء. لقد طالت هذه الرحلة إلى أوروبا أكثر مما ينبغي".

أتجهم: "لم أتأخر إلا ما يزيد على بضعة أسابيع لا أكثر".

"لقد فاتتك كل المواعيد النهائية لبرامج الدراسات العليا. فماذا تفعل يا ديLAN؟ ومتى ستنضج؟".

أرفع بصري إلى السقف. تترك الأضواء الشريطية المتقاطعة نمطًا متوهجًا من الخطوط المتعارضة داخل جفني. لا حاجة بي إلى قول أي شيء - سيقول أبي ما يريد قوله، بغض النظر عن ردودي، أو عدم ردي من الأساس.

ويواصل قائلاً: "إنك تخطط للعيش في المنزل، فيما أظن. مثلما تخطط لكل شيء آخر. وتقول أمك إنه لا فائدة من شراء شقة لك في لندن، وأنا أميل إلى موافقتها في الرأي. إنك لا تستحقها، بكل صراحة".

تريد أمي أن أقرر بنفسني ما إذا كانت لندن هي المكان الذي أريد أن أعيش فيه. وبشكل ما، إن إيمانها المطلق بأنني سأجد الحياة المناسبة لي يكاد يكون أسوأ من إيمان والدي المطلق بأنني لن أفعل.

ويواصل: "سنتحدث عن كل ذلك بالتفصيل حين تعود، لكنني واثق بأنني أستطيع أن أجد لك شيئًا مناسبًا في الأعمال التجارية - غير أنه سيتعين عليك الذهاب يوميًا إلى لندن، وهو

ما لن يكون أمرًا يسيرًا".

أشعر بالحياة تنسرب مني كلما طالت المكالمة. أنا نسخة من دميمة على هيئة رجل، ملقى في مقعدي، بانتظار أن يمسك شخص خيوطي ويهزني فيعيدني إلى الحياة.

يعود ماركوس متهاديًا حاملاً زجاجتي ماء؛ لقد طال شعره أكثر من أي وقت مضى، وأصبح جافًا ولفحته الشمس، وملابسه بحاجة ماسة إلى الغسيل. يتسم لي ويلقي نحوي زجاجة ماء من مسافة بعيدة - لا أتمكن من إمساكها والهاتف على أذني فتضرب بطني.

أعرف، بشكل ما، أن مشكلتي هذه ليست حقيقية. فأمامي عالم كامل من الفرص. ويمكنني أن أفعل أي شيء أريده، ربما أكثر من أي كائن آخر، تقريبًا، على هذا الكوكب.

لكن يبدو أن الرهبة لا تعرف ذلك. لا تعرف الرهبة سوى أن المستقبل رهيب ومروع؛ لأنني بغض النظر عما أفعله، سأفشل حتمًا.

أقول حين أجد متسعًا في حديث أبي المطول: "إنني في الحقيقة سأمكث هنا بعض الوقت".

ألبث هادئًا أثناء صمته. فكم يريحني هذا الشيء، مثل اللحظة التي تحك فيها قشرة جرح. منذ اللحظة التي رأيت فيها اسم أبي على شاشة الهاتف، عرفت أن هذه البرهة من الصمت آتية لا محالة؛ فكل ما أفضى إليها كان مجرد وسائل رهيبة لزيادة التشويق. وحين نصل إلى الذروة - عندما أخيب أمله - تصبح الأمور في منتهى السهولة.

يقول أبي، بصوت يتعالى باطراد حتى يغدو صياحًا: "لا أدري لماذا أكلف نفسي العناء. لا فائدة من ذلك. لا فائدة تُرجى منك".

وهكذا تبدأ الخطبة اللانعة: يتكرر الحديث كثيرًا عن عدم جدواي، وكذلك التساؤل عما فعله في حياته ليبتلى بأبناء مخيبين للأمال مثلنا، وهو ما سمعته ما يكفي من المرات لئلا

أحاول الرد عليه، على الرغم مما في الرد من إغراء. إنني أبقى هادئًا، ويجثم ذلك الثقل  
البائس المروع على صدري. وينقر ماركوس على ساعته ويشير إلى شاشة مواعيد المغادرة  
- الركاب يصعدون الآن إلى الطائرة المتجهة إلى سيهانوك.

ينهي أبي المكالمة حين يفرغ غضبه في توبيخي. والصارفة الحادة تجعل عينيّ تخزيني.  
وبينما أتبع ماركوس نحو البوابة، أتذكر فجأة حين كنت أمسك آدي، ويدي مبسوطتان  
على عضلة ظهرها المشدودة، يتداعى جسدي، وأكاد أتعثر في خطوي، كما لو أن قدمي  
تحاولان إخباري بأنني سائر في الاتجاه الخاطئ.

يلتفت ماركوس ناظرًا إليّ متفحصًا.

ويقول: "هيا يا رجل. سحقًا لأبيك، سحقًا لهم جميعًا. فلننس العالم الحقيقي بضعة أيام  
أخرى".

# آدي

تسألني أمي وهي تجلس على الأريكة بجوار ديب: "وأين هو إذن؟ ديلان هذا؟".

نحن في غرفة الجلوس ببيت أهلي. أخيرًا. ولم أدرك كم افتقدت بيتنا إلى أن خطوت أنا وديب عبر ذلك الباب، واستنشقت هواء البيت. فما زلت أرثدي الثياب التي عدت بها - من الغريب التفكير في أن الغبار الذي التصق بواقى الشمس على ساقبي عاد معي طوال الطريق من بروفانس.

أجيبها: "لم يعد بعد من سفره"، وأرثشف الشاي، إنه شاي إنجليزي حقيقي، مع ماء مليء برواسب الجير الخاصة بالغلاية التي تحتاج إلى إزالة التكلس منها.

تقول ديب وهي تخلع جوربها: "ستحبينه يا أمي". لا تشعر ديب بأنها في البيت حقًا إلا بعد أن تخلع جوربها. وتضيف: "إنه شاب لطيف. ومفتون بآدي. وهو أمر جيد؛ لأنها مفتونة به تمامًا".

أتورد خجلًا، وأقول بتلقائية: "كلا، لست مفتونة به".

تدير ديب عينيها إلى أعلى بنفاد صبر، وتقول: "كفاك ادعاء. لقد ظللت تتلهفين عليه طوال الصيف".

"لم أتلهف عليه! أنا أفتقده لا أكثر، هذا كل ما هنالك".

ترد ديب: "أجل، حسنًا، أنا أفتقد تناول ما أحب دون أن أغدو بدينة، لكنك لا ترينني أبكي بسبب ذلك"، وتبتسم لي، فأتجهم في وجهها.

أقول لأمي: "لقد ساعدتني ديب كثيرًا في التغلب على وجع قلبي. إنها متفهمة حقًا".

فتقول ديب بوداعة وهي تضع قدميها على طاولة القهوة: "لقد كنتُ ممتازة. وحافظت على إطعامها وسقيها، ولم أستخدم الواي فاي حين كانت تتحدث مع ديLAN على سكايب. لقد كنت كالراهبة".

تبتسم لنا أمي من فوق فنجانها، ويتجدد ركننا عينيها. لقد افتقدتها كثيرًا - أشعر بذلك في قرارة نفسي.

تسأل أمي: "ومتى سأقابل ذلك الفتى؟".

أجيبها: "قريبًا. لست متأكدة من موعد عودته، لكنه يقول إنه سيعود قريبًا".

"مرحبًا، أنا أسمعك!".

"مرحبًا؟ أتسمعيني؟".

"أجل! أجل! مرحبًا؟". وألوح إلى شاشة الحاسوب المحمول. وتغدو ابتسامتي ثابتة أكثر فأكثر.

يبتسم وجه ديLAN ويقول: "مرحبًا!". إنه في ركن مظلم في مكان ما. وكل ما يمكنني رؤيته هو الجدران المكسوة بألواح بنية اللون ومروحة السقف. أعتقد أنه ربما يكون في كمبوديا، لكن قد تكون فيتنام. أشعر بشيء من الحرج لأنني لم أعد أعرف أين هو.

أقول أنا وديLAN في الوقت نفسه: "كيف حالك؟".

نضحك.

وأقول: "تكلم أنت"، لكنه يقول في اللحظة نفسها: "تكلمي أنت".

فأقول: "حسنًا، سأتكلم أنا"؛ لأن هذا لن يظل مضحكًا أكثر من ذلك. وأردف: "أنا متوترة".

يجيبني: "أجل، أنت كذلك! ستكونين رائعة".

هذا... لا معنى له إطلاقًا، لكنني أعتقد أنه فهم مغزى ما قلت.

أقول: "كانت أيام التدريب كثيرة جدًا". وأحدق إلى وجهي على الشاشة على تطبيق سكايب: أبدو صغيرة جدًا. أصغر من أن أدرس أي شيء للمراهقين.

يقول ديلان: "من المعروف أن التدريس المباشر شيء صعب، لكنك بارعة أيضًا".

أبتسم بتردد: "أتمنى لو كنت هنا".

يبتسم بقوة: "حقًا؟".

"بالتأكيد".

"رائع، فأنت لم تقوليها من قبل قط".

"بلى قلتها! قلتها بالتأكيد من قبل". ألم أقلها؟ أشعر بأنني قلتها بلا شك، أليس كذلك؟!

يرد: "كلا. لم تقوليها قط".

"حسنًا، كنت أظنك ستكون قد عدت الآن. فمتى ستعود؟".

يظلم وجهه نوعًا ما، كأنما خطرت له فكرة سيئة. "لا أدري. أحتاج إلى معرفة ما أريد فعله قبل أن أعود، أتفهمين ما أقصد؟ هذا ما اتفقنا عليه، أليس كذلك؟".

أقول: "بلى"، بينما أفكر قائلة في نفسي: 'ماذا؟ يمكنك أن تظل مسافرًا إلى الأبد إن أردت. ألن ينفد المال منك؟'.

ويشرح شارحًا: "لدى أبي تلك الخطط من أجلي، ولست أعرف كيف سم..."، ويعض شفته ويشرد بعينه قبل أن يستأنف: "أحتاج إلى أن أكون قادرًا على تقديم خطة مختلفة إليه إذا أردت أن أتخلص من العيش في المنزل والعمل في أعمال العائلة".

أجيبه: "أوه، حسنًا". أعرف ما يكفي لأعلم أن ديLAN لا يريد العمل لدى والده، لكنني لا أعرف ما يريد فعله، عدا كتابة الشعر، ومن الواضح أنه لا يستطيع أن يكسب قوته منها في الوقت الحالي. وأسأله: "فيم تفكر إذن؟ أعني بخصوص خطتك المختلفة؟".

يتراخى وجهه باطراد. ويبدو حزينًا، بل يكاد يكون تعيسًا. فأتجهم قليلًا.

وأقول بلهجة امرأة: "ديLAN؟".

يقول وهو يرد شعره عن عينيه باهتياج: "لا أعرف. لا أعرف. لهذا لا أزال هنا".

"أعتقد أنك يجب أن تكون في تايلاند، مثلًا، لكي تعرف؟ ألن يفيدك أن تعود فحسب وتبحث في إعلانات الوظائف وما إلى ذلك؟".

يقول: "لا تلحي يا آدي"، أجفل لدى سماع ذلك، فأرتد مبتعدة عن الشاشة. فيقول في الحال: "يا إلهي، أنا آسف. أنا آسف جدًا. فكل ما في الأمر أنني قلق بشدة بسبب كل هذا، وأشعر بأنني عديم النفع إلى حد ما، ولا أتوقف عن التفكير في الأمر، وأبي يتصل بي كل يوم تقريبًا، ويهددني بكل الأشكال والطرق، ولا أريد إلا أن أهرب من العالم فترة أطول قليلًا، أتفهمين قصدي؟ فبوجودي هنا، كأنني أضغط على زر التوقف المؤقت لكل شيء. ولا يمكن هنا أن أفسد أي شيء".

ولأكون صادقة، لست واثقة بمدى صدق ذلك. لكن يمكنني على الأقل أن أرى منطقته.

أجيبه: "حسنًا، خذ ما تحتاج إليه من وقت، بالطبع".

يتهلل وجهه قليلًا عندئذ، ويقول: "أشكرك. كنت أعرف أنك ستفهمين".

أخفي شعوري الغامض بعدم الارتياح. فلم أفهم شيئًا في الحقيقة. وإنما أتظاهر بذلك لأنني لا أريد أن أكون حبيبتة المتسلطة التي تعكر مزاجه.

يقول ديLAN وهو يسترخي مرة أخرى: "أخبريني إذن بكل ما قمت به هذا الأسبوع، أريد أن أسمع كل شيء، بالتفصيل الممل. لقد كنت..."، لكن تتشوش صورته عندئذ، ويتقطع صوته، وينقطع الاتصال.

أقل الحاسوب المحمول محبطة. هذا هراء محض، تلك العلاقة الافتراضية. إنها غير حقيقية. إنني أريده أن يحضني. أريد استعادته.

الفصل الدراسي الأول لي في مدرسة باروود أمر قاسٍ تمامًا.

أنا محظوظة جدًا لأنني حصلت على هذه الوظيفة في البرنامج. ولو لم أكن أعرف ذلك، لما ترددت في الاستقالة بدل المرة مائة مرة. لكن الأطفال أشرار.

في نهاية النصف الأول من الفصل الدراسي، كنت قد استطعت، تقريبًا، كسب احترام الصف الثامن لي بعد بداية كارثية (جعلت طلابه يصنعون صواريخ من الورق المقوى، فصنعوا جميعًا أشياء أشبه ما تكون بالمسلات الفرعونية. وبكيت، وكسر أحدهم إصبع قدمه. كانت بداية في منتهى السوء). وكانت الصفوف التاسع، والعاشر، والحادي عشر على ما يرام منذ البداية، والصف السابع أغلبه شديد اللطف. أما الصف الثامن فعامر بوحوش على مشارف مرحلة المراهقة. وكان كسب احترامهم أحد أصعب الأمور التي فعلتها في حياتي، لكنه الأكثر جدوى بلا ريب.

ديLAN لم يعد بعد. ولا نزال نتواصل عبر سكايب، مرة في الأسبوع على الأقل، ونتراسل طوال الوقت، لكنني أشعر بالهلع. وكيف لا أشعر بذلك؟ إنه يبدو مختلفًا. بعيد جدًا. وحين أسأله عن موعد عودته يجيبني قائلًا، 'قريبًا!'، وأحاول أن أتفهم الأمر، وألا أكون لحوحًا أو

متطلبة أو أي شيء من هذا القبيل، لكن بصرف النظر عن مدى لطفه معي، إنه ليس هنا. يمكنه أن يقول إنه يحبني كما يشاء، لكنه لا يثبت ذلك حقًا، أليس كذلك؟

لقد انقضت أشهر ونحن بعيدان؛ أهدنا عن الآخر، ولماذا؟ لأنه يبحث عن نفسه؟ لو كان شخصًا آخر غيره لاحتقرته. لكن لأنه ديLAN؛ المحبوب التائه، فإنني أحاول بكل طاقتي أن أقنع نفسي بأنه من الواضح ليس في حال جيدة، وأنه يعتقد، فيما يبدو، أن العودة ستزيد الأمور سوءًا. لكن يا للهول. ليس أمرًا هينًا أن يظل حبيبي بعيدًا لعدة أشهر دون سبب وجيه.

يقول الصوت في رأسي: 'لقد نسيك'. نسي أدي العادية، المتوسطة التي لا يميزها شيء. فهل ظننت حقًا أنني سأستطيع الحفاظ على اهتمام رجل مثل ديLAN أكثر من صيف غرامي واحد؟

الليلة ليلة الألعاب النارية. ولدينا خطط كبيرة؛ أنا وديب.

كانت ملاذي على مدى الأشهر القليلة الماضية. نعيش معًا في المنزل، بينما ندخر المال من أجل شراء منزلنا الخاصين. تصغي ديب إلى شكواي الدامعة عن العمل. وتعد لي الشاي، كل صباح، وتحضره إليّ وأنا أضع مكياجتي وتقبّلني بسرعة على رأسي. وعندما أفكر في كتابة رسالة إلكترونية غاضبة إلى ديLAN - أقول له فيها: 'لماذا لا تعود فحسب؟' - تأخذ هاتفي وتذكّرني بأن بنتي جيلبرت لا تستجديان أحدًا.

لذلك ستكون ليلة الألعاب النارية هي احتفالنا بالأخوة. حجزت طاولة لنا في مقهى فخم بالمدينة، من أجل عرض الألعاب النارية المذهل فيها، وهي في الأساس ليلة عادية خارج المنزل، لكنها أكثر تكلفة. تأنقنا: أحذية عالية الأعقاب وفتنانان قصيران، بلا جوارب طويلة. وبعد أشهر من الظهور في المدرسة بمظهر رث قدر الإمكان، أريد أن أشعر بأنني مثيرة. وربما بعد كل هذه الفترة من انتظار عودة ديLAN... أريد، نوعًا ما، أن ألفت نظر أي شخص.

يدهشني أن الأمر لا يستغرق وقتًا طويلًا.

يقول الشاب الواقف بجواري في الزحام أمام المشرب: "لا تخبريني، سأخمن اسمك". كان عليه أن يرفع صوته ليغطي على صوت الموسيقى. كان لديه نوع خشن من الجاذبية. وعلى خديه آثار ندوب تركها حب الشباب، وله عينان زرقاوان لامعتان، ولحية قصيرة.

أرد قائلة: "خذ وقتك. فستظل هنا بعض الوقت".

يومئ مشيرًا إلى الطابور أمامنا: "من الجيد أنني لن أذهب إلى أي مكان. اسمك هانا؟".

"أخطأت بقوة".

"أعني إيلا. كلا، آسف، أردت أن أقول بيثان. إميلي. سيندي؟".

أسأله: "أتبذل أي جهد؟".

"حسنًا، ممم. ماذا لو قلت لك إنها كانت مجرد حيلة وقحة لأجعلك تتكلمين معي؟".

"سأقول إنني صدمت وشعرت بالفزع".

يبتسم: "أتسمحين لي بشراء شراب لك يا إيما؟".

"هذا سابق لأوانه تمامًا. فلن نصل إلى المشرب قبل عشرين دقيقة".

فيقول الرجل ذو العينين الزرقاوين: "أترغبين في عرض أفضل في تلك الأثناء يا كاسي؟"، بينما يدير بصره فيما حوله وقد ضيق عينيه على نحو مضحك، كما لو كان يبحث عن منافس محتمل.

إنه قرار حاسم في الحقيقة. أيعد من التجاوز أن أسمح له بشراء شراب لي؟ وهل أريد أن أتجاوز الحدود؟ وهل تجاوزت أحدها بالفعل، حين ارتديت هذا الفستان الذي اعتدت أن

أرتديه عندما أرغب في قضاء ليلة مثيرة بالخارج؟

تنادي ديب من خلفي: "آدي!".

ألتفت إليها.

يقول الشاب ذو العينين الزرقاوين: "آها! آدي. كان ذلك تخميني التالي".

تصيح ديب: "لقد أحضرت زجاجة من أجل طاولتنا".

يغمغم الحشد من حولي حسداً.

أجيبها وأنا أشق طريقي نحوها بالفعل: "كيف؟".

وينادي الشاب ذو العينين الزرقاوين قائلاً: "أراك لاحقاً يا آدي"، لكنني اتخذت قراري، ولم ألتفت إليه.

# ديلان

وجدتها تتحدث مع شاب أمام المشرب حين وصلت. إنها حارقة، أعني هذه الغيرة، كلفحة ساخنة خلف رقبتني، ويد باردة على مؤخر رأسي، وأدرك فجأة بشكل مثير للتقزز ما فعلته حقًا، وأنا أهدر كل تلك الأيام مستلقيًا على ظهري فوق شواطئ يشبه بعضها بعضًا بينما أفضل في الكتابة، وأفضل في التفكير، وأفضل في كل شيء. لقد تركتها، هنا، تركتها على الرغم من أنها تبدو هكذا: جميلة على نحو يصيب بالدوار، كأنها خيالية، كأنها اختزال الكمال.

يبرز فستانها كل انحناءة. وتجتاحني الرغبة بعد ثوانٍ قليلة من الشعور بالحسد، وبينما أشاهدها تضحك، والأنوار تسقط على وجهها بمكياجه اللامع، أشعر على نحو محطم بأنها بعيدة المنال. أي أحمق يسيح في مدينة بالي بينما يمكنه أن يكون هنا مع امرأة كهذه؟ وكيف كنت غيبًا بهذا الشكل؟ وأيًا كان البؤس الذي استولى عليّ على مدى الأشهر القليلة الماضية - الرهبة السوداء الكثيفة التي تنتظرني حين أصحو كل صباح - فهو يبدو أكثر سخافة من أي وقت مضى بعد أن زال الآن وصرت هنا، أشاهدها. فماذا كنت أفعل؟

تقول ديب خلف كتفي: "لقد حذرتك".

راسلت ديب، الأسبوع الماضي، لأخبرها بأنني أريد أن أفاجئ آدي في ليلة الألعاب النارية - كانت آدي قد أخبرتني بأنها متحمسة هي وديب لقضاء تلك الليلة في الخارج. وقالت ديب: 'حسنًا، سيفاجئها ذلك بلا شك. أعتقد أنها يئست تمامًا من عودتك، إن أردت الصدق.'

أقول وأنا أفرك وجهي: "يا لي من أحمق. لقد ظننت...".

ترد ديب: "ظننت أنها ستنتظرك إلى الأبد؟".

أقول وأنا أراقب بقلق: "إنها لا تزال تنتظرني، أليس كذلك؟ إنها ليست... في علاقة مع شخص آخر؟".

لم نقل قط إن علاقتنا حصرية. لقد تجاوزنا ذلك سريعًا، ووصلنا مباشرة إلى تبادل الاعتراف بالحب - ظننت أن ذلك لم يعد ضروريًا. والآن، أسترجع كل مكالمة أجريناها على سكايب، وأفتش في كل كلمة أتذكرها عن اسم رجل، تلك اللفحة الحارة للغيرة تسري في عمودي الفقري.

تجيبني ديب وهي تعقد ذراعيها: "ليست في علاقة مع أي شخص بالطبع. فماذا كنت تفعل أنت؟".

كنت مختبئًا. كنت أهرب. أغوص. أغرق.

أجيبها بوهن: "كنت أحاول معرفة بعض الأمور. لقد ظننت... لقد قالت آدي أن أعود إليها حين أعرف ما أريد فعله في حياتي. وعندئذ ظلت هناك، وظلت عاجزًا عن معرفة أي شيء، وباتت العودة... باتت أكثر صعوبة مع الوقت".

ترد ديب عابسة: "لم يكن ذلك شيئًا منطقيًا".

أقول: "أجل. لقد فهمت ذلك".

الرجل الذي بجوار آدي يخفض رأسه ليتحدث معها، فأشعر بالرغبة في الأنين.

وأردف: "ألا يمكن أن نخبرها الآن بأنني هنا؟ أرجوك؟".

تنظر ديب إليّ كأنها تقيّمني.

وتسأل: "أتحبها حقًا؟".

"أحبها حقًا".

"لِمَ إذن مكثت بعيدًا كل هذه المدة الطويلة؟".

أعض أسناني محببًا. إذ لا يمكنني أن أخبرها بالرهبة، والخمول، والرعب، حتى لو استطعت إجبار نفسي على مكاشفتها بهذه الأمور المخزية، ففي قرارة نفسي أعرف أنها ليست عذرًا. لقد اجتاحتني تلك الرهبة من قبل، ذات مرة، حين كنت مراهقًا، وحينذاك، أوضح لي والدي أن ذلك ليس سوى ضعف.

أجيبها: "لا أدري. اتفقنا؟ لا أدري. لقد ظل ماركوس يقول إنني يجب أن أبقى، وكان والدي يطالبني بالعودة لأبدأ العمل معه، وكانت آدي تبدأ تلك الحياة الجديدة هنا، ولم أكن أعرف كيف سأتكيف معها".

"لذلك اخترت عدم المشاركة؟".

"لذلك انتظرت. انتظرت حتى أغدو ذلك الرجل الذي أرادته".

تنظر إليّ ديب من رأسي إلى قدمي، وتقول: "وهل غدوت ذلك الرجل الآن؟".

أردُّ بتخاذل: "ليس حقًا، لا".

تقول ديب: "صحيح. إنك تبدو كما كنت إلى حد كبير، باستثناء السمرة".

أرد متوسلاً، بينما تضحك آدي مرة أخرى، رافعة يدها إلى شعرها لترده إلى الخلف: "أرجوك يا ديب، لقد أفسدت الأمر. دعيني أصلحه".

تقول ديب: "حسنًا، حسنًا. لكن لا تستمر في إفساد الأمور، أيمكنك ذلك؟ لقد أسعدتها بضعة أيام في فرنسا، أعترف لك بذلك - لكن منذ ذلك الحين وأنت تجعلها بائسة جدًا. والآن،

اذهب واخترى وسأجعلها تعود إلى طاولتنا لكي تتمكن من مفاجأتها. وإذا كنت ستفعل ذلك، فيحسن بك أن تفعله على نحو صحيح. إنني أريد أن أرى أختي تبتسم من جديد".

# آدي

يقول منادياً: "آدي".

نحن على الطاولة، نصبُّ شراب الكافا من الزجاجة التي اغتنمناها ديب من مكان ما. أنظر إلى أختي قبل أن ألتفت إليه. تبتسم لي. وكانت تعرف أنه آت. وتقول: "افتقدت هذا الوجه السعيد يا آدي"، بينما أستدير في مقعدي، مبتسمة بالفعل، لأنظر إلى ديLAN.

يخطفني من مقعدي قبل أن أتمكن من قول شيء.

ويقول: "يا للهول! أتدرين مدى اشتياقي إليك يا آدي جيلبرت؟".

لا أدري حقًا. لقد قال كثيرًا عبر سكايب إنه مشتاق إليّ، لكن قوله كان يبدو لي دائمًا مجردًا من المعنى. فإذا كان مشتاقًا إليّ، فلماذا لم يعد؟ لكن الفكرة تنبخر من رأسي في اللحظة التي تمس فيها شفتاه شفتي. هذا هو ديLAN الذي أعرفه. بشعره البني المتموج، وعينييه الخضراوين الآسرتين. وعلى الرغم من سخافة ما سأقول، لكن يبدو أنه يفوح برائحة الشمس والكروم، حتى هنا في هذا النادي الليلي اللزج. نتبادل القبل برهة طويلة حتى ينصهر كل ما يحيط بنا، والموسيقى تدق من حولنا. يترك أحدها الآخر في النهاية، ويضحك مارًا بإبهاميه على وجنتي.

"أنا آسف غاية الأسف لأنني أطلت الغياب. أنا غبي. سامحيني".

إنه يعتذر بكل سهولة. لا أعرف أي رجل آخر يفعل ذلك. كأنما ليست لديه تلك العجرفة الذكورية، وهذه الكبرياء التي تتأذى دائمًا. أحب ذلك فيه. لكن... لا أدري إن كان هذا يصلح الأمور. أيمنك مداواة خطأ بمجرد اعتذار يسير كهذا؟

يقول وهو يقبلني مجددًا: "أوه، يا إلهي، أرجوك يا آدي، لا تغضبي مني. لا أطيق ذلك".

أسأله: "أين ماركوس؟".

يفاجئه سؤالي - ويفاجئني أيضًا إلى حد ما. يقول: "في بيته. في هامشاير. لقد أخبرته بأنني أريد أن آتي إلى هنا مباشرة لرؤيتك، لذلك عاد ليقوم مع والده".

أدفن وجهي في صدر ديLAN بينما عقلي يدور. لقد أخذت أتساءل مع مرور الأشهر. أتساءل عما إذا كان هو السبب في عدم عودة ديLAN في وقت مبكر أكثر من هذا. لا أظن أنه كان متعجلاً لإعادة ديLAN إليّ.

أسأله: "وأنت... أنت هنا الآن؟".

يجيبني: "أنا هنا الآن. دائماً. وأعرف جيداً أنه لم يكن ينبغي لي أن أترك مطلقاً".

تصيح بي ديب قائلة: "إنني أشرب شرابك، فأنت تبدين مشغولة".

أضحك وأشير إليها بإبهامي بأن لا بأس في ذلك، ثم أجذب ديLAN إلى حلبة الرقص بينما تعبُ ديب شرابي. ونرقص أنا وديLAN، نرقص متلاصقين لدرجة تلامس كل شبر في جسدنا. وتتوالى الأفكار والذكريات والعواطف على رأسي. أصاب بدوار. أنا سعيدة لاستعادته.

يقول مقرباً فمه من أذني لكي أسمع على الرغم من صوت الموسيقى: "أتدريين؟ لقد بدأت أعتقد أن حياتي كانت حتى الآن سلسلة طويلة متصلة من القرارات السيئة والأخطاء شديدة الحماقة، فيما عدا اليوم الذي طرقت فيه بابك"، ويقبل شعري، فأخفي ابتسامتي في صدره، ويرد: "لن أتركك بعد الآن".

أرد وأنا أجذب يديه لأجعله يرقص من جديد: "سيكون هذا صعباً إلى حد ما". إنه بارع. لا أدري لماذا افترضت أن ديLAN لا يجيد الرقص، لكن هذه مفاجأة مفرحة.

يتساءل: "صعب؟".

"إن بيت عائلتك على بُعد ساعتين من هنا، أليس كذلك؟".

لا يسمعي. أكرر قولي مقربة شفتي من أذنه.

يرد بلهجة المنتصر: "لن أنتقل إلى المنزل. سأعيش هنا".

"هنا؟". أهذه هي الخطة الكبرى التي لبت أشهرًا ليضعها؟ أسأله: "هنا؟ تقصد في

تشيتشستر؟ وماذا ستفعل في مسألة العمل؟".

يقول: "سأعرف فيما بعد"، ويظلم وجهه مرة أخرى وهو يضيف: "إذا كانت تشيتشستر

ستقبل بي".

تلون الأضواء شعره بالأصفر، ثم الأخضر، ثم الأصفر مرة أخرى. وكانت الموسيقى صاخبة

جدًا لدرجة أنها صارت ضجيجًا لا معنى له.

أسأله: "ماذا؟ هل ستستأجر شقة هنا؟".

"أو سأشتري واحدة. فكثيرًا ما ألح عليّ والدي لأصبح من أصحاب العقارات".

أحملك إليه برهة طويلة لدرجة أنه يضحك بشيء من عدم الارتياح، ويجذبني إليه مرة

أخرى.

ويقول: "أو لن أشتري، لا يهم. لا يهمني إلا أن أكون هنا. كان يجدر بي أن أكون هنا منذ

البداية".

يصدمني شخص من الخلف، فاندفع بقوة إلى صدره. وأبقى هناك، وألّف ذراعي حول

خصره. فدائمًا ما آمنت بأن الجميع يستحقون الحصول على فرصة ثانية. وهو نادم، وهل

كان الأمر بهذا السوء، على أية حال؟ أعني أن يبقى مدة أطول قليلًا مما وعدني بينما كان

يحاول اكتشاف ما يريد؟

وأنا... ما زلت أحبه. وهذا سبب آخر لأمنحه فرصة ثانية.

أدخله خلصة إلى غرفتي. وفي اللحظة التي نقفل فيها باب غرفة نومي نبدأ اللهاث، ويمزق كل منا ثياب الآخر، حرفياً، فيما يجرّد أحدهما الآخر منها. يمزق ديLAN حمالة فستاني التي تلتف خلف عنقي، ويتوقف، ويبدو مندهشاً مما فعل، فيجعلني ذلك أضحك بشدة لدرجة أنني أضطر إلى إغلاق فمي بيدي لئلا أوقظ أهلي.

جسده كما هو لكنه مختلف. أصبحت الأجزاء السمراء أكثر وضوحاً، وربما عضلاته أمست أكثر صلابة، لكنه هو، ديLAN، في بيتي، وشعوري بجسده ملتصقاً بي يكفي لتسري الرعشة في جسدي. نتبادل القبل بنهم، بفم مفتوح. أنا مشتاقة. أتألم من شدة اللهفة. أتصرف على نحو محموم لدرجة أن ديLAN يضحك لاهثاً، مثبتاً يدي بيديه.

يقول بصوت أجش: "أمامنا متسع من الوقت. لن أذهب إلى أي مكان".

أبلغ أقصى التعب لدرجة أنني لا أعود أشعر به. ربما يساعد الشراب في ذلك. ساعة ديLAN البيولوجية في حالة من الفوضى، على أية حال مع كل السفر الذي سافره. لذلك، ففي الساعة الثامنة صباحاً ودون أي قسط من النوم، وأنا أشعر بالشبع والدوار، وربما ما زلت ثملة، أخذه إلى الطابق السفلي لأعدّ له شطائر اللحم المقدد والبيض ليفطر.

تأتي أمي بعد دقائق قليلة من وضع شرائح اللحم تحت الشواية. تتوقف عند مدخل المطبخ وهي مرتدية ثياب نومها المفضلة. كان لونها أرجوانياً في الأصل، لكنها أصبحت أقرب إلى الرمادي نوعاً ما.

وتقول أمي: "لا أعرف في الحقيقة أيهما تدهشني رؤيته أكثر. وجود شاب في مطبخي أم تحضير ابنتي فطوراً مقلّياً في الثامنة صباحاً".

يقول ديLAN وهو يمسح يديه في المئزر الذي أصر على ارتدائه ويمد إحداهما مصافحاً أمي: "أنا ديLAN. تسرني رؤيتك".

"أوه! ديلان!".

ترمقني أمي بإحدى تلك النظرات المكشوفة المفعمة بالمغزى، والتي لا يجيدها سوى الأهل.  
كأن المرء عندما يصير لديه أبناء يفقد القدرة على ألا يلفت انتباه الآخرين.

أجيبها: "أجل يا أمي، هذا هو ديلان"، وأعود إلى دهن الخبز بالزبد محاولة ألا أبتسم.

تقول أمي: "وقد عاد الآن، أليس كذلك؟".

يرد ديلان: "بكل تأكيد. ولن أذهب إلى أي مكان مرة أخرى أبدًا. أبدًا".

تتسع ابتسامتي.

تقول أمي وأكاد أجزم بأنها تبتسم هي الأخرى: "حسنًا، يسعدني أن أسمع ذلك يا ديلان.  
لكن احذري. فلو شم والدك رائحة اللحم المقدد، فسينهض من سريره مثل ال...".

يصيح أبي هابطًا السلم: "من ذا يعد اللحم المقدد؟ أهو من أجلي؟".

الحاضر

# ديلان

تتميز محطة وقود تشارنوك رينشارد، أبرز معالم الطريق السريع إم6، بكونها قذرة ورمادية اللون تحت سماء صافية الزرقة. نخرج جميعًا من السيارة الصغيرة كأننا نكتة سخيفة معكوسة.

يتمطى ماركوس بقوة، وقد شد قبضتيه. ومع تطاير شعره أمام عينيه، يبدو أشبه بالصبي الصغير المشاكس الذي كان عليه من قبل، الذي لا يكاد يبين داخل سترة مدرسة وينشستر، كان ضئيلاً لدرجة أن الأطفال الأكبر سنًا ظنوا أنه سيكون من السهل التنمر عليه، وكان ذكيًا لدرجة أنه سيطر عليهم جميعًا في نهاية الفصل الدراسي الخريفي. وقد تسبب في فصل معلمين لم يكن يحبهما؛ وتمكن بطريقة ما من استبعاد بيتر وو من فريق الكريكت ليتمكن هو من اللعب مكانه؛ وسرعان ما اشتهر بأنه فتى يجعل الأشياء تتحقق.

أذكر اليوم الذي دفع فيه طالب في السنة السادسة لوك إلى أحد الجدران ونعته بالمنحرف. وكان رأس ماركوس لا يجاوز كتف دانيال ويذرز وكان في نصف عرضه، لكنه حين اقترب من الفتى الضخم، كانت لديه طاقة وضاوة كأنما كان وحشًا لا يربطه غير قيد ضعيف جدًا. وحينها قال ماركوس لدانيال، بينما كنت أضع رأس لوك المصاب بالكدمات على كتفي: ' لن أتشاجر معك، لكنني سأقضي عليك. ببطء، رويدًا رويدًا، حتى أجعل منك مضغة في أفواه الناس هنا. أنت تعرف أنني قادر على ذلك '.

يقول ماركوس مشيرًا إلى اللافتة التي تروج لنقانق جريج النباتية: "هل سنجرب إحدى هذه التشوهات، إذن؟".

فأقول له وأنا أسير بجانبه: "ظننت أنها تتنافى مع فلسفتك".

يبتسم ويقول: "ألا فلتعلم أنني لا ألتزم أبدًا بفلسفة واحدة مدة طويلة". وتبخرت ابتسامته حين دخلنا عبر أبواب محطة الوقود. وقال: "ديلان...".

ويتلفت خلفه؛ لا يزال الآخرون يعبرون موقف السيارات، ونظارة آدي تلتصق في الشمس. لقد فكت الجزء العلوي من سروالها الدانجري؛ من شدة الحر، بحيث كان الجزء العلوي المفكوك متدليًا لأسفل مرفرفًا حول خصرها؛ كانت ترتدي تحته قميصًا قصيرًا أبيض اللون ضيقًا ملتصقًا على جلدها وعلى القماش المكشكش لحمالة صدرها.

ويقول ماركوس: "أتعلم أن والدك عرض عليّ وظيفة؟".

ألتفت إليه وقد تعثرت خطواتي وأسأله: "والدي؟".

أشاهده وهو يقاوم الرغبة في قول شيء ساخر - يمكنني رؤية الكلمات على طرف لسانه، ثم أراه يكبحها مرة أخرى.

أسأله: "أي وظيفة؟".

يرد قائلاً: "كتابة الإعلانات لموقع الشركة الجديد. إنها مجرد وظيفة لستة أشهر، لكن، آه...".

كانت تلك وظيفة عرضها عليّ أبي مرات لا تحصى: أفضل ما يمكن عمله بالنسبة لخريج لغة إنجليزية ليست لديه خبرة. أنا واثق بأن عرضها على ماركوس كان الهدف منه هو أن يكون ذلك طعنة لي - وإلا فما الذي يدعو والدي إلى أن يقدم طوق نجاة إلى أحد أصدقائي؟

يقول ماركوس وقد تغيرت سحنته: "أنا بحاجة إليها حقًا يا ديلان. فلم أتلقَّ أي مال من أبي إلى الآن، ولديّ سجل إجرامي". حتى ماركوس - الفتى الذي يجعل الأشياء تتحقق - لا

يستطيع جعل الشرطة تُسقط عنه التهمة حين حطم، وهو مخمور، واجهة مكتب وكيل عقاري.

أجيبه: "اقبلها إذن".

يقول: "لم أكن أعرف أنكما متخاصمان".

"لقد قطع لوك علاقته به هو الآخر. فحين أخبر هو وخافيير أمي وأبي بشأن علاقتهما، قال أبي إنه لا يريد رؤيته معه مرة أخرى. لذلك...".

يجفل ماركوس ويقول: "يا للكارثة. إنني... لم أكن أعرف. لا شك أن لوك...".

أقاطعه: "أجل. كان الأمر قاسيًا عليه. لكنه يستحق أكثر من مجرد الاعتراف الناقص من والده. لكن مما يعزبه أن قطع علاقته بأبي سيكون لمصلحته أكثر من العيش معه وعدم القدرة على إحضار خافيير إلى المنزل".

"يجب أن أتصل بلوك. لقد كنت... أحتاج إلى الاتصال به".

نمشي صامتتين. لقد سمح لوك ماركوس قبلي بوقت طويل، من السهل على المرء أن يسامح حين لا تكون حياته هي التي دمرت - والعيش على بُعد آلاف الأميال في الولايات المتحدة لا يضر أيضًا.

يقول ماركوس وقد بدا التوسل في عينيه: "إذا... إذا كنت لا تريدني أن أقبل الوظيفة...".

أشعر، خلال لحظة خاطفة، بالرغبة في أن أقول له: ' كلا، لا تقبلها '، لأرى إلى أي مدى سيكون ولاؤه لي، لكنني لا أطاوع رغبتني. لست من ذلك النوع. وأظن أنه قبلها بالفعل.

أرد: "عليك أن تقبلها بلا شك، إنها فرصة جيدة".

لقد دخلنا متجر ويتروز، بعد أن اجتذبتنا برودة قسم المأكولات المثلجة؛ يفتح ماركوس باب ثلاجة الألبان ويتظاهر بأنه يتسلقها، فلا أستطيع مغالبة الضحك.

يقول ماركوس وهو يحك ظهره قبالة الزجاج البارد كأنه دب قبالة شجرة: "أذكر حين أجبرتني على شرب لترين من الحليب بعد الليلة التي قضيناها في واهو؟".

كان واهو أحد النوادي الليلية في أكسفورد - وهو في الحقيقة مقهى رياضي يتحول في الليل إلى نادٍ للطلاب. وكانت تفوح فيه دائماً رائحة الذرة الحلوة، وكانت قناة التسوق تشغل على شاشات التلفاز فيه بينما منسق الأغاني يشغل أغاني مغني الراب فلو ريدا.

أقول وأنا أنظر إلى مناضد البيع: "لم أجبرك على شرب لترين من الحليب". وترمقنا شابة تلبس زي ويتروز بنظرة مستفهمة؛ من المفترض أنها تحاول معرفة القاعدة التي يخالفها ماركوس من خلال محاولة اقتحام ثلاجة الحليب.

يقول ماركوس: "لقد أجبرتني بلا شك. ولماذا إذن قد أفعل ذلك؟". وابتسم لي كأنما يود أن يقول إنه يعرف جوابي.

أقول: "لأنك إنسان لا عقلاني تسعى إلى اللذة"، وتزداد ابتسامته، فأردف: "هيا، اخرج من عندك، إن المرأة خلف منضدة البيع تفكر فيما إذا كانت تحتاج إلى الاتصال بالأمن من أجلك".

يدهشني اختياري الكلمات، لكن ماركوس لا ينتبه إليها؛ ينظر إلى المرأة خلف منضدة البيع.

ويقول: "كلا، لا تخش منها. فلن تتصل بالأمن، حتى لو سرقت زجاجة شراب. وهو ما لن أفعله"، ويدير عينيه إلى أعلى حين يراني أتوقف عن الابتسام ويقول: "يا للهول، ماذا أفعل لأقنعك بأنني لم أعد أفعل تلك الأمور؟".

تدخل آدي، ورودني وديب المتجر، ويتوقفون حين يرون ماركوس يحاول إغلاق باب  
الثلاجة وهو داخلها. أنظر إليه بحدة حين يلاحظ تعبيراتهم.

يقول وقد زالت ابتسامته: "حسنًا، إذا كنت تريدني أن أجري عملية زرع شخصية، فمن  
الأفضل أن تتخلى عني من الآن، لكنني أتمنى أن نصل إلى حل وسط".

تقول السيدة عند منضدة البيع: "معذرة، أيمكنني أن أساعدك؟".

يصيح ماركوس مجيبًا: "أوه، أيمكنك مساعدتي؟ أريد فقط من يرفع قدمي إلى أعلى،  
وأريد إزاحة بعض علب الحليب، وأعتقد أنني سأستطيع حينها أن أرقد فوق الرف الثاني".

تجيبه المرأة بحيرة: "إنني لا... لا أظن أنه يفترض بك فعل ذلك".

يدهشني أن أسمع ديب وآدي تضحكان. ألتفت ناظرًا إليهما، وحين أرى آدي تخفي  
ابتسامتها بكفها، بينما تنزلق أساورها على ذراعها، ينطلق في معدتي شيء دافئ عميق،  
مثل اللحظة التي ينتشر فيها لون الشاي في الماء الساخن. تبدو تلك الضحكة أشبه بمتعة  
مريحة ويسيرة، كسعادة المرء حين يبادل الحب شخص يحبه. كنت قد نسيت كيف تضيق  
عينها حين تضحك.

أعتقد أن ماركوس على حق - إنني أضغط عليه أكثر من اللازم، وأنتظر منه الكثير، أو ربما  
أنتظر شيئًا خطأ تمامًا. إنه ماركوس. وهذه حقيقة لن تتغير. وبصريح القول، حين أشاهده  
يناقش موظفة المتجر المرتبكة، أدرك أنني لا أريده أن يتغير.

الماضي

# آدي

من اللحظة التي يعود فيها ديLAN، لا يتركني إلا نادراً. حتى في يوم عيد الميلاد، يأتي مع المساء، ويقود السيارة طول الطريق من منزل والديه في ويلتشاير لمجرد أن يسلمنا هدايانا بنفسه، وينضم إلينا في تناول الشراب المعد في الميكروويف أمام فيلم العفريت.

وحينما يبدأ الفصل الدراسي في يناير، أجد منه دعماً عظيماً فيما يتعلق بالعمل أيضاً، فهو الآن موجود دائماً ليصغي إليّ. ودائماً ما يفهم الأمور من منظور الطلاب. كان طالباً شقيّاً في المدرسة الثانوية، فيما يبدو. وكاد يطرد من مدرسته الخاصة الراقية التي اختارها له والده. على الرغم من ادعائه أن الذنب في الأساس كان ذنب ماركوس.

أعود من العمل إلى المنزل في إحدى ليالي يناير لأجد ديLAN مستلقياً على الأريكة، ويشاهد آخر الأفلام الوثائقية التي أحضرها أبي. إنه يقيم في مكان وجدته على منصة إير بي إن بي للتأجير بينما يبحث عن شقة، لكنه هنا معظم الليالي. أخلع حذائي في الصالة وأنا مبتسمة بالفعل.

ويقول ديLAN حين أدخل غرفة الجلوس: "عليك أن تأتي لتجربي صيد السمك بالطعم الصناعي". ويشرب من أحد أكوابنا المكسورة - من الواضح أن أمي لم تعد تعتبره ضيفاً. ويتابع وهو يحك مؤخراً رأسه: "تملك عائلتنا حقوق الصيد في جزء من نهر آفون، ولا أحد يستفيد منها. لقد أثبتنا، أنا وأخي، أننا صيادان سيئان. فلوك لم ينجح في الصيد قط، وأنا ليس لديّ الصبر الكافي".

يومئ أبي عدة مرات، ويقول: "حسنًا. سيكون ذلك رائعًا، أشكرك".

تلتقي عيناى بعيني أمي. إنها ترتب غرفة الجلوس - لا تكفُ أمي أبداً عن الانحناء لتلتقط جورباً ضائعاً، أو كوباً غير نظيف - وأشاهدها تحرك شفيتها باستمتاع. وتقول لي دون

صوت: ' إنه ثري جدًا'. فأتظاهر بالانزعاج.

وتهمس لي وهي تقودني إلى المطبخ: "لا تتظاهري بأنك لا تحبين فكرة امتلاك نصف نهر، في يوم من الأيام".

أضحك وأجاريها: "إنك تحبينه، على أية حال، أليس كذلك؟".

تقول وهي تملأ غسالة الأطباق: "لم تسأليني دومًا عن ذلك؟".

أهم بمساعدتها. لكنها تدفعني بعيدًا، لأنني وضعت أحد أطباق الحبوب في الأسفل وليس في الأعلى.

أجيبها: "كل ما هنالك أنني... أريد منك أن تحبيه".

تنظر إليّ بمكر وتقول: "أنا أحبه بصراحة. أتريدين مني أن أقول إنه يمكنه المكوث هنا حتى يجد لنفسه شقة، بدلًا من التنقل بين تلك الأماكن التي يستأجرها مددًا قصيرة؟".

تنطبق رموشي غير مصدقة، مذهولة: "يا للهول".

تقول وهي تنتصب: "إنه هنا طيلة الوقت، على أية حال، يا حلوتي"، بينما تمسح يديها في الجزء الخلفي من بنطالها الجينز. إنه ' بنطال أمهات '، مصنوع من قماش جينز سميك قديم ومشمر من الأسفل. وتواصل قائلة: "لقد تحدثنا أنا ووالدك عن ذلك، الليلة الماضية".

لا أحيير جوابًا. فقلبي يخفق. هل أريد ذلك؟ أن يعيش ديLAN هنا؟ يبدو ذلك... أمرًا هائلًا.

تميل أُمي رأسها وتناديني متسائلة: "آدي؟ ألا تريدين؟ إنكما لا يفارق أحكما الآخر، وتبدوان منسجمين معًا...".

أستند إلى المنضدة، وأقشر الجلد في طرف إبهامي: "أجل. إننا كذلك".

تغض من صوتها وهي تقول: "لكنك لست متأكدة من رأيه؟".

"كلا، إنني... كل ما هنالك... في ذلك الوقت حين كان مسافرًا، بدأت أفكر نوعًا ما... لم يكن يحبني كثيرًا في الحقيقة. وإلا لكان قد عاد".

"لكنه عاد، أليس كذلك؟".

"صحيح، لكن... مر وقت طويل دون أن يعود. وكنت أبدأ حينها عملاً جديدًا، وأحتاج إليه هنا نوعًا ما".

"هل أخبرته حينها بأنك كنت بحاجة إليه؟".

أقول وأنا خجلة من نفسي: "كنت أريده أن... أن يعرف ذلك بنفسه".

تلوح لي أُمي لأبتعد من طريقها لكي تمسح سطح المنضدة خلفي، وتقول: "عليك أن تتكلمي معه عن الأمر لتتخلصي من هذه الفكرة، يا حلوتي".

أعض شفتي ساهمة. إن المشكلة أنني رفعت سقف توقعاته نحوي في تلك الأسابيع التي قضيناها في بروفانس. وكان من السهل أن أكون فائنة ومثيرة للاهتمام وغامضة قليلًا في تلك الأسابيع الثلاثة. أما الآن فديلان هنا مستقلٍ على أريكتنا، وأنا عائدة متأخرة من العمل مرتدية بنطالي الأسود البالي وكنزتي الرثة... وما يقلقني أن هذا ليس ما عودت ديLAN عليه، هذا كل ما في الأمر. أي كل الأمور الحقيقية في حياتي. لقد أحب آدي التي عرفها في ذلك الصيف. وأنا بلا ريب لست الفتاة التي كنت عليها قبل الصيف، لكنني الآن لست آدي التي عرفها في الصيف أيضًا، أليس كذلك؟

أسأل بان دفاع وأنا أشاهدها تدس شعرها خلف أذنها، وهي تمسح الأسطح: "ماذا كنت ستفعلين أنت؟ مع أبي؟ أعني... لقد عشتما معًا ل...".

تلتفت أمي بوجهها من فوق كتفها وهي تبتسم وتقول: "خمسة وعشرون عامًا. والمسألة كلها تتعلق بالحلول الوسط، في رأيي".

أقول رافعة حاجبي: "مثلما تسمحين دائمًا لأبي بمشاهدة التلفاز بعد العشاء وتقومين أنت بالتنظيف؟".

تجيبني: "بالضبط. وهو يطبخ!".

أقول: "لكنك تفكرين فيما يجب طبخه، وتذهبين إلى المتجر".

ترد عابسة: "كل منا يؤدي نصيبه العادل".

ما من فائدة ترجى من الحديث مع أمي عن العبء الذهني. فبالنسبة إليها، يُعدُّ أبي رجلًا عصريًا لا مثيل له لأنه يكوي قمصانه بنفسه.

أسألها: "هل ستسمحين لي، على الأقل، بغسل الأواني؟".

تقول أمي وهي تناولني القفازات المطاطية: "قطعًا! إنك امرأة في طور التغيير حقًا، هذه الأيام. لقد اختفت الطالبة الكسول، وحلت محلها الشابة المسئولة التي تنتبه إلى كومة الأواني المتسخة في الحوض".

أخرج لها لساني، وأقول بينما أفتح صنوبر الماء الساخن: "أف، لا أعرف. لا أعرف سبب ترددي. سأسأله عن رأيه في الانتقال للعيش هنا بعض الوقت".

"لا بد أن تكوني واثقة بما تريدين يا حلوتي - أمامك حياة كاملة في انتظارك، فلا داعي للعجلة. أوه، انتبهي يا آدي لهذا الطبق، لقد كان لجذتك...".

أتركها تغسل الطبق الذي لا أملك الكفاءة الكافية لغسله.

وتتابع أمي: "لكنني لا أظن أن هناك ما يدعو لكى تخشى رفضه. إنه يكاد لا يفارقك".

يقول ديـلان عند المدخل: "أيمكنني أن أساعد؟".

ترمقني أمي بنظرة ذات مغزى، كأنما مجيء ديـلان للمساعدة في غسل الأطباق دليل لا يدحض على أنه لا يطيق الابتعاد عني.

وتصيح ديب عبر المنزل: "لقد عدت"، وتصفق الباب الأمامي وتردف: "هل ظل آدي هنا؟ أوه، جيد، مرحبًا يا ديـلان. أريد منك مساعدتي في طلب التقدم لوظيفة. أيمكنك أن تقرأه بإمعان من أجلي وتصححه وتجعله يبدو، أنت تعرف..."، وتلقي حقيبتها في ركن المطبخ وتكمل قائلة: "يبدو أكثر ذكاء؟".

يكرر ديـلان شبه ضاحك: "ظل آدي؟".

تشير ديب بيدها كأنها تقول: 'دعك من هذا'، وتتذمر حين لا تجد أي أكواب نظيفة في الخزانة. وتمضي إلى غسالة الأطباق، وتقول: "يا للعناء، أما زالت تُغسل؟".

تقول أمي بتهكم: "لا شكر على واجب".

ويتساءل ديـلان قائلاً: "ظل آدي؟ أتقصدني أنني أتبعها على نحو مزعج؟".

فترد ديب: "كلا، وإنما كأنك مربوط في كاحلها. سأضطر إلى استخدام فنجان - أبي! أبي! هل فنجاني الفرنسي المرسوم عليه كلب بولدوج عندك؟".

يزأر أبي في غرفة الجلوس: "لا".

وتقول أمي: "لقد تركته تحت مكتبك. وكنت أنظف المكتب، هذا الصباح. إنه في غسالة الأطباق".

أسألها: "تحت المكتب؟".

ويكرر ديلان مقطبًا جبينه: "مربوط في كاحلها؟".

وتسأل ديب: "متي ستصل شيري؟".

يصيح أبي مجيبًا، على نحو ساخط: "ستصل غدًا". أبي غير راضٍ لأنه حين تقيم شيري لدينا يضطر هو إلى إخلاء مكتبه، أو تلك الغرفة الصغيرة الموجودة في الجزء الأمامي من المنزل المليئة بأشياء تافهة. قطع نماذج القطارات والطائرات، والأعداد القديمة من مجلة بينو، وأجهزة حواسيب محمولة عفا عليها الزمن، لكنه لم يرمها لسبب غير معلوم. إن أبي يكره مجيء أي ضيوف. فهذا يمنح أمي حجة ممتازة لتطالبه بنقل تلك الأشياء التافهة.

يسألني ديلان بعبوس فاتن: "أتظنين أنني مربوط بكاحلك؟".

أجد قلبي ينفث لحظة، ويبدو لي كل شيء بسيطًا. ألف ذراعي حول رقبته، وأقبله في شفتيه.

أقول له: "أعتقد أن عليك أن تلغي إيجارك على منصة التأجير".

يتراجع إلى الخلف ويسألني: "ماذا تقصدين؟".

"تقول أمي إنه يمكنك الإقامة هنا ريثما تجد شقة تشتريها".

تقول ديب وهي تمر بنا: "أوه، ديلان سيعيش هنا!".

يتورد خدائي، وأقول: "لن يعيش هنا"، وأندم قليلًا في الحال، وأستدرك: "إنه يبيت هنا معظم الليالي، على أية حال".

يحرك ديLAN رموش عينيه غير مصدق. وفي اللحظة التي يبدأ فيها القلق يقلص معدتي، يحضني، ويقبل خدي، وجبيني ورقبتي. أضحك متلوية بين ذراعيه.

يرفع رأسه ويقول مخاطبًا أمي: "شكرًا لك. إن هذا لكرم بالغ منك ومن نيل"، ويخفض فمه إلى فمي مرة أخرى، ثم يقرب شفتيه من أذني، ويقول: "وشكرًا لك".

أجيبه وأنا أبتعد عنه، فيما أبتسم: "انتظر حتى تقيم هنا بضعة أسابيع. فستملُّ أشد الملل من سماع غطييط أبي عبر الجدار، ومن الجلبة التي تحدثها ديب في المطبخ، في الخامسة من كل صباح، وستخرج من هنا لا تلوي على شيء".

يذهب ديLAN لإحضار شيري من المحطة. لا أدري من أين جاء بالسيارة. وفي أحد الأيام وجدت... لديه سيارة فحسب. جديدة تمامًا وتعبق برائحة معطر الجو الذي صنعه أشخاص من الواضح أنهم لم يعرفوا الورد والزنابق إلا عن طريق السماع فقط.

تظهر شيري على عتبة باب أسرتي كأنها الأميرة المثالية في المدرسة العامة، كعادتها. شعرها مربوط على شكل ذيل حصان عالٍ وبسيط، وتبدو كأنها لا تضع أي مساحيق تجميل، لكنني أعرف مقدار الوقت والجهد - وعدد المنتجات - المبذولين للحصول على هذا المظهر. تشاركنا أنا وشيري غرفة واحدة في السنة الثانية بالجامعة. وليس هناك الكثير مما لا تعرفه إحدانا عن الأخرى. لم تكن بيننا حدود. وتجاوزنا كل الحدود. كنا نستعير الثياب الداخلية إحدانا من الأخرى.

ترمي نفسها في حضني عند العتبة. وحين نتعانق، يصدر منا ذلك الصراخ الذي تصرخه الفتيات في أفلام المدارس الثانوية الأمريكية. بدأنا ذلك في الأصل من باب المزاح، لكننا تخلصنا بالتأكيد من ذلك الشعور الساخر منذ فترة لا بأس بها.

"آدي! يا للهول، كم اشتقت إليك!".

أجيبها وأنا أجدبها: "تعال، لقد جهز أبي غرفتك مرة أخرى".

كثيرًا ما تأتي شيري هنا. كما أن والديها أكثر منها غرابة: فإذا مكثت في المنزل أكثر من أسبوع أو اثنين، فعادة ما يجبرانها على فعل شيء متناهي العجب والغرابة، مثل حياكة وشاح يبلغ طوله ألفًا وخمسمائة متر للأعمال الخيرية، أو المساعدة في إيواء الكثير من الراهبات.

تقول شيري وهي ماضية إلى المكتب: "أتمنى أن يكون نيل قد ترك لي نموذج طائرة أركبه مرة أخرى". وتجلس على السرير وتتواثب عليه، وهي تجيل ناظريها فيما حولها بسعادة. وتقول: "بيتي! أو بالأحرى، أحد بيوتي. أحد بيوتي المفضلة. أوه! السيد والسيدة جيلبرت!".

وتهرع شيري نحوهما لتعانقهما، بينما تقول أمي: "مرحبًا بعودتك يا حلوتي".

يحب والداي شيري. إن الجميع يحبون شيري. لأن عدم حب شيري سيكون أشبه بكره الجراء.

تقول شيري وهي تدفع ديLAN بفخذها بعيدًا عن طريقها: "سأشغل الغلاية. فلدينا الكثير لنحدث عنه".

تمضي بالفعل صوب المطبخ. ونسير في إثرها جميعًا.

تقول شيري لأمي وهي تملأ الغلاية: "أنا وسيطة تعارف بارعة. ألم أقل لك إنني سأجد شخصًا مناسبًا لآدي؟".

أتجهم قائلة: "لم أكن أحتاج إلى...".

فتقاطعني مواصلة كلامها وهي تلوح لي بإصبعها: "ومن الجيد أنك قضيت الصيف في فرنسا. لأنه ما من رجال في مجال التدريس".

أجيبها ضاحكة: "بل هناك. إن مدير مدرستنا رجل".

تدير شيري عينيها إلى الأعلى وهي تنقر على زر الغلاية: "أوه، المدير رجل بالطبع. أكاد أجزم بأنه عجوز وممل".

أرد وأنا أشير إليها نحو خزانة الأكواب: "إنه شاب وممتع، في الحقيقة. وجذاب أيضًا".

تقول شيري وهي تفتش في الخزانة: "أوه! عرفيني به إذن. أين فنجان ديب المرسوم عليه كلب بولدوج؟ هل خبأته في مكان ما؟".

تظهر ديب في مدخل المطبخ، وتقول: "هل صوتك عالٍ هكذا دائمًا؟ لا أتذكر أنك كنت بهذا الصخب من قبل".

تهرع شيري نحوها لتعانقها وهي تقول: "ديب!"، ثم لا تلبث أن تتوقف، فتزلق قدمها قليلاً على الأرضية: "لا تحبين العناق! لم أنس. مرحبًا! تبدين فاتنة جدًا!".

تبتسم ديب وتقول: "مرحبًا يا شيري. يمكنك استخدام فنجاني. إنه في الدرج السفلي، داخل وعاء الغسيل الاحتياطي".

تدور شيري على عقبيها مسرورة صامتة، وترفع قبضتها في الهواء بانتصار، وتمضي نحو الدرج.

وتقول ديب حين تجدنا نحدق إليها جميعًا: "ماذا؟ حاولوا أنتم أن ترفضوا طلبًا لتلك المرأة".

# ديلان

شاب وممتع وجذاب؟

أخذُ الشاي الذي تقدمه لي شيري، وتتأمل وجهي لحظة، وتصبح جادة؛ إنها تعرفني جيداً.

تقول: "هل أنت على ما يرام؟".

أبتسم مغالبًا خوفي وأعيده إلى حيث أتى، من الظلمة والتعلق: "لا شك في ذلك".

تبدو غير مقتنعة، لكن تبدأ ديب عندئذ التشكي لأن أم آدي تصر الآن على شراء الحليب منزوع الدسم، بدلاً من الحليب قليل الدسم المعتاد، ويبدأ الجدل حول ما إذا كان الحليب كامل الدسم هو الذي تكون علبته خضراء من الأعلى أم زرقاء، وتنشغل شيري عني مرة أخرى.

يعتريني الاضطراب، وأنا أمسك الشاي بين راحتيّ، حين أشاهد آدي. إنها ترتدي سروالها الدانجري، وشعرها الفاحم لا يزال مجموعاً في كعكة مائلة كما نامت به؛ إنها شعثناء وغير مهندمة ألبنة، وعلى طبيعتها. إنها تقريباً أكثر مرة بدت لي فيها على أنها آدي الحقيقية، هنا بين عائلتها المجتمعة حولها، ويغزوني يقين مرعب بأن كل رجل في الدنيا واقع في غرامها بلا ريب.

لقد قالت عن مدير مدرستها إنه شاب وممتع وجذاب. ولم أسمعها تتحدث عنه من قبل قط. أذكر أنها قالت إن كبار الموظفين في المدرسة شديداً يدعم لها، لكنني افترضت أنهم نسوة في منتصف العمر.

يرن هاتفني في جيبني فأجفل - لا شك في أنه والدي. لقد تجاهلت مكالمته الأخيرة، وتركت الهاتف يرن في يدي مرة بعد مرة، مشاهدًا اسمه يتمايل على الشاشة كأنه غماز صيد في

الماء.

تقول شيري: "غير معقول! السيدة في الناحية المقابلة؟ تلك التي لديها أقراط كثيرة في أذنيها؟".

تقول آدي وهي منحنية من شدة الضحك وقد تورد خذاها: "أجل! هي عينها!".

فتسأل شيري وقد اتسعت عيناها: "وماذا عن القط؟".

تجيب والدة آدي ضاحكة: "أرسل إلى أمها. فلم أره منذ ذلك الحين!".

كلهم مستغرقون في الضحك - حتى والد آدي كان يضحك، ولم أره يضحك إلا حين يتعثر الرياضيون على شاشة التلفاز. أتمنى لو أنني سمعت بداية القصة، بدلاً من قضاء الدقائق الخمس الأخيرة مستغرقاً في متاهة أفكار المعذبة.

أخرج هاتفي من جيبي الخلفي وأتفقده.

أجد رسالة: اتصل بي. لا يمكن أن تكون جاداً في ذلك الكلام الفارغ المتعلق بتشيتشستر. عليك أن تعود إلى المنزل وتبدأ فعل أي شيء مفيد في حياتك.

أزدرد رريقي.

تسألني آدي وهي تخفض بصرها إلى هاتفي: "هل أنت بخير؟".

أسارع بإطفاء شاشته فتعود سوداء. وأجيبها: "أنا بخير. إنه والدي، يلح عليّ لمشاهدة عقار آخر".

تضحك آدي قائلة: "استمع إلى نفسك وأنت تقول 'عقار'. لقد صرت راشداً تماماً".

أنا راشد؟ في كل يوم تعود من عملها إلى المنزل، وتخلع حذاءها متأوهة، وتفك شعرها المصفور في شكل كعكة، ثم تخبرني عن الأطفال الذين رفضوا تسليم السجائر التي لفوها في استراحة غدائهم، وأحاول أنا قول شيء مفيد وداعم، لكنني أشعر بأنني مدلس. إن آدي تعيش في العالم الحقيقي. أما أنا فلا أعرف ما هو العالم الحقيقي. تستولي عليّ الرهبة مرة أخرى، ويكاد خوفي من الرهبة يكون سيئًا بمقدار سوء الرهبة نفسها.

ويرن هاتفي مرة أخرى: رسالة من ماركوس هذه المرة.

مرحبًا؟؟ أما زلت هناك؟ لقد نسيت شكلك يا صاحبي.

أحس بالذنب على نحو لا لبس فيه - منذ عودتي إلى المملكة المتحدة، لم أرَ ماركوس كثيرًا كما ينبغي.

وتصل رسالة أخرى.

تعال الليلة. فلديّ شيء رائع حقًا لأريك إياه، وسيكون من اللطيف حقًا قضاء بعض الوقت معًا.

تسألني آدي: "ما رأيك؟".

أجيبها وأنا أزيح شعري عن عيني: "ماذا؟ أنا آسف، لم أسمعك".

تذفر آدي من أنفها وتسألني وهي تشير إلى جيبيني: "أكتب قصيدة هنا؟".

فتصيح شيري من أقصى المطبخ، وهي تشغل محمصة الخبز: "قل لي الكلمة وأنا سأجد لك القافية يا ديLAN!".

كثيرًا ما حاولت أن أشرح لشيري أن القافية ليست ضرورية دائمًا في الشعر، لكنها تأبى أن تفتنع.

أجيبها: "لا أحتاج إلى مساعدة، شكرًا يا شيري".

وتهتف شيري وهي تنحني تحت ذراع ديب لتخرج السمن من الثلاجة: "شيري! بيرى!  
فيرى! ديرى! كيري! ميرى!".

ويسأل والد آدي أمها: "أليس لديها مفتاح للتحكم في مستوى الصوت؟".

فتجيبه أم آدي بمحبة: "ستهدأ في نهاية المطاف. فكل ما هنالك أنها تشعر بالحماسة".

فيرد والد آدي مقترحًا بشيء من القنوط: "ألا يمكننا أن نأخذها في نزهة أو أي شيء من هذا القبيل؟".

تقول لي آدي وهي ترفع صوتها بسبب الضجيج من حولنا: "كنا نتحدث عما سنفعله الليلة.  
أنتناول الشراب أم نشاهد فيلمًا؟ أم نلعب لعبة صياح شيري - ونشرب كلما صاحت؟".

أريد ذلك. لا أريد أن تغيب آدي عن ناظري ولو لحظة؛ وأعرف على نحو ما أنني ما زلت  
أسدد ثمن تلك الفترة التي ابتعدت فيها، أو ربما لست أدفع ثمنها وإنما أعوضها. لكن هناك  
تلك الرسالة من ماركوس. ' سيكون من اللطيف حقًا قضاء بعض الوقت معاً'.

أجيبها: "سأذهب إلى ماركوس، الليلة. أنا آسف حقًا".

يتغير وجه آدي. ليست غاضبة تمامًا، وإنما أقرب ما تكون إلى ذلك - خائبة الأمل؟ أم  
حزينة؟ تبتعد عني سريعًا قبل أن أتحقق.

وتقول وهي تخرج من المطبخ مبتعدة: "حسنًا، لا مشكلة".

كان جويل، والد ماركوس، يلعب لنادي أرسنال في شبابه، وكان راتبه الأسبوعي يزيد على  
خمسین ألف جنيه إسترليني، والمنزل الذي بناه بنفسه مصمم لإظهار تلك الحقيقة بكل  
الطرق الممكنة. وتحيط بذلك القصر هالة من الألق الصارخ، والبذخ السافر المفرط الذي

يجعل المرء يُحدث بأسنانه صريرًا. الصنابير مصنوعة من الذهب - ليست مطلية بالذهب، وإنما مصنوعة من ذهب حقيقي خالص - والأسوار مصنوعة من الحديد المشغول، وتمثل تكرارًا لشعار نادي أرسنال.

زرت منزل ماركوس مرات كثيرة لدرجة أنني لم أعد أنتبه إلى مدى سخافة كل ذلك - خزانة الملابس العملاقة التي يسير المرء داخلها في كل غرفة نوم، والسينما في الطابق السفلي، والمنزلق على غرار متنزهات الترفيه في الحديقة الخلفية. ولا بد لي من التوقف المتعمد لأستغرق لحظة في تأمل مدى الانحطاط الهائل والمثير للغثيان لكل ذلك.

يقول ماركوس نازلًا على السلم الكبير: "لقد تأخرت. لقد فاتك العشاء. كانت إنديا قد أحضرت شطائر مكسيكية".

إنديا هي زوجة والد ماركوس. إنها تبلغ نصف عمر جويل، وكانت مغنية ثانوية سابقة مع مايلي سايروس؛ وقد أنشأت إمبراطورية من بيع أطعمة الكلاب النباتية، ولديها أكثر من مليوني متابع على إنستجرام. ماتت أم ماركوس حين كان في الخامسة من عمره، وظهرت إنديا على الساحة بعد ذلك بستة أشهر فقط. وهناك مئات الأسباب التي تدعو ماركوس إلى كرهها، لكن حين يعرف المرء إنديا سرعان ما يدرك سبب حبه البالغ لها. أو بالأحرى، لماذا أحبها من قبل.

إنديا صاحبة، وطيبة وصريحة لدرجة الوقاحة. وحين كان ماركوس مراهقًا، كانا يتباريان في الصياح، وتبرز العروق في جبينيهما، ويتجادلان بصوت عالٍ وبطريقة وحشية لدرجة أن المرء لا يصدق أنهما قد يصلان إلى أي حل، وبعد ذلك، وبمعجزة ما، يعتذر ماركوس لإنديا عما فعله، أيًا كان ذلك، ويعودان للعب الجولف معًا من جديد. هكذا كانت الأمور تجري لدى عائلة ماركوس، إلى أن تركت إنديا جويل في عامنا الأول بالجامعة من أجل شقيقه.

لم أرَ ماركوس محطماً على هذا النحو من قبل. لقد جن جنونه. حفلات لا نهاية لها، وعريضة، ورحلات بعشرات الآلاف من الجنيهات إلى منتجعات التزلج، ومواجهات مع الشرطة. والليلة التي وجدته فيها وحده فوق سطح دار العبادة في الكلية ومعه زجاجة أفستنتين كانت هي نقطة التحول: أخبر جويل ماركوس بأنه سيرسله إلى مركز لإعادة التأهيل إذا لم يصلح من نفسه. أتذكر المكالمة الهاتفية، وكيف اتسعت عينا ماركوس لحظة حين نظر إليّ، وفكرت في أنه قد حدث له شيء أخيراً. كان يجدر بي أن أفكر في إعادة تأهيل نفسي: لا يكره ماركوس شيئاً أكثر من كرهه الشعور بأنه مهجور وحده في مكان ما.

لم يصلح نفسه تحديداً بعد ذلك، وإنما استطاع أن يكبح جماحها قليلاً. أو بالأحرى، لا يزال يحاول.

وكان مما أدهشني أن إنديا لم تقطع كل صلاتها بجويل. فلا تزال تزور منزل جويل لتري ماركوس؛ ولا تزال تتصل به وتراسله. وتقول إنها لا تزال تعدُّ نفسها أمه، لكنه لم يعد يراها بهذه الطريقة منذئذ، والآن تنتهي مباريات الصراخ بخروج ماركوس من المنزل والاتصال بي.

لا عجب إذن في أنه كان حريصاً على مواصلة السفر. وحين لم أجد أي طاقة لديّ للنهوض من السرير، تفهّم ماركوس ما بي - لم يقل ذلك من قبل، لكنني أعرف أنه أحس بالرهبة نفسها من قبل أيضاً.

أسأل ماركوس حين ينزل إليّ: "ما الذي أردت أن تريني إياه؟". في حذائه وحل؛ تترك خطواته أثراً على الأرضية، آثار أقدام بنية شاحبة كرتونية الشكل على الرخام النقي.

يومي لي ماركوس برأسه لأتبعه ويمضي صوب الحديقة. ويلتفت مبتسماً ويقول: "سيعجبك. تعال".

أبتسم له على الرغم مني. يتحسن مزاج ماركوس ويسوء مثل زخات المطر، لكن يا له من شيء ممتع، حينما يكون في مزاج جيد.

نخرج إلى نور الأصيل الرمادي. السقيفة الخلفية - بحجم ملعب إسكواش تقريبًا - تديرها أضواء وردية هادئة مثبتة بين البلاطات؛ تضيئ تلك الأضواء على ماركوس مظهرًا غريبًا نوعًا ما، كما لو كان شخصية في فيلم رعب، مسلطًا عليها ضوء أحمر فاتح. وبعد السقيفة، تمتد المروج حتى البحيرة الصناعية التي احتفل فيها ماركوس بذكرى مولده الحادي والعشرين. لقد اعترض الجميع حين أصر على ارتداء ثوب سباحة نسائي - إنها بحيرة في بريطانيا، أي شديدة البرودة - إلى أن غاص فيها أول شخص جسور، واكتشف أنها مدفئة تمامًا.

نسير فوق العشب. ويقفز ماركوس بين أحجار الممشى التي وضعتها إنديا حين كان طفلًا. ومع انحسار الضوء الوردي الآتي من السقيفة، يشغل ماركوس الكشاف في هاتفه، مرسلاً ضوءه في كل اتجاه وهو يقفز من حجر إلى حجر.

للبحيرة رصيف صغير - في هذا الموضع تزوجت إنديا وجويل. لا شك في أنني كنت في الثامنة من عمري تقريبًا. كان جويل قد قابل أمي في مهرجان بلندن، وقامت صداقة منذ ذلك الحين بين عائلتنا. وقفت بجوار ماركوس في حفل الزفاف؛ كان يرتدي بدلة زرقاء شاحبة وصديرية، وكان على رأسه إكليل من الأزهار متداخل مع خصل شعره المجعدة، يميل ملتفًا على إحدى أذنيه. بكى حين قال كل منهما للآخر إنه يقبل الزواج به، مجرد دموع تنهمر على خديه، دون رجفة في الكتفين أو شهقات. حتى ذلك الوقت، كنت أعرف أن ماركوس حزين على فقد أمه، لكنني لم أشعر بالأمر من قبل. أمسكت يده بقوة؛ وعلى الجانب الآخر، في الممر، مد أخي يده ليمسك يد ماركوس الأخرى.

ناديت سائلًا: "إلى أين تأخذني؟".

ماركوس يتقدمني الآن، عند الرصيف تقريبًا. يسقط ضوء هاتفه على سطح الماء مرسلًا انعكاسات مرتعشة؛ وأرى قاربًا يتمايل في البحيرة.

ينتحي ماركوس جانبًا لكي أصدع إلى القارب أولًا. إنه قارب خشبي صغير له مجدافان وألواح للجلوس فوقها. أنظر إليه مسترهبًا.

يقول ماركوس وهو يدفعني دفعة ودية: "اصعد إليه، أيها المغفل. كما لو أنك لم تقض نصف طفولتك في الصيد".

أصح له: "من فوق الضفة. كنت أصطاد من فوق الضفة".

يدفعني ماركوس مرة أخرى دفعة تكفي لتجعلني أفكر في أنه سيساعدني على الصعود إلى القارب إذا لم أتمكن من ذلك. وأقفز إلى القارب فأهبط بغير توازن وأتشبث بأحد الألواح لئلا أسقط تمامًا. يضحك ماركوس خلفي، وينطلق شعاع كشاف هاتفه حولنا منيرًا الأشجار البعيدة، ثم البحيرة المعتمة، ثم الرصيف، وهو يقفز بجواري. الجو بارد بما يكفي لأرى أنفاسي تصنع ضبابًا خارجًا من فمي حين يمر ضوء الهاتف أمامي.

أسأله: "إلى أين سنذهب؟".

يجيبني: "كل شيء في وقته يا صاحبي! هلا أمسكت مجدافًا؟".

نجدف على نحو عشوائي في الماء. ومع ممارسته كل رياضة يتخيلها المرء في الجامعة - ومع جيناته الرياضية - قد يظن المرء أن ماركوس سيكون بارعًا في التجديف، لكنه أخرق تمامًا. ندور حول أنفسنا بعض الوقت، ويرش أحدها الآخر بالماء، ومنتشاتهم، ومنتضاحك، إلى أن نتمكن من التجديف نوعًا ما.

تدفع الحركة جسدي، وتأتي مع الدفع فورة من إثارة المغامرة. عادة ما يكون الأمر هكذا مع ماركوس، فهو يستخرج الشجاعة الكامنة داخلي. وبوجود ماركوس إلى جانبي، أكون

شخصًا آخر، من ذلك النوع الذي لا يلزم الحذر، ويتحدى والده، ويختار الشعر وهو يعرف أنه ليس أفضل خيار.

ما من رصيف في الطرف الآخر للبحيرة، وإنما مجرد ضفة نتسلقها - وحين نصل إلى البر، يكون كل منا قد ابتل بالماء، وبينما يربط ماركوس القارب بلا عناية في وتد خشبي قريب من الماء، أستنتج أن والده أوقف تدفئة البحيرة طوال الشتاء. ينسرب الماء عبر بنطالي الجينز، وينهش البرد أصابعي.

يقول ماركوس وهو يقودني نحو الأشجار: "من هذا الطريق"، ولا يقول أكثر من ذلك. أخرج هاتفي لأتأكد من أنه لا يزال جافًا، وأضغط على علامة الكشاف فيه - لم يعد ضوء هاتف ماركوس كافيًا. الأشجار متقاربة حولنا، وجذورها بارزة تحت قدمي. يوجد درب هنا - يبدو كأن سيارة مرت منه، تاركة خطين غائرين عريضين، وتتجمع فيهما بقايا أمطار النهار مثل ثمالة شاي. يصيب التلف حذائي. أنا أنتعل حذاء رياضيًا - كان يجدر بي أن أنتعل حذاء مطاطيًا. لا يعرف المرء أبدًا ما قد يحتاج إليه حين يستدعيه ماركوس في مساء ما.

حين أفتح فمي لأسأله، مرة أخرى، عن المكان الذي يأخذني إليه، تنتهي الأشجار، ويضيء هاتف ماركوس مبنى ما.

إنه كوخ. يبدو كله كأنه بُني بالخشب، مع أنه من الصعب رؤيته في الضوء الأصفر الهزيل لهاتفينا. وتوجد شرفة، ترتفع فوق أرضية الغابة الموحلة، ومعظم واجهتها من الزجاج - هناك نوافذ تصل إلى الطرف المدبب من سقفها. يتقدم ماركوس إلى الأمام ليضغط على شيء، فتضيء فجأة حواف السقف، وسور الشرفة والباب بأضواء زينة صغيرة متلاثلة.

أقول متقدمًا إلى الأمام: "إن هذا... أكان هذا الكوخ هنا دائمًا؟"، وأصوب ضوء كشافني نحو العوارض الخشبية الجميلة فوق الشرفة.

يجيبني: "كلا. لقد كان أبي يعمل عليه، العام الماضي. تعال - وانتظر حتى تراه من الداخل".

يسرع صاعدًا الدرجات أمام الباب، وأتبعه إلى الداخل، وأخلع حذائي الرياضي المبتل القذر عند الباب. الجو دافئ على نحو جميل في الداخل. والجدران من الخشب، والأرضية مفروشة بسجاد سميك كثيف الوبر. إنه كوخ فسيح على نحو خادع - توجد مساحة في غرفة المعيشة تتسع لأريكتين، ويمكنني أن أرى مطبخًا وحمامًا مختبئين تحت السلم.

أقول وأنا أطل برأسي فوق السلم: "هذا مذهل". يوجد في الأعلى حمام آخر، وغرفتا نوم مبطنتان بالخشب، وهناك سجادة رمادية فخمة وأسرة مزدوجة.

يقول ماركوس: "إنه لنا. لي ولك".

أتوقف أثناء نزولي السلم. يرفع بصره نحوي مبتسمًا وهو ينتظرني في الأسفل.

أسأله: "ماذا قلت؟".

يرد: "لقد أنشأه أبي لنا. إنه مثل مأوى للعجائز، لكنه للخريجين. أي مأوى للخريجين".

يتركني ويمضي إلى المطبخ، ويخرج لنا شرابًا باردًا من الثلاجة. أتبعه ببطء متحسبًا السجاد الناعم تحت قدمي عبر جواربي، وأحاول استيعاب الأمر.

"لي ولك".

أسأله: "هل بنى والدك بيتًا لنا؟".

يقول ماركوس هازًا كتفيه وهو يناولني الجعة: "ولم لا؟ هذه الأرض ملك لنا".

أجيبه وأنا أتجول متأملًا الصور المعلقة على الجدران: "لم أكن أعرف قط أنكم تملكون هذه المنطقة بعد البحيرة".

يضحك ماركوس: "بالطبع نملكها. إننا نملك الأرض حتى الطريق. وقد أنشأ أبي ممرًا إسفلتيًا من هنا إلى الطريق، لكي نستطيع الدخول منه مباشرة - وهناك موقف سيارات في الخلف. ولم آت بك من الطريق المخيف عبر البحيرة إلا لإضفاء تأثير قوي"، وأضاف وهو يغمز بعينه: "ستحب الفتيات ذلك".

أقول: "لا يمكنني... العيش هنا. إذا كان هذا ما تعنيه حقًا؟".

يحب ماركوس من شرابه، ويرتمي على الأريكة خلفه: "يمكنك قطعًا العيش هنا. اسمعني"، ويمسح فمه قبل أن يتابع: "كلانا يعلم أن العيش في لندن والعمل في شركة والدك ليسا الخطوة المناسبة لك، ونعلم أنك لا تريد العيش بمنزلكم في ويلتشاير. فأى مكان غير هنا يمكنك فيه أن تؤلف تحفتك الخالدة؟".

أجيبه: "سأنتقل إلى تشيتشستر، لقد أخبرتك. سأبحث عن وظيفة هناك. وسأعيش مع أهل آدي إلى أن أجد مكانًا يعجبني".

يسعل ماركوس ويقول: "اسكت أيها الغبي، لن تفعل ذلك حقًا. لا يمكنك الانتقال للعيش مع أهل فتاة عبثت معها، هذا الصيف. في تشيتشستر".

أترجع. وتتعرق كأس الشراب الباردة في يدي.

"إنها ليست أي فتاة. إنها آدي".

يشيح ماركوس بوجهه لحظة. لقد أنهى شرابه تقريبًا؛ ينهض ويمضي إلى الثلاجة ليحضر غيره.

يسألني: "منذ متى تعرف آدي؟".

أجيبه: "أنت تعرف الجواب".

"أجبنني فحسب".

"قابلتها في أوائل يوليو".

"ها؟".

"ونحن الآن في يناير. لذا فقد عرفتها مدة... ستة أشهر".

"وكم يوماً قضيته مع آدي؟". يفتح ماركوس عبوة شرابه فيصدر هسيس منها.

"هذا غير مهم".

"بل مهم. وإلا لظل علينا أن نتزوج الفتيات اللاتي نلتقي بهن مرة واحدة في حفلات الرقص الريفية، كما اعتاد الناس أن يفعلوا في الأيام الغابرة. لقد تطورنا منذ ذلك الحين يا ديLAN. وفي الوقت الحاضر نتواعد، وننتقي منهن من تناسبنا أكثر من غيرها. وإذا أعجبنا حقاً بإحدهن، فإننا نقضي معها المزيد من الوقت، ثم ننتقل للعيش معاً بضع سنوات. وبعد ذلك... ربما، إذا فقدنا الرغبة في الحياة، أو أيّاً كان ما يقود الناس للاستقرار، نتزوجهن. لكننا لا نعيد ترتيب حياتنا بسبب علاقة جيدة".

أضع عبوة شرابي، ثم أمسكها مرة أخرى وأمد يدي لألتقط إحدى قواعد الأكواب لأضعها فوقها. قلبي يضرب جدران صدري.

أجيبه بصوت مختنق: "إنها ليست مجرد علاقة جيدة. أنا أحبها". أزيح شعري عن عيني؛ يلتصق بجبيني؛ من كثرة العرق.

يزمجر ماركوس بصوت خفيض ويرفع يديه في الهواء، ثم يرشف الرغوة من شرابه حين يفور في يده.

يقول: "فهمتك يا ديلان. إنها فاتنة، إنها ذكية، إنها تجعلك تعاملها باحترام. فهمتك صدقني. لكن آدي... ليست مناسبة لك". ويمرر يده خلال شعره. إن حركاته تبدو مهتاجة ومحمومة أكثر من المعتاد، وأتساءل عما إن كان قد تعاطى أي شيء. ويكرر: "إنها ليست مناسبة".

أرشف من شرابي ثلاث مرات. رأسي يدور. أقول: "بل مناسبة. إنها مثالية".

يصيح ماركوس: "كُفَّ عن هذا"، فأجفل وتنسكب الجعة على ظاهر يدي. ويردف: "ألا ترى ما تفعله؟ إنك تجعل منها شيئاً هي ليست إياه. إنك لا تفهمها. إنها ليست لمهتك الجميلة يا ديلان، إنها عابثة وماكرة وجامحة. إنها كارثة تنتظر أن تتحقق. ولتعلم أنها تملك القدرة، لكنها لا تعرف ذلك أيضاً. إنها أشبه ب... إنها لم تُكتشف بعد".

أحدق إليه. إنه يتحرك بخطى سريعة الآن، ويشد شعره.

ويكرر: "إنها ليست مناسبة لك، أفهمت؟".

أقول بشيء من الاستسلام: "إنها مناسبة، في الحقيقة". لا شك في أنه منتش - لا أعرف كيف لم ألاحظ ذلك من قبل. إنه لم يرَ آدي منذ كنا في فرنسا، وقلما نتحدث عنها - لا أفهم على أي أساس استطاع أن يقرر أنها كارثية على هذا النحو.

أشاهده وهو يحاول تمالك نفسه، ويتوقف عن السير، ويدور على أصابع قدميه لينظر إليّ.

يقول: "فلنعكس الأدوار. ماذا لو كنت أنا من يفعل ذلك؟ معها؟ ماذا كنت ستقول لو كنت أنا من يغير حياته كلها ويتحول إلى شخص مختلف وبهيم هذه الفتاة؟ لكنت أنت وإنديا تكاتفتما لتقوما بتدخل كامل شامل، أنت تعلم ذلك".

لا أرد. هذا صحيح في الحقيقة، لأكون صادقاً. لكنني لست ماركوس. إنه يحب النساء ويتركهن، مثلما يحب أي شيء ويتركه: سريعاً، وبلا تفكير، بكل خفة. بينما أنا... لم أشعر بهذا النحو من قبل قط.

أقول: "أعرف أن هذا قد يبدو... متسرّعًا... أو غير مدروس إلى حد ما، لكن ما من فارق في أن أكون في تشيتشستر أو في أي مكان آخر ريثما أعرف ما أريد فعله، و...".

يرفع ماركوس ذراعيه مقاطعًا: "حسنًا. يمكنك أن تمضي فيما تريد، وتشتري شقة في تشيتشستر إن كان لا بد لك من ذلك. لكن امكث هنا أثناء بحثك. ولا تقل لي إن العيش في منزل أهل آدي أفضل من العيش هنا".

أتخيل نفسي، في جزء من الثانية، وأنا أعيش هنا، أتجول حول البحيرة في الصباح ودفترتي في جيب معطفي، والقلم خلف أذني، مانحًا نفسي المجال والفرصة التي أحتاج إليها للكتابة. لكن لا. أريد أن أعيش في منزل أهل آدي. أريد الوقوف معها في المطبخ وهم يثرثرون حولنا ويتندرون بالحديث عن القطط والحليب قليل الدسم؛ أريد أن أعرف كيف يميل شعرها المصفور على شكل كعكة جانبًا خلال الليل، وما الذي يجعل صوتها خفيًا ومحشرجًا حين تستيقظ، وكيف تضيق عينيها وتدير ظهرها حين أفتح ستائر غرفة نومها. "لا يمكنني العيش في حديقة والدك فحسب. إن هذا... من الجيد أن والدك قال إنه يمكنني الانضمام إليك هنا، لكن...".

يقاطعني ماركوس: "لقد بناه أبي من أجلنا معًا. وليست المسألة مسألة 'انضمام إليّ هنا'. هذا الكوخ لنا. إنه صرح للصدّاقة". ثم يرفع شرابه ملوحًا به نحوي، لكن عينيه كانتا متحجرتين.

أجيبه متلعثمًا: "وهذا رائع. إنه رائع. لكنني أحتاج إلى مهلة للتفكير في كل هذا. إنه تغيير تام للخطة".

أدير بصري فيما حولي. هناك تلفاز ضخم، له شاشة مسطحة، ومثبت على الجدار فوق موقد الخشب. والوسائد على الأريكة من الفراء الأبيض الأصلي.

يقول ماركوس وهو يعب ما تبقى من شرابه: "حسنًا. فلنشرب، ونستمتع بوقتنا"، وتسترخي كتفاه فجأة؛ يبدو التغيير في مزاجه واضحًا. ويردف: "وسأوبخك مرة أخرى في الصباح، وآمل حينها أن تكون قد فهمت مرادي". وابتسم ناهضًا عن الأريكة مرة أخرى، ويمضي إلى الثلاجة، ثم يقول: "هيا يا ديلان، يا فتاي... أنا في مزاج جيد للشيطنة. فلنر ما إن كان بمقدورنا إعادة الروح إلى ديلان الذي أكمل كل مهمات جمعية جيمسون في وقت قياسي في السنة الأولى".

يضع ماركوس زجاجة تيكويلا بقوة على الطاولة، فيجعلني أجفل مرة أخرى.

ويصيح مخاطبًا المساعد الافتراضي الذكي: "أليكسا! شغلي أغنية ' حياة مترعة ' لزارا لارسون".

أجفل مجددًا حين تنطلق مكبرات الصوت. كان ماركوس قد نهض بالفعل، وبدأ يرقص. إنه من النوع الذي يمكنه الرقص بمفرده دون أن يبدو أخرق، وتلك ميزة كثيرًا ما تمنيتها.

يقول وهو ينظر إلى الساعة المعلقة فوق فتحة الباب: "سيصلون قريبًا". ويرقص متجهًا إلى رف المشروبات الموجود تحت إحدى خزائن المطبخ: "فلنبرد بعض الشراب الآن".

أسأله: "من الذين سيصلون؟". وأشرب ما تبقى من شرابي؛ أشعر فجأة بالرغبة في الثمل.

يهز ماركوس كتفيه ويقول: "بعض الناس من الجامعة، وبعض الناس من الجوار... كل من يريدهم المرء للاحتفال بالبيت الجديد".

أقول وأنا أمسك هاتفي: "سأدعو شيري وأدي وديب إذن".

يختطف ماركوس الهاتف من يدي. وكان منذ لحظة يكدس زجاجات الشراب في الثلاجة، وفي اللحظة التالية كان يرقص مبتعدًا بهاتفي وهو يلوح به في الهواء.

أقول: "ماذا تفعل!".

يصيح ملتفتًا برأسه فوق كتفه: "ليلة واحدة دون أغلال أو قيود"، ويختفي خارجًا من باب المطبخ إلى الغابة في الخارج.

الأحقه مناديًا: "انتظر".

ينغلق الباب في وجهي. أفتحه مرة أخرى فيقابلني البرد كأن دلو ماء انسكب فوقي. تصنع أنفاسي الخارجة ضبابًا. كما تتلألأ أضواء الزينة، فتحيل ماركوس إلى رجل ذهبي اللون وهو يركض نحو الأشجار.

أصيح: "توقف! أعد إليّ هاتفني!".

يصيح ماركوس ضاحكًا: "سأعيده في صباح الغد. أما الليلة فأنت ديلان فقط، ولست ديلان مع آدي، اتفقنا؟ ستشكرني على ذلك، ثق بي! إنك غارق في الحب أكثر مما يلزم، هذه الأيام". قال عبارته الأخيرة وهو واقف أمامي - لقد عاد، عاد دون هاتفني، وراح يصعد الدرج مبتسمًا لي كأننا مشتركان معًا في النكتة.

"هل تركت هاتفني بين الأشجار في الحال؟ ماذا لو نزل المطر؟ وابتل هاتفني؟".

يدير ماركوس عينيه نافذ الصبر وهو يدفع باب المطبخ مرة أخرى: "ستشتري هاتفًا آخر. هيا. أريد استعادة ديلان الذي أعرفه".

أقول محبطًا: "إنني لم أتغير. ولم تفقدني لكي تستعيدني".

يربت ماركوس بيده على كتفي. وحين أعود إلى دفء الكوخ يغمرنني الشعور بالدفء في يدي مرة أخرى. يمكنني الشعور بتأثير ذلك الشراب بالفعل.

يقول: "إن مجرد قولك ذلك يؤكد لي أنك بحاجة إلى المساعدة. وأعتبر أن إنقاذ أعز أصدقائي واجب مقدس على عاتقي. اتفقنا؟ والآن فلتشرب شيئًا آخر، ولتدخن، وحاول أن تتذكر كيف تستمتع".

ينطوي الليل كأنه ومضات. السجائر أقوى من أي شيء دخنته من قبل. يتسارع نبض قلبي؛ أنا موقن بأنني موشك على الموت. يضيء ذلك طابعًا أنيًّا على كل شيء: هذه رقصتي الأخيرة، وهذا شرابي الأخير، وهذا آخر شخص سأتكلم معه.

تصل مجموعات النساء، يخلعن معاطفهن من الفراء، ويلقينها على مساند الأرائك وينشرنها على الأسيرة. الكوخ ليس سوى كتلة من الأكتاف والسيقان العارية، والعمود خانقة في الجو الحار. أخذ ما لا يقل عن نصف ساعة في محاولة معرفة كيفية خفض درجة الحرارة، وأشق طريقي بين الزحام لأدقق النظر في المؤشرات الموجودة على الجدران والمفاتيح الموجودة في الخزانات، لكن بلا جدوى. يلتصق قميصي بظهري. وتبدو أنفاسي جميعًا قصيرة جدًا، وما من شيء ينفع مع هذا سوى الرقص. حين أتحرك، يبدو كأنني أستطيع التغلب على الخوف، كما لو كنت أفلت من قبضته، وكلما توقفت وجدت ماركوس ينتظرني ومعه شراب أو حبة من عقار مخدر، أو امرأة نحيلة بارزة الوجنت ذات شفيتين ممتلئتين نهمتين. لذا يبدو من الأفضل مواصلة التحرك.

أنسى نفسي برهة، وهذا أمر جيد. ولا أعرف بعد ذلك غير أنني جالس فوق سرير ومعني امرأتان - إحداهما شديدة الطول، والأخرى شديدة القصر. المرأة الطويلة واضعة يدها على ركبتي؛ يملأ وجهها مجال رؤيتي، وعيناها مكحلتان بالسواد، وأهدابها طويلة على نحو غير معقول.

تسألني: "هل أنت وماركوس في علاقة؟ لطالما أردت معرفة ذلك".

أقف، فتسقط يدها عن ركبتي.

تقول المرأة الطويلة: "إنه فائن جدًا"، كما لو أنها لم تلمس ركبتي مطلقًا، وتواصل: "إذا كان طبيعي الميول، فأنا أريده أولاً".

أقول بصعوبة: "أريد أن... أخرج". لكن مقبض الباب لا يدور. وكان قلبي يخفق بسرعة بالغة لدرجة أنني أخشى أن يتوقف فجأة. أحاول تحريك المقبض، وأدفع الباب بكتفي. والمرأة تضحك خلفي.

أدير المقبض في الاتجاه الآخر فينفتح الباب بكل يسر - أتوقف فجأة في الصالة. ثمة رجل لم أره من قبل قط يقبل فتاة تجلس على السور. إنه لو تركها فستسقط. أتجاوزهما مرتعباً من لمسهما، مرتعباً من جعلها تسقط.

الباب المفضي إلى الغابة في الخارج مفتوح لتخرج منه الحرارة؛ أخرج منه مترنحاً. كانت الشرفة ممتلئة هي الأخرى، بالمزيد من الأطراف العارية، والمزيد من الأجساد المتلوية. أركض إلى أن يخفت صوت الموسيقى لدرجة أن أسمع صوت أنفاسي المرتجفة. كانت الغابة حالكة. ولمس شيء وجهي. أصرخ. إنه غصن شجرة، مثقل بندى الليل، ويترك بصمة من البلل على خدي.

أتكور في مكان ما، وظهري قبالة لحاء الشجرة. تتسلل الرطوبة إلى بنطالي الجينز، وثيرابي الداخلية، برودة شديدة لدرجة أنني لا أشعر بالأرض من تحتي إطلاقاً. أحتضن ركبتي. أفكر في آدي، وكيف تجعلني أشعر بنقيض هذه القتامة تماماً، وكيف تستطيع، بلا أي جهد، أن تملأ ذلك الخواء اليائس في صدري. لم أشعر قط بأنها بعيدة عني مثلما أشعر الآن، ولا في تلك الأشهر التي قضيتها بعيداً عنها. تطن الموسيقى خلف الظلام كأن الليل يدمدم.

يناديني صوت: "ديلان؟".

وأصرخ حين يمسني شيء مرة أخرى. إنه يد، هذه المرة.

"تعال، أنت تتجمد هنا".

ويعيدني إلى الكوخ. يتعالى صوت الموسيقى أكثر فأكثر. إيقاع بالغ السرعة - أريدها أن تبطئ. أطلب ذلك من ماركوس فيضحك، ويضغط على ذراعي.

"أنت بخير يا ديLAN. لندفئك فحسب. لقد نسيت قدراتك، هذا كل ما في الأمر".

ويأخذني إلى الطابق العلوي، ويطرد رجلاً مخموراً من حوض الاستحمام ليمأه من أجلي. وحين أسأله عن الموسيقى مرة أخرى، يصيح نحو الأسفل فتتغير الموسيقى: أغنية غريبة وبطيئة تزعجني أكثر.

أصرخ حين أنزل في الماء. إنه مؤلم. كأن شخصاً عض أطراف أصابعي. يمسك ماركوس يدي بقوة.

ويكرر قائلاً: "أنت بخير. أنت على ما يرام".

أقول بينما ترتعش كتفائي: "لا أدري ماذا أفعل. لا أدري... لا أدري ماذا يفترض بي أن أفعل. إنني أفقد نفسي مرة أخرى، أليس كذلك؟".

أتذكر فجأة أن هاتفي هناك في الغابة في مكان ما بين الأشجار، وكل تلك الرسائل من أبي تنتظرنني في الظلام، وأرتعد بشدة لدرجة أن الماء يتناثر على ماركوس. يسب بصوت خفيض ويترك يدي لحظة لينفض قطرات الماء عن قميصه، لكن يده تعود إلى يدي قبل أن يتاح لي الوقت للخوف.

يقول ماركوس: "ما من أحد يدري ماذا يفعل. استلق. هيا، استمر. تحتاج إلى وضع جسمك كله في الماء. وعليك أن تتوقف عن كثرة التفكير يا ديLAN. أنت أخطر عدو لنفسك".

أقول: "يريد أبي أن أعمل معه".

يوجد شق دقيق في منتصف السقف. أتبعه بعيني، وأميل رأسي إلى الخلف، تاركاً الماء يلامس أعلى رأسي.

يرد ماركوس: "سحقاً لأبيك. إنه يتحكم في حياتك منذ الأزل. فلتختر ما تريد بنفسك".

أجيبه: "لقد فعلت. لقد اخترت".

"لن يكون الأمر اختياريًا إذا كنت تفعل ذلك من أجل فتاة".

أطوي يدي. لا تزال أصابعي تؤلمني. أنظر إلى الأسفل - أصابع قدمي مصفرة شاحبة.

"وكيف أعرف أنني أختار بنفسني إذن؟".

"اتبع حدسك".

"إنني أتبع حدسي".

"كلا، أنت تتبع هواك. والعمل مع أبيك سيكون اتباعًا لعقلك. أنا أتحدث عن الحدس. أي الشيء الذي تعرف في قرارة نفسك أنه هو الأكثر منطقية. الشيء الأكثر اتساقًا مع ذاتك الحقيقية".

ولكي يكون المرء متسقًا مع ذاته الحقيقية، عليه أن تكون لديه ذات حقيقية.

يقول ماركوس وهو ينزل يدينا المشتبكتين في الماء: "دائمًا ما ساندتك، أليس كذلك؟".

أتأوه حين يستولي عليّ الألم.

أجيبه: "أجل، أجل، أعرف ذلك، كل ما هنالك أنني...".

"إنني أمنحك الفرصة لتفعل ما تريد. يمكنك أن تكتب هنا. أليس هذا ما أردته دائمًا؟".

"لكن الشعر ليس... ليس وظيفة".

"إنه كذلك إذا كنت موهوبًا بما يكفي".

أجيبه بتلقائية: "لست موهوبًا". يتحرك الشق في السقف يمينًا ويسارًا بعض الشيء في نظري، فأراه غير واضح.

"هذا ليس حدسك".

أترك الحرارة تتسلل إلى عظامي، وأحدق إلى الشق من فوقي، وأعرف أن ماركوس على حق. لو كنت أعرف أنني غير موهوب بما يكفي، لكنت توقفت عن الكتابة. وفي قرارة نفسي، أحب ما أكتبه، وأعتقد أن الآخرين ربما يحبونه أيضًا، في يوم من الأيام.

يسألني ماركوس: "هل تثق بي؟".

لقد تقدمنا، أنا وماركوس، إلى جامعة أكسفورد معًا. واخترنا اللغة الإنجليزية لأن ماركوس قال إنه تخصص من السهل دراسته، وإذا كنت أريد أن أصبح شاعرًا، فهذه هي البداية المناسبة. اخترنا الكلية نفسها، إذ ما الذي يدفعنا إلى فعل أي شيء غير ذلك؟

لقد كبر لوك، وأحب وسافر إلى الولايات المتحدة من أجل دراسته الجامعية - أو في الحقيقة، ليهرب من أبي - لكن ماركوس لم يتخلَّ عني قط. ولم أتخلَّ عنه قط، إنه ذلك الصبي الصغير ذو الشعر المجعد وإكليل الأزهار المتدلي بميل فوق أذنه.

أجيبه: "أثق بك بالطبع، لا شك في ذلك".

فيقول وهو يرخي قبضته عن يدي: "إذن فلتصغ إليّ حين أقول إن هذا ما تريده. سأذهب لأطرد الجميع. لا تخرج من حوض الاستحمام إلى أن أعود. أعتقد أنك لن تكون قادرًا على الوقوف الآن. وإياك أن تغرق أيضًا".

أسمع صوت الباب ينغلق. وفي مرحلة ما، ودون أن ألاحظ حقًا، تبخرت معرفتي الآتية المُلحة بأنني أوشك أن أموت. وحلَّ محلها التشوش المألوف المستحود الذي طاردني،

طيلة الصيف الماضي، خلف الشعور بالرهبة - ذلك الشعور بأنني أفعل شيئاً بالغ الأهمية،  
وأ أنني أفعله على نحو خطأ تماماً.

الحاضر

# آدي

كلما تحققت من تطبيق خرائط جوجل، وجدت إسكتلندا قد ابتعدت أكثر من السابق.

أقول حين أجد التطبيق يحول جزءًا آخر من مسار رحلتي من الأزرق إلى الأحمر: "كيف يعقل هذا؟ إننا نسير باتجاه إسكتلندا، لكنني كلما تحققت من الخرائط، وجدت المدة الزمنية المقدرة للوصول إلى إسكتلندا قد ازدادت أكثر".

عدنا أنا وديب إلى المقاعد الأمامية. وهذا هو الوضع المناسب لأكون صادقة. لست في مزاج يسمح بأن أحشر في الخلف مع تشكيلة من الرجال الذين لم أكن أريد وجودهم معي في رحلتي.

أقول وأنا أفرك عيني: "على أحدنا أن يتصل بشيري ويخبرها بمدى تأخرنا. ولا شك في أنها ستبكي، أليس كذلك؟".

لقد حدث شيء لشيري حين بدأت تخطط لزفافها. لقد تحولت شيري التي لا تحمل لشيء همًا، وكانت تنظف قيئها بكل ابتهاج من سجادة غرفتنا في الجامعة، إلى امرأة لا تحتمل مجرد فكرة أن تضم باقة زفافها أقل من ست عشرة وردة حمراء داكنة. ويقول الجميع إن الناس يتغيرون حين يخططون لحفل زفاف، لكنني افترضت أن هذا لا يحدث إلا للحمقى منهم؛ أولئك الذين كانوا سخفاء إلى حد ما في قرارة أنفسهم، لكنهم نجحوا في إخفاء ذلك. حتى شيري أصابتها حمى الزفاف.

يقول ديبلان بثقة: "لن تبكي".

يسود الصمت برهة طويلة. أنتظر. وهو ينتظر. كلي ثقة بأن ديبلان سيتكلم أولاً. ربما كان قد تغيّر، لكنه لم يتغير إلى هذه الدرجة.

يقول ديLAN: "سأتصل بها".

أبتسم.

يقول لي ديLAN وعلى وجهه طيف ابتسامة: "كفاك عجرفة الآن، وإلا فسأشغل مكبر الصوت أثناء المكالمة".

لماذا أجد الجلوس في السيارة ومشاهدة حركة المرور أسوأ من القيادة؟ أفضل أن أقود ثماني ساعات، بدلاً من مجرد الجلوس أربع ساعات. وعلى الأقل إذا كنت أقود بسرعة تسعين كيلومتراً، فهناك شيء من الشعور بالتقدم. لقد لبثت في الواقع أتأمل الجزء الخلفى من سيارة أودي مدة طويلة. إن هناك أعمال طرق، وهي جزء من المشكلة - لا يوجد سوى حارتين بدلاً من أربع.

الساعة الآن الرابعة والنصف. كان من المفترض أن نصل إلى إسكتلندا الآن، ونحضر حفل شواء شيري قبل الزفاف، لكن يبدو أننا... أدقق النظر إلى لافتة الطريق التي تعكس أشعة الشمس. يا للمهزلة، إننا لم نصل بريستون كذلك. لم تبك شيري عبر الهاتف، لكنها تكلمت بصوت صافر على نحو منذر. نحتاج حقاً إلى المسارعة بالوصول إلى إسكتلندا الآن.

تنتهي الأغنية الأخيرة، فأتصفح إحدى قوائم التشغيل المفضلة لي من موسيقى الكانتري. إن الكثير من هذه الأغاني يجعلني أفكر في ديLAN. يعتريني الارتباك. ويحوم إصبعي فوق اسم أغنية ليدي إيه ، ماذا لو لم أتجاوزك قط ، لكن يجدر بي ألا أشغلها. ستجعلني أبكي، على الأرجح، حين أسمعها مع وجود ديLAN في المقعد الخلفى.

يقر قراري على أغنية ' كنا' لكيث أوبان. وحين تبدأ المقدمة الموسيقية، أغوص في مقعدي وأتنفس بقوة. إن هذه الرحلة مع ديLAN صعبة، كما توقعته. والأدهى من ذلك أنه

غدا مختلفًا. لطالما كان الشخص الأكثر هدوءًا في أي مجموعة، لكن هدوءه الحالي ليس من النوع الذي يوحي بأن ديLAN منزو في الخلف. وإنما هو أشبه... بالتأمل.

يقول ديLAN من خلفي: "اترك لروني فسحة أكبر". لا حاجة بي إلى الالتفات لأعرف ما يتحدث عنه. ولا شك في أن ماركوس جالس وساقاه متباعدتان كامرأة جاءها المخاض.

يرد ماركوس: "لا تشغل نفسك بروني. وإذا كان لزامًا علينا أن نستمع إلى هذه القذارة، ألا يمكننا تشغيل أغنية كلاسيكية؟".

تقول ديب: "مثل دوللي!".

يتأوه ماركوس مجيبًا: "ليس دوللي بارتون، رجاء. ما رأيكم في جوني كاش؟".

يقول ديLAN مخاطبًا ماركوس بحزم رزين يجعلني أبتسم على الرغم مني: "إنك تشغل مساحة أكبر بكثير من اللازم. اعتدل في جلستك قليلًا".

يقول ماركوس: "سمعا وطاعة يا أمي، يا للعناء. ما رأيك في ذلك يا آدي؟ بعض أغاني جوني كاش؟ أرجوك".

أرفع حاجبي، وقد استولت عليّ الدهشة. إن ماركوس يتكلم بلهجة... مهذبة. فيداخلي الشك، لكنني حين ألتفت ناظرة إليه، أجده ينظر عبر النافذة بوجه لا ينم عن شيء. أبقى ناظرة إليه برهة، وأنا أسائل نفسي. لقد عنيت ما قلت حين قلت إنني لا أصدق أن رجلاً مثل ماركوس قد يتغير. ولن يجعلني مجرد رجاء عفوي أغير رأيي. لكنني مع ذلك حين أعود أنظر إلى هاتفي، أشغل أغنية 'أهذب طبعي' لجوني كاش.

تنتقل ديب إلى حارة أخرى ببطء شديد؛ في محاولة غامضة لتحقيق شيء من التقدم. وكانت نوافذنا مغلقة لكي نمنح مكيف الهواء أفضل فرصة لتكييف شخص، لكنني أتوق

إلى الهواء الطبيعي. كما أن السيارات على جانبينا كانت مليئة بأناس ضجرين يتشاءبون، وقد رفعوا أقدامهم على لوحات العدادات وسواعدهم مستندة إلى عجلات القيادة.

في السيارة الموازية لنا ثلاثة مراهقين في المقعد الخلفي، وكلهم يتنازعون جهازًا لوجيًا. نبدو من الخارج كأننا مجموعة من الأصدقاء ذاهبون في عطلة معًا. ربما كان الأبوان في تلك السيارة يحسداننا على ذلك.

آه لو كانا يعرفان الحقيقة.

يقول رودني فجأة: "يقول جوجل إن جميع الطرق مزدحمة الآن". ألتفت فأراه يحدق إلى هاتفه. وشعره مبلل بالعرق وملتصق بجبهته، وهناك بقعة داكنة مثلثة الشكل تمتد من ياقة قميصه إلى صدره. يا للهول. إن رودني يمر بيوم سيئ. تخيل أنك وجدت وسيلة نقل لطيفة ورخيصة توصلك إلى زفاف، وينتهي بك الأمر محاصرًا في سيارة أشبه بحمام بخار مع مجموعتنا.

أسال رودني: "كم من الوقت مكتوب أمامك للوصول إلى إيتريك؟".

"إممم. سبع ساعات".

يهتف الجميع في وقت واحد: "سبع ساعات؟".

تميل ديب رأسها برفق على عجلة القيادة، وتقول: "لا أستطيع الصمود أكثر. إنني في حاجة ماسة إلى التبول".

يقترح رودني: "يمكننا إفراغ زجاجة الماء هذه".

ترد ديب: "أتعرف كيف تتبول النساء يا رودني؟".

يجيب رودني: "لست... أعرف بالضبط، كلا".

يقهقهه ماركوس.

تقول ديب: "حسنًا، سأرسم لك صورة توضيحية حين نصل".

يقول رودني: "أوه، رائع، أشكرك".

أقول لها مومئة إلى الحقول بجانب الطريق السريع: "إذا تبادلنا الأماكن، فيمكنك أن تقفزي خارج السيارة وتختبئي خلف الأشجار. وكانت حركة المرور متوقفة، على أية حال. ولم أعد أتذكر آخر مرة تحركنا فيها".

ترد وهي تنظر إلى الطريق: "هل أنت واثقة؟".

أسألها: "ما مدى حاجتك إلى التبول؟".

ترد: "حتى تمارين قاع الحوض لن تفيدني الآن يا آدي".

ويسأل رودني: "ما قاع الحوض؟".

كأن لدينا طفلًا حقيقيًا في السيارة.

أقول لديب: "مستعدة؟".

تومئ مؤكدة، ويفتح كل منا باب السيارة بجانبه. يا إلهي، من الممتع استنشاق بعض الهواء الطبيعي. حتى لو كان ذلك الهواء الطبيعي قذرًا كريه الرائحة لشدة التلوث. إن الجو أكثر حرارة هنا من السيارة - أشعر بجلدي يحترق على الفور، وأنا أدور وأقابل ديب في منتصف الطريق.

أقول لها وهي تمر بي: "لقد كنت محقة، أليس كذلك؟ بشأن توصيل ديLAN وماركوس معنا؟".

ترد ديب: "أوه، أجل. كانت أسوأ فكرة على الإطلاق. أين كان عقلنا؟".

أشاهدها تشق طريقها بين صفوف السيارات حتى تصل إلى حافة الطريق، وتختفي بين الأشجار القذرة. وفي البداية، حين تبدأ السيارات تتحرك، أشعر بشيء من الدوار. مثلما يحدث حين يكون المرء في قطار متوقف، ويظن أنه يتحرك لأن القطار على الرصيف الآخر أخذ يتحرك، فيصبح رأسه مشوشًا. ثم تنطلق السيارة الموجودة خلفنا. ثم السيارة التي تليها. وأدرك الحقيقة.

"يا للمصيبة".

أفتح باب مقعد القيادة وأصعد. كان ماركوس يضحك بالفعل كأنه ضبع شرس، ورودني لا ينفك يقول: 'يا للهول، يا للهول'، كأنه سيدة عجوز مضطربة تعاني مشكلة عصبية.

ويقول ديLAN: "آه، هذه... معضلة".

صار بيننا وبين السيارة من طراز أودي أكثر من مائتين وخمسين مترًا بالفعل. ومن ثم أنظر في المرآة الجانبية وأرى السيارات خلفنا تحاول الانتقال إلى الحارة الأخرى. فما من حارة طوارئ أيضًا، بسبب أعمال الطرق هذه - ما من خيار لدينا.

أقول: "يا للبلوى الكارثية المستفحلة"، ثم لا ألبث أن أشعر بالخجل، لأنني تعلمت هذه الصيغة المحددة من السباب من ديLAN، ولم أستخدمها منذ سنوات. ومن الواضح أن وجوده هنا ذكّرني بإحدى الهدايا القليلة التي منحني إياها ولم أردّها: موهبة السب كالآثرياء الحقيقيين.

أقول: "لا يمكننا البقاء في مكاننا. ولن يمكننا الركض بين السيارات لتصل إلينا، على أية حال، وستصدمنا سيارة من الخلف. يا لها من ورطة". وأشغل المحرك وأسير بأكبر قدر من البطء: "هل ترونها؟ وهل أخذت هاتفها معها؟"، وأخفض بصري إلى باب السيارة - كلا، ها هو هاتفها. أهمس بأسنان مطبقة: "يا للبلوى الكارثية المستفحلة. ماذا أفعل؟!".

يقول ديبلان بأسف: "أهم شيء الآن هو أنك تحتاجين إلى القيادة بسرعة أكبر من خمسة عشر كيلومترًا في الساعة. وإلا فقد نموت جميعًا".

أجيبه وأنا أزيد السرعة: "هذا صحيح، صحيح. أوه، يا إلهي، أيمكنك رؤيتها؟".

يحاول ديبلان النظر عبر الزجاج، لكنه في الجانب الخطأ. فيقول: "ماركوس؟".

ويجيبه ماركوس: "لا يمكنني رؤيتها. هذا موقف أسطوري".

ويقول رودني: "أو، يا لبيب العريضة المسكينة!".

أقول محاولة الأبالغ في الانفعال: "نعم، أشكركم جميعًا. أينبغي أن أعود من التقاطع التالي؟ ترى أين يمكنها أن تقابلنا؟ وماذا سنفعل؟".

يقول ديبلان: "مرحى يا آدي - إنها ديب. التي يمكنها التعامل مع أي موقف، حتى لو وجدت نفسها وحيدة في الصحراء. وستجد الأمر مضحكًا. أو مزعجًا إلى حد ما في أسوأ تقدير"، وأجفل حين أشعر بيده على كتفي. ويسارع بسحبها. وأتمنى لو لم أجفل.

أقول وأنا أطلق ضحكة مكتومة: "أو، يا إلهي". نسير الآن بسرعة خمس وأربعين كيلومترًا، وهي تقريبًا سرعة كل السيارات الأخرى حين يبدأ الطريق السريع الحركة مرة أخرى. وعادة ما تبدو هذه السرعة بطيئة على نحو مزعج، لكن في وضعنا الحالي، وبينما الموضوع الذي نزلت فيه ديب يختفي من المرأة اليسرى، أشعر بأنني أسير بسرعة بالغة: "أريد الوصول إلى الحارة اليسرى. ماركوس، هلا كفت عن هذه القهقهة البغيضة في الخلف؟ إنك تزيد الأمر سوءًا".

يسعل ديبلان ضاحكًا. أنظر إليه في المرأة الداخلية. فيتجمد وجهه.

يقول: "أسف. إنها فقط... إن الأمر... إلى حد ما...".

أغالب ضحكتي، لكنني أنهار، وأجد كتفي تهتز من الضحك أنا الأخرى. أقول رافعة يدي إلى فمي: "يا للمهزلة! ما الذي يضحكني؟".

يغمغم ماركوس ويهتز صوته من الضحك: "إنها تبول خلف شجرة! تخيلي وجهها حين تعود فلا تجدنا!".

يقول رودني: "أوه، لا، يا إلهي"، ويبدو لي من صوته أنه يغالب ضحكته هو الآخر.

نقترب من التقاطع التالي. أشير نحوه بينما لا أزال أضحك، وأبكي أيضًا نوعًا ما، أشعر بالتشوش في العموم. ولماذا تركت ديب تخرج من السيارة للتبول؟

أقول: "لم يكن الطريق قد تحرك منذ وقت طويل!".

فيرد ديLAN: "كان الطريق سيتحرك في كل الأحوال بمجرد خروج ديب. إنه قانون البلايا".

أقول وما زلت أضحك وأبكي: "يا لغبائي. كانت تلك فكرة مريعة".

يقول ديLAN بجدية: "لست غبية. كل ما في الأمر أنك غامرت وخسرت. أو ديب هي من خسرت، بالأحرى. انظري، هناك أحد فنادق بادجيت ترافل - ربما يمكنك دخول موقف سياراتهم".

أشغل مؤشر الانعطاف في اللحظة الأخيرة، وأفعل كما قال. وحين أدخل موقف السيارات وأطفئ المحرك، أدرك أنني أرتعش.

لم تعد الأمور تبدو مضحكة فجأة.

أسأل: "كيف ستعرف ديب أننا هنا؟ أينبغي أن نذهب إلى البحث عنها؟".

يرد ديLAN وأنا أستدير في مقعدي لأنظر إليهم: "لنحاول التفكير مثلما تفكر ديب".

يضحك ماركوس واضعًا قبضته أمام فمه، وقد أخذ رأسه يهتز. ولف رودني ذراعيه حول نفسه كنوع من العناق الوقائي، كأنه طفل في أول يوم له بالمدرسة. وديلان يعرض على شفته مفكرًا، وقد سقطت أشعة الشمس على وجهه مثل شعاع من ضوء كاشف، فتتحول عيناه إلى اللون الليموني الفاتح، وتعتريني الرغبة، أكثر من أي شيء آخر، في طرد رودني وماركوس من السيارة والارتقاء في حضن ديلان.

كم هذا غريب. لم يكن ديلان قط هو الشخص الذي ألجأ إليه حين أكون منزعجة. لذا فإن رغبتني هذه ليست شيئًا أشعر به الآن بحكم العادة. وحين كنا معًا، كان هو آخر شخص قد ألجأ إلى البكاء معه - لأنني حين كنت أبكي، كان بكائي في الغالب بسببه، ولم يعرف هو أدنى معرفة أنني منزعجة أيضًا. وهكذا كانت حالنا معًا. كنا شديدي القرب؛ أهدنا مع الآخر، لكننا كنا لا يكاد أحدنا يكشف الآخر بأي شيء.

أكرر قائلة: "نفكر مثلما تفكر ديب. حسنًا. إنها في الحقيقة عملية دائمًا. فسوف تسب قليلًا، ثم تبدأ التصرف، فما العمل الآن؟".

يقترح رودني: "ربما ستحاول إيجاد من يوصلها؟ ستلوح إلى سيارة ما".

أقول ببطء: "ربما. أو ربما تحاول أن تلحق بنا مشيًا. أعتقد أنها ستفترض أننا انحرفنا إلى جانب الطريق السريع في أقرب فرصة، أليس كذلك؟ وكم من الوقت ستحتاج إلى المشي من حيث تركناها إلى هنا يا رودني؟".

ينهمك رودني في النقر على هاتفه.

فأردف: "لقد سرنا بالسيارة بضع دقائق، أليس كذلك؟ لا يمكن أن تستغرق الكثير من الوقت".

يقول رودني: "ساعة. ستحتاج إلى ساعة من المشي، إلا إذا اتخذت طريقًا مختصرًا بين الحقول، وهو ما سيوفر عليها بعض الوقت".

يقول ماركوس مستنكرًا: "ساعة من المشي؟"، ويميل إلى الأمام لكي ينظر إلى الهاتف من فوق كتف رودني: "هل أنت واثق بأن هاتفك ليس معطلًا؟ كل ما تفعله هو إخبارنا بأن كل شيء سيحتاج إلى وقت لا نهاية له".

يقول رودني وهو يمد يده بالهاتف إلى ماركوس ليريه: "أنا آسف. ها هو... انظر إلى المكتوب...".

يدير ماركوس عينيه إلى الأعلى نافد الصبر: "حسنًا، سأخرج من السيارة. فليست ديب هي الوحيدة التي تحتاج إلى قضاء حاجتها. أتظنون أن هذا المكان به مراحيض؟".

أجيبه: "فندق بادجيت ترافل؟ أجل، أعتقد أن به مراحيض يا ماركوس".

يقول: "رائع"، ويخرج من السيارة، ويشد قميصه المبلل بإصبعين ليبعده عن جسده، ويقول وهو يقفل الباب خلفه: "يا للقرف".

أقول: "ما رأيك لو نتركه هنا؟".

يقول ديLAN: "وماذا عن ديب؟".

فأرد وأنا أشاهد ماركوس ماضيًا نحو مدخل الفندق: "صحيح. يا للورطة".

يقول ديLAN بهدوء: "أنا آسف حقًا بسبب ما يفعله".

يفك رودني حزام مقعده، وينتقل إلى مقعد ماركوس ليتوافق له ولديLAN مساحة أكبر. ويتنهد كلاهما ارتياحًا.

أجيبه وأنا لا أزال أشاهد ماركوس: "أجل. ماركوس لن يتغير".

يسأل رودني: "ألا تحبانه؟".

أجيب بلا تردد: "أنا لا أحبه".

ويقول ديلان: "وأنا لا أحبه، أغلب الوقت أيضًا".

أنظر إليه مندهشة.

يضيف شارحًا: "إنه... شخص معقد. لكنه بمنزلة عائلة لي، حقًا. وأنا متمسك بالأمل في أن يغير الأمور، ذات يوم، ويصلح من نفسه. وكل ما هنالك... متى يمكن أن يتخلى المرء عن شخص؟".

أجيبه قبل أن أتمكن من كبح نفسي: "حينما يكون ضارًا لك. الأمر مثله مثل أي علاقة، سواء أكان حبًا، أم صداقة، أم قرابة، أم أيًا كان. وإذا كانت علاقة مؤذية، فعليك الابتعاد".

يقول ديلان: "أعتقد..."، ويتوقف ليزن كلماته بعناية قبل أن يواصل: "أعتقد أنه يجب التراجع حين تكون العلاقة مؤذية. لكنني لا أعرف ما إذا كنت أريد الاستسلام. ليس وأنا أرى أن هناك خيرًا داخل الشخص، وأني قد أستطيع مساعدته على إيجاد ذلك الخير. ولم أدرك، ولو مرة واحدة، مدى الأذى الذي تلحقه بي هذه العلاقة، وقد عودت نفسي على تحمل ذلك".

أنظر إليه. لا أتفق معه - لا أعتقد أن المرء يمكنه أن يعود نفسه على تحمل ما يلحقه شخص مثل ماركوس من أذى بالناس. لكن إذا كان هناك شيء تعلمته على مدى العام أو العامين الماضيين، فهو أنه لا توجد طريقة واحدة للتعامل مع الألم.

أقول بعد برهة: "يجب أن يبقى أحدنا هنا، فربما تعرف ديب مكاننا. لكنني أعتقد أن على بقيتنا أن نتفرق، ونذهب إلى البحث عنها. وإذا أخذنا هواتفنا معنا، فلن تكون هناك مشكلة في تفرقنا، أليس كذلك؟".

يقول ديلان من فوره: "يجب أن يبقى ماركوس هنا. فلو تركناه يبحث، فلا شك في أنه سيظل يتسكع، وسيكون لدينا عندئذ ضيفان من ضيوف الزفاف نبحت عنهما".

أغمغم: "حسنًا، لا بأس. أخبره أنت. وسأذهب أنا في اتجاه الحقول. أشعر بأنني أحتاج إلى... فعل شيء".

يومئ ديلان ويقول: "ألا يوجد مانع لديك في ترك ماركوس ومعه مفاتيح السيارة؟".

أتوقف لحظة: "إممم".

يقول ديلان: "هذا ما أقصده".

أقول: "إنه شخص راشد. ولن يرحل ويتركنا".

نستغرق جميعًا مفكرين في الأمر.

وأقول: "ربما ينبغي أن تبقى معه. تحسبًا لا أكثر".

# ديلان

تأتي أول مكالمة هاتفية طارئة من رودني، بعد ما يقارب أربعين دقيقة من مغادرته هو وأدي باحثين عن ديب.

يقول: "أوه، مرحبًا، أهذا ديLAN؟".

أرد بصبر: "نعم؟"، بينما أشاهد ماركوس يتمشى في أرجاء موقف السيارات، ويركل علبة مياه غازية فارغة وهو يمشي. إنه يشعر بالسأم، وهو أمر منذر: إذا لم يجد ما يرفقه عنه قريبًا، فسيحدث بعض الترفيه بنفسه. ويخطر لي بيت شعر بينما أشعة الشمس الحارقة تسقط على رقبتني - حرارة الشمس شديدة الوطأة/وقرع طبول، وعلبة مياه غازية تنزلق بين قدميه...

ويقول رودني: "أوه، مرحبًا، أنا رودني. هه؟ أعتقد أنني... أعتقد أنني وجدت شيئًا. أكانت ديب تنتعل حذاء رياضيًا أبيض؟".

أحدق في اتجاه أشعة الشمس. ماركوس يركل العلبة الفارغة بقدميه إلى الأعلى، ويحاول ألا يتركها تهبط إلى الأرض، لا يجيد ذلك حقًا.

أجيبه: "نعم. ربما. لا أتذكر حقًا". وأشرب جرعة كبيرة من الماء. سمحت لي السيدة اللطيفة في مكتب بادجيت ترافل بإعادة ملء زجاجاتنا، وقالت إنها لن تحاسبنا على ركن سيارتنا هنا، نظرًا إلى ظروفنا. ربما كانت لذلك علاقة بتبسم ماركوس لها بتلك الطريقة الآسرة، التي عادة ما تضمن له ما يريد.

ويتابع رودني: "لأنني عند النهر. وأظن أنني وجدت فردة من حذاء ديب. أمن المحتمل أن تكون قد غرقت؟".

أبصق الماء.

وأسأله: "ماذا تقول؟".

يرد: "حسنًا، في الأفلام... حين تجد حذاء شخص على ضفة النهر، فعادة ما يكون ذلك لأنه مات".

"أي هراء هذا يا رودني! تمهل قليلاً. أنت واثق بأنه حذاؤها؟".

"إنه حذاء أبيض. ألم تكن ترتدي حذاء أبيض؟".

"لا أدري... أيمكن أن ترسل إليّ صورته؟ ربما خلعته لتسبح قليلاً لكي تبترد".

يسأل رودني بكل نباهة: "أين الفردة الأخرى إذن؟".

مع جثتها بلا شك، وفقاً لمخيلتي التشاؤمية. كلا، هذا شيء سخيف بلا شك - رودني شخص سخيف تمامًا، على أية حال.

"أرسل إليّ صورة الحذاء. أنا واثق بأنها بخير يا رودني".

يقول: "حسنًا. شكرًا يا ديلان! نتحدث فيما بعد!". وينتهي المكالمة، بلا أي مبالاة. رفّت عيني ناظرًا إلى هاتفني.

ينادي ماركوس: "أهناك أي أخبار عن صديقتنا الهاربة؟"، ويركل العلبة الفارغة نحو سيارة رباعية الدفع لشخص. وأجفل حين ترتطم بالمصد.

أقول مصححًا: "إنها لم تهرب منا، وإنما نحن من هربنا منها. وما من أخبار، لكن رودني يتصرف بغرابة كالعادة، يظن أنه وجد... حذاءها..."، وأتوقف عن الكلام خافضًا بصري إلى الصورة التي أرسلها رودني من فوره: "أوه، يا للهول".

أُتصل به.

يرد: "مرحبًا، أنا رودني! كيف يمكنني مساعدتك؟".

"ماذا؟ أنا ديLAN يا رودني. إن ذلك الحذاء... إنه حذاء رجل. هذا واضح كالشمس. فما المقاس المكتوب أسفل النعل؟".

يسكت قليلاً.

ثم يقول: "أحد عشر. أوه! هل قدم ديب كبيرة جدًا؟".

أجيبه بكل ما وسعني من صبر: "كلا. كلا يا رودني، قدمها ليست كبيرة".

يرد رودني بابتهاج: "عظيم! إذن فهو حذاء غريق آخر. سأخرج من النهر ما دام الأمر كذلك".

"أأنت... في النهر؟ هل نزلت النهر حقًا؟".

ينتبه ماركوس لدى سماع ذلك ويقترّب.

يجيبني رودني: "أنا أفتش في النهر بالشبكة الجرافة! أبحث عن جثة!".

"إنك...".

"لكن ما من حاجة إلى ذلك الآن، ما دام الغريق ليس ديب".

يذهلني حقًا اقتناع رودني المطلق بوجود جثة في النهر.

أجيبه: "حسنًا. شكرًا يا رودني. استمر في البحث".

أنظر إلى ماركوس عابسًا حين أنهى المكالمة، فيضحك.

يقول: "هذا الرجل مثير للشفقة حقًا. إنه بلاهة تمشي على قدمين".

أجيبه: "اتركه وشأنه. إنه لا يقصد أي ضرر. هلا توقفت عن ركل هذه؟ سوف تخدش طلاء سيارتهم".

يرد ماركوس وهو يرفع حاجبًا ويركل العلبة مرة أخرى: "إنك ابن أبيك حقًا". وحين يرى نظرتي إليه يتراجع ويركل العلبة مبتعدًا مرة أخرى عبر موقف السيارات. الجو شديد الحرارة، وكلانا يتصبب عرقًا داخل قميصه، وأنظر بحسد نحو الردهة الباردة المكيفة لفندق بادجيت ترافل.

يقول ماركوس وهو يمضي إلى الداخل بالفعل: "تعال، فلنجلس في الداخل. سوف تفرح ماجي موظفة الاستقبال بوجود بعض الصحبة"، ويعوي مناديًا ونحن نعبر الباب: "ماجى، عزيزتي ماجى. إننا ندوب".

فتقول ماجى: "أوه! أيها المسكينان الحبيبان. ألا تدخلان؟ اجلسا في الردهة. أحضر لكما شرابًا أيها الفتيان؟".

وهرولت ماجى موظفة الاستقبال منصرفة بالفعل وسط سحابة من العطور الرخيصة وخشخشة السلاسل المصنوعة من الخرز حول رقبتها. نجلس أنا وماركوس فوق المقاعد البلاستيكية في ردهة الفندق المفروشة بالسجاد، ونمدد ساقينا متأوهين في وقت واحد؛ مع أن كل ما فعلناه، طيلة اليوم، هو الجلوس في السيارة، أشعر بالإرهاق على نحو مدهش.

يسألني ماركوس وهو يمسح جبينه بظاهر يده: "كيف تستطيع فعل ذلك؟ مع آدى؟".

"أفعل ماذا؟".

"إنك لا تبدو غاضبًا قط، بعد كل ما فعلته بك. لا يمكنني فهم ذلك".

أطبق شفتيّ وأشاهد ماجي رائحة غادية في المدخل خلف مكتب الاستقبال، حاملة أشياء متنوعة - أكوابًا، وصواني مكعبات الثلج، وزجاجة رذاذ للشعر في إحدى المرات.

أجيبه: "الأمر معقد. دعك من ذلك يا ماركوس".

يقول: "لقد خانتك".

أجفل من قوله: "إنها...".

"أنت تعرف أنها خانتك. لقد أريتك الصورة للعينه يا ديLAN".

أرد بان دفاع قبل أن أتمكن من كبح نفسي: "أعرف أنك فعلت. لكن هل تحدثنا عن سبب وجودك هناك؟ فلماذا اهتممت إلى هذه الدرجة بما كانت تفعله؟".

يتخشب في مكانه. وبعد برهة طويلة يحرك يده، ويبدأ شد السوار الجلدي الرفيع الذي يضعه حول معصمه، لكنه لا يرفع بصره إليّ.

ويقول في النهاية بصوت هادئ: "دائمًا ما ساندتك".

"آه، هذا صحيح. أعتقد أن ذلك تجاوز ما يقتضيه الواجب، أليس كذلك؟".

تقبل ماجي حاملة أكواب ماء.

يقول ماركوس: "أوه، يا لك من ملاك يا ماجي. ملاك حقًا"، كأن الحديث الذي جرى في الحال بيننا لم يحدث من الأصل. لقد كتبتُ عن ذلك ذات مرة، عن الطريقة التي يتغير بها مزاج ماركوس بسرعة البرق. غمامة انشقت، واختفت/ وعادت الشمس/ انكشفت، صافية كالفرح/ إلى أن تهب الريح.

أقول لماجى وأنا أتناول الكوب من يدها: "أشكر".

تحوم أمامنا وقد تورد خذاها، منتعلة حذاء مريحًا، ويستخفها الفرحة أمام نظرة ماركوس.  
ينقذني رنين هاتفني من أي مغازلات أخرى. وأخرجه من جيب سروالي القصير: آدي تتصل.

تقول: "مرحبًا. لا تفزع. لكنني في قسم الحوادث والطوارئ".

الماضي

# آدي

اليوم هو الرابع عشر من فبراير - ليس إجازة في المدرسة، للأسف، لكن لدينا أنا وديلان خططًا لعيد الحب في المساء. وكل ما قاله لي هو: ' ارتدي جوارب ثقيلة '، وهو ما أثار فضولي تمامًا. تظن ديب أننا سنتنزه. وأتمنى أن تكون مخطئة - لقد ظللت واقفة على قدمي طيلة اليوم، وآمل أن أحظى بشيء من الرومانسية وأنا جالسة.

تصليني رسالة من ديلان حين أهم بالخروج من موقف السيارات.

لا تفزعني يا آدي، لكنني في قسم الحوادث والطوارئ. كنت أجهز لموعدنا (كنت أعلق أضواء الزينة من أجل التنزه في مقهى ديل كواي! بدا أن الأمر سيكون جميلًا) وسقطت عن السلم. أجري فحوصًا بسيطًا على رأسي لأتأكد من أنني لا أعاني أي شيء أسوأ من مجرد ارتجاج طفيف (أنا واثق بأنني لا أعاني شيئًا آخر)

أحدق إلى الرسالة وقد تخشبْتُ تمامًا.

تنادي مويرا وهي ماضية نحو سيارتها: "أراك غدًا يا آدي!"، وأستغرق وقتًا طويلًا قبل أن أرد عليها. أقف هناك تحت المطر بجوار سيارتي، وأتخيل ما ستكون عليه حياتي إذا فقدت ديلان. فسيكون ذلك بشعًا. بشعًا حقًا. ولن أقدر على تجاوزه.

أذهب إلى قسم الحوادث والطوارئ بأسرع ما يمكنني قانونيًا. وأقود بسرعة تزيد قليلًا على السرعة المقررة في المناطق التي أعرف أنها ليست فيها كاميرات مراقبة من الطريق السريع.

نصل أنا وماركوس إلى باب قسم الطوارئ في اللحظة نفسها. ولا أدرك، أول الأمر، أنه هو. لم أره منذ كنا في فرنسا - وهذه مدة طويلة على نحو يدعو إلى الاستغراب دون أن أرى

أقرب صديق لحبيبي، لكن ديLAN كان لديه دائماً عذر له، ولم أجد أي مانع، بصراحة، في أن يتجنب رؤيتي بهذا الشكل الواضح.

نتوقف حين نعبّر الأبواب، أمام مكتب الاستقبال. ويستدير نحوي ببطء. كأنما يخشى النظر إليّ، ربما. وربما يستمتع بذلك.

يبدو كما كان تقريباً. فالشعر فاحم مجعد، والوجنتان بارزتان، والعينان ماكرتان حادثان. يقول: "أهلاً آدي".

أقول: "مرحباً".

يمر أمامنا ممرض، وحذاؤه يحدث صريراً على الأرضية. إن هناك من يتحدث إلى موظفة الاستقبال. وما زلنا لم نقل أي شيء بعد. لا أدري ماذا أقول.

يبتسم ماركوس قليلاً وهو يتفحصني. ويقول مميلاً رأسه قليلاً: "لقد تغيرت".

أجيبه: "تغير شكل شعري"، وأرفع يدي لألمس شعري. جعدته اليوم - أردت أن أبدو جميلة في مواعي مع ديLAN.

يقول، وهو يتفحصني بتلك الطريقة الجريئة التي كان ينظر إليّ بها في فرنسا: "كلا. قصدت أنك تبدين أصلب عوداً".

"ماذا؟".

لقد سئمت تماماً ادعاءه أنه يمكنه فهم الناس. ومن الواضح أنه لم يتغير أدنى تغير. ويبتسم قليلاً حين يرى انزعاجي، لكنه لا يرد، بل يستمر في النظر إليّ. أضع يدي الباردة على خدي لأبرده.

أسأله: "أنت هنا من أجل ديLAN؟".

"بالطبع. وأنتِ؟".

"لا شك في ذلك".

نقف برهة أخرى. لا يزال ماركوس ينقل عينيه عليّ كأنه يقيّمني.

أقول فجأة: "إنه لم يستقر".

"ماذا؟".

"لقد قلت إنه سيستقر. لكنه لم يستقر. ولا يزال لا يعرف ما يريد فعله، ولا يزال... يشعر بالحزن، أحياناً".

يظن ديLAN أنني لم ألاحظ ذلك. ولم نتحدث قط عن الأمر. لكنني أعرفه بما يكفي لأعرف متى ينغلق على نفسه، ويشعر بالضيق.

يقول ماركوس: "يمكنك أن تخبريه بما تريد من منه أن يفعل. هذا ما يحاول معرفته حقاً".

أنظر نحو مكتب الاستقبال. إن الشخص الموجود أمام المكتب يوشك أن ينتهي، أعرف ذلك من لغة جسده.

أقول: "إنه يحاول معرفة ما يريد".

يبتسم ماركوس قليلاً، ويقول بنبرة تكاد تكون ساخرة: "كلا، ليس صحيحاً. هذه ليست طبيعة ديLAN. إنه يحتاج إلى أن يقاد".

أرد بحدة وأنا أستدير لأمضي إلى المكتب: "ما من أحد يحتاج إلى أن يقاد. وهو قادر تماماً على إيجاد طريقه بنفسه".

يقول ماركوس حين نصل إلى المكتب: "ظننت أنه روضك. لكنك تفيضين شراسة. أحب ذلك، إنه يناسبك".

أقول لموظفة الاستقبال، وأنا لا أزال أحاول تبريد خديّ بيدي الباردتين: "من فضلك، أيمكنني الدخول لأرى حبيبي؟ إنه في غرفة الانتظار".

"أيتها المعلمة؟ أيتها المعلمة؟ أيتها المعلمة؟"

أف. أتمنى حقًا لو كان لدى تايسون جراي زر إيقاف. ولديّ صداع مروع من أثر الشراب أمس، وأطفال الصف الثامن ليسوا أنسب شيء الآن.

لقد مر أسبوع منذ رأيت ماركوس في قسم الحوادث والطوارئ - كان ديLAN بخير، ولم يكن يعاني ارتجاجًا - ورأيت ماركوس مرة أخرى أمس، في حفل ذكرى ميلاد شيري. أعتقد أنه رأى الآن أنه يستطيع احتمال البقاء في المكان نفسه معي. وكان الأمر غريبًا ومشحونًا ومربكًا بيننا، وقد شربت كثيرًا، والآن يؤلمني رأسي. وظل ديLAN يسألني عما إن كنت على ما يرام، ولم أعرف ماذا أقول. وددت لو أقول له: ' كلا، لست على ما يرام، إنني لا أرتاح لصديقك المفضل حقًا' .

نشر ماركوس، هذا الصباح، مقطع فيديو لنا جميعًا ونحن نرقص معًا، على صفحته في إنستجرام. أنا، وجريس، وشيري، ولوك، وخافيير، وماركوس، وديلان، وكوني، ومارتا، فتاتا أكسفورد اللتان قابلتهما في الفيلا. انتهى الأمر بوقوفنا أنا وماركوس أحدهما بجوار الآخر، وكنا نتحرك بتناغم تام، بينما أخطأ البقية ولم يتبعوا الإيقاع، كانوا يترنحون مخمورين. وقد كتب في وصف الفيديو: ' الرقص فوق السطح تحت النجوم' .

شاهدت الفيديو خمس مرات والساعة لم تتجاوز الحادية عشرة حتى الآن. وحين أذهب إلى الحمام في الاستراحة الصباحية، أجد نفسي أشغله مرة أخرى، محاولة أن أفهمه. لا يسعني إلا أن أشعر بأن الأمر له علاقة بتلك الليلة في فرنسا، لكن ما الذي قد يعنيه ذلك؟

رأسي الآن يؤلمني، وأشعر بالتشوش. وتايسون جراي لا ينفك يناديني كأنه مثقاب ميكانيكي بغيض.

أستدير حين يفتح باب الفصل. أول ما يخطر لي هو أن تايسون ينصرف لأنني كنت أتجاهله. ففي إحدى المرات، حين استولى عليه مزاجه المتقلب، وكنت أساعد طالبًا آخر في الكتابة، قفز من النافذة. لكنه ليس تايسون - لقد دخل إيتيان في الحال.

ابتسم لي ابتسامة خاطفة وأجال بصره في الفصل. إن الجميع ينتصبون قليلاً. وعلى الرغم من عمره، يعد إيتيان مدير مدرسة من الطراز العتيق تمامًا. ومن الناحية النظرية، إن نائب المدير هو المسئول عن الأمور المتعلقة بسلوك الطلاب، لكن إيتيان هو الشخص الذي يؤخذ الجميع إليه ليرى ما إذا كان من اللازم توبيخهم. حتى أشقى الأولاد يكرهون أن يطلب منهم الذهاب إلى مكتبه. إنه الورقة الرابعة في جيب الخلفي، وقد أفرطت في استخدامها تمامًا. ولا شك في أن إيتيان يرى ذلك أيضًا. لكنني عازمة في هذا الفصل الدراسي على أن أويخ الطلاب بنفسني.

أواصل شرح الدرس. لقد أصبح صوتي صافرًا نوعًا ما، مع أنه يفترض بي أن أكون اعتدت وجود مدرسين آخرين في الفصل - أنا تحت الرقابة دائمًا، وهذا جزء من التدريب.

يهتف إيتيان فجأة: "تايسون!".

أجفل، ثم أحاول أن أداري الأمر، فأخطو بثقة لأتناول شيئًا من مكتبي. يا للهراء. كان من المفترض أن ألاحظ ما لاحظته إيتيان في الحال.

ويواصل إيتيان وهو يشير إلى قطعة ورق على طاولة تايسون: "تعال معي. وأحضر هذه معك. أنسة جيلبرت، سيكون تايسون معي لما تبقى من وقت الدرس".

أجيبه، محاولة أن أبدو حازمة: "بالطبع. شكرًا لك".

شكرًا لك؟ أليس هذا ردًا مثيرًا للشفقة نوعًا ما؟ أوه، لقد فات الأوان. وإيتيان يمشي خلف تايسون، ويرمقني بنظرة غريبة وهو يغلق الباب خلفه.

أمضي باحثة عن تايسون حين أنتهي من الدرس، وقد أخرجت بقية الفصل من أجل استراحة الغداء. أرى تايسون يخرج من مكتب المدير حين أصل إلى هناك. وإيتيان واقف عند فتحة الباب يشاهده وهو منصرف. ثم يراني.

يناديه: "هذه فرصتك الآن يا تايسون".

يهمهم تايسون خافضًا بصره إلى حذائي: "أنا آسف أيتها المعلمة جيلبرت".

أجيبه: "اعتذار مقبول يا تايسون". وحينما يمر بي منصرفًا، أقول لإيتيان بلا صوت: "ماذا فعل؟".

يشير لي إيتيان بدخول مكتبه ويقفل الباب.

يقول: "آه، ربما عليك تجهيز نفسك لمعرفة ما حدث". إن لديه لهجة فرنسية طفيفة تمامًا - يمكنني ملاحظتها في تلك "الآه"، لكنها لا تلبث أن تختفي. ويتابع: "كان تايسون منغمسًا في موهبته الفنية".

أخفض بصري إلى الورقة المنزوعة من كتاب التمارين، والموجودة على مكتب إيتيان.

ليست رسمة سيئة لأكون صادقة. ويمكنني من الوهلة الأولى أن أقول إنها من المفترض أن تكون رسمة لي. وفي الحقيقة، يمكنني قول ذلك بناء على الوجه. أما البقية... فليست دقيقة تمامًا.

أقول: "عجبًا"، ويبدأ خدائي يزدادان حرارة. وأبقى عيني على الصورة: "إن هذا...".

يقول إيتيان: "أجل، بالضبط. أنا آسف لأنك اضطررت إلى رؤية هذا. لكن المراهقين..."، ويلوح بكفيه كما لو كان يريد أن يقول: 'ما الحيلة؟'.

أنا عارية في الرسم، ومنتخدة الوضعية الكلاسيكية للنساء في الكتب المصورة: جسدي في الاتجاه الآخر، لكنني ملتوية لأنظر من فوق كتفي، حرصًا من الفنان تايسون على إظهار النصف العلوي من الأمام، والنصف السفلي من الخلف معًا. أنا... ممتلئة تمامًا. وخصري لا يزيد على عرض معصمي تقريبًا.

يقول إيتيان: "آمل ألا يكون لديك مانع في تولي الأمر بدلًا منك. فلم أرغب في أن أشعرك بعدم الارتياح".

أبتسم: "شكرًا لك. كلاً، إنني... كان الأمر سيكون محرّجًا". وأعض على شفتي ناظرة إلى الرسم.

ويضيف إيتيان وهو يتكئ إلى الخلف في كرسيه ويداه مشبوكتان خلف رأسه: "سيخضع تايسون إلى الحجز بعد المدرسة بقية الشهر. لقد تحدثنا مطولاً أنا وهو عن تسليع النساء أيضًا. وأود أن أقول إنه لم يفهم من كلامي أكثر من واحد في المائة، لكن من يدري؟".

أقول: "لقد اعتذر، على الأقل".

يرد إيتيان بطريقة غير متفائلة: "ممم".

"حسنًا، أشكرك على المحاولة، على أية حال. أقدّر لك ذلك".

وأقلب الرسم على ظهرها بلا مبالاة. أجد مكتوبًا على ظهرها 'الآنسة جيلبرت المغوية'. أضحك وأدير الورقة ليتمكن إيتيان من قراءة المكتوب. يميل إلى الأمام ليقراً وتتحرك شفثاه.

يقول وقد بدت لهجته إنجليزية تمامًا فجأة: "أوه، يا للخزي".

أقول: "لقد استخدم، على الأقل، كلمة مهذبة. أعتقد أنني أفضل أن أكون 'مغوية' على أن أكون 'فاسقة'".

ينظر إليّ إيتيان، ولم تزايل الابتسامة شفثيه. إنه وسيم على نحو واضح ومتناسق. شعره بني، وعيناه بنيتان، وله بشرة من النوع الذي يسمر بسهولة.

يقول: "إنه لأمر جيد أن تتمتع بحس فكا هي يا آدي. وبالواقعية أيضًا".

أجيبه دون ترو: "تقصد حسًا تشاؤميًا". وأشعر بأنني أجادل المدير، فأتجمد في مكاني. لكن إيتيان يهز كتفيه ويسند ظهره إلى الخلف مرة أخرى.

يقول: "العالم مليء بالحالمين. والجوانب العملية لا تحظى بالتقدير الكافي. إنك تتعاملين مع أولئك الأطفال كما هم. وهذا ما سيجعل منك معلمة عظيمة".

أنتبه إلى استخدامه صيغة المستقبل. والسبب الرئيسي في ذلك أنه كان موضوع درس أمس. لكن مع ذلك، هذه أول مرة أنال فيها إشادة حقيقية من إيتيان. إنه بارع في إخفاء الانتقادات داخل تعليقاته، لكنني كنت أعرف دائمًا أن الإيجابيات التي يشير إليها لا تعدو أن تكون مجرد مجاملة. وهذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بأنه يري فيّ شيئًا أردت أن يراه.

أجيبه: "شكرًا لك".

يكتفي إيتيان بإيماءة من رأسه. وهذه إشارة واضحة لكي أنصرف، فأمضي إلى الباب، بينما إيتيان يطوي رسمة تايسون ويضعها في أحد الأدراج.

# ديلان

كان منزل أهلي كبيرًا جدًا في يوم من الأيام. ولا يزال يحتفظ بشيء من عظمته، كامرأة عجوز كانت إحدى نجوم هوليوود. لكن الجناح الغربي كله مغلق الآن - لأن تدفئته مكلفة جدًا - وبدأت تظهر عليه أسوأ علامات قدم العهد: كثير من نوافذه متصدعة، وقد تقشر الطلاء كله تقريبًا في الجانب المواجه للرياح.

يعارض أبي كل مشروع لجني المال منه: لم يسمح لنا قط باستضافة حفلات الزفاف، ولا بيعه إلى مؤسسة التراث القومي والانتقال إلى منزل آخر أقل بعدًا وأقل تداعيًا. إن هذا منزل عائلته. لكن مهما كان مدى نجاح أعماله في سوق الأوراق المالية، فما من مال يكفي لصيانة كل هذا المكان. وترجع المشكلة بشكل خاص إلى عمه الكبير الماغن المنحل - فقد أهدر القسط الأكبر من ثروة العائلة في القمار، وهو ما يجعله بطلاً رومانسيًا ساحرًا، لكنه سلف مزعج جدًا. ولم يترك حين مات سوى الأرض والمنزل.

أقف على عتبة الباب، وأجفل لدى سماع صوت إطلاق نار مفاجئ. إن الصيد هو المشروع الوحيد الذي يسمح به أبي في أراضينا، ومرد ذلك إلى أن والده سمح به من قبل. وتُعد طيور القطا والتدرج من علامات الحياة الدائمة في المنزل - نزلت في إحدى المرات إلى الحمام فوجدت أنثى تدرج جالسة في الحوض. كانت قد دخلت من النافذة، التي كانت قد تلفت منذ فترة، ولم يكن من الممكن إغلاقها، وهو الأمر الذي أحدث تيار هواء باردًا كان دائمًا يبدو أنه موجه نحو المراض.

ما دام أبي يصطاد في الخارج، فهذا يعني، على الأقل، أنه سيعود في مزاج جيد. أُدفع الباب الأمامي - يحتاج إلى صقل مرة أخرى، فقد صار من الصعب فتحه أكثر من أي وقت مضى - وأخطو داخلًا إلى الصالة، وهي الجزء الأكثر كمالًا في المنزل. توجد أزهار قُطفت حديثًا فوق القاعدة الموجودة أسفل السلم، وقد جرى تلميع بلاط الأرضية أخيرًا.

"ديلان؟".

أبتسم: "أمي؟".

تنادي: "أنا هنا!".

أدير عينيّ إلى الأعلى نافد الصبر. لم تعتد أمي قط العيش في منزل كبير، لدرجة أن ترى أن قول 'أنا هنا' لا يعد توجيهًا كافيًا. لقد نشأت في كارديف بمنزل من طابقين، وفي كل طابق غرفتان، ولم تفلح ثلاثون سنة زواج بأبي في أن تنسيها هذا الرد. كان زواجهما مشينًا في ذلك الوقت، ومن الصعب لي أن أتخيل أن والدي فعل في أي يوم من الأيام أي شيء يستدعي ولو مجرد التوبيخ.

أصيح سائلًا: "في المطبخ؟".

تجيبني: "في حجرة الجلوس!".

أتبع صوتها إلى غرفة المعيشة الوحيدة التي نبقياها مفتوحة، الغرفة الأمامية الفسيحة التي كانت مخصصة لاستقبال الضيوف حين بُني هذا المنزل. المنظر مذهل من النوافذ الطويلة - الحقول الخضراء التي يداعبها النسيم، والحطب الداكن في أرض الغابة، ولا يرى المرء إنسانًا أو مبنى في الأفق.

تحيط أمي وجهي بيديها الباردتين. إنها ترتدي بنطال ركوب خيل وسترة وتظهر فيهما تكتلات بسبب كل الطبقات التي ترتديها تحتها؛ ويبدو شعرها المقصوص أكثر بياضًا من آخر مرة رأيتها فيها، فقد مر على ذلك ستة أشهر تقريبًا.

تقول وهي تضغط بيديها على خديّ: "يا فتاي الحبيب! أكنت تحاول التسبب لوالدك في أزمة قلبية؟".

أتخلص من قبضتها وأعانقها. وأشعر بالرهبة تتسلل إليّ بالفعل، وتمر بأصابعها على ظهري ببطء، وبضباب قاتم يحيط كاحليّ. هذا المنزل يفيض بها؛ فهنا، أنا الصبي ديلان، الطفل الذي لم يمارس الرياضة قط، والذي لم يتمكن من فهم الأرقام قط، والذي لن يشند عوده أبداً فحسب.

أقول وأنا أبتعد عنها، وأرتمي على الأريكة الأخرى: "لا أعرف ما الذي يزعج أبي لهذه الدرجة". تصر الأريكة من تحتي على نحو مشؤوم. إنها من العهد الفيكتوري، ومحشوة كلها بشعر الخيل الشائك الذي يبرز في الحال ويخز ساقي. وأواصل حديثي: "على أية حال، لقد جئت هنا وقد عرفت خطتي".

تنقبض أمعائي لمرأى الارتياح البادي على وجه أمي. تقول: "رائع! هل تقدمت إلى إحدى الوظائف؟".

أرتبك: "ليس... تمامًا. لكنني عرفت ما أريد فعله. سأحصل على الماجستير في الأدب الإنجليزي. أريد العمل في المجال الأكاديمي".

تنخشب في مكانها، ويدها ملتويتان في حجرها كما لو كانت تعتصر شيئاً بينهما.

"أوه، ديلان...".

أكاد أصرخ في وجهها: "ماذا؟"، كنت مستعداً وجاهزاً لهذا، وكانت حججي جاهزة حتى اللحظة التي عبرت فيها ذلك الباب الضخم المتهاك: "وما المانع؟".

تقول: "إنه ليس... إن والدك يريدك أن تختار شيئاً مستقرّاً من الناحية المادية يا ديلان... أنت تعرف الحال هنا"، وتمد يديها بلا حول لتشير إلى أطراف الستائر البالية التي أكلتها العثة، وإلى الرطوبة التي تتسلل ببطء إلى الجدار من الحمام في الأعلى. وتردف: "عندما ترث...".

أقاطعها: "لوك هو من سيرث"، وأشيح بوجهي عن أمي، وأحدق إلى السقف. لقد تهدل قليلاً، على نحو منذر، كأن المنزل جاهز لتسويتني بالأرض.

وتقول أمي بهدوء: "ديلان".

لقد شطب أبي لوك من وصيته حين أعلن ميوله غير الطبيعية. وكنت في العاشرة، وكان لوك في الثانية عشرة. الثانية عشرة من عمره فقط.

أكور قبضتي. أعرف أنه ينبغي لي التعاطف مع أمي أكثر من ذلك - لا شك في أن اقترانها بأبي أمر صعب لدرجة تعز على الوصف، حتى لو كانت تحبه. لكنني لا أستطيع مسامحتها على فشلها في تغيير رأي أبي حيال لوك. لا يزال أبي يَعُدُّه ابنه، ويطلب منه زيارته، وينصحه فيما يتعلق بمشروعاته - لكنه يرفض مقابلة خافيير، ولن يسمح لابنه منصرف الميول بأن يرث أملاكه.

تقول أمي برفق: "فلتقبل الوظيفة التي وفرها لك والدك في الشركة. فلديك مسؤولية يا ديلان".

أسمع من يناديها: "إلينور؟".

هذا صوت أبي. أتسمر في مكاني، على الفور.

تجيب أمي منادية وهي تعدل يديها في حجرها، وتنتصب في جلستها: "أنا في غرفة الجلوس! وديلان هنا".

يمتد الصمت برهة، ثم يُقبل والدي ماشياً في الصالة، لا يزال ينتعل حذاء الصيد المثقل بالوحل.

يقف في مدخل الغرفة ويتأملني برهة. أنظر إليه فيجتاحني الخوف الغاضب، وتبسط الرهبة مخالبتها، وها هو سبب عدم رؤيتي أمي منذ ستة أشهر.

يقول والدي وقد استدار مبتعدًا بالفعل: "يسرني أنك تُبت إلى رشك وعدت إلى المنزل.  
فلتساعد أمك في إعداد العشاء. وبعد ذلك سنخوض محادثة جادة حول مستقبلك".

الحاضر

# آدي

ليس أكثر من مجرد التواء في المعصم، على أسوأ تقدير. لكن فيليسييتي، فاعلة الخير العابرة، أصرت على اصطحابي إلى قسم الحوادث والطوارئ، وعلى ذلك، فأنا هنا الآن بدلاً من البحث عن ديب.

لقد ضقت ذرعًا بفاعلة الخير هذه، بصريح القول. كان كيفين يكفي.

تقول فيليسييتي وهي تسوي شعري بيدها: "هكذا يا حبي؟". إنها تفرط في لمس الآخرين حقًا. كانت ديب ستكرهها. أينما كانت ديب.

قسم الحوادث والطوارئ في مستشفى رويال بريستون مزدحم تمامًا الآن. لقد جرى الإسراع في الحال بنقل فتاة كانت الدماء تلتخ فستانها الصيفي من الأمام كأنها ممثلة ثانوية في فيلم رعب، وهناك رجل يجلس أمامي ويبدو أنه يحمل أنفه فوق وجهه. أحاول عدم التفكير فيما سيحدث لو تركه.

لم أرَ حتى الآن أي فرد من الموظفين يسير ببطء. أنا في نظرهم مجرد شخص آخر سيضيع وقتهم. وقد حاولت مرة أخرى إقناع فيليسييتي بالسماح لي بالخروج من هنا، لكنها لم تقبل مطلقًا.

تقول لي بحزم وهي تفرك يدي السليمة بين يديها: "ليس قبل وصول أصدقائك. أوه، إن أصابعك باردة كالثلج! كيف تكون يدك باردة هكذا في هذا الطقس!".

يمكنني القول إن فيليسييتي في الستينيات من عمرها، وتفيض منها غريزة الأمومة. إنها ترتدي قميصًا بنيًا فاتحًا من النوع الذي يكون في متاجر الملابس المستعملة، وبنطالًا من

الجينز طرزت على جيوبه زهور صغيرة. وشعرها الأسود اللامع مجموع إلى الخلف في ضفيرة أنيقة.

رأنتي أتعثر على حافة الطريق السريع. أعترف بأن الأمر بدا خطيرًا. وكنت قد تعثرت نحو حارة الطوارئ ووقعت على الإسفلت، ويدي ممدودتان. لكنني ظللت بعيدة تمامًا عن السيارات، وكانت حارة الطوارئ مسورة كاملة بسبب أعمال الطرق. وصحيح أن جلد ركبتي خدش، وتلطح ثوبي بالدم، ومعصمي يؤلمني على نحو قاتل حين أحاول غلق قبضة يدي أو تحريكها، لكنني بخير.

أقول لها: "أرجوك يا فيليسيتي، إنه التواء بسيط، ولا أحتاج إلى إجراء أشعة سينية، لا أحتاج إلى البقاء هنا. إنني أهدر وقت الجميع هكذا".

تربت فيليسيتي على ركبتي، وتكتفي بأن تقول: "لا تتكلمي يا حبي"، وتمط رقبتها متتبعة ممرضة مارة بنا وتصيح: "ألم يطل انتظارنا أكثر مما يلزم! هذا أمر مروع! كنت أظن أنهم سيحافظون على سير الأمور أسرع من ذلك".

أعض شفتي وأتمنى ألا يكون قد سمعها أي موظف من موظفي هيئة الخدمات الصحية الوطنية. أتفقد هاتفني مرة أخرى: ما من إشعارات. لا شك في أنهم كانوا سيرسلون رسالة لو كانوا وجدوا ديب، وهو ما يعني أنها لا تزال هائمة في حقول لانكشاير محاولة للحاق بنا، أو ربما كانت ماضية إلى إسكتلندا سيرًا على الأقدام، أو ربما قتلها سائق شاحنة.

أسمعه يناديني: "آدي؟".

يقفز قلبي من مكانه. ويشق ديLAN طريقه بين الحقائق والأطفال والناس بيني وبينه، ثم يجثو أمامي، ويلمس كتفي وعينه تتفحصان وجهي.

يسألني: "أأنت بخير؟".

أجيبه: "أنا بخير تمامًا. مجرد التواء بسيط في المعصم، لا شيء غير ذلك. فهلا أخبرت فيليسييتي بأن تتركني أذهب الآن؟ إنها لا تقتنع بكلامي".

يقول: "أنا ديلان"، ويمد يده مصافحًا فيليسييتي، ويردف: "أشكرك جزيلًا على عنايتك بأدي".

ترد فيليسييتي مبتسمة: "على الرحب والسعة. إنها فاتنة صغيرة رقيقة".

والمح شفة ديلان تختلج.

أقول: "هذا اعتقاد خطأ شائع"، وأرى الاختلاجة تتحول إلى ابتسامة خاطفة.

عندئذ ألاحظ ماركوس. إنه قادم في الخلف، ويداه في جيبيه، ويشاهدنا بالقرب من الباب. ولجزء من الثانية، وقبل أن ينتبه إلى أنني رأيته، كان يعلو وجهه تعبير غريب. كأنما كان يحاول حل لغز. وينظر إليّ فيتحول تعبيره إلى شيء قد يكون قلقًا بالفعل.

يحرك شفتيه قائلاً دون صوت: "هل أنت بخير؟".

أرمش غير مصدقة، وأومئ إليه بالإيجاب. يبتسم قليلاً ويستدير نحو المخرج.

يقول ديلان وقد عقد حاجبيه مرة أخرى حين رأى بقع الدم على ثوبي عند الركبة: "هل أنت واثقة بأنك لا تحتاجين إلى من يعاينك؟".

أجيبه: "أنا واثقة. أريد أن أخرج".

يهز ديلان كتفيه باستسلام نحو فيليسييتي: "يبدو أننا سنرحل يا فيليسييتي. أشكرك مرة أخرى".

تططق فيليسييتي بلسانها وتقول: "ما هذا الكلام! إنها بحاجة إلى طبيب!".

يبتسم ديلان: "إذا كنتِ لم تستطعي إقناعها يا فيليسيتي، فلا أظن أنني أستطيع إقناعها. فحين تعزم آدي على شيء... فلا حيلة معها. يستحيل أن تتراجع عنه".

أفرك الدم الجاف على ثوبي وأنا أتساءل عما سيكون رأي ديلان إذا رأى جميع رسائل البريد الإلكتروني إليه، المحفوظة في مجلد المسودات لديّ. وإذا عرف بشأن المرات التي لا تحصى التي كدت أغير رأيي فيها. لكن هكذا هو الأمر حين 'يكاد' يفعل المرء شيئاً: يمكن أن يعقد المرء عزمه على شيء بنسبة تسعة وتسعين في المائة، ويمكن أن يكون قاب قوسين من فعله، لكنه إذا منع نفسه من تجاوز ذلك الحد، فما من أحد سيعرف أبداً كم كان المرء قريباً من فعل ذلك الشيء.

تبين أن أسرع طريقة للحصول على طبيب في قسم الحوادث والطوارئ هي طلب الخروج من المستشفى، جعلتني الشابة المرهقة أوقّع على إقرار بأنني أتحمّل المسؤولية الكاملة إذا ساءت حالتي بسبب طلبي الخروج دون معاينة. حتى إنها تمكنت من الابتسام لي على نحو خاطف قبل أن تتطلق مرة أخرى.

لا تزال الشمس متأججة حتى الآن، ساطعة بقوة لدرجة أنني أضطر إلى تضيق عينيّ. وهذا يزيد من صعوبة فهم التعبير على وجه ماركوس ونحن نقترّب منه عند السيارة. وحين نقترّب منه بما يكفي، يكون وجهه خالياً من أي تعبير.

يسألني، كما لو كان لم يدخل ليطمئن عليّ: "هل أنت بخير؟".

أجيبه: "أجل، أنا بخير، أشكرك".

يفتح ديلان باب السيارة من أجلي، وأتحرك لأصعد إلى المقعد الخلفي، حريصة على ألا أحرك معصمي.

وأتوقف قائلة: "مهلاً، ينبغي أن أقود السيارة. فليس لديك تأمين".

يرد ديلان: "لا مشكلة في ذلك. يمكنني فقط أن...".

لكنني أخرج من السيارة مرة أخرى. كان ماركوس في مقعد الراكب الأمامي بالفعل. رمقته بطرف عيني وأنا أستقر في مقعدي. لقد استرخى في المقعد كأنه طفل ضجر، لكنني حين أتألم وأنا أحاول تحرير مكابح اليد، يهب منتصبًا، وأجد يده فوق يدي في لمح البصر.

يقول: "دعيني أقم بذلك".

وأسمع ديلان خلفي يتململ في مقعده.

أقول لماركوس: "شكرًا"، بينما أعيد يدي المصابة إلى حجري.

لقد تبين أن القيادة بمعصم ملتو أمر... شاق. تغرورق عيناى بالدموع وأنا أحرك ناقل السرعة. لا يهب ماركوس مرة أخرى، وإنما يحدق فقط عبر النافذة.

أقول فجأة: "أهذا هاتفي؟".

كنا نسير الآن بسرعة على الطريق السريع. أجفل من الألم وأنا أتحسس خلفي على المقعد بيدي السليمة، بينما أمسك عجلة القيادة بحذر بالأخرى. هاتفي في الجيب الخلفي لثوبي.

يقول ماركوس وقد لاحظ المشكلة: "أيمكنني أن..."، ويمد يده ليساعدني وأنا أحاول إخراج الهاتف.

يقول ديلان وقد مال إلى الأمام من بين المقاعد: "سأتولى ذلك". وتستقر يده فوق يدي فتنتابني قشعريرة. ينتصب الشعر في رقبتى وهو يسحب هاتفي من جيبي الخلفي.

ويرد على المكالمة: "مرحبًا؟".

أنتظر مترقبة.

ويقول لي ديLAN: "ديب بخير"، فأرتد إلى الخلف مسترخية في مقعدي.

أهمهم قائلة: "أخيراً".

ينهي ديLAN المكالمة ويقول: "لقد وجدها رودني، على غير المتوقع".

أسأله: "أين كانت؟".

"فلتخمني".

"إممم... في فندق بادجيت ترافل بالفعل؟".

"كلا".

"كانت تمشي على الطريق السريع؟".

"كلا".

"وجدت من يوصلها؟".

"أخطأت التخمين مرة أخرى. إنك تقللين من شأن موهبة أختك في البحث عن اللامعقول".

أقول: "حسنًا، لا يمكنني التخمين. أين كانت؟".

يجيبني: "كانت تتناول شرابًا مع كيفن سائق الشاحنة".

كان كيفن فيما يبدو قد كتب لها رقم هاتفه على ظاهر يدها. وأخبرتني ديب بكل ابتهاج في ردهة فندق بادجيت ترافل بأن الأمر كان متناهي السهولة. فقد استعارت هاتف أول شخص مر بها في لانكشاير، واتصلت بكيفن من فورها لينقذها. ولم يؤخرها غير أنه كان في لانكستر، وكانت حركة المرور متوقفة في تلك المنطقة كلها. لا شك في ذلك.

أسألها وأنا أضغط على ذراعها ضغطة سريعة: "هل أنت على ما يرام؟ لقد كنت في حال مزرية من دونك".

تقول: "أوه، أنا بخير".

وأواصل سائلة: "كيف استطاع كيفن أن يصل إلى لانكستر؟ لقد تحركنا في الوقت نفسه الذي تحرك فيه! ولم نصل إلا إلى بريستون اللعينة!".

تهز ديب كتفها بهدوء: "لأن كيفن رجل موهوب".

أسألها وأنا أنقل نظري بينها وبين رودني: "وأين كيفن الآن؟".

كلاهما يبدو في حالة فظيعة. ديب واطعة مضخة الثدي الأخرى - التي لا تعمل بالبطارية - موصولة بمقبس في الجدار وتشفط ما في صدرها، لكن هناك بقع حليب على ثوبها من الأمام، وفوق ذلك، هناك خط طويل أتمنى أن يكون من الوحل على الجزء الأمامي من قصبه ساقها. وقد انخلع نعل أحد حذائها. أما رودني فليديه أوراق من عشبة جار الماء عالقة بحزام خصره. وبنطاله مبلل. وقد بدأ يجف من أعلى إلى أسفل، مكوّنًا ما يشبه التموج في لون البنطال. وتفوح منه رائحة نتنة. ومن يدري ما الذي ظنه من كانوا في المقهى حين دخله بينما كان كيفن وديب يتناولان شرابهما.

تقول ديب: "إنه عائد إلى جلاسكو ومعه كراسيه"، وتضيف بلهجة متفضلة: "لقد عرض عليّ أن يوصلني إلى الزفاف، لكنني رأيت أنه يجب أن أنتظركم حقًا".

أرد: "أوه، شكرًا"، وأتحقق من الوقت في هاتفي وأسب. أصبح هذا هو رد فعلي المعتاد كلما تحققت من الوقت. وأردف: "الساعة الثامنة. كيف بلغت الثامنة؟ ولماذا يجري الوقت هكذا؟".

يقول رودني: "لقد ذهبت إلى قسم الحوادث والطوارئ، وقد استغرق كيفن بعض الوقت لي..."، ويتراجع حين يرى نظرتي، ويستدرك: "آه، أكان سؤالاً بلاغيًا؟".

"أجل يا رودني، كان سؤالاً بلاغيًا. إننا نحتاج إلى العودة والمضي في طريقنا حين تنتهي ديب".

يقول ماركوس بأنين: "لكنني أتضور جوعًا". إنه مستلقٍ على ظهره فوق السجادة، ويدها وساقاه ممدودة متخذًا هيئة نجمة. لقد تبخر الرجل الخاضع الذي كان في السيارة، ماركوس الجديد الغريب الذي اعتراه القلق حين أصيب معصمي. لقد اختفى بالسرعة التي ظهر بها.

وتقول ديب: "إننا لم نأكل منذ فترة طويلة حقًا. ألا ينبغي لنا أن نشترى بعض الطعام، على الأقل؟ يوجد فرع لمطعم هارفستر بجوار هذا المكان".

يقول ماركوس وديلان في وقت واحد: "ماذا؟".

أضحك وأجيبهما: "هارفستر. تعالوا. سيعجبكم".

ينهض ماركوس جالسًا ويقول: "إذا كانوا يبيعون طعامًا، فسيسعدي ذلك".

يدوم هذا الابتهاج إلى أن نجلس في مقصورة بمتجر هارفستر ويطالع قائمة الطعام.

يقول: "ما هذا الهراء؟".

أخفي ابتسامتي خلف قائمة الطعام بين يدي: "ماذا؟".

يقول بانزعاج حقيقي: "ما هذا المكان؟ بيتزا ووجبات فطور مطبوخة؟ أهو نوع من الدمج بين الأطعمة؟".

تغمغم ديب ضاحكة وتقول: "إنه طعام".

يقول مشيرًا نحو الشواء الموضوع على الصواني في وسط المطعم: "وما هذا؟ أنذهب لناخذ اللحم بأنفسنا من هناك؟ هذا رهيب. هذا رائع. أيمكنني الحصول على أي كمية أريدها من كيك يوركشاير؟".

بعد أربعين دقيقة من ذلك، يرتد ماركوس في مقعده متأوهًا وهو يفرك معدته.

يهمهم ديLAN قائلاً لي: "من المفترض أن يبقى هذا هادئًا، بعض الوقت على الأقل. فما أخبار حركة المرور يا رودني؟".

لا أعرف متى أصبح رودني مسئولاً رسميًا عن أخبار السفر، لكن يبدو أن هذا ما يراه الجميع. إنه يحب أن يكون لديه ما يفعله. لقد أخرج هاتفه بالفعل ليتحقق من خرائط جوجل.

يقول بوجه يغزوه الانزعاج: "أوه، إممم...".

أسأله: "أخبار سيئة؟".

"إن شمال الطريق إم-6 مغلق".

"يبدو هذا... غير مبشر...".

يقول رودني بلهجة المعتذر: "إنه ليس رائعًا. وجوجل ينصحنا بالتوجه إلى شمال بينينز".

أسأله: "ما الوقت المقدّر؟". لقد اقتربت الساعة من التاسعة الآن، والضوء أخذ في التلاشي عبر نافذة مطعم هارفستر.

يجيبني: "ست ساعات".

أضرب الطاولة برأسي: "يا للعناء".

تقول ديب: "لا فائدة من وصولنا إلى هناك في الثالثة فجرًا يا آدي. فلنر ما إذا كانت هناك غرف خالية في فندق بادجيت ترافل وننطلق في الصباح الباكر. ستكون الطرق قد خلت، كما نحصل على قسط من النوم قبل الزفاف".

أقول دون أن أرفع رأسي: "كلا! علينا أن نستمر في طريقنا!".

تقول ديب وهي تسحب قائمة الطعام من تحت وجهي لتجبرني على التحرك: "مهلاً! لا يمكنني سماعك وسط أصوات توقعاتك غير الواقعية".

أزجر قائلة: "أنا أكره الاستسلام. ولا أريد أن أدفع مبيت ليلة في فندق بادجيت ترافل اللعين! لقد دفعنا ثمن مبيتنا في ذلك المكان المستأجر عبر منصة التأجير في إيتريك، و...".

يخطر لي أنني أتحدث عن المال أمام ديلان فيحمر وجهي.

فأسارع مخاطبة ماركوس وديلان: "إياكما أن تعرضا الدفع بدلاً منا".

يرد ماركوس: "لم يخطر لي ذلك إطلاقًا. وديلان شاعر مفلس حقًا، هذه الأيام، على أية حال، لذا لا تنتظري منه أي سخاء".

أقول وقد صرت مرتبكة تمامًا الآن: "أوه، صحيح، إنني..."، أعتقد أنه كان يجدر بي أن أستنتج أن ديلان توقف بلا شك عن أخذ المال من أهله، بما أنه لم يعد يتحدث إلى والده. وأقترح: "ألا يمكننا القيادة فحسب أثناء الليل؟".

ترد ديب: "لقد لويت معصمك ولديّ ما أظن أنه براز كلب حقًا على ساقِي يا آدي. وقد حاولت، منذ قليل، تعليم نفسي كيفية شفط حليب الثدي يدويًا في أجمة في طرف أحد الحقول. أريد أن أستحم، وأريد تبريد زجاجات الحليب وحقيبة التبريد. وجميعنا نحتاج إلى الراحة، وإلا فإن أحدنا سيقتل شخصًا".

يقول ماركوس: "هذا صحيح. إنني قاب قوسين من قتل رودني. إذا طقطق بأصابعه مرة أخرى...".

يتوقف رودني عن طقطقة أصابعه، ويقول: "أنا آسف، آسف، آسف...".

فيقول ماركوس: "أو إذا اعتذر مرة أخرى".

"أنا آسف..."، ويتراجع رودني ثم يقول: "ويحي".

أتنهد قائلة: "لا بأس. حسناً. لنر إن كانت هناك غرف خالية في فندق بادجيت ترافل". وأرفع إصبعي حين يهم ماركوس بالكلام، وأقول له: "لا، لن نسأل عما إن كان هناك فندق خمس نجوم يمكننا الإقامة فيه بدلاً من ذلك. وإذا كنت تريد مكاناً أكثر فخامة لمبيتك، فلتبحث عنه بنفسك، ولن أوصلك إليه، ولا ديب أيضاً".

تقول ديب: "هذا صحيح. لن أفعل".

ينظر ماركوس في عيني لحظة. أنا فخورة حقاً بنفسي لأنني استطعت أن أتحدث بهذه الطريقة. فالتصدي لماركوس ليس بالأمر اليسير، حتى لو كان الأمر متعلقاً بغرف الفنادق.

يقول: "لم أكن سأقول ذلك. وأياً كان رأيك فيّ، فأنا قادر على التأقلم دون خدمة الغرف ليلة واحدة. لكنني كنت سأقول دعوني أسأل ماجي عن الغرف"، يشوب ابتسامته الساحرة الشهيرة إرهاق أكثر من المعتاد، ويواصل: "من المرجح أن تمنحنا جميعاً غرفاً لكبار النزلاء".

"هذا... غير معقول".

نتبادل أنا وديب نظرة سريعة من فوق السرير المزدوج ثم نشيح بوجهينا. من الصعب جداً ألا نضحك.

يقول ماركوس وقد بدت عليه حيرة حقيقية: "أين سأنام؟ في سرير أطفال لعين؟".

أعترف بأن هذه الغرفة العائلية في فندق بادجيت ترافيل ليست مصممة لتتسع لخمسة أشخاص بالغين. لكن كان لماجي الفضل في السماح لنا بالحصول على غرفة من الأساس - الفندق ممتلئ، الليلة، بسبب حفل زفاف مقام في مكان قريب.

يوجد سرير مزدوج، وسريران فرديان يفصل بينهما ممر قصير، وهناك سرير أطفال.

تضع ديب يدها على بطنها باشتياق، وتقول بصوت خافت وهي تنظر إلى سرير الأطفال: "أوه". لم تكن هذه الرحلة البرية الكارثية تستحق أن تترك ابنها في المنزل.

ويقول ماركوس: "إذا كان هناك من يجب أن ينام في سرير الأطفال، فهي آدي. إنها في حجم طفل في الأساس".

أتحص سرير الأطفال. إنه سرير أطفال كبير الحجم. لكنه لا يزال سرير أطفال.

أقول: "سأنام في السرير المزدوج"، وأسارع موضحة حين ينظر الجميع من فورهم إلى ديلان: "مع ديب. وأنتم الثلاثة يمكنكم التفاهم على ما تبقى، فيما بينكم".

أخذت ديب تطالع هاتفها، تتصفح آخر صور رايلي التي أرسلتها أمي على تطبيق واتساب. لا يمكنني رؤية شاشة الهاتف، لكنني لا أحتاج إلى ذلك. فعينا ديب تقيضان حناناً وحرناً.

يقول ديلان وهو يجذب ماركوس من ذراعه: "هيا بنا، لنمنح ديب وآدي بعض الخصوصية. وأنت أيضاً يا رودني - لنجلب بقية الحقائب من السيارة ونقرر بعد ذلك من منا سينام على الأرض".

تلتقي أعيننا وهو يخرجهما من الغرفة، ويأخذ مفاتيح السيارة وهو ذاهب. فأحرك شفطي بالشكر نحوه دون صوت فيبتسم.

تقول ديب وهي تضع هاتفها حين ينغلق الباب: "أوه، يا للهول".

أسألها: "ما الأمر؟".

تقول ديب وهي تشير إلى وجهي: "هذه... هذه الـ 'شكرًا'".

"أكانت تنم عن تهذيب؟".

"بل كانت شيئًا لم تكوني لتقوليه قبل اثنتي عشرة ساعة. وهو ما ينم في رأيي عن... أن هناك شيئًا قد تغير؟".

أجلس على السرير وأضع معصمي المصاب في حجري. لقد تحسن الورم شيئًا ما، لكنه لا يزال يؤلمني وأشعر بأن جلدي مشدود.

أجيبها: "لم يتغير شيء. كل ما هنالك أننا قضينا بعض الوقت معًا، لذا... فقد عرفت كيف أتعامل معه على نحو متحضر. بحكم الضرورة. لكن هذا كل شيء".

تسألني: "أما من مشاعر؟".

أقول وأنا أستلقي على ظهري بحيث تكون قدمي متدليتين من حافة السرير: "الكثير والكثير من المشاعر. مشاعر كثيرة لدرجة أنني عاجزة عن التمييز بينها".

تستلقي ديب بجانبني.

فأردف: "عليك أن تستحمي حقًا قبل أن تنامي على هذا السرير".

تتجاهل ذلك وتقول: "حدثيني عنها".

أسألها: "أأنت واثقة بأنك لا تريدين التحدث عن اشتياقك إلى رايلي؟".

"واثقة تمامًا. لن يساعدي ذلك. أخبريني بمشاعرك حيال ديلان".

"حسنًا، إنه في الحقيقة... يبدو مختلفًا".

"حقًا؟".

"أكثر رزانة. أقل تساهلاً مع ماركوس. أكثر نضجًا. أكثر وعيًا بذاته".

"هذه أشياء ممتازة كلها".

"أعرف ذلك. أعرف". وأفرك عيني بيدي السليمة: "لكن ربما كنت أرى ما أود رؤيته لا أكثر".

"ألا تزالين تحبينه؟".

ليس من طبع ديب أن تدور حول الموضوع. أزدرد ريقني وأحدق إلى السقف.

أجيبها: "إنني أكره حين يقول الناس عند انفصالهم عن شخص كلامًا من قبيل ' سأحبك إلى الأبد' ، لأنه إذا كان الأمر كذلك... فلماذا لا تبقيان معًا؟ لكن مع ديلان...".

تسبقني قائلة: "تعتقدين أنك ستحبينه إلى الأبد؟".

"الأفضل أن نعبر عن الوضع على هذا النحو: لا أعتقد أنني توقفت عن حبه".

"ولا حتى حين أردت حرق دميته في ليلة الألعاب النارية في ذلك الوقت؟".

أبتسم قبل أن أقول: "ولا في تلك الليلة أيضًا بشكل خاص. كانت تلك محاولة يائسة لبدء كرهه. من باب ادعاء الأمر حتى تصديقه".

"وماذا عن الوقت الذي كنت تواعدين فيه ذلك الرجل من المدرسة؟".

تتلاشى ابتسامتي: "إنني... لقد جعل ديلان يختفي بعض الوقت، لكنه لم يُزله من داخلي".

وعندئذ تسأل ديب بهدوء أكبر: "وماذا عن الوقت الذي هجرك فيه؟".

النافذة مواربة لتسمح لبعض الهواء البارد بالتسلل، ويمكنني سماع هدير حركة المرور على الطريق السريع.

أقول: "إنني لم أسمح لنفسني قط... إنني..."، ويبدو كأن حلقي يضيق.

تنتظر ديب بكل صبر.

أتمكن في النهاية من قول: "لم أقل ذلك من قبل قط يا ديب".

تقول: "لا بأس في ذلك. لكن يمكنك قوله الآن".

أقول متنهدة: "إنني أتفهم سبب هجره لي".

يستمر هدير السيارات.

تقول ديب: "لكنه أخطأ حين هجرك".

"لكنني أفهم دوافعه. وفي وقتها كذلك، كنت أفهم دوافعه. ولهذا كنت في غضب عارم. لأنني كنت أعرف - وأحسست - أنه محق في هجره لي".

تدير ديب رأسها ناظرة إليّ: "لكنك قلت، ذات مرة، إنك لن تسامحيه على رحيله".

"أعرف ذلك. بدت لي مسامحته نوعاً من الضعف. وكنت أريد أن أشعر بأنني قوية".

تقول ديب: "التسامح شيمة الأقوياء. هذه مقولة غاندي".

تفلق دمعاً في شق طريقها من ركن عيني إلى أذني. وأغمض عيني فتفر دمعتان أخريان ويبللان شعري.

أسألها: "أعتقدين أنه كان يجدر بي أن أسامحه حينذاك؟ مثلما سامحني؟".

"آدي...".

"كلا، لا بأس في ذلك، يمكنني الحديث عن الأمر. يمكنني قول ذلك".

"إنك تبكين".

أضحك على الرغم من دموعي: "أحيانًا يكون البكاء مفيدًا. أحيانًا يحتاج المرء إلى البكاء".

تقول ديب وهي تنقلب على جنبها لتتناول هاتفها من حيث تركته على المنضدة بجانب السرير: "مكالمة لك يا آدي. إنها شيري".

"يا للنازلة"، أنهض جالسة، ثم أشهق متألّمة حين أحرك يدي دون قصد: "ناوليني إياه. علينا أن نخبرها بأننا لن نصل قبل الغد. كان يفترض بي أن أتصل بها من قبل".

أمسح وجهي وأرد على المكالمة.

أقول: "مرحبًا يا شيري. أنا آسفة، لكن لدي أخبارًا سيئة".

يطرق سمعي صوت شيري المزقزق عبر الهاتف: "لا! لا! لا! أنتم على بُعد خمس دقائق! أليس كذلك؟".

أرد متجهمًا: "لسنا كذلك. لسنا كذلك حقًا".

تقول: "إن عمّة كريش وعمه متأخران أيضًا، وهما آتيان من لندن. هذا شيء في منتهى السوء يا آدي".

"كلا ليس كذلك، هذا شيء عادي! هناك فقط بعض الزحام في حركة المرور اليوم، هذا كل ما في الأمر. ستكون الأمور جيدة في الغد، وسيصل الجميع إليك قبل وقت طويل من

الزفاف".

"كان من المفترض أن يكون الجميع هنا اليوم! لقد اضطررنا إلى إقامة حفل الشواء العائلي من دونك!".

أبتسم وأنا أمسح خديّ المبللين: "تعلمين أنني لست من العائلة، من الناحية النظرية".

"لا تقولي ذلك! أوه، يا للهول، إن كريش يناديني - ربما كانت هناك كارثة جديدة - لقد نفدت زهور الجيبسوفيللا لدى بائع الزهور، فهل سمعت مثل هذا الهراء من قبل؟ نفدت لديهم؟ إنها مثل الخبز في عالم الأزهار يا آدي. ما من زهور أكثر منها في عالم الورد. إنها لا تنقطع طيلة العام. أتفهمين؟".

أجيبها بأكثر ما يسعني من هدوء: "ليس تمامًا، لكنني أفهم أن الأمور تبدو مرهقة في الوقت الحالي. لكن لديك كريش. وهذا كل ما يهم. حتى لو نفدت لدى بائع الزهور كل قطعة خبز في عالم الأزهار، أو أيًا كان، فسيكون كريش زوجك في نهاية الغد".

أسمع شيري تتنفس بقوة وتقول: "أجل. أجل. هذا كل ما يهم. لكن... تلك الأشياء الأخرى مهمة أيضًا. ليس بالقدر نفسه، كما تعلمين، لكنها مهمة كثيرًا؟".

أضحك: "أجل، أفهمك. اسمعي، سنكون عندك في وقت مبكر جدًا قدر المستطاع من الغد، وسأعانقك بأقوى ما يمكنني، ثم أذهب في جولة وأسرق كل زهور الجيبسوفيللا من كل متاجر الزهور الأخرى في إيتريك إذا كنت تريدين مني ذلك. أو سأبقى معك لأقول لك أشياء تطمئنك. أيًا كان ما تريدين فسأفعله".

تقول: "أحبك يا آدي. أحبك حقًا. هل الرحلة تبدو على ما يرام؟ يا إلهي، نسيت كذلك أن أسألك - لقد قضيت اليوم كله مع ديلان! فهل أنت على ما يرام؟".

"أنا بخير. لديّ ديب".

تقول شيري: "أحسدك على ديب. أتمنى لو كانت لديّ ديب".

"أنا آسفة. سنكون جميعًا عندك في نهاية صباح الغد، اتفقنا؟".

تقول بصوت مختلف تمامًا عن صوت شيري المعتاد: "اتفقنا".

"أوه، لا أدري إن كان ديLAN قد أخبرك بأن رودني معنا كذلك أم لا، لذلك فهو سيتأخر أيضًا. وماركوس كذلك، لكنني أظنك خمنت ذلك. ولا يهملك ذلك أيضًا".

تقول شيري: "صحيح، لا شك في أن ماركوس يعرف أنني دعوته من باب الشفقة. من الذي قلت إنه معكم أيضًا؟".

"رودني؟ لقد كان في حاجة إلى من يوصله من تشيتشستر، لذا أخذناه معنا. يا له من مسكين. لم يكن يعرف ما الذي يورط نفسه فيه".

تقول شيري: "رودني؟".

"أجل".

"من رودني؟".

أنظر إلى ديب مرتبكة: "ماذا؟ هه. لا أذكر اسمه الكامل. ربما رودني... ويلسون؟ أو رودني وايت؟".

"رودني وايلي؟".

"أجل، يبدو هذا صحيحًا. لماذا؟ هناك أي مشكلة؟".

"آدي... آدي...".

"ماذا؟".

كانت ديب تفرغ الحقائق - وتنظر إليّ وهي تلاحظ لهجتي.

وتقول شيري: "رودني وايلي غير مدعو إلى زفافي".

"ماذا؟".

يتعالى صوت شيري: "يا للهول يا آدي، هل... هل هو معكم حقًا؟ أهو معك الآن؟".

"كلا، إنه في الأسفل - ما الخطب؟ من يكون؟".

"إنه الشاب... الشاب من حفلة عيد الميلاد تلك".

"يا للهول. أهو ذلك الشاب المريب الذي قضيت ليلة معه وكتب لك قصائد حب؟!".

"نعم!".

أقول واضعة يدي على فمي: "كلا! كلا! لم يكن اسمه رودني!".

"بل كان كذلك!".

"كنت لأتذكر ذلك!".

تصرخ شيري: "لا أعرف ماذا أقول لك يا آدي، لأنك لم تتذكري! يا إلهي. ما الذي يجعله يأتي إلى زفافي؟ عليك أن تتخلصي منه!".

تسألني ديب: "ما الذي يجري؟".

أسأل شيري وقد اتسعت عيناها: "أهو... شخص خطير؟".

تقول شيري: "ربما. أعني، في الحقيقة، ليس حقًا، لا، لكنه مزعج لدرجة بغیضة. ويبدو أنه دعا نفسه إلى زفافي، وهو أمر يدعو للارتياح. من أين يعرفك لكي يطلب منك توصيله؟!"

أجيبها: "لقد كان في مجموعة الزفاف على فيسبوك! ولا يعرف بأمر المجموعة إلا من لديهم دعوة، لذلك ظننت...".

تسألني ديب مرة أخرى: "ما الأمر؟".

ألوح لها بنفاد صبر.

وأسأل شيري: "ماذا نفعل. ماذا تريد من أن نفعل؟ ألا يزال يحبك؟".

تقول شيري بصوت هستيري تقريبًا: "لا شك في أن الأمر هكذا، أليس كذلك؟ وأشك في أنه أت إلى الزفاف ليتمنى لنا حياة سعيدة".

"أظن أنه يريد أن يحاول منع الزفاف؟".

تسألني ديب مقتربة أكثر: "عمن تتحدثين؟ رودني؟". أشغل مكبر الصوت.

أسأل: "ماذا تريد من أن نفعل يا شيري؟".

تجيب شيري وهي تكاد تبكي: "لا أدري، لا أدري، لا تدعوه يصل إلى هنا فحسب. تخلصوا منه".

ننظر أنا وديب كل منا إلى الأخرى.

تواصل شيري: "يمكنكم فعل ذلك، أليس كذلك؟ هل ستتخلصون منه؟".

أرد قائلة: "أجل، بالطبع. لن يحضر رودني وإيلي زفافك".

تقول شيري، ويبدو كأنها تتحدث وهي واطعة يدها على فمها: "حسنًا. حسنًا. يا إلهي، أتساءل عما كان يخطط له. عليّ أن أذهب يا رفاق، كريش يلوح لي بكلتا يديه الآن، وهو متجههم حقًا - لكنكم ستتصرفون حيال الأمر، أليس كذلك؟ لا أصدق أنكم قدمتم توصيلة إلى ذلك المترصد ليأتي إلى زفافي، يا للهول! كريش، مهلاً، هلا انتظرت - عليّ أن أذهب يا فتيات، لكن افعلوا ما يجب فعله، اتفقنا؟".

تقول ديب: "لن نقتله، إذا كان هذا ما تقصدينه".

"ماذا تقولين يا ديب! كلا! عطلوه فقط. اربطوه في مكان ما. وأخيفوه قليلاً إن استطعتم".

أقول وقد بدأت أضحك: "شيري!".

ترد: "للضرورة أحكامها يا آدي! أنا أعتد عليك!".

وتنهي المكالمة فنحده أنا وديب كل منا إلى الأخرى.

أقول: "هه".

تقول ديب: "ما العمل الآن؟".

"أظن... أنه يجب علينا أن نفكر في خطة؟".

"تقصدين خطة غادرة؟".

"كلا. مجرد خطة عادية معقولة".

"لقد طلبت منا شيري أن نربطه".

"إن زفاف شيري يدفعها إلى الجنون. لن نفعل ذلك".

"لكن يجب إيقاف الرجل يا آدي".

"أجل، أعرف ذلك، لكن... علينا أن نتصرف بذكاء في الأمر. لا نريده أن يعرف أننا نعرف. فعندئذ سيعرف أن شيري تعرف نياته. وربما يجرب طريقة أخرى للوصول إلى هناك".

تبدو ديب مستغرقة في التفكير عندئذ، ثم تقول: "هذا صحيح. وإذا تخلصنا منه الآن، يظل أمامه اليوم كله ليصل إلى إيتريك".

أرد وأنا أعض على شفتي: "صحيح. لذلك، فبقدر عدم رغبتني في وجود مترصد شيري في سيارتنا...".

تقول ديب: "أو النوم في الغرفة نفسها معه...".

أقول: "أعتقد أن أفضل فرصة لدينا هي أن نبقية معنا حتى آخر لحظة، وبعد ذلك، ممم، نفعل شيئاً"، وأرفع إصبعي مشيرة به: "دون أن نربطه".

تقول ديب راضية: "حسنًا. هذه إذن خطتنا الغادرة. أن نبقى عدونا قريبًا منا".

يقرع شخص على الباب فجأة، فتقفز كلتانا.

وأقول بتوتر أكثر مما أريد: "من؟".

يقول ديLAN: "مرحبًا، لقد عدنا".

أنظر إلى ديب: "ادخلوا".

يرنو ديLAN بعينيه نحونا وهو يدخل مع ماركوس.

يسألنا: "هل أنتما بخير؟".

فتسألها ديب: "أين رودني؟".

يبدأ ماركوس إفراغ جيوبه على الطاولة بجانب السرير - عملات معدنية، وهاتف، ومحفظة.

ويقول: "لقد أخذ السيارة وذهب ليشتري حقيبة نوم من متجر قريب".

نشهق أنا وديب: "ماذا تقول؟".

يحدق ماركوس إلينا: "لقد ذهب بالسيارة إلى المتجر. ما حَظَبكما؟".

أسأله: "السيارة مع رودني؟".

يقول ديلان: "ما الحَظَب يا آدي؟".

يقول ماركوس وهو يدير عينيه بنفاد صبر ويخلع حذاءه: "أوه، أهذا بسبب مسألة التأمين. إنها مسافة عشر دقائق بالسيارة يا آدي".

"أتقول إن رودني غادر. في سيارتنا. وحده".

"أجل، الأمر كذلك تمامًا. لماذا؟ أهناك مشكلة في ذلك؟".

الماضي

# ديلان

مع بزوغ أول شمس في أبريل، جاء لوك وخافيير لقضاء أسبوع في المملكة المتحدة، لذلك ذهبنا في رحلة إلى شاطئ ويست وبيترينج - أنا، وآدي، وماركوس، وجريس، وشيري، ولوك وخافيير. كانت الأمور مع آدي مختلفة في الآونة الأخيرة. فمذ أن أخبرتها بأني سأبقى مع ماركوس في الكوخ الخشبي، بدلاً من الانتقال للعيش مع عائلتها، وهي تنأى عني، وتتأخر في العمل، وتتجاهلني مبتعدة حين أتحرك للمسها. أتمنى لو أستطيع التراجع عن قراري.

ماركوس في وضع سيئ مرة أخرى - بعد أن صرنا نعيش معًا الآن، أرى أدلة على إفراطه في الشرب، وكلما جاءت آدي إلى الكوخ يكون فظًا وطفوليًا، ويتصرف على نحو سيئ. لا أعرف كيف أتعامل مع كل هذا، وفوق ما يحدث في الكوخ الخشبي، هناك ما يحدث مع والدي، الذي لم يتغير موقفه - كما هو متوقع - حيال خططي المهنية.

لذا يبدو من الرائع الهروب من كل ذلك بعض الوقت والاستلقاء على الرمال التي تفوح برائحة الملح وآدي بجواري. إنها منهكة في حديث مع جريس، وجريس منهكة في وضع واقى الشمس لشيري؛ تضطر جريس إلى إمساك شيري من ذراعها وتقول لها: ' كلا، لم أنته بعد يا عزيزتي '، لأن شيري ترى البحر أمامها، ومن الواضح أنها تجد صعوبة بالغة في منع نفسها من القفز فيه على الفور.

أحاول ألا أعد صداقة آدي وجريس أمرًا مقلًا. لست فخورًا بالطريقة التي تصرف بها مع جريس؛ فقد كنت شخصًا مختلفًا حينذاك، وكان يبدو لي أن الدخول في علاقة مع المرأة التي تحب أعز أصدقائي من الأمور الجامحة والمثيرة، بينما كان في الواقع أمرًا مزعجًا تمامًا، وربما لم يكن صحيحًا لأي منا. وكلما فكرت في تلك الأوقات شعرت بالخزي، لذلك من الطبيعي أن أحاول تجنب التفكير فيها قدر ما يمكنني.

تقول شيري حين تطلق جريس سراحها: "هل ستأتين يا آدي؟". تتقاذف على أطراف قدميها؛ وأضيق عيني حين تنثر وأبلاً من الرمال صوب وجهي. إن الشاطئ ممتلئ بمحبي الشمس، الذين يبدو أن لديهم مستوى غير عادي من التجهيزات: لديهم سترات واقية من الريح مرسومة عليها سرطان البحر، ودلاء رملية لا حصر لها، وكراسي استلقاء مرتبة بعناية، ومظلات مغروسة على نحو مائل في الرمال.

تنهض آدي على مرفقيها وتساألني: "هل ستأتي يا ديLAN؟".

أجيبها مشيراً إلى نسختي من الأعمال الكاملة لبايرون: "أنا أقرأ. ربما بعد قليل".

تجر شيري آدي وهي تقول لها بينما آدي تقاومها: "دعك من ديLAN، إنه ممل. أما أنت فلست مملة. هيا! لنسبح! لنسبح!".

تنصاع لها آدي وتهرولان نحو الماء. أشاهد آدي وذيل حصانها الفاحم يتقاذف خلف رأسها، والانحناءات الأنيقة لجسدها الجميل محددة إزاء البحر.

يقول ماركوس بجواري: "إنك أحرق". كان واضحاً قبعته على وجهه ليحجب الشمس، وبصوت مكتوم. إنه يشرب بالفعل، لكن لوك، وخافيير وجريس يشربون أيضاً، لذلك أحاول ألا أقلق بشأن ذلك.

أسأله وأنا أدير رأسي لأنظر إليه: "ماذا؟".

لا يحرك القبعة عن وجهه: "أتعرف كم من السهل أن يسلبك إياها شخص آخر الآن؟".

"ماذا؟".

أنظر إلى آدي في الماء. إنها فوق كتفي شيري، وتلوح بذراعيها محاولة الحفاظ على توازنها. وبجانبي، تتقلب جريس مستندة إلى جانبها، مصغية، ربما تريد الحصول على

المزيد من المواضيع لكتابها. ومن خلفها يجلس خافيير ولوك ملتفين بالمناشف؛ يمدد لوك قدميه فترتطم بشرابه الذي ينسكب على الرمال.

يرد ماركوس مقلداً إياي: "أوه، فلتذهبي يا آدي لتستمتعي من دوني. وسأكتفي بالجلوس هنا لأكون مملاً مع كتابي في أول يوم لطيف نقضيه معاً منذ ستة أشهر".

يطبق على صدري شيء حين تخيم الأفكار السيئة عليّ.

أجيبه محاولاً إبقاء نبرتي هادئة: "ظننتك تريد مني إفساد علاقتي بها"، لكنني غاضب، ومندهبش من نفسي. ليس الغضب عادتي: "ظننتك قلت إنها غير مناسبة لي".

يلقي ماركوس قبعته جانباً، وهو ينهض جالساً، ويقول: "أحياناً ما أجد صعوبة بالغة في أن أكون صديقاً جيداً لك. لقد كنتُ مثلاً لضبط النفس، وأنت لم تكن لديك أدنى فكرة عن ذلك، أليس كذلك؟ حسناً، سحقتك لك".

ويمضي إلى الماء، بينما يخلع قميصه، وأشاهده يقفز سابحاً نحو شيري وآدي. وتصرخان حين يندفع نحو ساقبي شيري، ثم يسقطون جميعاً في الماء، ويتناثر الماء إلى الأعلى عاكساً اللون الذهبي للشمس، وأشاهد آدي وهي تزيح شعرها عن عينيها ضاحكة. وتستلقي جريس بجواري وهي تتشاءب.

أسألها: "أأنا غبي، أم أن ما قاله من فوره ليس له أي معنى؟".

تمد يدها لتربت على ذراعي. وتظهر أضلعها تحت قماش ثوب سباحتها المتقن الصنع، وأتجهم - لقد صارت أكثر نحولاً، وربما نحيلة أكثر من اللازم. إنها تعمل عارضة أزياء الآن، وشعرها بني اللون على نحو غير مألوف: ربما لأنه اللون الأكثر رواجاً. صارت تقضي الكثير من الوقت في الحفلات العامرة بالمخدرات إما في لندن وإما في لوس أنجلوس؛ وحسابها على إنستجرام ممتلئ بصورها وهي برفقة المليارديرات، أو تتشمس على اليخوت. لم

تنشر أي شيء عن كتابها منذ فترة. ويجب أن أسألها عن تفاصيل ذلك، لكن جريس واحدة من أولئك الذين لا أعتقد أنني سأحمل همهم أبدًا؛ فدائمًا ما كانت الأكثر نضجًا في المجموعة.

تقول: "إن مارك لا يفهم نفسه، فما بالك بك أنت وبآدي. فلتتجاهله يا عزيزي. إنك تبلي بلاء حسنًا".

لكنني أعجز عن التخلص من كآبتي بقية اليوم. تدور في ذهني كلمات ماركوس مرة بعد أخرى، مثل زنابير تحوم حول شيء لزج حلو، وأشعر بالأمر مرة أخرى؛ أي إحساسي بالخطأ، كما لو أن شيئًا في المشهد نُقل من مكانه أثناء التصوير.

"أتعرف كم من السهل أن يسلبك إياها شخص آخر الآن؟".

يقول أبي: "إذا استمررت في ذلك يا ديLAN، فلن ترى منا قرشًا آخر".

هذا هو الوعيد الأخير الذي يلوح في الأفق، والتعبير النهائي عن عدم موافقة والدي. حتى لوك لا يزال يتلقى راتبًا شهريًا، وهو يدير الآن سلسلة نواد لمنحرفي الميول في نيويورك.

أهيب نفسي للتعامل مع الأمر. كنا نقف في شقة عمي تيري في مدينة بول، نتأمل البحر الرمادي الهائج عبر النافذة الممتدة من الأرضية إلى السقف. لقد تفاديت العودة إلى المنزل منذ تلك الزيارة المربعة في نهاية يناير، لكن لا أستطيع تجاهل حفل ذكرى ميلاد تيري الخمسين. لقد طاردني تيري ليحصل مني على رد شخصي على الدعوة. وقبلتها في النهاية، بعد أن اكتشفت أن آدي ستكون في حفل نسائي - أعرف أنها يجب أن تقابل عائلتي في النهاية، لكن ليس والأمور هكذا. إن جميع من هنا يعتقدون أن الفقراء لا يبذلون ما يكفي من الجهد؛ يوجد هنا تمثال جليدي على هيئة بجعة في أحد الأركان، وأربعة عازفين على الآلات الوترية في الركن الآخر، وأكاد أجزم بأنه قد استعين بهؤلاء العازفين لأن تيري يأمل في أن يتودد إلى عازفة الكمان.

ويواصل أبي: "أسمعني يا ديلان؟ العودة إلى الجامعة ليست خيارًا واردةً".

إذا توقف أبي عن إرسال المال لي، فسأضطر إلى التراجع عن شراء الشقة التي أبحث عنها؛ وسأضطر إلى تدبير المال خلال سعيي إلى الحصول على الماجستير. وهذا يعني... لا أعرف كذلك ماذا يعني ذلك. بقدر ما يؤلمني الاعتراف بذلك، لم أكن في يوم من الأيام في غنى عن المال الذي أتلقاه من أهلي قط.

هذه آخر خطوة نحو الحرية، التخلي عن ذلك المال، لكنني أعرف أيضًا أن مال والدي هو الحرية، وبالتخلي عنه أسعى بإرادتي إلى أصعب سنوات حياتي.

أقول وأنا أشاهد الأمواج تتلاطم: "امنع عني مالك إذن. وسأعتمد على نفسي".

نلتقي أنا وآدي في العطلة الأسبوعية التالية للتنزه في حديقة قصر الأسقف تحت أمطار مايو الخفيفة. ترتدي آدي قبعة رمادية وبنطالًا من الليكرا - لقد ركضت من منزل والديها إلى هنا، ولا يزال خداهما متوردين؛ من أثر الركض، وأشعر بأنني أحبها كثيرًا لدرجة أنني أشعر فجأة باليأس بسبب ذلك.

أقول لها: "تعالى للعيش معي".

كانت تتقدمني ببضع خطوات - كنا قد سرنا أحدها خلف الآخر هكذا لنسمح لرجل يدفع عربة بالمرور. تستدير ببطء على عقبيها وتحقق إليّ.

تقول وهي تنقل عينيها بين وجهي وبين عاشقين يمران بنا، وكل منهما ممسك يد الآخر: "أتعني... أتعني في الكوخ الخشبي؟ مع ماركوس؟".

أرد مقتربًا منها لأتناول يدها: "لا، لا. أقصد في مكان خاص بنا".

تعقد حاجبيها مرتبكة: "وليس في الشقة؟ ألم تعد تريد شراء شقة؟".

لم أخبر آدي بعد بشأن المال؛ المرة التي تكلمنا فيها عن الأمور المالية انتهى بنا الأمر بجدال كبير وغير مريح، وحين أذكر والديّ، هذه الأيام، أمامها يظلم وجهها، لذا كفت عن ذكرهما.

أقول: "لقد كانت فكرة غبية، فكرة الاستثمار في شقة. أنا في الثانية والعشرين من عمري فقط، على أية حال. فلنستأجر مكانًا، مكانًا يكون لي ولك. يكون قريبًا من المدرسة، لكيلا تضطري إلى ركوب الحافلة مدة طويلة... وقريبًا من الجامعة".

تنزايد ابتسامتها ببطء، وحين تضغط على يدي وتبتسم لي أشعر بأنني صرت أحسن حالًا، كما لو أنني كنت أعاني ألمًا وقد اختفى أخيرًا.

"هل أنت جاد؟".

"أنا جاد".

"هل ستتقدم للحصول على الماجستير؟".

"لقد قررت أن أفعل ذلك بدوام جزئي، ليتاح لي الوقت للعمل. كنت أفكر في أنني ربما أجد عملاً في مقهى أو في التدريس الخصوصي".

تنسع ابتسامتها أكثر: "حقًا؟ أتتوي أن تعمل حقًا؟".

ينتابني شيء يشبه الخجل: "أجل، بالتأكيد - لا مزيد من تضييع الوقت في دوامتي الأبدية، أجل".

تضحك: "ديلان... هل أنت واثق من ذلك؟".

"تمام الثقة".

تعانقني بقوة، فأحملها وأدور بها.

أسألها وأنا أقبل قبعتها: "أهذا ما كنت تريدينه؟ لم تقولي ذلك؟".

تقول وهي تدفن وجهها في معطفي: "ليس هذا ما كنت أريده. أعني، لم تكن في ذهني فكرة معينة عما أريده، وإنما كنت أريد منك أن تفعل ما يناسبك. لكنني سعيدة، أجل. سعيدة لأنني ضمن خطتك".

أود لو أقول لها: ' أنت خطتي ' .

لكنني أسألها بدلاً من ذلك، بينما أضمها إليّ ونحن نواصل السير مجددًا: "ما رأيك في أن ندخل مقهى؟ ونتصفح مواقع تأجير العقارات؟".

تومئ مؤيدة وهي لا تزال مبتسمة.

تسألني: "هل أخبرت ماركوس بما اعتزمته؟".

يخفت وهج السعادة عندئذ فترة ما: "ليس بعد. لكنني سأفعل قريبًا. إنه... إنه لن يؤيد الفكرة تمامًا لذا...".

أسكت. ولا تنطق آدي بشيء.

فأقول: "سيغير رأيه".

تظل آدي ملتزمة الصمت.

أسألها: "هل أنت على ما يرام؟".

تقول: "أجل. فكل ما هنالك... أنني تحمست كثيرًا للأمر".

"وماذا حدث... هل زالت حماسك مرة أخرى؟".

"إذا كنت لم تخبر ماركوس بعد، فإنك لم... لست واثقة بأنك اتخذت قرارك تمامًا".

"ماذا تقصدين؟".

"لا تغضب من قلبي، لكنك عادة حين تعزم على شيء قبل أن تناقش ماركوس بشأنه، ينتهي بك الأمر بتغيير رأيك".

أبطئ في سيرتي: "حقًا أفعل ذلك؟".

ترد آدي وهي ترفع بصرها إليّ جاہدة بأن تبتسم وتقول: "لا بأس في ذلك - كل ما هنالك أنني لن أبدأ التخطيط للانتقال قبل ذلك. أنا آسفة. هل ضايقتك؟".

أجيبها: "كلا، لم تضايقيني"، مع أنني لست متأكدًا من ذلك: "وأنت تعلمين أن ماركوس... لا يفكر إلا في مصلحتي".

ترد آدي: "لا شك في ذلك"، لكن لهجتها غريبة.

أبطئ مرة أخرى، وأنزل ذراعي من حولها لكي أستطيع رؤية وجهها: "آدي... آدي، هل أنت منزعة من ماركوس لسبب ما؟".

"لا، لا! لا بأس في ذلك".

"لقد قلت ذلك من قبل بالفعل، ونبرتك أقل إقناعًا، هذه المرة".

"ما من مشكلة يا ديLAN. فما رأيك في هذا المقهى؟ يقول أبي إنهم يقدمون كعكة جزر رائعة حقًا".

"آدي".

تضع يديها على وجهها، وتصدر ضجيجًا بين الزمجرة والأنين: "أرجوك يا ديلان، لا أريد الحديث عن الأمر".

"أي أمر؟ عم نتحدث كذلك؟ عن ماركوس؟ هل فعل شيئًا ضايقك؟".

تقف في مكانها وتبتعد عن ذراعي قائلة: "هل فعل... ألم تلاحظ حقًا؟".

أجيبها: "ماذا تقصدين؟". ينتابني الجمود الآن؛ يشبه الأمر تلك اللحظة في أفلام الرعب حين تكون واثقًا بأن شيئًا مخيفًا سيظهر فجأة، لكنك تنتظر فحسب تلك الرجفة المرعبة في معدتك.

تقول آدي: "إن لديه مشكلة... نوعًا ما معي. إنه يتجاهلني أغلب الوقت. وهو نادرًا ما ينظر إليّ بالفعل. وأصبح أخيرًا يقول تلك التعليقات الصغيرة دائمًا حين نكون معًا جميعًا. تعليقات عن أنني غير مناسبة لك، وأشياء من هذا القبيل".

أزرد رريقي، وأتذكر الليلة التي أخبرني فيها ماركوس بأن آدي عابثة وماكرة وجامحة، وهو يروح ويجيء حاملاً ذلك الشراب الفائر.

وتواصل آدي: "وكان مستميتًا ليجعلك تذهب للعيش معه في ذلك الكوخ الغريب في الغابة في حديقة والده...".

أقول عابسًا: "كان ذلك شيئًا شديد اللطف منه؛ أن يقدم إليّ مكانًا للعيش".

ترد: "أعرف ذلك، أعرف، لكنه كان أيضًا... أوه، لا تشغل بالك"، وتعاود المسير: "أتمنى لو أنني لم أفتح الموضوع".

أقول وأنا أهول للحاق بها وأمسك ذراعها: "لا تفعلي ذلك، مهلاً، مهلاً، فلتبطني يا آدي! ما دمت منزعة، فلا بد لنا أن نتحدث عن الأمر".

"لكن كيف يبدو ذلك؟ يبدو مريبًا. يبدو كأنني أحاول التفريق بينك وبين أعز أصدقائك، و... وهذا بالتحديد ما يريدك منك، على الأرجح، أن تظن أنني أحاول فعله، وأنا الآن أنفذ له خطته، و...".

"آدي، أنتِ تقولين كلامًا لا معنى له. إنه لا يخطط لأي شيء. إنه ماركوس. لقد عرفته منذ كنت طفلًا. إنه بمنزلة الأخ لي. إنه... إنه ماركوس"، أقول عبارتي الأخيرة بتردد. لقد وصلنا الآن إلى المقهى، ونقف في الخارج ناظرين إلى الداخل.

تقول وقد احمر وجهها مرة أخرى، من الانفعال هذه المرة: "أقول إنك تعتقد صادقًا أنه لا يكرهني؟ لا أصدق ذلك يا ديLAN. وأكد أجزم بأنه يضغط عليك لتنفصل عني".

أنظر بعيدًا وأنا أجيبها: "إنني... لقد كانت لديه بعض المخاوف بشأن علاقتنا فيما مضى، أجل، لكنني ظننت... أحيانًا يبدو أنكما منسجمان بشكل جيد. وظننت أنكما ربما تعتادان الأمر".

تسعل: "أجل، صحيح، أظن ذلك أنا الأخرى أحيانًا، لكنه لا يلبث أن يتصرف بحقارة من جديد".

"أعرف أنه قد يصعب التعامل معه، لكن...".

تقاطعي: "إنه صديقك ماركوس. أعرف ذلك. أفهم ذلك الآن، صدقني. إنه جزء من الصفقة".

كدت أنفجر غضبًا في وجهها. لو لم أكن أرتاح لديب، فهل كنت سأجعل الأمر محررًا لها بهذا الشكل الذي تصعب به هذا الأمر عليّ؟

يتغير وجهها، مجرد تغير طفيف، ويراودني إحساس غريب بأنها عرفت ما كدت أقوله.

تقول: "سأعود إلى المنزل، أحتاج إلى الاستحمام".

أسألها ناظرًا إلى المقهى: "وماذا عن كعكة الجزر؟".

ترد: "في وقت آخر". وتبدأ الركض بالفعل.

أقف هنالك وأشاهدها تبتعد، وتتمايل قبعتها الرمادية وهي تمرق بين المارة، وأشعر بأن شيئًا يتمدد بيننا، مثل حبل مطاطي، حبل يربطنا معًا. ترى هل تريد العيش معي أم لا؟

أرتمي على الأريكة، ويدغدغ الفرو الأبيض للوسائد رقبتي من الخلف. لقد باتت أقل بياضًا مما كانت عليه قبل خمسة أشهر من إقامتنا أنا وماركوس في الكوخ الخشبي.

وأقول وأنا أنزع الملقق على زجاجة شرابي: "ثم ركضت هاربة، حرفيًا. كيف لنا أن نتقدم في علاقتنا وهي لا تنفكُ تفعل ذلك؟ أخيرًا، كلما حاولت الاقتراب منها وجدتها تبتعد".

أسمع ضجة عالية في المطبخ؛ ماركوس يطهو طعامًا، وهو الأمر الذي عادة ما يتضمن وصفة شديدة التعقيد، وزيارة إلى عدد كبير من المتاجر لشراء مكونات من قبيل الريحان الرومي وعجينة التمر الهندي، وساعات من التركيز المكثف في المطبخ، ثم نتصل في النهاية بشركة توصيل الطعام.

يقول: "هل قالت إن لديّ مشكلة معها؟".

"ماذا؟ أجل. شيء من هذا القبيل".

أنتظر، لكنني لا أسمع ردًا، وإنما المزيد من الجلبة والققعقة.

أسأله: "هل قلت لها أي شيء؟ مثل... الأشياء التي قلتها لي، كما تعلم، في تلك الليلة قبل أن أنتقل للعيش هنا؟".

يقول ماركوس متجهماً: "إنني أتجنبها قدر الإمكان".

أرد: "لكن ليس في كل الأوقات. لقد شاهدتما معًا فيلمًا منذ بضع ليالٍ، بينما كنت مشغولًا بإنهاء طلب الماجستير".

فيقول ماركوس: "أجل، صحيح. كانت تلك هفوة غريبة. ليس من السهل أن يكون المرء متسقًا".

أدير عينيَّ ضجرًا، وأسأله بصبر: "ما دمت لا تحبها، فلماذا تشاهد معها فيلمًا على الأريكة؟".

يقول: "سؤال جيد يا صاحبي. وما دمت أنت تحبها، فلماذا تقضي الكثير من الوقت جالسًا على الأريكة نفسها متشكيًا منها؟".

أجيبه عابسًا: "هذا غير صحيح".

"بل صحيح. إنك تقضي نصف الوقت في معاناة لمعرفة ما يدور في رأسها. إنها تبقيك في حالة ترقب دائم، وتلاعب بك".

"إنها لا تتلاعب بي".

يظهر ماركوس عند مدخل المطبخ عاقدًا حاجبيه: "إنك كلف باشتهاؤها لدرجة أنك لا تلاحظ الأمر. لكن ألا ترى أن الجميع يستمدون منها هذا الشعور؟".

"أي شعور تقصد؟".

"تلك الطاقة الأنثوية المغوية التي تبتها من حولها. يؤسفني أن أخبرك بذلك يا ديLAN، لكن الأمر ليس مقتصرًا عليك وحدك. إنها تبتها في كل مكان".

أجيبه: "لا أفهم عم تتحدث". لكن قلبي يخفق فجأة بقوة وعلى نحو متعب، لأنني في الحقيقة أعرف ما يرمي إليه. فأدي لديها تلك الجرأة، والانفتاح والجموح؛ إنها مثيرة جدًا. وأتذكر فجأة كيف بدت في ذلك المقهى حين عدت من سفري، وكيف كان ذلك الفستان

الضيق ملتصقًا بها بكل أريحية، وكانت تعرف ذلك. وفكرت في كل المرات التي كنا ندخل فيها أحد المقاهي فألاحظ نظرة رجل ما تنجذب إليها كأن فيها شيئًا مغناطيسيًا.

"سوف تؤذيك يا ديLAN".

يجتاحني الاستياء على نحو مفاجئ تمامًا؛ ليس من المعتاد أن يتمكن ماركوس من تهيج أعصابي، لكن، هذه المرة، يطفح بي الكيل.

أنفجر قائلاً: "أنت لا تريدني أن أرحل فحسب. تريد أن تبقيني هنا".

ينكمش قليلاً، وأشهد الألم يتبدى في عينيه.

يقول محافظًا على هدوء صوته بكل عناية، لكن يده الممسكة بالكأس مبيضة عند المفاصل: "أحاول الاعتناء بك. هذا كل ما أفعله".

يرن هاتفي في جيبتي؛ أسارع بتفقدته لدرجة أنه يسقط من يدي، وأسمع ماركوس يغمغم ضاحكًا بسخرية وهو عائد إلى المطبخ. إنها رسالة من آدي على واتساب.

ما رأيك أن نتحدث مرة أخرى في الغد؟ أنا آسفة لأن الأمور تفاقمت بيننا - لم يكن ينبغي أن أشتكي لك من ماركوس. وأحب أن أنتقل للعيش معك. □

يا لسروري. تتلاشى مخاوفي الآن، وينطفئ غضبي كشعلة غاز تنطفئ بضغطة زر؛ سأعيش مع آدي، وسأجد وظيفة، وأشق طريقي بنفسني حتى أصبح الدكتور أبوت، الباحث والشاعر وعاشق آدي جيلبرت. وسوف تخفت غرائز ماركوس الدفاعية، في نهاية المطاف؛ سوف يزداد ثقة بآدي، وسوف تبدأ فهمه على نحو أفضل. وسيغير الجميع مواقفهم.

# آدي

نحن في بداية الصيف، في يونيو، وما زلت أحاول اعتياد السعادة الخالصة المتمثلة في مشاركة الشقة مع ديLAN.

حسنًا، ربما ليست سعادة خالصة. إننا نتشاجر قليلًا الآن ونحن نعيش معًا. مشكلات البدايات، فيما أعتقد - وماركوس. إنه دائمًا منبع لا ينضب للجدال. لقد صحننا أنا وديلان؛ أهدنا في وجه الآخر، هذا الصباح، نصف ساعة؛ لأن ديLAN أنفق مائتي جنيه على حامل تلفاز لسنا في حاجة إليه، لكننا في الحقيقة كنا نتشاجر؛ لأن ماركوس اتهمني بالارحة بالتلاعب بالموقف أثناء لعبة الألغاز في منزل شيري، وفشل ديLAN مرة أخرى في ملاحظة تصرف ماركوس معي بحقارة. ولم أستطع أن أقول له بصراحة: ' لقد عاملني ماركوس بلؤم فيما يتعلق بأسلوبي في لعبة الألغاز وأنت لم تدافع عني '، لذلك قلت له بدلًا من ذلك: ' لا يمكننا تحمل تكلفة هذا الحامل '. من الأسهل أن أتشاجر بسبب المال، خاصة مع ديLAN.

حين وصلت إلى موقف السيارات في المدرسة، كان إيتيان يخرج من سيارته من نوع بي إم دابليو. رفع يده نحوي محيياً فلوحت له أيضاً، وجذبت مكابح اليد وأنا أحاول أن أتذكر ما إذا كنت قد رسمت كلا حاجبي بقلم الحواجب أم رسمت حاجبًا واحدًا فقط. لا يمكنني تذكر أموري الحياتية اليومية. وهذا يوم من الأيام المرهقة. بالفعل.

ينادي إيتيان وأنا أقفل السيارة وأهرول: "هل أنت مستعدة لبداية الصيف؟". ويتسم. لقد ألف كل منا الآخر على مدى الأشهر القليلة الماضية. ولم أعد أفكر في كل كلمة قبل النطق بها، ولم يعد قلبي يخفق بشدة حين يأتي إلى فصلي دون سابق إنذار.

أجيبه وأنا أجعد أنفي: "كلا، أعتقد أنني سأبقى هنا وأساعد في المدرسة الصيفية".

يضحك فأشعر بالحماسة.

يقول: "لقد أبلت حسنًا، هذا الفصل الدراسي، يا آدي، لقد أبهرتني حقًا".

تزداد حماستي: "أوه، شكرًا لك. إنني ممتنة حقًا لك ولـ مويرا على كل ما فعلتماه لمساعدتي، وعلى صبركما حتى اكتسبت الثقة".

يرد إيتيان وهو يفتح لي الباب: "لديّ حدس جيد حين يتعلق الأمر بالأشخاص. وكنت أعرف أنك ستكونين معلمة رائعة. وكنت أعرف أنك ستكونين إضافة جيدة لنا هنا".

الباب الخارجي لغرفة الموظفين متصلب وثقيل، وإيتيان يحمل ملفات ملء يديه. ولكي يبقى الباب مفتوحًا من أجلي، فإنه يقف أمامه - أضطر إلى المرور بالقرب منه كي أدخل. وأبتسم له ابتسامة مقتضبة وأنا أمر به، ثم أنفَس بقوة. أما هو فينظر إلى وجهي، بشيء من الحرارة. ومن الصعب تحديد ذلك، لكنها نظرة لا تخطئها العين. إنها نظرة رغبة.

ويواصل إيتيان ونحن متجهان إلى ماكينة القهوة متقاربين: "حتى والد تايسون غير رأيه فيك".

إنه يتكلم بنبرة مرحة وعادية. ما من أثر لتلك النظرة في كلامه. أتجنب نظراته ونحن نعد القهوة في غرفة الموظفين. ونتحدث. مجرد دردشة. أعيد وصف المشهد في رأسي: إنه لم ينظر إليّ على نحو غير لائق إطلاقًا، لقد كان مهذبًا وأبقى الباب مفتوحًا من أجلي.

لكنه لا يلبث أن يلمس يدي ونحن نمد يدينا إلى باب الثلاجة. يتوقف قلبي. وتلتقي أعيننا فأرى النظرة نفسها مجددًا، مع ابتسامة غامضة.

أقول متراجعة وقد التهب خدائي: "أنا آسفة. تفضل أنت. سأنتظر".

يقول وهو لا يزال ناظرًا إلى عينيّ: "لا مشكلة يا آدي". وبعد ذلك... تختفي النظرة مرة أخرى.

يعتريني الاضطراب، وأخذ قهوتي إلى الفصل مباشرة. وأتمنى لو لم يكن إيتيان شديد الوسامة. وأتمنى لو لم نتشاجر أنا وديلان، هذا الصباح. وأتمنى لو لم يحمرّ خدائي.

أنظر إلى الساعة - لم يبقَ غير بضع دقائق حتى يبدأ الأطفال التوافد إلى الفصل. لقد بقيت واقفة هنا ومعني قهوتي، محدقة إلى السبورة الخالية، دون أن أفعل أي شيء لما يقرب من عشر دقائق.

أخرج هاتفي وأبدأ محادثة واتساب مع ديلان.

أحبك. أنا آسفة لأنني انزعجت بسبب حامل تلفاز غبي.

أجده يكتب بالفعل.

وأنا أحبك أيضًا. وحامل التلفاز ليس غبيًا. أو بالأحرى كان غبيًا؛ لأنني أنفقت الكثير من المال عليه. سأرجعه في العطلة الأسبوعية.

أبتسم. ثم أجده يعاود الكتابة مرة أخرى.

لكنك ستأتين معي لتناول شراب مع ماركوس، مساء الغد؟ أريد حقًا أن تحاول الانسجام معًا. أرجوك!

أمضي ساعة وأنا أحاول اتخاذ قرار عما سأرتديه لتناول الشراب مع ماركوس، وكنت أزداد انزعاجًا من نفسي مع كل ثوب أرميه فوق السرير. إنها أمسية حارة، والساعة لا تزال السادسة وبضعًا وعشرين دقيقة. أتسلى بتجربة الفساتين القطنية الواسعة التي ارتديتها، الصيف الماضي، في فرنسا، لكنها جميعًا تبدو قصيرة جدًا. لقد أمسيت معتادة تمامًا ارتداء الفساتين التي تغطي ركبتي في المدرسة الآن؛ وصرت أشعر بأن ارتداء فستان قصير يبدو كأنه شيء فاضح.

أرتدي في النهاية بنطالاً من الجينز، وحذاء خفيفاً وقميصاً أبيض واسعاً ينزلق دائماً عن كتفي. سأبدو غير مكترثة وهادئة بهذا المظهر، لكنني حين أغادر المنزل، أدرك أنه شيء إضافي للانفعال به. إذ يستمر القميص في الانزلاق أكثر من اللازم كاشفاً عن الجزء العلوي من حمالة صدري البالية التي لا سيور لها.

نمضي إلى مقهى على بُعد بضعة شوارع من شقتنا. وجدرانه زرقاء داكنة، وبه أكواب سعتها نصف لتر متدلية من جميع عوارض السقف القديمة، وكل واحدة منها داخلها مصباح كهربائي صغير. وأراه في لحظة على نحو ما سيراه ماركوس: كم يبدو مزعجاً، مقارنة بمقاهي لندن الرائعة التي يحبها.

أجده هناك بالفعل، على طاولة بجانب النافذة. وضوء الشارع المتدفق عبر زجاج النافذة يلقي على وجهه مثلثات من النور والظل. إنه وسيم. لقد نسيت ذلك، ربما لأنه عادة ما يكون حقيراً.

نتعانق ويرحب أحدنا بالآخر. ويعانقني عن بُعد، ونصفه السفلي بعيد عني، على نحو ما يعانق المرء زميلاً أو شخصاً تربطه به قرابة بعيدة. يتحدث هو وديلان بعض الوقت، وأظل أفوّت الفرص للمشاركة في حديثهما، وأظل أفتح فمي وأغلقه كأنني سمكة.

يقول ماركوس وهو يشد قاعدة أكواب للشراب موضوعة على الطاولة: "وأنت يا آدي، ما أخبار المدرسة؟".

أجيبه وأنا أدير كوبي بين كفيّ: "إنها جيدة، في الحقيقة. لقد اكتشفت إلى حد ما كيفية التدريس. كان سلوك التلاميذ هو أصعب ما في الأمر بالنسبة إليّ. وأن أجعلهم يحترموني".

يقول ماركوس: "لا شك في أن الأمر صعب، خاصة أنك لست أكبر منهم سنّاً بفارق كبير".

أرد متظاهرة بالانزعاج: "أجل، ونصف طلاب السنة الحادية عشرة أطول شبراً مني أيضاً".

يبتسم ديلان. ينفطر قلبي هونًا ما حين أرى مدى سعادته وهو يرانا يجاري أهدنا الآخر.

يسأل ماركوس: "وماذا عن المدير المثير؟ ما أخباره؟".

أشعر بخديّ يحمران، وحين أدرك ذلك يزدادان احمرارًا؛ لأنني أعرف أن ذلك سيبدو كأنني أشعر بالذنب.

أقول: "أتقصد إيتيان؟ لا بأس به، فيما أتصور. لكن من أخبرك بأنه مثير؟".

يقول ماركوس، ناظرًا إلى ديلان نظرة استمتاع: "لقد ذكره ديلان مرة أو مرتين".

حين ينتاب ديلان الحرج، يتجلى ذلك في عينيه - إذ تضيقان نوعًا ما عند الزوايا.

لم يتحدث ديلان عن إيتيان معي قط. وبعد التفكير في الأمر، لا أعتقد أنني تحدثت مع ديلان عنه أيضًا.

أقول محاولة أن أبدو غير مكترثة: "أجل".

"أهو من عينك، ذلك المدير المثير؟".

"أجل، هو ومويرا، نائبة المدير".

يرمق ماركوس ديلان بنظرة ذات مغزى.

أسأل وأنا أنقل نظري بينهما: "ما الأمر؟".

يقول ديلان: "ماركوس... " ثم يتراجع.

يقول ماركوس: "إن لديّ نظرية مفادها أنه إذا قام رجل بتعيين امرأة، فإنه بشكل أو آخر، منجذب إليها".

أجيبه: "هذه نظرية مريضة. وغير صحيحة قطعاً؟".

فيسألني ماركوس: "أهو إذن غير منجذب إليك؟".

يحمّرُ وجهي خجلاً مرة أخرى. إنني لم أكره بشرتي الشاحبة بهذا القدر من قبل.

أقول بحزم: "كلا، إنه ليس منجذباً إليّ"، لكنني أشعر بنظرة ديLAN على خديّ. وأشعر بعدم يقينه: "ليس الأمر هكذا. بلا شك".

أود لو يقول ديLAN شيئاً. أليس من المفترض أن يتدخل الآن؟ ألا ينبغي له أن يطلب من ماركوس أن يخرس، ويخجل من نفسه، ويغرب عن وجهه؟ يبتسم ماركوس بسخرية فيغلي دمي.

يقطع ماركوس الصمت: "على أية حال، إن لديّ بعض الأخبار. لقد توصلت إلى فكرة جديدة. فكرة تطبيق".

عادة ما يكون لدى ماركوس فكرة جديدة عارضة. وكلها تتلاشى أو تتبخر لتفسح المجال للفكرة التالية.

ويواصل ماداً ذراعيه: "أعتقد أنني يمكنني العمل عليها في أي مكان، فما المانع من العمل عليها هنا؟".

أستغرق برهة لأفهم ما يقول. ما زلت أغلي غضباً وحرَجًا. وما زلت مهتاجة الأعصاب.

أسأله: "أتقصد هنا في تشيتشستر؟".

يجيب ماركوس: "أجل. سوف أستأجر مكاناً في أطراف المدينة. منزلاً ذا غرفتي نوم ومغطس فوار"، ويسند ظهره إلى الخلف وهو يضيف: "وسأقيم حفل انتقال إلى المنزل الجديد، بلا شك".

يقول ديلان: "هذا رائع"، لكنه يحملق بعينه كثيرًا - لقد بوغت هو الآخر. ويواصل:  
"ظننتك قلت إن تشيتشستر مملة، أليس كذلك؟".

يقول ماركوس مبتسمًا: "حسنًا سأقيم الحفل، ولن تعرف تشيتشستر ما الذي حلَّ بها".  
وينزلق خارجًا من جانبه من الطاولة، ويقول: "حان الوقت لشراب آخر. تريدين الشراب  
الداقي نفسه يا آدي؟".

يتكلم دون أن ينظر إلى عينيّ. ونادرًا ما يفعل ذلك، لكي أكون صادقة. كأنني أقل منه شأنًا،  
ولا أستحق أن ينظر إليّ. وأحيانًا ما أود أن أذكره، أذكره بالطريقة التي نظر بها إليّ في  
البداية. لقد رغب فيّ، أنا موقنة بذلك. ولم يكن جيدًا بما يكفي بالنسبة إليّ حينئذ، أليس  
كذلك؟

أجيبه: "أجل، الشراب نفسه إذا سمحت، أشكرك".

حين يبتعد ماركوس، أشاهد ديلان وهو يرشف ما تبقى من شرابه، وأشعر بموجة من  
الغضب بسبب وداعته. إنه دائمًا ما يثني على ماركوس. وهو يفعل الشيء نفسه معي أيضًا،  
وهذا شيء أحبه فيه، لذا لا حق لي في أن أغضب من ذلك. وهذا يتناقض تمامًا مع ما  
يجب أن أشعر به. لكنني غاضبة، على أية حال.

لا أقدر على كبح نفسي، فأقول: "ألا ترى أن هذا غريب؟ أن ينتقل الآن إلى تشيتشستر، بعد  
أن أثار كل تلك الجلبة بسبب انتقالك إلى هنا؟ وأن يتحدث عن أن إيتيان مثير بهذه  
الطريقة؟ وفي وجهي؟".

يرد ديلان، وعينه ترمشان وهو ينظر إليّ: "لماذا؟ أهو أمر محرج لك أن يتحدث عنه؟".

هذا أذكي رد أسمعته من ديلان منذ عرفته. إنه أحيانًا ما يصيح، حين نتشاجر، لكنه لم يكن  
قط حاضر البديهة وماكرًا هكذا. كنت لا أزال محدقة إليه حين رن هاتفني فوق الطاولة. إنها  
ديب. أعبس. فقلما تتصل بي هكذا فجأة، فهي عادة ما تراسلني أولاً.

أقول لديلان وأنا أنزلق خارجه من مقعدي: "انتظر، سأعود بعد لحظات".

أمرٌ بماركوس في طريقي إلى الباب، وقد رفعت الهاتف بالفعل إلى أذني. تلتقي عيناه بعيني. ومن غير المعتاد إطلاقًا أن ينظر في عيني، لذا تسري رجفة في بدني. من الصعب فهم ما يبدو على وجهه من تعبير، لكنه تعبير هادئ ليس معهودًا منه.

يسألني: "أترحلين مبكرًا هكذا؟ هل هذا بسبب شيء مما قلته؟". وتبدأ ابتسامة تلوح على شفتيه. ابتسامة بطيئة تهكمية، ويختفي ذلك الهدوء.

أتحدث في هاتفي وأنا أتجاوز ماركوس: "مرحبًا؟". وأسمعه يشهق بقوة وأنا أتجاوزه. تصطدم كتفه بكتفي بقوة لدرجة يصعب معها أن يكون ذلك عن غير قصد، لكنني لا أعرف ما إذا كان هو السبب أم أنا.

ترد ديب: "آدي؟".

أخرج إلى هواء المساء الصيفي البارد، وأضغط الهاتف على أذني. يبدو صوتها... غريبًا.

أسألها: "هل أنت بخير؟".

تقول: "ربما، ربما".

"هل تبكين؟".

ترد ديب بحذر: "أجل"، وتنشج: "إنني أواجه أزمة إلى حد ما".

"ماذا يمكنني أن أفعل؟ ما الخطب؟".

"حسنًا. هممم. أعتقد أنني ربما أكون حبلى".

ديب تتنفس بصعوبة، كأنها تستعد للقفز في مسبح، أو كأنها في مرحلة مبكرة من المخاض. يعلو وجهها تعبير غريب. تعبير شديد الجدية. أكره أن أرى أختي قلقة، هذا أشبه برؤية أبي يبكي.

أقول لها: "إنها مجرد قطعة بلاستيكية. وكل ما عليك فعله هو النظر فيها، وستعرفين عندئذ".

تقول ديب مصححة وهي تخفض عينيها إلى اختبار الحمل المختفي نصفه في قبضتها: "إنها قطعة بلاستيكية ستغير حياتي. وأجد النظر فيها أمرًا مستحيلًا تمامًا. لأنني سأعرف حين أنظر".

أقول بتردد: "أجل. أجل. هذا منطقي. ربما بالغت في تبسيط الأمر، حقًا".

تحسس ديب ثدييها بيدها الخالية، وتقول: "إنهما لا يؤلمانني لهذه الدرجة. ربما كانت أعراض الطمث. ربما كان طمئي يوشك أن يبدأ. طمئي الذي تأخر كثيرًا".

"أجل. ربما كان الأمر كذلك. فلتلقي نظرة سريعة على الاختبار، وبعد ذلك...".

"أو ربما كنتِ حبلِي".

"ربما كنتِ حبلِي"، وأنظر إلى اختبار الحمل نظرة ذات مغزى، وأضيف: "آه لو كانت هناك طريقة لمعرفة ذلك".

تقول ديب: "إنك لا تدعميني كما ينبغي".

"أنا آسفة، كل ما هنالك أنني سئمت من هذا التشويق. فلتلقي نظرة على الاختبار، أرجوك. لا أطيق عدم المعرفة. إننا في الأساس روح في جسدَيْن يا ديب. ورحمك هي رحمي".

تفكر ديب لحظة، ثم تقول: "لطيف منك جدًّا أن تقولي ذلك... فيما أعتقد".

يسود الصمت برهة طويلة. أتململ قليلاً على أرضية حمام والدينا. إنها مفروشة بالسجاد، سجادة زرقاء داكنة بالية، دائماً ما كانت مرقطة ببقع بيضاء من معجون الأسنان ورغوة الصابون. تعتريني وخزة مفاجئة من حنيني إلى منزلي. فكل شيء هنا سهل جداً.

تقول ديب: "إذا كانت رحمك هي رحمي، فهل تأخذين ذلك الطفل مني، هذا إذا كان هناك طفل ينمو داخلي؟".

أقول: "رائع، ولك...".

تقاطعني ديب متأوهة قليلاً: "أوه!". لقد حركت يدها ونظرت إلى نتيجة اختبار الحمل. أخطفه منها. أرى خطاً واحداً. ليست حبلى.

أضم اختبار الحمل إلى صدري قائلة: "هذا عظيم"، ثم لا ألبث أن أتذكر أن ديب تبولت عليه في الحال، فأرميه على الأرض.

أنظر إلى ديب. وأجدها تبكي دون صوت، وقد أطبقت شفثيها.

أقول لها وأنا أرفع كتفها بكتفي: "أوه، ديب، لا تأسي. أنتِ لستِ حبلى، لا بأس في ذلك".

فتقول وهي تمسح خديها: "أجل، أجل، لا بأس في ذلك. إنه شيء جيد. كل ما هنالك... أعتقد أنني تخيلت الأمر، فيما أظن. هذا كل ما هنالك".

"تخيلته؟ تقصدين... أنك تخيلت أنك حبلى؟".

"أجل".

لا أنطق، وأشعر بأنني لم أفهم.

فتقول: "لن يكون لديّ طفل أبداً، أليس كذلك؟".

"هل تريدين... أن يكون لديك؟ ظننتك لا تريدين".

"وأنا أيضًا. لكنني لا أعرف الآن. لا أريد حبيبًا. ولا أريد زوجًا. لكنني في وهلة أردت هذا الطفل نوعًا ما. في قرارة نفسي. وهو ما يجعلني أفكر في أنني ربما أرغب في يوم من الأيام في طفل حقيقي".

أجيبها: "أنت لا تحتاجين إلى زوج لتنجبي طفلًا"، وأشير نحو اختبار الحمل: "انظري! لقد كدت تحصلين على طفل، بمفردك تمامًا!".

تضحك ديب والدموع في عينيها: "أعتقد ذلك. فكثيرًا ما حاولت جاهدة ألا يحدث ذلك. لذا من الغريب شيئًا ما أن أفكر في أنني ربما أريد طفلًا في نهاية المطاف. ألا أعرف أي شيء عن نفسي إلى هذا الحد؟".

تبدو في حيرة حقيقية.

أقول لها: "أحيانًا لا يعرف المرء ما يريد إلا حين يوشك أن يحصل عليه".

ترد ديب وهي تفرك خديها المبللين: "هذا في الحقيقة شيء فظيع. حسنًا. انتهت أزمة حياتي. فلن يكون هناك طفل. ما رأيك لو نشرب شيئًا؟".

أنظر إلى الساعة في هاتفي. يجب أن أعود إلى المقهى. لا شك في أن ديLAN يتوقع ذلك، لكن ماركوس لا يعجبه هذا - وهو سبب إضافي لأعود. لكنني أريد البقاء هنا، حيث كل شيء يعبق برائحة مريحة وعطر مسحوق غسيل أمي. أريد البقاء مع ديب، التي تشعرني دائمًا بأنني لا أحتاج إلى شيء.

أقول: "ما رأيك لو نلعب لعبة ونشرب شيئًا؟".

"ممتاز. فلتساعديني على النهوض. لقد أضعفتني هذه الأزمة".

# ديلان

أعتقد أن الصيف أكثر مناسبة لي أنا وأدي - مع كل أشعة الشمس الصافية والنهارات الطويلة، وشراب البيمز مع الفراولة وشرائح الخوخ المخملية السميقة. وحين نعتاد العيش معًا، وحين نكتشف عادات جديدة هادئة ونعرف من منا يحب هذا الكوب أكثر لقهوته الصباحية، يزول عني شعوري الثقيل بالرغبة، كأنه شخص عرفته في حياة أخرى.

نذهب إلى لندن في إحدى عطلات أدي الأسبوعية لنشاهد مسرحية. وكانت مترددة في البداية، زاعمة أنني لا أحب إلا الأشياء ' صعبة الفهم '، لكنني أقنعتها واعدًا إياها بمشاهدة ممثلين مشهورين، وتناول المثلجات في فترات الاستراحة. وما هي إلا دقائق حتى يصبح من الواضح أنني اخترت مسرحية سيئة تمامًا: ادعى الموقع الإلكتروني أن هذه المعالجة الحديثة لمسرحية ' مذبحه في باريس ' لكريستوفر مارلو لا تقل إبهاجًا وتألقًا عن حلقة من برنامج ' جزيرة الحب '، لكن تبين أنه لا يمكن لأي قدر من ثياب السباحة الفسفورية أن يجعل هذه المسرحية قابلة للمشاهدة. أجلس هنا مطبقًا أسناني، بينما ملكة نافار تستغرق خمس دقائق كاملة في الاحتضار، وأتساءل عما كنت أفكر فيه حين جئت بـ أدي إلى لندن لنشاهد هذا الفشل الذريع.

تتململ أدي بجانبني، ضجرة ومحبطة، فأمد يدي لأمسك يدها.

أهمس في أذنها: "فلنخرج من هنا".

ترمش غير مصدقة في عتمة المسرح: "ماذا؟".

أجيبها وشففتاي على أذنها: "هذا هراء صرف". أشعر برعشتها حين تمسها شففتاي، ويجعلني ذلك أشعر بالإثارة؛ لا يمكنني مقاومة تلك الرعشة أبدًا. "إنها متناهية السوء يا أدي. إنها... ماذا كانت ديب ستقول عنها؟... إنها قبح مطلق".

تغمغم آدي ضاحكة، فيزجرها شخص خلفنا لتسكت؛ أشد يدها ونخرج عبر صف المقاعد، ولا ننفك نقول: ' معذرة، أنا آسف، عذراً'. نخرج من المسرح، فيما لم يزل كل منا يمسك بيد الآخر، وأقلد موت ملكة نافار الطويل بأحسن ما أستطيع فتضحك آدي بشدة لدرجة أن عينيها تدمعان وتتلون دموعها بلون مجمل الرموش الرمادي على الجلد الناعم المنمش تحت عينيها.

تقول وهي تمسح خديها: "أحتاج إلى شراب".

أقاوم رغبتني في البحث على جوجل عن أفضل مقهى في المنطقة، وبدلاً من ذلك، أتركها تأخذني إلى المقهى خافت الإنارة ذي الأرضية اللزجة عند ناصية الشارع؛ تتمكن من الاستيلاء لنا على طاولة بمهارة تشبه مهارة ديب، حيث تصل إلى الكرسي قبل رجل يبدو مثل موظفي المصارف ومعه حبيبته.

نشرب الكثير بسرعة بالغة فرحاً بهروبنا من برائن ملكة نافار. أنهض لأمضي إلى الحمام، فأجد كل شيء يميل قليلاً إلى اليسار؛ أضطر إلى رفع يدي في الهواء لكي أوازن نفسي على الطاولة.

وحين أعود، أجد شاباً يميل مستنداً إلى مقعدي، ويتحدث مع آدي. له رأس حليق ولحية، ويمكن رؤية عضلاته محددة بوضوح تحت قماش قميصه الأزرق. يمكنني القول إنه معجب بها، حركاته وسكناته تنم عن ذلك تماماً. وهي تبدو بالغة الجمال، في ثوبها الحريري الرمادي الرائع مع هذه الأساور الزاهية المنزقة إلى أعلى ساعديها.

أقول محاولاً أن يبدو صوتي خشناً: "حسناً؟"، لكن صوتي يخرج صافراً. لا شك في أنني ثمل أكثر مما ينبغي، ورؤية هذا الرجل يميل نحو آدي، وشعرها الفاحم منسدل على كتفيها كأنه حبر انسكب في ماء... كل هذا يعيد الخوف إلى مكانه على نحو مفاجئ لدرجة تجعلني أتساءل عما إن كنت قد نسيتته من الأصل.

وتقول آدي مبتسمة: "ديلان، لقد قدمني تامل إلى أمه بالفعل! فما رأيك في ذلك؟ هه؟".

إنها تغيظني لا أكثر. أعتقد، على مستوى ما، أنني يجب أن أعرف ذلك. لكنني حين أنتبه إلى السيدة العجوز الواقفة خلف تامل - كان يسأل عما إن كان يمكنهما الحصول على طاولتنا لكي تستطيع الجلوس - لا أرى قولها إلا انتقادًا. ويعتبريني الغضب، ومرة أخرى، أعرف على مستوى ما أن الغضب شيء ينبع من الذات: كان عليّ بلا شك أن أقدم آدي إلى والدي. لكنني لم أرَ أيًا منهما منذ القطيعة بيننا، وما زلت لم أخبر آدي بذلك.

أرد: "حسنًا، ستعودين إلى المنزل مع تامل إذن، أليس كذلك؟".

تعيدني الصدمة البادية على وجوه الجميع إلى الواقع. يا للهول، يا له من قول شنيع. لا فكرة لديّ حقًا عن مصدر ذلك القول، وعندئذ تخطر لي فكرة مؤلمة كأنها لكمة في البطن: إنه قول من النوع الذي قد ينطق به والدي.

تهض آدي بهدوء، مبتسمة لتامل وأمه العجوز، وتمشي مبتعدة. أفترض أنها ستنتظرني خارج المقهى، لكن لا، لم تكن هناك؛ ربما ستكون في المحطة؛ لا شك في أنها ستقابلني في تشيتشستر كي نستقل سيارة أجرة إلى المنزل. لكنها لم تعد إلى المنزل أيضًا. لقد عادت إلى منزل والديها.

أنا في حالة يرثى لها؛ أذهب إلى منزل ماركوس في الثانية صباحًا، وأنا أكاد أجزم بأنه سيكون مستيقظًا وحده، وسيكون لديه الصبر ليسمعني وأنا أتكلم عن مدى كرهني لنفسي. يفتح الباب وهو في ثيابه الداخلية، وألاحظ مدى ما صار إليه من نحافة - أضلاعه ظلال شاحبة تحت جلده وفي فخذه مواضع غائرة تشبه بصمات الأصابع.

يسألني: "هل انفصلت عنها؟".

أعتقد أنه كان نائمًا؛ صوته محشرج، وعينه ناعستان قليلًا.

أجيبه: "لقد أفسدت الأمر، وهي قد رحلت. لا أعرف إن كانت ستعود".

يغمض ماركوس عينيه لحظة. ثم يقول متنحيًا: "تعال ادخل". يعبق المنزل برائحة عفونة كريهة؛ تذكّرني الرائحة بتلك الأشهر التي عشناها في الكوخ الخشبي. والمكان مؤثث على نحو رائع، وأتساءل عما إن كانت لإنديا يد في ذلك، مع أن ماركوس لم يأتِ على ذكر زوجة أبيه منذ أشهر.

أقول: "ماذا لو هجرتني؟". أبدو مثيرًا للشفقة: "ماذا لو كنت أفسدت الأمر تمامًا لدرجة أنني دفعتها إلى أحضان شخص آخر؟".

يقول ماركوس بتثاقل وهو يستند إلى الثلاجة ويغمض عينيه مرة أخرى: "عندئذ ستعرف أنني كنت محقًا. وستأتي إلى هنا، وسنثمل معًا، وسنعود الأمور إلى ما كان ينبغي أن تكون عليه في النهاية".

# آدي

لا نكف عن الشجار. كما لو أننا سعيدان تمامًا أو نتشاجر بسبب شيء تافه تمامًا. وما من أرضية مشتركة بيني وبين ديLAN.

في الذكرى السنوية لحبنا في يوليو، يأخذني ديLAN إلى أفخم مطعم في تشيتشستر. لقد وجد وظيفة تدريس لبعض الأطفال الروس بالغي الثراء - يقدمون إليه مئات الجنيهات هدية في عيد مولده. أما أنا فاشتريت له ماكينة قهوة فرنسية، وضعناها في خزانة جانبية في منزلنا، وتبدو هدية حقيرة إلى حد ما عند مقارنتها بهداياهم.

المطعم هادئ على نحو مخيف. والطعام قليل، وفي كل طبق شيء يشبه الرغوة.

أقول ساخرة وأنا أحرك شوكتي في فقاعة خضراء كبيرة جدًا: "إممم، رغوة لذيذة، هذا ما لم يقله أحد قط".

يسعل ديLAN ضاحكًا في كوب مائه، ثم يقول بأفخم صوت لديه: "إنه مطعم راقٍ يا عزيزتي". هذا صوته الطبيعي حقًا. أسمعته حين يحدث أمه عبر الهاتف. أمه التي لم أقابلها إلى الآن. وثمة شجار آخر لم يأت أو انه يغلي على نار هادئة. لقد عرض عليه والداي أن ينتقل إلى منزلنا في يناير الماضي، هذا مدى معرفتهما به، أما أنا فما زلت لم أتحدث إلى أمه وأبيه قط.

أسأله ساخرة: "ما أخبار الأحشاء الملكية لديك؟".

يضحك ديLAN بشدة لدرجة أنه كاد يرشني بالماء. أبدأ الضحك أنا الأخرى، وأجيل عيني متفقدة الطاولة الأخرى لتأكد من أنه لا أحد ينظر إليّ. المطعم مليء برجال في الستينيات من عمرهم بصحبة نساء جذابات في الأربعينيات من عمرهن. شيء مبتذل

تمامًا. أتفحص الطاولات من حولي: عشيقة سرية، زوجة ثالثة، عشيقة سرية، رفيقة، وتلك ستقتله أثناء نومه لتحصل على مبلغ التأمين...

يتنحى ديلان ويقول مصححًا: "إنه كبد بط مشوي". وتومض عيناه بالضحك: "وأنت رجعية".

"أهذا صنف آخر في قائمة الطعام؟".

يبتسم ابتسامة ماكرة لا يراها غيري، ويقول: "أتمنى ذلك".

يرن هاتفه، فأرفع حاجبي، لقد اتفقنا على إغلاق هواتفنا.

يقول وهو يخرج الهاتف من جيب بنطاله: "آسف! سأغلقه". ويتفقد الشاشة فيتجمد وجهه.

أسأله: "ما الأمر؟".

"إنني..."، وينقر على الرسالة ليفتحها.

أشاهده وفي يدي الشوكة تحمل الخس المشوي في طريقها إلى فمي.

يقول: "إن ماركوس... يبدو كأنه واقع في ورطة".

يغوص قلبي في صدري. ماركوس. لا شك في ذلك. إنه يعرف أن اليوم ذكرانا السنوية.

فماذا سيفعل إلا أن يوقع نفسه في مشكلة؟

أسأله محاولة أن أبقى صوتي محايدًا: "ماذا حدث؟".

يقول ديلان وقد توترت كتفاه: "إنه يفرط في الشراب".

أعرف ذلك. وقد تحدثنا عنه كثيرًا.

ومنذ انتقاله إلى ذلك المنزل المريب ذي المغطس الفوار في أطراف تشيتشستر تفاقمت مشكلته. إنه يفرط في تعاطي المخدرات، والكحوليات، وفقدان الوعي. حتى شيري قلقة عليه، مع أنها ليست من النوع الذي يقلق حين يتعلق الأمر بالأزمات الشخصية. فهي نفسها تحتاج من وقت إلى آخر إلى من ينقذها من الحفلات المنزلية العامرة بالمخدرات، لكن ماركوس في الآونة الأخيرة يحتاج إلى من ينقذه من الحفر الموجودة على جانب الطريق.

يقول ديLAN: "أعتقد أنه مخمور حقًا".

أنتظر أن يريني ديLAN الرسالة. لكنه لا يفعل. أقول: "حسنًا. ولماذا تظن أنه في ورطة؟".

يقول عابسًا: "من الصعب فهم الرسالة". ولا يزال لم يرني الرسالة.

يرن هاتفني فأجفل. يبدو أنني لم أجعل هاتفني في الوضع الصامت أيضًا. لكن ديLAN لا يلاحظ ذلك.

أعرف ما فعلت

إنها رسالة من ماركوس. أتجمد في مكاني.

أري ديLAN الرسالة وأنا أقول: "ما هذا الهراء؟"، وبينما كنت أمد يدي بالهاتف، إذ به يرن مرة أخرى في يدي.

يرى ديLAN الرسالة الثانية قبل أن أراها. وحين أعيد الهاتف نحوي أشعر بأنه يراقبني، على نحو ما يفعل أحيانًا. بشيء من الارتياب. كما لو كان يظن أنني شخص آخر يتظاهر بأنه آدي.

لقد رأيتك معه. لا تحسبي أنني... أنني لن أخبر ديLAN.

أي هراء هذا؟

أقول في الحال ناظرة إلى ديلان: "لا أعرف إطلاقًا عما يتحدث. لكنك على حق. من الواضح أنه مخمور. وهذه الرسالة شديدة... الغرابة".

يقول ديلان وهو يرفع منديل المائدة من حجره، ويضعه على الطاولة: "سأذهب إليه".  
"ماذا؟ الآن؟".

لم ينته من أحشاء الدجاج المخفوقة، أو أيًا كان اسمه.

يرد ديلان باقتضاب وقد رد كرسيه بالفعل إلى الخلف: "أجل، الآن". وتنظر كل النساء الجميلات إلينا أولاً، بترقب شديد.

"لكن...".

"سأراك حين أعود إلى المنزل".

أضطر إلى دفع ثمن الوجبة ببطاقة ائتماني. لقد طلب ديلان زجاجة شراب باهظة الثمن لدرجة سخيفة، ومع أننا لم نطلب التحلية، فإن فاتورة الحساب تتجاوز المائة وخمسين جنيهًا. مجرد رؤية الفاتورة تجعل عيني تدمعان هلعًا. لا أطيق رؤية بقية طبق ديلان يضيع سدى، لذا آكل بقايا عشائه الرغوي اللعين وحدي، وأتناول الشراب. يا له من موقف مهين تمامًا.

حين أعود إلى المنزل، أجد ديلان على الأريكة، فقد كان جالسًا باسترخاء والرقعة تلوح في عينيه لكنني أتميز غيظًا.

يبادر قائلاً: "أنا آسف".

"على أي شيء؟ على أنك تركتني في عشاء ذكرانا السنوية أم على أنني أفلست لكي أرفع ثمنه؟".

يقول بعد لحظة: "أوه، يا للكارثة، لم أفكر في...".

أقاطعه: "بالطبع لم تفكر. فصديقك الغالي ماركوس كان في ورطة، أليس كذلك؟". وأتحرك لأتجاوزه، لكنه يعترض طريقي. أقول: "لا، لا"، وأمر بجانبه وأصعد السلم.

يقول: "آدي، دعك من هذا، فلنتحدث"، مثلما يفعل دائماً. لكنني أعرف أفضل طريقة أعاقبه بها الآن. إنه يكره صمتي.

أجيبه: "سأوي إلى السرير. وحدي. ويمكنك النوم على الأريكة. أو مع ماركوس. أيًا كان ما تفضله".

حين أنزل في الصباح لا أجده على الأريكة. ولا أجده في أي مكان. وأجلس في الموضع الذي كان فيه ليلة أمس، وأحاول أن أركز على التنفس جيداً. لقد تركني. لقد رحل؛ لأنني قلت ما قلت عن النوم مع ماركوس، أو لأنني أخبرته بأنني لن أتحدث معه، أو لأنني من الحبيبات اللاتي يغضبن حين يذهب حبيبهن لمساعدة صديقه.

لكن... يا للعناء. ماذا عن كل المرات الأخرى التي قلت فيها إنه لا بأس في الأمر؟ حين ذهبنا لقضاء العطلة الأسبوعية في كوتسولدز وتركني مبكراً من أجل ماركوس. وحين لم يحضر حفل ذكرى ميلاد أختي من الأساس لأن ماركوس فقد وعيه في مكان ما. وحين طلبت منه قضاء ليلة معي في المنزل فاعتذر قائلاً إن ماركوس يريد حقاً قضاء بعض الوقت معه.

لقد خطر لي أن ماركوس ربما كان يحب ديLAN. لكنه لم يبدي أي اهتمام إلا بالنساء، وما من شيء مريب في الطريقة التي ينظر بها إلى ديLAN. إنهما... متأخيان بطريقة لا يمكنني فهمها فحسب.

أسمع صوت الباب فأنصب في جلستي.

أقول: "ديلان؟".

يقول بهدوء: "مرحبًا". ويلقي مفاتيحه في الصالة ويخلع نعليه. أصوات حركته مألوفة جدًا لدرجة أنني أستطيع معرفة ما يفعله بالضبط وأنا على الأريكة.

"أين كنت؟".

"لقد ذهبت للمبيت مع ماركوس".

ينتابني الاضطراب: "أوه".

"لقد قلت إنه يمكنني ذلك".

"لست في حاجة إلى إذن مني يا ديLAN".

"يبدو لي أحيانًا أن الأمر ليس كذلك".

يدخل الغرفة. إنه يرتدي إحدى سترات ماركوس، وهي سترة عتيقة، مزخرفة بالماس زيتوني اللون. شعره غير ممشط، وعيناه منتفختان.

أقول وقد لففت ذراعِي حولي: "أنا آسفة. إنني أكره ذلك. فلم أرغب قط في أن أجعلك تشعر بأنك لا تستطيع فعل أي شيء. وكل ما هنالك... أعتقد أنه يطلب نجدتك كثيرًا". وأود لو أكمل قائلة: وفي أوقات مثيرة للريبة تمامًا، كلما كنت تفعل شيئًا مهمًا معي.

يقول: "هذا واجب الأصدقاء يا آدي. ماذا ستفعلين لو كانت شيري مكانه؟ أو ديب؟".

لن تكون شيري أو ديب مكانه. ولن تتوقعا مني ذلك أبدًا. وبصريح القول، لو كانت إحداهما أرسلت إلى ديLAN رسالة كالتي أرسلها ماركوس إليّ، لكنت غضبت منها أشد الغضب.

أقول وأنا أنهض وأتحرك نحوه: "أعتقد فقط أن ماركوس لا يحب أن نكون معًا".

حتى اقترابي منه يحتاج إلى جهد. وأريد أن أبتعد، هذا ما أحس به. أريد استعادة طاقتي.

وأضيف: "وأحس أحيانًا بأنه يحاول إفساد ما بيننا".

يهز ديLAN رأسه بنفاد صبر، ويقول: "لقد قال ماركوس إنك ستقولين ذلك".

يخطو مترجعًا.

ويتابع: "لقد قال إنه أمر غير سليم ألا تسمح لي برؤية أعز أصدقائي".

أقول: "لا أسمح لك برؤيته"، وأتسمر واقفة على السجادة، وديLAN بعيد عني مرة أخرى: "إنني في الحقيقة أسمح لك دائمًا برؤيته. فلتذكرني بمرّة واحدة رفضت فيها ذلك".

يبدو ديLAN مرتبًا تمامًا: "ماذا تريد مني أن أقول يا آدي؟ أتريد أن أقول إنني سأكف عن صداقته؟".

أجيبه: "كلا! كلا". مع أنني لن أمانع في الحقيقة: "كل ما أريده هو أن تلاحظ أنه متحفز ضدي بطريقة... بطريقة عادة ما تؤدي بنا إلى هذا النوع من الجدل. ويبدو أننا كلما تشاجرنا، كان ماركوس هو السبب".

"وهذا ذنبه؟".

"هل ترى أنه ذنبي؟".

يتأفف ديLAN ناظرًا إلى السقف: "لا أعرف. إنني أشعر بتشوش تام. ويبدو أنني لا أستطيع حل المشكلة. إنني أحب كليكما، ويقول كل منكما لي أشياء متناقضة".

يبدو تعيسًا لدرجة تذيب قلبي. وفجأة، لم يعد قطع تلك الخطوات بيننا أمرًا شديد الصعوبة. أمضي نحوه وأجذبه معانقة إياه، متجاهلة أن يديه لا تزالان في جيبيه.

أقول له: "سأحاول بجهد أكبر. سأحاول أكثر مع ماركوس، إذا كان هذا ما تريد مني فعله".

الحاضر

# ديلان

يقول ماركوس: "بيننا خائن". كان يطوف في أرجاء غرفة فندق بادجيت ترافل العائلية، ويتفقد النوافذ كما لو كنا في رواية من روايات لو كاربه.

أسأل: "أليس لدينا إذن ما يدعوننا إلى اعتقاد أن رودني شخص خطير؟". يبدو سؤالي سؤالاً مهماً لم يؤخذ على محمل الجد بعد. فماركوس يحب المكائد؛ والأختان جيلبرت تتعاملان مع مثل هذه الأمور بهدوء. أنا الشخص الوحيد الذي يود معرفة ما إذا كان مترصد شيري سيقتل شخصاً.

تقول ديب: "كلا؟". لقد استحمت في الحال، وتبدو أقل اتساعاً على نحو ملحوظ: "ما خَطبكم. إنه رودني".

نسمع طرقاً على باب غرفتنا العائلية المضطربة.

ننظر جميعاً بعضنا إلى بعض.

تهمس آدي: "أهذا... ماذا لو كان هو؟".

فترد ديب: "سيكون هذا شيئاً جيداً. نريده أن يعود. نريد سيارتنا قبل أي شيء".

ينادي صوت: "مرحباً؟".

ننظر جميعاً بعضنا إلى بعض مرة أخرى. وتجعلنا حاجتنا إلى اتخاذ قرار فوري عاجزين تماماً عن التفكير.

يقول ماركوس بصوت عالٍ: "ماذا؟ أهذا هو؟".

يهمس الجميع له ليخفض صوته. والحقيقة أنني لست واثقًا تمامًا مما إذا كان هذا هو رودني أم لا - لست واثقًا بأنني قادر على التعرف عليه من صوته وحده، وهو أمر يثير الغضب نوعًا ما. ألم يصغ أي منا إلى رودني إطلاقًا على مدى الساعات الثماني عشرة الماضية؟

"مرحبًا يا رفاق! أنا رودني!".

تقول ديب وهي تنهض لتفتح له: "هذا يقطع الشك، على الأقل".

نتصب جميعًا هونًا ما حين يدخل رودني - نحاول أن نبدو 'طبيعيين'، فيما أظن، لكن بالنظر إلى الحيرة البادية على وجه رودني، يمكنني القول إننا لم نوفق تمامًا في ذلك.

يسألنا: "هل كل شيء على ما يرام؟". يحمل حقيبة نوم تحت إبطه، ومفاتيح السيارة في يده الأخرى.

تقول آدي متمالكة نفسها: "كل شيء في أفضل حال. هات مفاتيح السيارة يا رودني".

يستجيب لها رودني. لكنه يرمي المفاتيح رمية غير دقيقة، فتضطر آدي إلى الاندفاع عبر السرير لتمسكها بيدها السليمة، ويتلوى وجهها ألمًا حين يهتز معصمها المصاب جراء حركتها تلك. وينخر ماركوس ضاحكًا حين يرى رمية رودني السيئة، ثم يبدو كأنه تذكر أن رودني قد يكون شخصًا خطيرًا وأكثر إثارة للاهتمام مما ظن في البداية، فيكف عن الضحك.

ويقول رودني وهو يفرك يديه معًا: "إن، ستنام آدي وديب على السرير المزدوج، وماركوس وديلان على السريرين الفرديين، وأنا سأنام على الأرض؟".

أجيبه: "هذا صحيح. سنخلي لك مكانًا بالقرب من سريرينا يا رودني".

فيقول مشيرًا إلى الموضع القريب من طرف السرير المزدوج: "لكن توجد مساحة أكبر هنا".

ترمقني آدي بنظرة متوسلة. إن هناك شيئًا جميلًا في المحادثة الصامتة التي تلي تلك النظرة - ليس بسبب موضوعها بالطبع، وإنما بسبب الألفة التي تنم عنها والطريقة التي تعود بها إلى فهم نظرات كل منا. كانت تقول بعينيها: 'أبعده عني قدر استطاعتك'. وجاوبتها بعيني: 'أنا أحاول بالفعل'.

أقول لرودني: "فلنمنح السيدات بعض الخصوصية. وإذا كانت المساحة هنا ضيقة كثيرًا عليك، فساخذ حقيبة النوم ويمكنك أن تنام أنت على السرير".

ينظر ماركوس إليّ كما لو كان يظن أنني أصبت بجنون مؤقت، لكنني كنت أعتمد على شهامة رودني.

يرد رودني مذعورًا: "أوه، بالطبع، لا بد أن تكون للسيدات خصوصيتهن! يا للهول، هذا صحيح! ولا تتخلّ عن سريرك يا ديلان".

يومئ لي ماركوس إيماءة إعجاب، لكن ابتسامة آدي البسيطة هي ما يجعل قلبي ينبض بشيء من الزهو على نحو محرج.

تنتاب ديب قائلة: "حسنًا، لقد تجاوزت الساعة العاشرة، أي مرت ساعتان على موعد نومي المفضل، هذه الأيام، ومن المفترض أن أتحدث عبر سكايب مع طفلي، في وقت مبكر من صباح الغد، وذلك حرفيًا كل ما يمكنني التفكير فيه الآن... لذا عليكم جميعًا أن تقوموا عن سريري".

يقول ماركوس ناظرًا إليّ بذهول: "هل سننام الساعة العاشرة؟". وأتساءل عن آخر مرة نام فيها قبل منتصف الليل.

أفكر في مسابرتة والعودة معه إلى المقهى، لكنني لا أريد ذلك، في الحقيقة.

أجيبه رافعاً حقيبتني عن الأرض، ومنتجهاً بها إلى الطرف الآخر من الغرفة، حيث يوجد السريران الفرديان وسرير الأطفال: "أجل، سنام. وإذا كنت تريد البقاء مستيقظاً فخذ معك أحد مفاتيح الغرفة. وإياك أن ترتكب أي حماقة".

يخيم صمت مؤلم.

ثم يقول ماركوس: "لقد تغيرت يا صاح".

ينبغي أن أتمنى ذلك.

أنا مستلقٍ على جانبي، ولحاف الألياف مشدود حتى ذقني. أتبين ماركوس بصعوبة في العتمة؛ ومع كل احتجاجاته على النوم المبكر، ينام بسرعة يُحسد عليها. إنه يتنفس الآن بصوت مرتفع على بُعد شبرين مني، وصورته مشوشة ورمادية في الضوء الخافت المتسلل من بين الستائر التي لا يقابل بعضها بعضاً في المنتصف. ويغط رودني بالطريقة التي يغط بها عمي تيري: بصوت عالٍ جداً، كالخنزير، ينخر تقريباً. هذا أمر مطمئن تماماً. فيما أنه يغط، فأنا أعرف، على الأقل، أنه نائم، بدلاً من أن يقف فوق رأسي وفي يده سكين.

لا أصدق أن الرجل الذي كتب كل تلك القصائد المريعة لشيري هو رودني. أتمنى أن تكون قصائدي أفضل من قصائده؛ أتمنى ألا تقرأها آدي وتعتقد في قرارة نفسها أنني مثل رودني تماماً.

أثقلب في السرير؛ عاجزاً عن النوم. هذه ليست مشكلة نادرة الحدوث. لكن المشكلة أنها تبدأ تتفاقم. وتشغلني فكرة واحدة - على سبيل المثال، أتساءل عما تفكر فيه آدي حين تقرأ قصائدي - ثم لا ألبث أن أنجرف، متتبّعاً الخطوات المعتادة في هذا الطريق، إلى أن أصل إلى استنتاج مفاده أنني لا أزال أحبها، يا للهول، أعرف أنني أحبها. وأشعر بأنني لن أكف عن حبها أبداً. يقول الجميع إنه لا شيء اسمه 'المرأة المناسبة الوحيدة' وإن هناك الكثير من

السّمك في البحر، لكنني كلما قابلت إحدى تلك الأسماك، أشعر بأنني مشتاق أكثر إلى آدي. لقد يئست من فكرة استعادتها، ولا يزال هذا غير كافٍ لأنساها - يظن المرء أن عذاب الحب غير المتبادل قد يكفي لإبعاد عقله عن المسألة برمتها، لكن يبدو أن ذلك لا يحدث.

أنهض. هناك مرحلة يصبح فيها الاستلقاء في الظلام أمرًا لا يطاق، وفجأة أجد نفسي وصلت إلى تلك المرحلة. أمشي على أطراف أصابعي إلى الحمام الداخلي، وأمر بديب وآدي على السرير المزدوج، إنهما شبهان هادئان غير واضحين في الظلام. الأختان جيلبرت لا تنفصل إحداهما عن الأخرى أبدًا. اعتدت أن أفكر في أنني أنا وماركوس نشبههما تمامًا.

لا أجد الكثير مما يمكن فعله في الحمام - عادة حين أعجز عن النوم، أبدأ التجول في الأرجاء، وربما أقرأ شيئًا أو أكتب شيئًا. لكن ما من مكان أذهب إليه هنا، عدا موقف السيارات في الخارج، وأنا واحد من الأفراد القلائل بين مجموعة أصدقائي، الذين لم يكونوا غربيي الأطوار بما يكفي للتجول في أرجاء موقف السيارات في فندق بادجيت ترافل بتياب النوم.

أنظر إلى نفسي، بدلًا من ذلك، في المرآة فوق الحوض. لقد مررت بأوقات، خلال فترة العام ونصف العام الماضية، كنت أجد فيها النظر إلى نفسي على هذا النحو أمرًا صعبًا. أرى الآن رجلًا حزينًا متعبًا، اتخذ قرارات سيئة، وهذا يُعد تقدمًا إذا قورن بما اعتدت أن أراه.

أرش وجهي بالماء البارد، وأتركه يقطر من أطراف شعري. أنتصب وأبدأ التأوه ضجرًا، ثم أكبح نفسي - لا يزال الالتزام بالهدوء ماثلاً في ذهني. والباب مفتوح؛ نسيت أن أقفله. هذه آدي قادمة، تجفل حين تراني، لكنها تلتزم الهدوء هي الأخرى، لا تطلق غير شهقة صغيرة، واضعة يدها على نحرها.

نقول هامسين في الوقت نفسه: "معذرة".

أقول وأنا أبدأ التحرك نحو الباب: "سوف...".

تهمهم هي، واضعة يدها على مقبض الباب: "كلا، سأرجع أنا. ولم أكن أحتاج كذلك إلى دخول الحمام، كل ما أردته هو...".

أقول: "أن تنهضي من السرير؟".

تبتسم بأسى وهي تقول: "أجل. ما زلت لا تنام بسهولة، أليس كذلك؟".

أنا الآن أسوأ حالاً - لم أنم جيداً قط مثلما كنت أنام وهي معي على السرير.

أجيبها: "رودني يزيد الأمر سوءاً".

تغلق آدي الباب خلفنا، لتحجب غطيظ الثلاثة النائمين في الخارج.

تسألني: "بسبب غطيظه أم بسبب ارتيابك فيه؟".

أقول: "إنه شخص شديد المأساوية فحسب. لقد قرأت بعض قصائده التي أرسلها إلى شيري، كما تعلمين".

"أتعني القصيدة التي يشبهها فيها بالفراولة؟".

"ماذا؟ كلا؟".

تغطي آدي فمها بيدها وهي تقول ضاحكة: "أوه".

"على أي نحو يقصد؟".

"ماذا؟".

"على أي نحو تشبه الفراولة؟ لأنه إن كان يقصد من ناحية اللون، فلست واثقاً بأن هذا...".

لا أكمل قولي، وتبدأ آدي الضحك، ولا تزال يدها على فمها لئلا تحدث ضجيجًا. تنحني إلى أمام، وقد راحت كتفها تهتز، وهي ممسكة الطاولة بجوار الحوض بإحدى يديها.

تقول: "أوه، يا للهول، إننا جميعًا حمقى. كلنا".

أقول متأملًا: "وأنت كنت تظنين أنه سيشبهها بالكريز وليس الفراولة. بسبب اسمها".  
تضحك بقوة أكبر، وأشعر بأنني ازددت طولًا. فما من شيء أجمل من جعل آدي تضحك.

تقول: "ديلان".

لا أعرف إن كانت فعلت ذلك عامدة أم لا. فقد حركت يدها عن الطاولة ووضعتها فجأة فوق يدي، على حافة الحوض، ونظرت إليّ، وكانت عيناها تلتمعان بالضحك. يخفق قلبي في كل أنحاء جسدي، وصولًا إلى أطراف أصابعي تحت يدها. أشعر بسروري يتعاضم، كأنفجار نووي هائل في منتصف صدري، وتختفي فكرة أنني يئست من أن تحبني مرة أخرى، فها هو، ها هو الأمل يعود بسرعة لا تصدق. إنه لم يفارقني قط.

تنقل يدها قائلة: "أنا آسفة".

أرد: "لا بأس، لا بأس"، وأقبض يدي لأمنع نفسي من مدها نحو يدها.

ترفع يدها إلى وجهها، وتضعها مبسوطة على خدها، وعلى جبينها.

تقول: "لم يكن يجدر بي فعل ذلك. أنا آسفة جدًا. لقد حاولت بكل... لقد...".

"آدي؟".

إنها تبكي. أقترب منها مترددًا، وتتحرك هي الأخرى نحوي، إلى صدري، وحين تلتف ذراعي حولها أحس بأننا قطعتان في لعبة الصور المتقطعة تتداخلان معًا. إنها مناسبة تمامًا؛ هذا

هو مكانها.

أسألها: "آدي، ما الخطب؟". أستنفذ كل طاقتي لئلا أخفض رأسي، وأطبع قبلة على شعرها، كما اعتدت أن أفعل حين تكون حزينة، حين كانت لي.

تقول: "أنا آسفة. أنا آسفة جدًا".

"لا تتكلمي. لا بأس. لا شيء لتأسفي من أجله".

تقبض بيديها على قماش ثياب نومي؛ أشعر بدموعها على صدري، وأضمها بقوة أكبر.

تقول بصوت مكتوم، وهي ترتجف قبالي: "إنك تجعل الأمر يبدو شديد السهولة".

"ما الذي أجعله شديد السهولة؟".

تقول بهدوء شديد لدرجة أنني أكاد لا أسمعها: "مسامحتي".

أكرر متسائلًا: "مسامحتك؟". وأمرر يدي صعودًا ونزولًا على ظهرها برفق.

"لا أعرف ما إذا كان بوسعي أن أفعل ذلك بالسهولة نفسها".

"آدي... لا أتوقع أن تسامحيني. أفهم مدى صعوبة الأمر عليك".

تقول وهي تهز رأسها في حضني: "كلا، كلا، لست تفهم... لا أقصد أنني عاجزة عن

مسامحتك يا ديلان... يا للهول، لقد سامحتك منذ أشهر، وربما في الحال، إن...".

تنوقف ولا تكمل قولها، مرتعشة بين ذراعيّ، وأشعر بالكثير من الأشياء مرة واحدة: بالأمل، والحزن، والاشتياق إلى ما كان لدينا...

ينفتح باب الحمام فجأة. وتتجمد في مكاننا.

يقول ماركوس: "أوه، يا للمصيبة. كان ينبغي أن أتوقع ذلك".

# آدي

فررت من الحمام دافعة ماركوس من طريقي. أكاد لا أستطيع الرؤية في العتمة والدموع في عينيّ. أوقظ ديب حين تصطدم ركبتيّ بساقها وأنا أحاول العودة إلى السرير.

تهمس: "آدي؟".

أختبئ تحت اللحاف.

أسمع ماركوس يقول: "هذا متوقع تمامًا". صوته مرتفع جدًا. أكاد أجزم بأن رودني استيقظ من نومه الآن، أيقظه كل هذا الضجيج. أغمض عينيّ بقوة وأحاول التركيز على أنفاسي، لكنها تتلاحق بسرعة شديدة.

ويتابع ماركوس بصوت يتعالى باطراد: "كان أحري بنا أن نذهب مشيًا على أقدامنا إلى تلك البقعة اللعينة في أسكتلندا؛ لم يكن ينبغي أن أسمح لك بالركوب معها في سيارة واحدة!".

تقول ديب: "لقد كان هو من طلب منا أن نوصلهما". وتختبئ معي تحت اللحاف وتردف: "تجاهليه يا آدي. أنت تعرفين أنه مخلوق شيطاني".

يقول ديLAN لماركوس: "لا ترفع صوتك".

نذهل أنا وديب. إنها لهجة لم أسمع ديLAN يتحدث بها من قبل، لا حين كنا نتشاجر، ولا في تلك الليلة التي تركني فيها.

ويكرر: "لا ترفع صوتك فحسب".

نبقى مستلقيتين. لا يمكنني رؤية ديب، لكنني أشعر بنظرتها.

ويواصل ديلان: "أنت لا تعرف ما تتكلم عنه. ولن أسمح لك بالكلام عن آدي بهذه الطريقة".

فيرد ماركوس: "أتهزأ بي؟".

ويقول رودني من الطرف الآخر للغرفة: "ماذا يجري؟".

يواصل ماركوس، وقد أصبح يصيح الآن: "لماذا تستمر في القول إنني لا أعرف ما أتحدث عنه؟ ولماذا يستمر الجميع في ترديد أشياء من هذا القبيل، في حين أنني الوحيد الذي يعرف ما يتحدث عنه هنا؟ لقد التقطت الصورة اللعينة يا ديلان. لقد رأيتها في مكتبه وقد تركته يمرر يده على جسدها كأنها...".

تنطلق جلبة - وتمد ديب يدها لتشد على يدي السليمة بقوة، بقوة شديدة لدرجة أنها تؤلم يدي، وأشعر باليأس داخلي مرة أخرى، أشعر به يصعد إلى حلقي، وأنتزع يدي من يد ديب، وألقي بنفسني خارج السرير وأمضي إلى باب الحمام، إلى ماركوس وديلان المحبوسين خلفه، يزمجران ويتشاجران، وأندفع عبر أيديهما المتشابكة، وعبر غضبهما، وأصل إلى المرحاض في اللحظة المناسبة لأتقيأ.

الماضي

# ديلان

لم أرَ ماركوس هكذا من قبل قط. إن هناك قيئًا في شعره، ملتصقًا بخصله المجعدة، فيما عيناه خاويتان لدرجة أنه يبدو أشبه بالموتى الأحياء. غرفة المعيشة في منزله ممتلئة بعلب الوجبات الجاهزة، وكل سطح في الغرفة يبدو لزجًا ومنتنًا؛ توجد دائرة من شراب غازي آخذة في الانتشار ببطء على السجادة. لا شك في أنه ركلها في الحال وهو في طريقه ليفتح الباب.

أقول له: "ماركوس"، ثم أمسك به حين يترنح نحوي. وأحاول ألا أدير رأسي جانبًا بسبب رائحته: "ماركوس، ماذا حدث؟".

لقد مرت أشهر ثلاثة منذ تركت عشاء ذكرانا السنوية ووجدت ماركوس مخمورًا في عرض الطريق خارج منزله، مترنحًا في ضواحي تشيتشستر حاملاً زجاجة في إحدى يديه، وهاتفه في الأخرى، في تجسيد حقيقي للضياع. وقد قضيت معه، منذ ذلك الحين، أكبر قدر من الوقت، لكن ذلك لم يكن كافيًا - إنه بحاجة إلى مساعدة حقيقية. وقد جاء لوك للإقامة معه أسبوعين في سبتمبر، وأقامت جريس معه هنا أكثر مما كنت أتوقع - تتحسن حالها مع ماركوس هي الأخرى، وهو يهدأ في وجودها - لكن لا يمكن لأي منهما أن يكون رهن إشارته دائمًا. تعيش جريس في بريستول الآن، محاولة الابتعاد عن وسط الأزياء في لندن، وقد عاد لوك إلى نيويورك مع خافيير.

تصبح النهارات أقصر وأكثر قتامة، وتصرفات ماركوس تزداد غرابة أكثر فأكثر. وجدته، الأسبوع الماضي، خارج شقتنا - وكان يرفض أخيرًا المجيء إليها - وكان يحاول التسلق فوق سلة القمامة، ولما سألته عن سبب ذلك، ظل يضرب أنفه بإصبعه مشيرًا إلى أن في الأمر سرًا، ويقول بينما يرفرف كالفراشة كيس مقرمشات التصق بقميصه من القمامة: "كل شيء في الوقت المناسب يا صاحبي. كل شيء في الوقت المناسب".

يفترض بي، الليلة، أن آخذ آدي إلى ويلتشاير حين تعود من عملها في المدرسة، لكي تقابل والدي أخيراً. لا أطيق مجرد التفكير في الشجار الذي سينشب بيننا حين أخبرها بأني مضطر إلى تأجيل ذلك مرة أخرى، لكن لا سبيل لترك ماركوس وحده.

يقول حين أقيمه إلى الأعلى وأقوده إلى الأريكة: "كنت أعرف أنك ستأتي. كنت أعرف".

أجاريه قائلاً: "أجل، أنا هنا"، وأجلسه على الأريكة قدر استطاعتي: "هل ستتقياً مرة أخرى؟".

يقول: "ماذا؟ كلا! يا لك من أحمق. إنني لن... لن أنقياً".

كما لو لم تكن رائحة القيء النفاذة ملتصقة بكل شيء هنا، بما في ذلك أنا نفسي، بعد أن ساعدته على الجلوس على الأريكة. وأجلس في الكرسي المقابل له، وأنظر إلى قدمي. أشعر بتعب جسدي؛ وتخطر لي قصيدة، عن ألم العطاء وخوائه التام، لكنني متعب لدرجة أنني غير قادر على الانسياق للرغبة في التركيز عليها.

كان بدء برنامج الماجستير أمراً شاقاً - مع أنه بدوام جزئي، ويبدو أنه يلتهم كل ساعة فراغ، وقد نسيت مدى صعوبة التعلم. لم أمرن عضلة الاستيعاب هذه منذ وقت طويل. وأقضي كل ذلك الوقت متجولاً في كمبوديا وأنا أقرأ الروايات الحديثة، وفجأة باتت النصوص التي كنت أعرفها عن ظهر قلب - مثل تشوسر، وميدلتون، وسبنسر - جديدة عليّ تماماً، كأنها مُسحت من رأسي.

كان العمل المسائي في المقهى سهلاً في الصيف، حين كنت أنفق أيامي في المنزل مع آدي، لكن السهر إلى وقت متأخر يزيد صعوبة الاستيقاظ مبكراً والدراسة. وتصلني من حين إلى آخر رسالة من أمي، تجس نبضي، لترى ما إن كنت يائساً بما يكفي لأسترضي والدي أم لا.

أمل أن يريا في اصطحابي آدي إلى المنزل مبادرة لتسوية الأمور؛ لم أكن أعتقد، في قرارة نفسي، أن والدي سيقاطعاني إلى الأبد. كنت أعتقد أنهما سيغيران رأيهما في خطة

تشيتشستر، وسيستأنفان تقديم هداياهما ومدفوعاتها الشهرية ومدفوعات بطاقات الائتمان. لا يسرني أن أدرك ذلك عن نفسي، وفوق ذلك، بدأت أشعر بأنني أخطأت فيما فعلت.

يقول ماركوس ملوحًا بإصبعه في وجهي: "سوف أنقذك يا صاحبي. وكل هذا، كل شيء، سيكون منطقيًا حين تعرف. حين تعرف".

أسأله بحدة، بحدة أكبر مما ينبغي؛ فهو يكاد لا يستطيع أن يتكلم، فما بالك بأن يكون كلامه معقولًا: "عم تتحدث؟".

"سأريك. كم هي سيئة. وكم هي غير مناسبة لك. إن آدي... أعني، إنك تظن أنني أحتاج إلى المساعدة، تظن أنني أحتاج إلى المساعدة، أنت...".

إنه يؤنبني بشأن آدي، طيلة الوقت، ويطلب مني أن أتركها، يطلب مني إنهاء علاقتي بها، ويقول إن كل شيء كان أفضل قبل أن تدخل حياتي. ولا يسعني إلا أن أرى أن تركيزه المفرط على آدي ليس سوى عرض لمرض أكبر - إدمانه الكحول، فيما أعتقد، وربما إدمان شيء آخر أيضًا - لكنه أمر مريع، وعلى الرغم من كل محاولاتي حماية آدي منه، فهي تعرف أنه يمقتها. لا أطيق سماعه وهو يتحدث عنها هكذا؛ أنهض وأمضي إلى المطبخ، وأدوس فوق علبة بلاستيكية لطعام صيني، فتخرج المكرونة من جانبها أشبه بالأحشاء. إنه يحتاج إلى الماء، إذا كنت أريده أن يبقى هادئًا.

أجد المطبخ أسوأ حالًا من غرفة المعيشة - ما من أكواب نظيفة، فأغسل كوبين بصابون اليد لأنه لا يوجد سائل غسيل.

لم أرَ ماركوس في هذه الحالة المزرية منذ أن هجرتُ إنديا جويل. أستمر في الاستيقاظ ليلاً متسائلًا عما جعله يفقد صوابه إلى هذا الحد، وما الذي تغير فيه، وما الذي أياسه لدرجة أنه قد يفقد نفسه مرة أخرى. لقد قطع والد ماركوس علاقته به، وقطع عنه المال،

وكذلك إنديا، لذلك هو يحتاج إليّ أكثر من أي وقت سابق - ويا لها من أشياء مقززة تلك التي يفعلها من أجل دفع الإيجار وشراء المشروبات. فمنذ بضعة أسابيع، وحين أخرجت هاتفه من بركة الصلصة الساخنة اللزجة في الوجبة الجاهزة، اكتشفت ملفه الشخصي على موقع للمرافقة.

أقول له وأنا أناوله الماء: "اشرب هذا. وسأخرج لأحضر لك بعض الطعام المناسب. شيئًا مغذيًا".

فيسألني ماركوس متطلعًا نحوي بعينين متحجرتين: "وستعود بعد ذلك؟ وتأكل معي؟".

"أجل، سأبقى معك".

يبتسم ويقول: "هذا جيد"، ويرتد مستندًا إلى ظهر الأريكة: "هذا جيد".

# آدي

تقول ديب: "اهدئي يا آدي...".

أبقي الهاتف على أذني وأنا أبكي. أنا جالسة في أحد مراحيض الموظفين، ومنحنية إلى الأمام، وشعري منسدل على وجهي. وعليّ أن أبكي بهدوء. لا يمكنني المخاطرة بأن يسمعي معلم آخر. وليس لديّ سوى عشر دقائق قبل أن يرن الجرس، وأضطر إلى المضي إلى غرفة مليئة بالمراهقين متقلبي المزاج لألهمهم من أجل كتابة موضوع تعبير عن معركة بوبن اللعينة.

أقول هامسة: "لا أستطيع الاستمرار في ذلك يا ديب. أشعر بأنني سأجن. وليس هذا ما أريد أن أكون عليه. أتعلمين أنني ظننت، منذ أيام، أنني رأيت ماركوس يفتش في صندوق قمامتنا؟".

"ماذا؟".

"لكنني حين نزلت إلى الأسفل لم أجد غير جارنا. وشعرت بأنني مجنونة".

"لست مجنونة. فكل ما في الأمر أن مسألة ماركوس هذه صارت فوضوية على نحو ما".

"أتظنين أنه يحاول التفريق بيني وبين ديلان؟".

تسكت ديب برهة ولا ترد. أغمض عينيّ بقوة شديدة لدرجة أنني أرى بقعًا صغيرة حمراء حين أفتحهما مجددًا.

وتسألني ديب في النهاية: "هل أعتقدين ذلك؟".

"أجل. أعتقد ذلك حقًا. من الواضح أنه يعاني مشكلات، مثل تناوله الشراب على الفطور وأشياء من هذا القبيل، وأعرف أن مساعدة ديLAN له شيء نبيل، لكنني أشعر نوعًا ما بأنه... شرير. أعتقد أنه يبيت لي سوءًا. أعتقد أنه يترصدني".

"يترصدك؟".

"أو ربما كان ذلك مجرد وهم مثل صناديق القمامة، وأني شديدة الارتياح. لم أعد أعرف قط. لكن ديLAN هناك معه الآن، وقد ألغينا زيارتنا إلى ويلتشاير مرة أخرى... "تهتز كتفاتي وأنا أبكي. أمسح الدموع عن تنورتي. إنها سوداء، لحسن الحظ، لذا فلن يكون أثر الدموع ظاهرًا حين أقف أمام الطلاب مرة أخرى.

تقول ديب: "هذا وحده أمر يدعو إلى الارتياح. كم عدد المرات التي ألغيتما فيها زيارتكما إلى ويلتشاير بسبب ماركوس؟".

أجيبها دون تفكير: "أربع"، أعرف الرقم لأنه محفور في عقلي. ولا أكف عن التفكير فيه طيلة الوقت.

تقول: "هذا شيء لا يمكن التعامي عنه".

أرد: "ويبدو أن ماركوس لا ينهار إلا إذا كنت أفضي السهرة مع ديLAN"، وأنظر إلى الوقت في هاتفي: "يا للهول، علي أن أتمالك نفسي، الآن".

"هل أنت واثقة بأن المسألة تتعلق بماركوس فعلاً يا آدي؟ وليس ديLAN؟".

أفرغ ما في أنفي وأسألها: "ماذا تقصدين؟".

تقول: "ليس ملزمًا بأن يذهب ليري ماركوس. أليس كذلك؟".

أجيبها وأنا أمسح عيني: "إنه صديق مخلص. وهذه هي المشكلة البغيضة تمامًا".

"صحيح. ربما".

"ماذا تقصدين؟".

"أقصد أنه ربما كان يستخدم ماركوس عذرًا".

أتسمر في مكاني: "أو تعتقدين ذلك؟".

تقول: "لا أعرف حقًا. لكن الوضع كله شديد الغرابة، وأجد صعوبة في تصديق أن ماركوس هو السبب الوحيد في كل تلك الفوضى. وأعلم أنك تعديينه شرييرًا، لكن هذا تفسير بسيط أكثر من اللازم، أليس كذلك؟".

أعرف ما تعنيه ديب. إنني أنحي باللائمة على ماركوس فيما يتعلق بالمشكلات في علاقتي؛ لأن هذا أسهل من الشعور بخيبة الأمل تجاه حبيبي. لقد فكرت في ذلك من قبل. لكنني لا ألبث أن أجد ماركوس يكتب عندئذ شيئًا غير لطيف على حسابه عبر إنستجرام، ولا يسعني إلا أن أعتقد أنه يقصدي به. أو أجده ينهار بمجرد أن نتجاوز أنا وديلان مشكلاتنا وتبدأ الأمور تتحسن. أو أجد ديلان يعود من عنده ويرمقني بتلك النظرة الغريبة والمستريية ولا يلمسني إلا بعد فترة. فأجد نفسي أفكر قائلة: ' هذا من فعل ماركوس '.

أقول وأنا أتحقق من الوقت مرة أخرى: "أنا مضطرة إلى الذهاب يا ديب. أشكرك على الإصغاء لي".

"فلتأتِ، الليلة، إن رغبت في ذلك. يمكننا أن نلعب لعبة مع أبنينا".

أغمض عيني حين أفكر في الأمر. وفي راحة الوجود بالمنزل.

"أجل. أحب ذلك. شكرًا".

حين أخرج من حمام الموظفين أجد إيتيان أمامي. أمضي نحوه مباشرة تقريبًا. ويقفز قلبي قليلاً حين أنظر إليه.

يسألني: "هل أنت على ما يرام؟".

هذا أسوأ سؤال قد يطرحه عليّ الآن.

أجيبه وقد بدأت شفتي تختلج بالفعل: "أجل. أجل، أنا بخير، أشكرك. أنا ذاهبة إلى...".

يمسكني من ذراعي ويقول: "آدي".

صوته عميق ومتعاطف، وهذا يدفعني إلى حافة الانهيار. تبدأ كتفاتي الاهتزاز مرة أخرى.

يقول: "فلندخل مكتبي. سأطلب من جيمي أن يحل محلك بعد الظهر - الفصل 10ب، أليس كذلك؟".

أومئ مؤيدة، وأمسح أنفي بكمي، وهو يقودني إلى مكتبه ويقفل الباب خلفي برفق. أقف هنالك في وسط السجادة وأبكي ريثما يعود.

ويقول حين يعود: "جرى تدبير كل شيء. فلتجلسي، رجاء. ولتخبريني ما الخطب".

أجيبه: "يا للهول، أنا آسفة جداً"، وأمد يدي وأخذ منديلاً من علبة فوق مكتبه، وأمسح وجهي على نحو جنوني. ويحمر وجهي خزيًا.

يسألني: "أهي مشكلة عاطفية؟".

أومئ مؤيدة، وأجلس في الكرسي الذي أشار إليه.

يهز إيتيان رأسه ويقول: "حسنًا، ليس لي شأن بالأمر. لكن ينبغي للحبيب ألا يجعل حبيبته تبكي في المرحاض. هذا ما قد أقوله لأحد الطلاب إن كان في وضع مماثل. وإنني على

يقين بأن هذا ما ستقولينه أنت أيضًا". وعندئذ ينظر في عينيّ ويقول: "إنك تستحقين أفضل من ذلك يا آدي".

يجعلني قوله أبكي مرة أخرى. ينهض من خلف مكتبه، ويضع يده على كتفي، وينحني حتى يصبح في مستواي. ويستجيب جسدي للمسته، ويضطرم شيء في بطني على نحو مخزٍ.

يقول: "فلتأخذي إجازة بعد الظهيرة".

أرد بصعوبة: "لا يمكنني... ماذا عن... معركة بوين؟".

يبتسم: "إذا كان لا بد من ذلك، فيمكنني التصرف، أو يمكن لـ مويرا أن تتدخل. سيكون هناك شخص يمكنه تشغيل مقطع فيديو على قرص مضغوط يحتوي على شيء تعليمي".

ما زلت أبكي. وهو لا يزال يمسد ذراعي، ويده دافئة ومطمئنة.

"إذا احتجتِ إلى من تتحدثين معه يا آدي، فأنا هنا. اتفقنا؟ لديك رقم هاتفي. اتصلي بي فقط".

لا أعود إلى منزل والدي في النهاية. لكنني أستلقي بدلاً من ذلك على السرير الذي أنام عليه مع ديLAN، وأحدق إلى السقف مفكرة في إيتيان. جلدي شديد الحرارة، كأنه أصغر من أن يتسع لجسدي. ألمس نفسي متخيلة أن يدي هي يد إيتيان، قوية وثابتة. وأشعر بعد ذلك بالغثيان. يبدو أنني لن أسامح نفسي، وأطوف في أرجاء الشقة، وأنا أحك ذراعي، متمنية لو أستطيع العودة بالزمن إلى الصيف الماضي، حين كان كل شيء مثاليًا.

تبلغ الساعة العاشرة، وما زال ديLAN لم يعد. لقد لبث مع ماركوس طيلة اليوم. وأتساءل للمرة الأولى عما إذا كان هناك حقًا. ماذا لو كان ماركوس مجرد تمويه؟ وماذا لو كان ديLAN

قد تعرف على فتاة أخرى؟ فتاة مثالية كما يتمنى. فتاة ذكية وثرية وشاعرة، فتاة لن تغار أبداً من صديق ديلان المريض.

يرن هاتفني في يدي. كنت أصدق إليه دون تركيز، دون أن تكون لديّ أدنى فكرة عما أريد فعله به.

أقول: "مرحباً؟".

فترد ديب: "عجباً، مرحباً. لقد استجبت للمكالمة سريعاً. أيمكنني إذن طلب رأيك في معضلة أخلاقية؟".

أجيبها: "بلا شك".

نسيت أن آكل، فنهضت ومضيت إلى الثلاجة، وبحثت فيها بعيني عن شيء توشك صلاحيته أن تنتهي.

تقول ديب: "إذا كنت أريد إنجاب طفل، ووجدت شخصاً لديه رغبة شديدة في إقامة علاقة معي... فهل يمكنني إقامة علاقة معه حتى أحبل ولا أخبره أبداً بأنه هو الأب؟".

تحركت جفون عينيّ سريعاً ناظرة نحو قطعة الجبن الشيدر التي كنت أتفحصها.

وأقول: "هممم".

فتبادر ديب قائلة: "إنه مايك، ذلك الحارس الذي عدت معه بعد ليلة عيد ميلادك".

أحاول استجماع أفكاري.

فتواصل ديب قائلة: "إنه لا يهتم كثيراً باتخاذ الاحتياطات اللازمة. مرحباً؟ أما زلتِ هنا؟".

أجيبها: "أجل، أنا آسفة. أحاول الاستيعاب لا أكثر".

تنتظر ديب بصبر.

فأقول: "أعتقد أن هذا قد يكون خطأ حقًا. أجل. أعتقد أنه أحد الأشياء السيئة".

فترد ديب محبطة: "أوه، لكن إذا حدث الأمر مصادفة، فلا بأس في ذلك".

"أجل، صحيح. لكنها لن تكون مصادفة إذا فعلت ذلك الآن".

"ومن سيعرف؟".

"أنا. لقد أخبرتني".

"سحقًا لك. أكان عليك أن تردي على المكالمة؟".

أتهجد: "لم لا تسألين مايك عما إن كان يمانع؟".

تقول ديب: "سيقول، على الأرجح، إنه لا يمانع. لكن سيكون هناك خطر بعد ذلك، حين يبلغ طفلي السابعة أو نحوها وينشأ كما ينبغي في أسرتي المكونة من أم فقط، أن يأتي مايك ويطالب بحقوقه".

لا يزال من الغريب سماع ديب تتحدث عن إنجاب طفل. اعتقدت حقًا أنها لن تغير رأيها أبدًا. وكان أحرى بي أن أعرف أن ديب لا تعرف الوسط، ولا التردد ولا الحيرة. فديب من النوع الذي لا يعرف غير الأبيض والأسود.

أتساءل عما كانت ستفعل لو كانت مكاني. لم تكن ديب لتبكي مطلقًا في الحمام بسبب أي رجل، ويشعرنني ذلك بشيء من الخزي.

أسألها: "لم لا تبحثين عن متبرع؟ أليست هناك شركات خاصة تقوم بهذا النوع من الأمور بدلاً منك؟".

"يبدو هذا معقدًا. وأقل متعة كثيرًا من إقامة علاقة مع مايك".

"ولماذا مايك بالتحديد، من باب الفضول لا أكثر؟".

"ماذا؟ أوه، لقد أخبرتك، إنه لا يتخذ أي احتياطات".

أنتظر.

فترد: "وأعتقد أن لديه جينات جيدة. فهو طويل، ووسيم، ولطيف، وطريف، وما إلى ذلك".

"يبدو صيدًا ثمينًا".

"ماذا؟ لا دخل لذلك بالأمر. إنني أبحث عن متبرع وليس عن حبيب".

"وهل سيضريك الحصول على حبيب أيضًا؟".

ترد ديب بجفاف: "أخبريني أنت. إنك لست أفضل دعاية للعلاقات العاطفية في الوقت الحالي".

أفتش في الخزانة عن رغيف خبز. أجد رغيفًا قديمًا، لكنه سيفي بالغرض فيما يتعلق بالخبز المحمص والجبين.

أقول: "أود أن أقول إن العلاقة مع شخص واحد أمر رائع. لكن المشكلة أنني أشعر في الوقت الحالي بأنني في علاقة مع شخصين".

"تقصدين ديLAN وإيتيان؟".

أتجمد حاملة شريحة خبز فوق المحمص.

"ماذا؟".

تقول ديب بلهجة مرتابة: "أليس صحيحًا؟".

"لم تقولين ذلك؟".

"أنا آسفة، هل ضايقتك؟ ظننتك معجبة به".

"لقد قصدت أنني أشعر بأنني في علاقة مع ديLAN وماركوس".

"أوه، بالطبع. صحيح".

يخفق قلبي بسرعة بالغة. إن ديب تعرفني أكثر من أي مخلوق آخر. وإذا كانت تظن أنني معجبة بإيتيان...

أعني، ألسن كذلك؟ إلى حد ما؟ ما الذي قضيت أمسيتي وأنا أفكر فيه منذ قليل؟ أفرك بطني وقد عاودني الشعور بالغيثان مرة أخرى. أنا أحب ديLAN. أنا أحب ديLAN.

"آسفة يا آدي".

أشغل المحمصة. أريد أن آكل. ويخطر لي حين أشغلها أنه كان ينبغي أن أضع الخبز تحت الشواية، مع الجبن.

أقول بصعوبة: "لا بأس. من الغريب فقط أنك قلت ذلك. لم أكن أدرك أنني حدثتك عنه أيضًا".

"لقد حدثتني عنه كثيرًا في الواقع. لكن من المرجح أنني فهمت الأمر على غير وجهه".

يسود الصمت برهة طويلة.

ثم أقول بصوت ضعيف: "ليس... تمامًا".

"أوه. أنت إذن منجذبة إليه؟".

"أحيانًا. لا أدري. أوه، يا للهول، أنا مخلوقة فظيعة. أنا خائنة".

"لا تقولي ذلك يا آدي! ليست خيانة أن تعجبي بشخص آخر بعض الشيء. أيعجبك أكثر من ديلان؟".

ماذا؟ كلا! كلا بالطبع! كل ما في الأمر أنني... أعتقد أن الأمور مرهقة مع ديلان. لذا هو شيء أشبه بالهروب".

أسمع صوت المفاتيح في قفل الباب. أستدير كمن يقترب جرمًا. وأجفل حين ترتفع ذراع محمصة الخبز.

"عليّ أن أذهب الآن يا ديب. أحبك".

"ماذا لو كان مايك هو من قرر ألا يتخذ أي احتياطات؟ ستكون هذه مخاطرة محسوبة هو وحده من قرر القيام بها".

أغمض عينيّ، وأقول: "مع السلامة يا ديب".

"أوه، حسنًا. مع السلامة".

يبدو ديلان منهكًا. ويتلاشى كل غضبي حين أراه يمضي متثاقلاً إلى الخزانة ويخرج منها كوبًا، ويملؤه بالماء ويشربه، ثم يملؤه مرة أخرى. أقترب منه لأعانقه لكنه يرتد مبتعدًا.

يقول: "أنا آسف. تفوح مني رائحة القيء".

تتقلص معدتي: "أكانت حالته بهذا السوء؟".

يكتفي ديLAN بإيماءة من رأسه. وحين يمضي إلى الحمام أقف في مكاني، شاعرة بالذنب والخزي؛ لأن ماركوس ليس بخير، وديلان يساعده، وأنا أكثر حبيبة غير عقلانية في الدنيا كلها.

تصلي أول رسالة من إيتيان بعد ذلك بعشرة أيام، في ليلة السبت.

ما أخبارك يا آدي؟ أعني، دون خجل. أعرف أنه قد يكون من الصعب التحدث عن ذلك في المدرسة. ×

أترك الهاتف في جيبي عازمة ألا أرد على الرسالة. ليس تصرفًا مهنيًا منه أن يرأسني بشأن مسألة شخصية خارج المدرسة. لكنني أفكر بعدها في أنني لم أكن لأرى في الأمر أي غرابة لو كانت مويرا هي من راسلتنني. أو جيمي، الشاب العزب الذي في مثل عمري أيضًا. أنا إذن من تتصرف بلا مهنية. إن إيتيان يحاول أن يكون زميلًا ومديرًا مهذبًا وداعمًا.

ديلان يعتني بماركوس مرة أخرى. لقد قضينا أسبوعًا دون خلاف - تحدثنا على نحو متعقل عن ماركوس وعن تاريخ انحرافاتة. ووعدت بأن أكون أكثر تفهمًا.

أرد على الرسالة: أنا أفضل كثيرًا، أشكرك. أقدّر حقًا تدخلك لإيجاد من يحل محلي ذلك اليوم. آدي.

لا يصلني أي رد. وأبدأ التساؤل عما إن كان ردي مقتضبًا أكثر من اللازم. لكنني حين أرى إيتيان، يوم الاثنين، أجده يبتسم لي ابتسامة داعمة كأنه يقول: ' أعرف أنك تجاوزت محنتك '، وأشعر بالتحسن.

ويستمر الأمر على هذا النحو شهرًا أو اثنين. رسالة من وقت إلى آخر - دون أي مغازلة أو أي شيء غير لائق. أكثر ودية قليلًا عما نحن عليه حين نتقابل. وحين تبدأ رسالة ديLAN للماجستير تلتهم وقته أكثر، وحين يبدأ العمل في نوبات أكثر بالمقهى، أجد نفسي وحيدة

وقتًا طويلًا. أبقى في بعض الليالي إلى وقت متأخر بالمدرسة. وعادة ما يكون إيتيان موجودًا، وتبادل أحاديث هادئة ونحن نتناول الشاي في المساء. لا شيء أكثر من ذلك.

لكنني لا أنكر أن الأمر يثيرني. ما من شيء يحدث بيننا. وما من شيء خطأ، من الناحية النظرية. لكنني أعرف أن الواقع غير ذلك.

أعرف أن إيتيان يريدني. وأنا أريده أيضًا في بعض الأحيان.

بقي يومان على عطلة عيد الميلاد، والوقت متأخر الآن - التاسعة مساءً. وما من أحد هنا، ولا البواب كذلك. فإيتيان لديه مفاتيح. وسيقفل هو المدرسة.

يقول وقد أطل برأسه من باب فصلي: "آدي؟". كنت أزيل لوحة مزقها تايسون بأظافره، مقلدًا طريقة المستذئبين. ويسألني: "ألا ترغبين في شراب ليلي؟".

أستغرق لحظة لأدرك أنه يحمل في يده زجاجة. من الشراب الأحمر، بناء على مظهرها.

ويتابع وهو يلوح بالزجاجة: "لقد أوشك الفصل الدراسي أن ينتهي، وقد بذلنا جهدًا كبيرًا، هذا العام. من حقنا أن نستمتع قليلًا".

أوافق على تناول الشراب معه. وأتبعه إلى مكتبه. أحضر كوبين لنا من المطبخ، ونشرب في أكواب الماء. كنت وازعة أحمر شفاه، وأترك قُبلة وردية على حافة الكوب.

نتكلم عن أمور متعلقة بالعمل في الغالب. ثم نسخر من الأطفال الذين يزعجوننا، ونتشكى من التوجيهات الحكومية دائمة التغير، ونتكلم عن أولياء الأمور الذين لا نحبهم. خدائي متوردان وأشعر بالثمل بعد أن شربت نصف زجاجة. ربما أكثر قليلًا من النصف. لم أحص عدد المرات التي ملأ فيها كوبي وكوبه.

يحدث الأمر على نحو طبيعي تمامًا. يده على فخذي. أستغرق وقتًا طويلًا لأدرك غرابة الأمر.

أهْبُ واقفة، وأبتعد. لكنه يتبعني.

يقول: "أدي".

أجيبه: "عليّ أن أذهب".

وأمضي نحو الباب.

يمد يده من فوق كتفي ويقفله، وجسده ملتصق بظهري.

يقول في أذني: "لقد انتظرت مدة طويلة لنصل إلى هذا. أليس كذلك؟".

يجتاح معدتي نوع من الخوف البارد. إنه على حق، كنت أعرف أن هذا سيحدث. فماذا كنت أتوقع غير ذلك؟ أشعر كأنني أنزلق، أو ربما كنت قد انزلقت بالفعل، وأنا الآن أهوي، وأظافري تتشبث بشيء.

شفتاه على رقبتني. أشعر بالرغبة، هادئة وبسيطة، لكنني أشعر أكثر منها بالتقزز الخالص. منه؟ أم من نفسي؟

أعرف حين يجذبني إليه، بخشونة. لا أريد ذلك. يا للمصيبة. لا يمكنني فعل ذلك، تجعلني الفكرة أشعر بالغثيان، والبلبل الذي تتركه شفتاه على رقبتني يشبه عنكبوتًا كبيرًا على الجلد.

أقول: "لا".

أقول لا.

# ديلان

يتصل بي لوك في نحو السابعة، ويخبرني بأن أبي يخون أمي.

أجلس ببطء على حافة الأريكة. وخلال برهة طويلة، لا أنطق بأي شيء إطلاقًا.

يقول لوك: "ديلان؟ أنا آسف يا ديLAN. لا تتصور كم كنت أخشى هذه المكالمة".

أشعر بأن رأسي خاوٍ تمامًا؛ لست مندهشًا، في الحقيقة، لكنه شيء مرعب، كأنما هناك من يخبرني بأنني لست من أظن، على الإطلاق.

أسأله: "وهل هي تعرف؟".

"لقد أخبرتها قبل أن أخبرك. لقد رأيت... رأيت أنها يجب أن تعرف أولاً. كانت في حالة من الإنكار التام. ولم أقدر على إقناعها".

أستمع إليه دون تركيز - يجتاح بدني كله غضب مفاجئ، مضطرم كالجليد، مثل لدغة الجليد. قلما يداخلي الغضب لدرجة ألا أعرف كيف أكبح مشاعري: يبدو كأنه وصل إلى حلقي، وأذني، والشعيرات الدموية الصغيرة في رئتي.

يقول لوك: "لا أظن أنها قد تهجره أبدًا. إنها لا تريد سماع ذلك فحسب".

تصلني رسالة من ماركوس؛ أتفقدها على نحو آلي، وأكاد لا أرى ما فيها، أول الأمر.

عليك أن تأتي إلى مدرسة آدي. إنها هناك مع إيتيان، و... لا يبدو الأمر جيدًا.

وتصلني الصورة بعد ذلك: عبر النافذة، والوهج الدافئ للمكتب من الداخل، وهما يجلسان متجاورين، يشربان من الأكواب، ويده مستقرة أعلى فخذها.

أقول بصوت مخنوق: "لوك! عليّ أن أذهب".

أضغط على الزر لأطفى الشاشة، ثم أجلس والهاتف بين يدي، محدقًا إليه، وقد تضخم قلبي واعتل في صدري. لم تكن عبارة 'استشاط غضبًا' تعني لي أي شيء من قبل، لكنني أفهمها جيدًا الآن. لقد نظرت إلى الصورة أقل من ثانية، لكنها منقوشة على أجفاني من الداخل مثل شرر في الليل.

وفي النهاية، وبعد تلك الثواني الطويلة الخانقة من الجمود، ألتقط معطفي وأنتعل حذائي - ببطء شديد، لدرجة الرتابة، كما لو كان عالمي ينتهي - وأركض إلى السيارة.

# آدي

ينهشني بأسنانه.

أستدير وأنا محبوسة بين ذراعيه. هذا أسوأ. يرفع تنورتي، وتمر يداه صاعدة على فخذي، ويجذب ساقي بقوة لدرجة أن العضلة الخلفية لفخذي تنقبض ألمًا، وأكور قبضتي الآن، محاولة أن أدير رأسي جانبًا، إن موقفي واضح، لا يمكن أن يكون أكثر وضوحًا. إنني أدفع صدره بعيدًا. وأتحدث، فيما أعتقد - كفى أرجوك - وتصطك أسناننا، ويتردد صوت الارتطام داخل رأسي وهو مستمر في الضغط بشفتيه على شفتي.

يقول لي: "أعرف أنك تريدين ذلك. ألا تريدينه؟".

لا يتوقف إلا حين يسمع صوتًا في الخارج فيدير رأسه لحظة. ولا يمكننا رؤية النافذة من هنا؛ يتراجع نصف خطوة إلى الخلف، ثم يتوقف غير متأكد. وأتذكر شيئًا من الماضي البعيد. دروس الدفاع عن النفس في المدرسة، تقريبًا. أبسط قبضتي التي كنت أدفع بها صدره، وأمسك كتفه بينما هو غير متوازن، وتنورتي مرفوعة حول فخذي، فأتمكن من رفع ركبتي إلى الأعلى بقوة وأضربه بها بين فخذه وأراه ينحني إلى الأمام، مطلقًا صوتًا كالحيوانات وأفلت منه أخيرًا، وأنا أنتحب.

أركض نحو الباب. لم يكن مقفلًا. وبينما كنت أركض في الممر المؤدي إلى المخرج الخلفي، عبر غرفة الموظفين، يتجمد الدم في عروقي خوفًا من أن يكون قد أقفل أبواب المدرسة، لكنه لم يقفلها. ولم يكن يظن أنني سأهرب. كان موقنًا من أنني أريد ذلك، كما قال.

أركض طوال الطريق إلى المنزل. عشرة كيلومترات على الأقل. تنزف قدمائي. وحين أخلع حذائي في الشقة أفزع حين أراهما. أرتعش بقوة لدرجة أنني أعجز عن استخدام أصابعي. وأجلس على الأرض، وأبكي بحرقة كما لو أنني لن أنتهي من البكاء أبدًا. أقبض بأظفري

على جلدي. التي تنغرس في ذراعي. وأتذكر كل المرات التي ابتسمت فيها له حين ابتسم لي.

# ديلان

أصل إلى هناك في اللحظة التي يخرج فيها إيتيان من المبنى؛ يستدير وينظر خلفه بحذر.

يقول ماركوس فجأة بجوارري: "هذا هو. هناك. هذا هو".

أعرف ذلك. لقد رأيت الصورة. وكانت تلك الثانية التي نظرت فيها إلى الصورة كافية لأحفظ كل تفاصيل وجه ذلك اللقيط.

أركض نحوه. ويناديني ماركوس - يبدو مندهشًا. لقد كان مخمورًا، وليس سريعًا بما يكفي ليلحق بي. تضرب قبضتي فك إيتيان في اللحظة التي يلتفت فيها. أشعر بألم حارق في مفاصل أصابعي، وصدمة شديدة في مرفقي. ينحني إلى الأمام.

أقول له: "ماذا كنت تفعل مع حبيبتي، أيها اللعين؟"، وأدرك أنني أبكي، فيا للخزي.

ينظر إليّ إيتيان وقد اتسعت عيناه. يقول: "ليس الأمر، كما تعتقد".

فيقول ماركوس: "حقًا؟ لقد بدا لي الوضع مريحًا تمامًا".

ينظر إليه إيتيان سريعًا مضيّقًا عينيه. يظل منحنياً، جاثياً. أبقى قبضتي مكورتين إلى جانبيّ، وأتمنى لو لم أكن أنشج وأهتز كطفل.

يقول إيتيان: "إنها... منحلّة. لقد لبثت تشاغلني طيلة الفصل الدراسي، وتختلق أسبابًا لتقضي الوقت معي بمفردها، وتبقى إلى وقت متأخر لتحاول أن...".

أقول له: "أخرس! أخرس! أخرس أيها النذل الفاجر".

ويقول ماركوس مقترّبًا منه: "كلا، استمر. استمر".

يقول إيتيان: "اسمع، لقد حاولت أن أكون رجلاً مهذبًا. لكنها... لقد مررت بلحظة ضعف. وقد قالت لي كم تريدني بشدة و...".

يتراجع إلى الخلف حين أتحرك نحوه مرة أخرى، لكن ماركوس يمد يده ليمنعني.

يقول إيتيان: "أنا آسف. أنا آسف حقًا".

يسأله ماركوس: "ماذا حدث؟ وأين هي الآن؟".

فيجيبه وهو ينقل نظره إليّ وإلى ماركوس: "لقد أوقفتها حينما أدركت ما كان يحدث. فغضبت وانصرفت. لم أقصد أن يحدث أي شيء معها. إنها فقط... تسللت إلى رأسي. لا يمكنني التفكير على نحو سليم في وجودها".

يومئ ماركوس مؤيدًا، ويقول بصوت مخمور: "أجل. أجل. هذا هو تأثير آدي".

# آدي

أتصل بأختي. لن يمكنني أبدًا أن أوقّي ديب حقها من الشكر. لم أجد كلامًا أقوله، لكنها لم تقل: ' لقد رأيت أنك منجذبة إليه '. لم تقل لي: ' أنت من أردت ذلك '. تصل إلى الشقة، وتخلع عني ثيابي برفق كأنني أغلى شيء لديها، ثم تدخلني الحمام. وبعد أن أصبح نظيفة، تلفني في ثياب نومي الواسعة وتحضني بقوة شديدة. لم يكن ذلك حضنًا - كانت كأنها تجمع أشتاتي.

يبدأ شعوري بالذنب بعد أن تهدأ صدمتي. إن كل شيء كان متوقعًا تمامًا. عندما أتوقف عن الهرب منه، وعندما لا يعود الهلع أمامي مباشرة، أوقن تمامًا بأن الخطأ خطئي. لقد انجذبت إليه. وشربت معه، ورددت على رسائله.

تقول ديب: "ماذا ستقولين لي؟ لو قلت ما أريد قوله؟".

وأرى حقيقة الأمر في لحظة. أعرف ما سأقوله لأختي. أعرف أنني سأعترض بقوة على أن الموافقة عملية مستمرة. وأن الرفض هو الرفض، بصرف النظر عن أي شيء قلته من قبل. لكن الوضوح لا يلبث أن يزول. ولا يبقى إلا الرعب والخزي.

# ديلان

يجعلني ماركوس أذهب إلى المقهى معه قبل أن أعود إلى الشقة لأرى آدي.

يقول: "عليك أن تصفّي ذهنك"، ثم يشتري لي أربعة أكواب كبيرة من الشراب، كما لو أن ذلك سيساعدني حقًا.

أبكي وأنا أتناول الشراب. لا أخبر ماركوس بما أخبرني به لوك؛ لأنني بصريح القول لا أفكر في ذلك إلا قليلاً. وكل ما أستطيع التفكير فيه هو الألم القاتل في صدري، كأنه يتصدع، كأن شخصًا مزق أضلاعي وتركها مفتوحة.

يقول لي ماركوس وهو يدفع شرابًا آخر نحوي: "لا تحزن، بل اغضب. لقد كانت آدي تعبث مع المدرس، ومن يعلم من غيره، متظاهرة بأنها لطيفة وعفيفة. وكنت أعرف أنها تخفي شيئًا. ألم أقل لك؟ ألم أقل لك؟".

# آدي

تريد ديب أن تبقى. لكنني أريد ديLAN. سيعود إلى المنزل قريبًا. أريد أن أغتسل مرة أخرى. وأريد أن أزيل كل ذلك عني، وأريد بعد ذلك أن أخبر ديLAN؛ لأن هذا، على نحو ما، أكثر رعبًا من أي شيء آخر.

لكن يتبين أنني لست بحاجة إلى إخباره.

هناك من أخبره بالفعل.

# ديلان

تبدو مختلفة حين أدخل الشقة - عيناها متسعتان وخائفتان، مثل قطة وليدة، وأعرف عندئذ أن هذه هي أول مرة تخونني فيها مع رجل آخر. لن تقدر على إخفاء هذا عني: الأمر كله منقوش على وجهها.

"أعرف ما فعلت".

هذا ما أقول. ثم أخبرها بأنني سأرحل، على نحو ما تمرنتُ عليه في المقهى. أخبرها بأن هناك أشياء لا يمكنني المسامحة فيها، ثم أقول في نفسي: 'أجل، هذا صحيح، أنا قادر على هجرها. ولن أكون كأمي. لن أتعامى عما فعلت. سأكون قوياً'.

تلبث جامدة في مكانها، أول الأمر. تبدو شديدة الشحوب والضالة، مثل مخلوق بري صغير جيء به من وسط البرد والصقيع، ويحاول أن يقرر ما إذا كان سيقا تل أم يهرب.

الصمت مرعب؛ إننا على حافة شيء هائل وخاوٍ. رأسي يدور من الشراب ويثقل كاهلي الرعب، وأريد أن أخرج من جلدي؛ أن أكون شخصاً آخر، أيّ شخص آخر.

تقطع الصمت قائلة، بصوت أشبه بالأطفال: "ألن تسمع ولو حقيقة ما حدث مني؟".

"لقد أخبرني إيتيان بكل شيء. لا شيء يمكنك قوله".

تجري الدقائق القليلة التالية على نحو مشوش. تلقي بنفسها نحوي، وأعتقد أنها تحاول إيذائي، تضرب صدري بقبضتيها الصغيرتين، وتركلني بقدميها، لكن يبدو تقريباً كأنها تحاول الاحتماء بي أيضاً، كأنها تحاول الاقتراب. وتزأر غاضبة. هذا حزن بلا ريب. وأقول لنفسني بهدوء: 'إنها تحبني إذن. لا تريد أن تخسرنني. يا له من وقت لأستيقن فيه من ذلك'.

# آدي

ما من ألم كهذا. لقد وقع كل ما كنت أخشاه. لقد وصلت إلى أسوأ ما توقعت. بل الأسوأ من ذلك أيضًا.

لا أخبر أحدًا بالأمر، ولا حتى أمي.

تنقذ ديب حياتي، فيما أعتقد. فهي تجري جميع المكالمات الهاتفية. وتأخذني إلى مقر الشرطة، ولا تتركني لحظة. لولا وجودها هنا، لظل إيتيان مديرًا لمدرسة باروود، ولكنك انهرت تمامًا.

# ديلان

ينتسل الشك إليّ مثل الرطوبة. أستيقظ، في اليوم التالي، في الكوخ الخشبي في نهاية حديقة والد ماركوس، كما لو أنني عدت إلى ذلك الشتاء الطويل قبل أن أتوقف عن تلقي المال من أهلي. أقلتنا إنديا من تشيتشستر، الليلة الماضية؛ لا شك في أن ماركوس اتصل بها، ألاحظ ذلك بشيء من الدهشة لا يلبث أن يتلاشى. أحرق إلى السقف وأمس، في لحظة فقط، فكرة العيش دون آدي، وهذا يكفي ليجعلني أنكمش على نفسي كحشرة، وأدفن نفسي في الأغطية.

لا أستيقظ إلا في المساء، ولا يوقظني عندئذ سوى معدتي التي تتضور جوعًا.

أقول لماركوس ونحن نتناول الشراب على أرضية الكوخ وسط فوضى علب الطعام الجاهز: "ماذا لو كان هناك تفسير للأمر؟ ماذا لو كان هناك تفسير معقول؟".

يرد قائلاً: "مثل ماذا؟". لقد صار ماركوس شاحبًا، هزيلًا تقريبًا، وقد اسود جفناه من الإرهاق. ويردف: "انظر إلى الصورة فقط يا ديLAN. انظر لتعرف حقيقتها، أمامك مباشرة وبجودة عالية".

# آدي

أعرف أن نصف ما أعانيه، على الأقل، يرجع إلى ما حدث من إبتيان. لكن كل ما أشعر به هو حزني على خسارة ديLAN.

لا أشعر بأنه هجرني - أشعر بأنه مات.

لم يسمح لي ولو بالكلام. لا بد للرجل الذي يحبني أن يسمح لي دائمًا بالكلام. فمن ديLAN إذن؟

# ديلان

ديب هي من تخبرني بحقيقة ما حدث.

تظهر على عتبة باب كوخ ماركوس الخشبي بعد أسبوع من تلك الليلة في المدرسة، وقد  
أعرضت بوجهها اشمئزًا.

تبادرني قائلة: "يا لك من سافل. إنك وغد حقيقي وأتمنى أن تحترق في الجحيم".

وتضع صندوقًا كبيرًا يحوي متعلقاتي، وتدير ظهرها مولية. ثم تلتفت بوجهها من فوق  
كتفها لتقول: "بقية أغراضك في نهاية الممر. لحسن حظك أنني لم أرمها في بحيرتك  
اللعينة".

أقول: "مهلاً"، وأتردد عند المدخل - لا أرتدي غير الجوارب - ثم ألحق بها، على أية حال:  
"مهلاً! كيف تجرئين على قول ذلك!".

تستمر في سيرها.

"لقد خانتني! خانتني! وأنت تقولين إنني من سيحترق في الجحيم؟".

تدور على عقبيها عندئذ وتقول: "إنك مغفل يا ديLAN".

لم تبدُ على هذه الدرجة من الشبه بآدي مثل الآن، ضئيلة وشرسة ولا تدعن لشيء.

أصيح: "عم تتحدثين؟"، لكنني أبدأ الارتجاف الآن، ويجثم الشعور بالخطأ على كتفي مع  
رذاذ المطر. وأردف: "لقد رأهما ماركوس. وأخبرني إيتيان بكل شيء".

ربما كان الشعور بالخطأ موجودًا بالفعل. فعلى مدى الأيام القليلة الماضية كنت أشرب أكثر من أي وقت مضى، لأنني بدأت أرى عبر ضباب غضبي وأتذكر آدي التي أعرفها، القوية والصادقة، ومن المستحيل أن تتساق آدي التي أعرفها مع آدي التي حدثني عنها إيتيان وماركوس وأنا واقف أبكي خارج المدرسة.

ترد ديب: "لقد رأهما ماركوس، أليس كذلك؟ وماذا كان يفعل هناك؟".

ليست هذه هي المرة الأولى التي أطرح فيها ذلك السؤال على نفسي. إن كل ما قاله لي ماركوس حين سألته هو 'كنت أعطني بك'. لكنه كان محققًا في شكوكه، أليس كذلك، ومن ثم فإن تتبعه آدي لم يكن ضربًا من الجنون، وإنما يبدو نفاذ بصيرة.

وتواصل ديب: "وإيتيان أخبرك بكل شيء. إيتيان أتعرف ما معنى أن تصدق كلام رجل لا تعرفه، ولا تصدق المرأة التي تحبها؟".

تمتص جواربي رطوبة العشب المبلل. ويخفق قلبي.

"لقد اعتدى عليها بالقوة. صحيح أنها شربت قليلاً، وربما قبلت مغازلتة إلى حد ما. لكنه حاول أن يغتصبها".

تستقر قطرات المطر على خصلات شعر ديب الداكن. وتنظر إلى عيني.

تقول: "لكن ربما كان هذا لا يهمك. ربما لا تزال تريد رجمها بالحجارة في ساحة القرية يا ديLAN".

أنحني وأتقيأ على العشب.

# آدي

إنه آسف. ما من أحد أكثر منه أسفًا إطلاقًا. يا له من مخلوق مبلبل، إنه مريع، إنه الأسوأ، سهل القيادة، وهو يرى ذلك الآن، ويعرف أن عليه أن يحل مشكلاته، لم يكن ينبغي له أن يفترض، لم يكن يجدر به أن يهجرني، لقد أخبرته ديب بكل شيء، وهو الآن يعرف، يرجوني مرة بعد مرة، إنه آسف. ويجلس على عتبة بابي وينتحب.

لا أفتح له الباب. أرسل إليه رسالة واحدة أرد بها على سيل اعتذاراته المعذبة التي سمعتها منه في ذلك اليوم.

أكتب إليه فيها: لا تخبر ماركوس بحقيقة ما حدث.

لا يمكنني معرفة سبب طلبي. ربما كنت أرى في ماركوس شيئًا من إيتيان. ربما يجعلني أشعر بالهشاشة. ربما كان السبب هو أن ماركوس كان يقول دائمًا إنه يرى الشر داخلي، ولم يشعر قلبي بأنه أكثر شرًا مثل الآن.

لا يمكنني احتمال فكرة أن يعرف ماركوس.

وأكتب إليه أيضًا: عدني بذلك. وبعدها، أرجوك، لا ترسل إليّ أي رسائل أخرى. أعرف أنك آسف. وأفهم سبب فعلك ما فعلت. لكن أرجوك، لا تتصل بي مرة أخرى.

الحاضر

# ديلان

أنف ماركوس ينزف؛ تسقط قطرة دم على ثياب نوم آدي من الخلف وهي منحنية فوق المرحاض لتتقيأ، وتنتشر على القماش كحبر أحمر، فاتحة الحواف. ما من مساحة تكفيها جميعًا هنا. يدق النبض في رأسي، في الموضع الذي لكمني فيه ماركوس عند الصدغ.

أقول دافعًا ماركوس جانبًا لأجثو بجوارها: "ما لك يا آدي!".

يترنح متراجعًا نحو حوض الاستحمام. وتندفع ديب عبر باب الحمام من خلفي، وأنظر إليها لحظة وجيزة قبل أن أعاود النظر إلى آدي، التي كانت ممسكة مقعد المرحاض بأصابع مرتعشة. وجهها شاحب تمامًا، كأنه قشدة حامضة.

يقول ماركوس: "أهذا بسبب شيء أكلته؟".

تمد ديب يدها وتتشطف المرحاض، يا لها من فتاة عملية.

ويقول ماركوس: "ما خطبكم! أهنالك ما لا أعرفه؟ لماذا يتصرف الجميع كأنني الشخص الشرير بينما هي من فرضت نفسها على رجل غير ديLAN؟".

ترد ديب: "إنها لم تفرض نفسها على أحد"، ثم لا تلبث أن تغمض عينيها لحظة، وتقول: "أنا آسفة. آسفة يا آدي، إنني... ليس هذا شأني".

وينادي رودني سائلًا أمام باب الحمام: "هل كل شيء على ما يرام هنا؟".

أقول محافظًا على هدوء نبرتي: "كل شيء على ما يرام يا رودني. عد إلى سريرك".

يقول بتردد: "حسنًا".

وبعد برهة طويلة، تعتدل آدي جالسة، وتشد كُمي ثوب نومها على يديها، وتتألم حين تحرك معصمها المصاب. لا تنظر إليّ. وتجتو ديب بجوارها من الناحية الأخرى، فيصبح ثلاثتنا جالسين على أرضية الحمام، ويقف ماركوس خلفنا مستندًا إلى حوض الاستحمام. ولديه كتلة من مناديل المرحاض على أنفه النازف، وقد بدأ أثر الكدمة يظهر حول عينيه بالفعل، وعلى الرغم من كل ذلك، يمكنني فهم ما يظهر على وجهه، وهو يبدو خائفًا.

يسألني: "ما قصدكم؟ ما الذي حدث حقًا، تلك الليلة؟ ولماذا لم تخبرني؟".

أجيبه: "لقد طلبت مني آدي ألا أخبرك. إذ إن ذلك كان يخصها هي".

أرى أن ماركوس بدأ يفهم. ويستدير، ببطء، لينظر إلى آدي: "هل إيتيان؟ لقد كان...".

تقول آدي بصوت خشن مبحوح دون أن تنظر إلى ماركوس: "ألم يخطر ببالك أنه ربما كان يكذب؟".

يطلق ماركوس صوتًا مخنوقًا، ويجلس بقوة على حافة حوض الاستحمام. يضع يدها على جبينه. ويخيم الصمت؛ ومن خلفنا جميعًا، يقطر صنوبر الماء.

يقول ماركوس لآدي: "لقد جعلتني أظن... لماذا جعلتني أظن ذلك؟".

تعطيه ديب لفافة جديدة من ورق المرحاض لأنفه النازف، وتدهشني سخافة كل ما يحدث، نحن الأربعة محشورون في هذا الحمام المتعفن، بعد كل السنوات التي قضيناها يتجنب بعضنا بعضًا، ولا نقرب أبدًا بما يكفي.

تجيبه آدي: "لقد تبعثني، أليس كذلك؟".

يدير ماركوس رأسه جانبًا. إنه يبكي، ألاحظ ذلك مندهشًا؛ وألمح ديب تشاهده وقد ضيقت عينيها مفكرة. يمسح دموعه كأنه ينفذ شيئًا عن خده، مثل قطرة مطر أو ذرة غبار.

يقول: "أجل. أحيانًا".

ويسكت برهة طويلة، ولا يزال الصنبور يقطر. وأحسب أنه لن يقول شيئًا آخر، لكن.

يقول وهو لا يزال ناظرًا إلى الجانب: "كان الأمر أشبه بـ... لا يمكنني شرح ذلك. كنت أفرط في الشراب، وقد أفسدت حياتي، وكانت إنديا غاضبة مني، وقد قاطعني أبي - لكن كان لديّ ذلك الشعور بأنني إذا منعت ديLAN من إفساد حياته... فإن ذلك سينقذني، سيكون ذلك شيئًا جيدًا فعلته، وعندئذ سأكون بخير. دائمًا ما كان ديLAN موجودًا من أجلي. ولم أحتمل أن أراه... لم أحتمل... لم أحتمل فكرة خسارته هو الآخر".

تهز ديب رأسها وتقول: "هذا كلام غير مقنع. كانت لديك مشكلة مع آدي. ولا يمكن أن تكون المسألة مجرد هذا العبث المتعلق بحماية ديLAN".

ينظر ماركوس إلى السقف. وقلبي يخفق بشدة. أريد أن أجذب آدي إليّ، أو حتى ألمسها، أن أرد شعرها إلى الخلف، وأقبلّ خدها.

يقول ماركوس: "لا أدري. لقد كان الأمر مجرد..."، ويشير إلى بطنه: "مجرد حدس. لقد أحسست بأنني... بأنني أعرف أنها ستؤذي ديLAN، وقد تعاضم ذلك الشعور نوعًا ما مع وجودها الدائم واستحوادها على رأس ديLAN، إلى أن أصبح لا يفكر إلا فيها، لقد كان مفتونًا بل مجنونًا بها...".

تقول ديب: "أوه، يا للهول. لقد أحببتها. أحببت آدي".

ثبت الجميع كل منهم في مكانه.

كان طبيبي النفسي أول من أشار إلى أن ماركوس ربما كان يحب آدي؛ كان ذلك بالنسبة إليّ هو مفتاح مسامحتي إياه. لقد كنت مثل الأخ لماركوس، كنت توأم روحه وأقدم أصدقائه.

وفكرت في أنه كان يحتقر نفسه بلا شك لأنه يحب آدي؛ وكان من السهل عندئذ أن يواجه ذلك الاحتقار وجهة أخرى، فكرها بدلاً من أن يكره نفسه.

لكننا لم نتحدث عن ذلك قط. ولا مرة واحدة.

تواصل ديب بإلحاح: "لقد أحببتّها، أليس كذلك؟". ويستدير ماركوس فجأة، ويدور حتى تصبح قدماه في حوض الاستحمام، وينحني واضعاً يديه على وجهه.

كتفاه تهتزان. إنه يبكي بحرقة.

تقول ديب: "أوه، يا للهول. هذا هو سبب وجودك في المدرسة حينذاك. وهذا هو سبب اهتمامك المبالغ فيه بما إذا كان بينها وبين إيتيان علاقة. وهذا هو سبب حقارتك الشديدة حيال علاقتها بديلان".

أنظر إلى آدي. كانت عيناها متسعيتين بشدة، محدقة إلى ظهر ماركوس وهو منحني يرتجف على حافة حوض الاستحمام البلاستيكي الرخيص، وأنظر إليه أنا الآخر وأفكر قائلاً: ' إنه ضئيل جداً'. كيف أمكنه أن يحدث كل هذا القدر من الأذى؟

تقول آدي: "ماركوس؟".

يدق بقدمه قاع حوض الاستحمام، فنجفل جميعاً بسبب الصوت المفاجئ وسط الصمت.

يقول: "لقد أحببتها بالطبع. أحببتها. سحقا لي، لقد كنت شديد الغباء يا ديLAN حينئذ، وكنت غيبياً ألا ترى الأمر لدرجة أنني كرهتك في بعض الأحيان"، ويتعالى صوته، وقبضته مشدودتان ترتجفان: "لأنك كنت تجعل من السهل عليّ اختطافها منك. وتحاول دائماً إصلاح ما بيننا. كنت تحرص بشدة على أن ننسجم. وأنا لست فتى طيباً، لست الفتى الذي يتنازل من أجل أعز أصدقائه. أتعرف كم كان ذلك صعباً؟ وفي النهاية أردتها أن تختفي، لأنني كنت أتعذب حين أراك معها، وحين أراك تفسد الأمر، وحين أراك تحاول...".

تقول آدي بهدوء: "لم تكن لتأخذني منه. فلم أكن لأترك ديLAN من أجلك يا ماركوس".

وأقول بلا ضغينة: "وأنا لم أكن غيبًا. وإنما كنت واثقًا. كنت واثقًا بأعز أصدقائي".

يصيح ماركوس، ولا يزال وجهه بين يديه: "لم أكن أعرف يا آدي، أقسم على ذلك. إن المدرس... لقد ظننت حقًا... كنت أذهب إلى المدرسة أحيانًا. ورأيتك تعملين حتى وقت متأخر، معه. وهذا المكان لا توجد فيه ستائر، ومع كل تلك الإضاءة...".

تحقق آدي إلى أرضية الحمام. وأريد أن أقول لها إنني أحبها، أحبها، أحبها، وأنني أسف.

ويتابع ماركوس بصوت منخفض: "كان عليّ أن أصعد سلم الطوارئ لأراك في مكتب المدير. وأتذكر أنني رأيت يده على فخذك، ثم وقفت أنت، ووضعت كأسك، وسار هو في إثرك. ثم..."، يزدرد ريقه: "ثم تواريت عن نظري".

أغمض عيني لحظة.

ويتابع ماركوس: "لم أرك وأنت تغادرين. ثم خرج إيتيان ووصل ديLAN، وقال إيتيان...".

أقاطعه: "نعرف جميعًا ما قاله إيتيان".

وتطلق آدي صوتًا ضعيفًا، أشبه بالمواء.

يرفع ماركوس رأسه قليلًا، ولا يزال ناظرًا في الاتجاه الآخر، ويقول بصوت متحشرج: "لم لم تقل لي؟ لم لم يقل لي أحد أي شيء؟".

تقول آدي وهي تمسح عينيها: "لم أرد لك أن تعرف. ربما... ربما كنت آخر شخص في العالم أريد له أن يعرف. كنت ستقول إن الذنب كان ذنبي، أليس كذلك؟".

يدير ماركوس رأسه بما يكفي لأرى وجهه من موضعي. ويخفض يديه، ويزيل المنديل؛  
على فمه وذقنه آثار دم جاف. لم أره بهذه الحالة من  
قبل، فقد كان مكشوفًا تمامًا، ومرعوبًا أشد المرعب. كما كان يبدو صغيرًا جدًا.  
"لم أكن لأقول ذلك قطعًا. لم أكن لأقول ذلك يا آدي. يا للهول. لا أصدق أنك تعتقد ذلك".

تهز آدي رأسها منكرة، وقد بدا عليها الاضطراب الآن: "فدائمًا ما أسأت الظن بي في كل  
مرة. كنت تريد أن تؤذي. ولم أكن لأحتمل فكرة أن تعرف".

يرد ماركوس بصوت متصدع: "حتى لو كنت مخمورًا ومجنونًا، وأيًا كان ما بدوت عليه  
حينها... أرجوك يا آدي. عليك أن تعرفي أنني ظننت حقًا أنك كنت تخونين ديLAN. ظننت أن  
هناك شيئًا بينك وبين المدرس".

يسود الصمت برهة. ويقطر صنوبر الحمام بسرعة أكبر فأكبر، وأتساءل عما إن كانت  
القطرات تزداد سرعة على هذا النحو طيلة الوقت. تتحرك آدي قليلًا وترفع عينيها إلى  
عيني.

تتنفس بقوة قبل أن تقول: "إنك لم تكن... لقد... لقد كنت معجبة بإيتيان. وتساءلت لحظة...  
و... وسمحت له... ثم لم أعد أريد ذلك، لكنه لم يتوقف، و..."، إنها تبكي الآن هي الأخرى،  
واضعة معصمها المصاب في جحرها، متحسسة الورم بأصابعها: "لقد أحسست يا ديLAN  
بأنك توقفت عن الغضب مني، لأن أمرًا سيئًا حدث لي، لكن هذا لا يجعلني صالحة. إن هذا  
لا يمحو الأخطاء الأخرى".

يؤلمني قلبي عند سماع ذلك - ثمة ألم حقيقي في صدري.

أجيبها: "آدي. كلا، دعك من هذا. وتخيلي لو كان الأمر انتهى بصورة مختلفة. تخيلي لو أنك  
خرجت من مكتبه في اللحظة التي أردت فيها ذلك. هل كنت ستقولين عندئذ إنك لا  
تستحقين السماح؟".

تبقى صامته برهة. ثم تقول: "لا أعرف. لا يمكنني... التفكير في الأمر".

أقول لها: "أما أنا فلا أشك في ذلك. ربما أوشكت أن تخونيني، لكنك لم تفعلي. ولا يهمني ما لم يحدث. وإنما يهمني ما حدث بالفعل. لدى كل شخص احتمالية أن يقترب أخطاء - ولو كنا نحاسب على ذلك، لأفسدنا كل شيء. لكن المهم هو ما يفعله المرء. وأنت طلبت منه أن يتوقف. أنت هربت. أما أنا فقد أفسدت كل شيء يا آدي، وأكره نفسي لأنني لم أسمح لك بإخباري بما حدث بالفعل حين عدت إلى الشقة في تلك الليلة. لقد تصرفت كأنني الشخص الذي حاولت جاهدًا ألا أكونه، ولم أستمع إليك. لقد خذلتك".

تميل نحوي عندئذ، وتلقي بنفسها على صدري، وأغمض عيني وأضمها إلي وهي تبكي.

نظل جالسين في الحمام خمس دقائق أخرى تقريبًا. رأس آدي مختبئ تحت ذقني، وأشعر بديب من خلفي، وساقها تلامس ظهري، وماركوس هناك وقد ولى ظهره لنا، منحنيًا ومحطّمًا.

تتحرك ديب أولًا. تومئ نحو ماركوس وتقول: "علينا أن...". فنتحرك أنا وآدي، وننهض ببطء؛ يبقى ماركوس بلا حراك. نتركه هناك كما هو. وتتقدمنا ديب خارج الحمام، سائرين في صف واحد. وعلى ضوء الشارع المتسلل من بين الستائر، ألمح رودني. إنه نائم، وذراعا وساقاه مبسوطة في منتصف السرير المزدوج، وفمه مفتوح، يغط.

# آدي

ينام ماركوس في الحمام، على حد علمي - أو ربما بقي جالسًا هناك على حافة حوض الاستحمام طيلة الليل. لا أدري. ولا أعتقد أن ذلك يهمني أيضًا.

لا أدري ما هو شعوري حيال الأمر برمته. لست مقتنعة بأن ما كان يشعر به نحوي يُعد حُبًا، بصرف النظر عما تراه ديب، وبصرف النظر عما يقوله ماركوس. أعتقد أنه كان يريد ما لدى أعز صديق له. وأراده أكثر حين لم يحصل عليه.

تدفع ديب رودني لتزحزحه، وتكتفي بثلاث السرير المزدوج. وأنام أنا في سرير ماركوس على جانبي، وأشاهد ديLAN وهو نائم.

يبدو فائقًا تمامًا في العتمة. يسقط الضوء المتسلل من بين الستائر على أطراف رموشه فتلقي ظلالًا ممتدة على خديه. وقبل أن أدرك ما أفعل، أجد نفسي أرفع الأغشية عني وأقطع المسافة بين سريرينا.

يستيقظ حين أصدق إلى جانبه في السرير، وفي جزء من الثانية - بينما هو ينظر إليّ، وعيناه ناعستان ومرتبكتان - أتردد شاعرة بدفقة من ذلك القلق القديم. اعتقدت، خلال فترة طويلة، أن ديLAN يريد تلك الفتاة المثيرة التي عرفها في الصيف. امرأة يظل يلاحقها، على نحو ما كان يلاحق جريس. امرأة بعيدة عن متناوله. ومن الصعب عليّ، ولو في هذه اللحظة، أن آتي هذه المرة، وأكون أنا أول من يلقي سلاحه.

لكنه لا يلبث أن يبتسم ويشدني إليه، ويلصق جسده بجسدي من الخلف.

يهمس: "أنا آسف. وسأظل دائمًا آسفًا أشد الأسف".

فأجيبه هامسة: "كفى أرجوك. لا يمكن أن نظل نأسف إلى الأبد. وإلا فما جدوى  
المسامحة؟".

يشدني إليه بذراعه المحيطة بي، على نحو ما اعتاد دائماً حين كنا ننام هكذا. وتجعلني  
رائحته أشعر بحلقي يضيق؛ من شدة التأثير.

يضمني أكثر وهو يهمس: "أنت معي". هذا قول اعتاد أن يقوله، لا أستطيع حتى أن أتذكر  
السبب. لكنني أعرف ما يعنيه: أنا هنا. أنا معك دائماً. أنا لك.

أشبك أصابع يدي السليمة في أصابعه، وأشد ذراعه إلى صدري. اعتدت أن أقبل يده  
فحسب حين يقول ذلك، أو أبتسم. لكن كان لدي الكثير من الوقت للتفكير على مدى فترة  
العام ونصف العام الماضية، وحين أتذكر كل المرات التي قال فيها إنه يحبني ولم أردد  
بالمثل، أشعر بالغضب من نفسي. كما لو أنني كنت أعتقد أنني أقوى، بطريقة ما، حين  
أكبحها. كما لو كان من الضعف أن أظهر له حبي.

أهمس: "وأنت معي. أنت معي أيضاً".

يوقظني رنين هاتفي. كان في جيب ثياب نومي. لا يزال ديLAN يحتضنني، بعد أن استغرق  
في نومه. أبتسم. وبدأت أراجع نفسي فيما فعلت - ما الذي جعلني أصعد إلى سريره هكذا -  
لكنني أمتنع نفسي قبل أن أتمادى أكثر من ذلك.

كانت رسالة من ديب

هل أنت بخير؟

أنا بخير. أنا في السرير مع ديLAN

أسمع شهقة دهشتها من الطرف الآخر للغرفة، وأدفن ابتسامتي في الوسادة.

ما معنى هذا إذن؟

لا فكرة لديّ. لكن... ☺

ترسل وجهًا مبتسمًا، هه؟ هل حدث بينكما...

إننا نتحاضن فحسب.

يا للقرف.

تكره ديب هذه الكلمة. وقد اعتدت أن أوافقها الرأي، إلى أن لم يعد لديّ من يحضني، فأدركت عندئذ أن كره كلمة الحضن كان ترفًا بسبب توفره لديّ بالفعل.

يهمس ديلان بجانبني: "هل تراسلين ديب؟".

وتمر لحظة أشعر فيها بالقرار الذي ينبغي اتخاذه. فبعد أن استيقظ الآن، هل عليه أن يتركني لأعود؟

يتحرك كما لو كان يريد الابتعاد. لكنني أترك هاتفي وأشبك أصابعي في أصابعه مرة أخرى، مثلما فعلت من قبل. وأشعر بابتسامته وهو يعود إلى وضعه السابق.

أهمس له: "لقد كتبت لها أنه يحضن كل منا الآخر، فكتبت يا للقرف".

يضحك بصوت لا يكاد يُسمع، مجرد همهمة في شعري. يجتاحني ما يشبه الهلع من سعادتني، فأشد قبضتي على يده لئلا تنفلت مبتعدة.

يسألني هامسًا: "هل أنت بخير؟".

"أنا بخير. أنا بخير حقًا".

"أنا سعيد أننا تحدثنا. لم تكن المحادثة التي تخيلت أننا سنجريها، لكن...".

"هل كنت تتخيل محادثة دون قيء؟".

"بل دون متفرجين".

أبتسم.

ويتابع: "لكنني أردت أن أقول لك كل ذلك منذ فترة طويلة حقًا".

ويشد ذراعه على جسدي لحظة في حزن سريع. من الواضح أنني لا أعرف ما يعنيه ذلك. إنه مجرد حزن، وحين نهض من السرير، لا أحد يعلم ما الذي سيحدث بعد ذلك. لقد واجهت أنا وديلان كل أنواع المشكلات، بصرف النظر عن إيتيان وماركوس. وهناك مائة سبب لثلاث...

يهمس ديلان: "كفى. لا بأس. استرخي".

أرخي كتفي. لم أنتبه حتى إلى أنها كانت مشدودة.

ويقول: "فلنستمتع بآخر الدقائق القليلة المتبقية لنا في هذا السرير. ويمكننا التعامل مع العالم الحقيقي حين نهض منه".

أهمس له: "أتقول لي، يا ديلان أبوت، أن أعيش اللحظة؟".

# ديلان

الصباح غامر بالنشاط والجلبة - خططنا للانطلاق في السابعة، لكن ديب تنسى الوقت وهي تحادث أمها ورايلي عبر سكايب، وماركوس أقفل الحمام على نفسه ونام حتى لا يستطيع أي منا أن يستحم قبل أن يستيقظ، وآدي لا تجد نظارتها. وإلى ذلك كله، أكاد لا أقدر على التفكير على نحو سليم بسبب متعة النظر إلى عيني آدي في خضم الفوضى ومشاهدتها وهي تبتسم. وتبدأ قصيدة تتشكل حين نستقر في السيارة ويناولنا رودني مبتهجًا قطعًا من خبز الشوفان من أجل فطورنا الاضطراري. وتنتظم الكلمات الجديدة من تلقاء نفسها. التفتح الهادئ، والتفتح من جديد/وطيف الرغبة في فرصة.

نجلس أنا وآدي ورودني في الخلف؛ وماركوس في الأمام، هادئًا على نحو غير مألوف، ووجهه المصاب يستشرف شطر اليوم الذي بدأ في الحال عبر النافذة. إذا كنت واعيًا بجلد آدي قبالة جلدي، ليلة أمس، فهو اليوم يحرقني. لا أستطيع التفكير في أي شيء آخر، وأنا سعيد لدرجة خطيرة، مفعم بالأمل تمامًا، ثم تمد يدها وتمسك يدي وأحس بأنني قد أبكي فرحًا.

يقول رودني وهو يبتسم ناظرًا إلى أيدينا المشتبكة: "أليس هذا جميلًا!".

تضحك آدي؛ وتتشابك أصابعها بقوة أكبر في أصابعي.

ينبغي ألا أتعجل الأمور. لدينا الكثير لنتحدث عنه. لكن - طيف الرغبة في فرصة - ذلك أفضل ألف مرة من أي شيء أحسست به على مدى فترة العام ونصف العام الماضية، وذلك الشرخ الهائل في صدري يشبه شقًا في أرض جافة، ويلتئم مع أول بشارة بالمطر.

تبدو الرحلة سهلة فجأة، كما لو أن الطرق عرفت آخر الأنباء - أنا وآدي متشابكو الأيدي في السيارة - وتقرر أن كل شيء في الدنيا يجب أن يكون بخير الآن. ولا أتذكر المعضلة



يركل ماركوس حجرًا بطرف قدمه ويقول: "كان الوضع يروقني أكثر حين كنت تتفق معي دائمًا. قبل أن تصل إلى مرحلة المرأة المستقلة والتخلي عن صداقتي لأن معالجك النفسي نصحك بذلك".

أجيبه: "كلا، لم يكن يروقك. ففي ذلك الوقت كانت صداقتنا..."، لكنني لا أكمل قولي.

فيقول ماركوس وهو لا يزال ناظرًا إلى قدمه: "أوه، أعرف ذلك". وبعد برهة طويلة من الصمت يقول: "حتى قبل آدي. لم تكن صداقتنا صحية".

أطرف بعينيّ مندهشًا: "أجل. هذا صحيح".

يرمقني بنظرة ويقول: "لا تندهش هكذا. لست الوحيد الذي يتلقى علاجًا نفسيًا".

أقول: "أنا آسف. لكنني سعيد لسماحك تقول ذلك. وبالمناسبة، لم يكن ذلك تخليًا عن صداقتنا، إن صداقتنا بالأحرى لم يحدث قط أن...".

فيكمل رافعًا حاجبه: "أن توقفت؟".

تصدر عني ضحكة مترددة لدى سماع ذلك: "ماذا يمكنني أن أقول؟ إنني أوّمن بالفرص الثانية. وإلى ذلك، أنت بحاجة إلى من يذكرك بأن تكون إنسانًا حين تنزع إلى أن تصير وغداً. ومن حظك أنني أحقق بما يكفي لأستمر في المحاولة".

ينغلق باب الحمام خلفنا. ورودني عند المباول، وقد اتسعت عيناه كما لو أننا ضبطناه يفعل شيئًا محظورًا.

يقول: "أوه، يا للهول، هممم، مرحبًا"، ويرفع يده ملوحًا لنا.

فيسألني ماركوس: "من المفترض ألا أغمس رأسه في المرحاض، أليس كذلك؟".

أجيبه: "صحيح. أحسنت".

يتنهد ماركوس: "إن إصلاح شخصية المرء أمر بغيض. ألا يمكنني الاستمرار في التصرف مثل شخص طالح منحل؟".

أبتسم قليلاً، وأقول: "كلا"، وأنظر إليه متأملاً خديه الغائرين، وكتفيه المنحيتين، وعينيه الخائفتين الخاويتين: "كلا، لا أظن أنه يمكنك ذلك".

# آدي

تقول ديب: "ألم أقل لك! نحتاج إلى خطة غادرة!".

أجيبها: "أتعلمين أننا نسرف في قول ' خطة غادرة' ، لكنني لا أعرف معنى ذلك بالتحديد؟". إنها تشفط الحليب من ثديها من جديد - لقد فرغت بطارية المضخة التي تعمل بالبطارية، ولذلك أوصلت الأخرى في مقبس بجوار غرفة التخزين. والصبيان المراهقان خلف شبك البيع يحدقان إليها كما لو كانت هاربة من حديقة الحيوان. وأردف: "ألا يمكننا أن ننطلق دونه؟ أو ننزله في مكان ما؟".

"تقصدين في بحيرة مثلاً؟".

"ماذا؟ كلا! لماذا لا يمكنني أبداً معرفة ما إذا كنت تمزحين أم لا؟".

فترد ديب وهي تعدل الوشاح الذي يغطي نصفها العلوي: "هذا بسبب براعتي في المزاح بوجه جامد. لا تلومي نفسك، فليس عيباً فيك".

"كنت أفكر في أنه ربما يمكننا تركه في مكان، ونأخذ هاتفه...".

"لا أصدق أننا نقول هذا الكلام".

ألقي نظرة نحو منضدة البيع. ماركوس وديلان يحاولان إبقاء رودني مشغولاً بينما نحاول التوصل إلى إستراتيجية. ماركوس غير بارع حقاً في التظاهر بالاهتمام بكل ما يقوله رودني.

أقول: "ربما يمكننا التحدث معه؟ نتفاهم معه؟".

تميل ديب رأسها متأملة رودني: "إنه يبدو... غير مؤذٍ أبداً".

"أجل. أجل. أعرف أن شيري كانت مذعورة، لكنها في حالة عصبية استثنائية بسبب الزفاف. وإنني لواثقة بأننا إذا طلبنا منه ألا يأتي إلى الزفاف، فستكون الأمور على ما يرام". تتنابني موجة من الارتياح لمجرد التفكير في الأمر. إن هذا أكثر عقلانية. كنا في حالة من الجنون بسبب تلك الغرفة العائلية في فندق بادجيت ترافل. فقدنا عقلنا فيها.

وأنا: "محادثة هادئة. أجل. صحيح أنه يبدو غريبًا بعض الشيء، لكنه لا يبدو خطيرًا أبدًا".

تلوح ديب نحو ديلان لكي يأتي ومن معه إلينا.

أسألها: "ماذا؟ أسنحدثه الآن؟".

ترد: "ليس لدي الكثير مما يمكن فعله وأنا مربوطة هكذا في الجدار. وربما يمكننا توفير الوقت بهذه الطريقة. مرحبًا يا شباب. رودني، نريد أن نتحدث معك قليلًا عن خططك المتعلقة بزفاف شيري".

تتسع عينا رودني، ويتصلب جسده، ويظل ينقل نظره بيني وبين ديلان وديب وماركوس، ثم يعود ينظر إليّ مرة أخرى. وبعد ذلك، وعلى نحو مفاجئ تمامًا، يندفع نحو ديب.

تصرخ ديب متراجعة. ويصيح ديلان صيحة أشبه بقول: ' ماذا تفعل؟' ويندفع إلى الأمام ماديًا ذراعيه ليدفع رودني، لكن رودني سريع جدًا. لقد اختطف مفتاح السيارة من حجر ديب وخفض رأسه متجاوزًا ديلان بالفعل.

ماركوس هو أول من يتصرف حين يبدأ رودني الركض. لكن ساقَي رودني الطويلتين النحيفتين تفيدانه كل الفائدة - إنه سريع تمامًا. لا يستطيع ماركوس إلا أن يشد طرف قميص رودني من الخلف بأصابعه، لكن رودني يفلت من قبضته، تاركًا ماركوس يصطدم بكومة من بسكويت البوربون.

أركض دون تفكير. وأسمع ديب من خلفي وهي تشتتم، بينما أندفع عبر الأبواب الزجاجية لمحطة الوقود، ولها الحق في الواقع، فمن المزعج تمامًا أن يكون المرء مربوطًا في جدار ويخرج حليبًا من ثديه بينما الجميع يطاردون مجرمًا محتملًا عبر ساحة محطة وقود.

تصبح مثل ديليا سميث في مباراة لفريق نورويتش سيتي: "هيا، الحقي به! هيا!".

ديلان هو الأقرب - فساقاي قصيرتان على نحو بغيض لا يسمح لي بذلك، وماركوس غارق في مكان هناك في كومة من بسكويات الشيكولاتة. أتفادى امرأة مقبلة لتدفع ثمن الوقود - تصبح قائلة: "آه!" - وأتوقف منكمفة بين السيارات. لم يعد بين رودني وسيارتنا الصغيرة غير أمتار قليلة. وديلان خلفه ببضع خطوات، ويمسك به في اللحظة التي يفتح فيها الباب، لكن رودني يستدير وهو يدخل ويدفع ديلان إلى الخلف، نحو...

نحوي. نرتد إلى الخلف مستندين إلى غطاء محرك السيارة خلفنا. وينطلق جهاز الإنذار فيها. يرتطم مؤخر رأس ديلان بعظمة الترقوة لديّ على نحو مؤلم جدًا، ويؤلمني معصمي المصاب بشدة لدرجة أنني أشعر بأن يدي قُطعت. أتحرك خارجة من تحت جسد ديلان، وأرفع بصري في اللحظة التي ينطلق فيها رودني بسيارتنا، وفيها كل متعلقاتنا.

يقول ماركوس خلفنا: "كنت أعرف أنه من الخطأ أن نترك التخطيط للغادر للسيدات". أكاد لا أسمعه بسبب صوت إنذار السيارة التي سقطنا فوقها. ألتفت ناظرة إليه. إنه منحني إلى الأمام، واضعًا يديه على ركبتيه.

وحين أستدير وأرى السيارة الصغيرة تسير مضطربة على الطريق إيه 7، يعود الألم في معصمي محتدمًا. أطلق زفرة وأنحني إلى الأمام ممسكة ذراعي. يضع ديلان يده على ظهري. وحينما أغمض عينيّ بقوة لأطرد منهما الدموع وأرفع بصري مرة أخرى، أجد ديب واقفة، ملابسه ملطخة مرة أخرى بحليب ثديها، وعلى وجهها تعبير مرعب.

تقول وقد طغى صوتها على نحو ما على صوت إنذار السيارة دون عناء: "كانت حقيبة التبريد في تلك السيارة. أين سأخزن هذه الآن؟".

وتلوح نحونا بزجاجة حليب الثدي. فنطرف بأعيننا نحوها.

تقول وهي عائدة إلى محطة الوقود: "في المرة المقبلة عليكم أن تركضوا أسرع من ذلك". نترجم جميعاً. ولا نتحدث فيما بيننا برهة. ويدفع ماركوس ثمن البسكويت الذي سحقه، ونجلس هناك بجوار كشك الجرائد خارج المتجر، نتناول بسكويت البوربون المكسور في بقعة صغيرة ظليلة.

يقول ديLAN وهو يرتشف من قهوته: "على الأقل نعرف وجهته". فمن حسن الحظ أننا جميعاً لدينا هواتفنا ومحافظنا في جيوبنا. أعتقد أنه بعدما حدث لديب أمس، لن يترك أي منا هاتفه في السيارة مرة أخرى.

أسألهم: "ماذا سنفعل الآن إذن؟ هل نتصل بالشرطة؟".

تقول ديب: "سوف يستغرق ذلك وقتاً طويلاً. سننتظرهم أولاً، ثم سيأخذون أقوال الشهود... أرى أننا علينا أن نقبض عليه بأنفسنا. وكما قال ديLAN، إننا نعرف وجهته".

أقول: "لكن سيارتك!".

تلوح بيدها وتقول: "سوف نستعيدها. وعلينا فقط أن نجد وسيلة نصل بها إلى الزفاف".

يقول ماركوس: "ألا يمكننا أن نطلب سيارة أجرة؟".

أسأل: "كم نبعد الآن؟".

يسود صمت طويل، إلى أن ندرك أن رودني كان مسئولاً عن معرفة المسافة الباقية. أفتح تطبيق الخرائط على هاتفي وأعرف النبأ المفجع.

أقول: "أمامنا ساعة ونصف الساعة بالسيارة. واليوم عطلة للبنوك. سيكلفنا ذلك ثروة طائلة، هذا إن استطعنا جلب سيارة أجرة إلى هنا من الأساس خلال..."، وأتفقد الوقت فأتذمر قائلة: "أوه، يا للهول، إننا سنفوت الزفاف إذا استغرقت سيارة الأجرة أكثر من نصف ساعة لتصل إلى هنا".

تتصل ديب بكل خدمات سيارات الأجرة التي تجدها. وما من أحد يمكن أن يصل إلى هنا قبل ساعة. لا يدهشنا ذلك. لقد وصلنا الآن إلى مرحلة لم يعد يدهشنا فيها شيء.

نجلس صامتين من جديد. من الواضح أن كل دقيقة لها قيمتها، لكن بطريقة ما، لا طاقة لديّ إلا لتناول بسكويت البوربون واحتضان معصمي الملتهب. أعتقد أنني شعرت بكمّ قياسي من المشاعر على مدى الأربع والعشرين ساعة الماضية.

تقول ديب بعد فترة: "هناك خيار آخر. لكنه محاولة بائسة".

أقول: "إننا يائسون، ولن نجد غير المحاولات البائسة".

تقول: "هل حفظ أحد رقم هاتف كيفن سائق الشاحنة؟ لأن ذلك الرجل يقود بسرعة حقًا".

# ديلان

لست مقتنعًا تمامًا بأن كيفن سائق الشاحنة شخص حقيقي. أعتقد أنه روح خاصة من أجل يوم الزفاف - كلا، مهلاً، إنه عفريت بالأحرى - وقد أرسل من أجل ضيوف الزفاف حين يحتاجون إليه.

وصل خلال خمس وعشرين دقيقة، ونحن الآن في مكان بين كارلايل وإيتريك، نسير بسرعة لا أصدق أنها ممكنة في شاحنة بهذا الوزن والحجم.

سرعان ما عرفنا أن كبائن الشاحنات ليست رحيبة تمامًا؛ فكرنا أنا وآدي في الركوب في الخلف مع الكراسي، لكننا أدركنا أنه حين تنغلق الأبواب، سيكون المكان حالگًا، وقد نتعرض لطحنة من إحدى أرجل كرسي من تلك الكراسي حين ينعطف كيفن في مكان ما، وسيكون ذلك توقيتًا غير مناسب إطلاقًا لنموت فيه. لذا جلسنا نحن الأربعة في مقعدي الركاب بجوار كيفن: ديب جالسة في كرسي واحد مع ماركوس، وآدي في كرسي واحد معي.

هذا عذاب حلو. كلما اهتزت الشاحنة، اهتزنا معًا؛ أحاول التركيز بكل طاقتي على وجود ماركوس وأخت آدي بجانبني، لكن آدي قريبة مني جدًا لدرجة أنني أستطيع تنشق عطر جسدها، وأسمع شهيقها الخافت كلما التصقنا أكثر.

تقول ديب لماركوس: "فلتجرب أن تلد طفلًا، وسترى ساعتها كم سيزداد وزنك".

يجيبها ماركوس متجهمًا بينما ديب تتلملم بجواره: "لست مهتمًا كثيرًا بإنجاب الأطفال. فكيف حصلت على طفلك، على أية حال؟ إذ من الواضح أنك عزباء".

إنه يحاول التصرف على نحو طبيعي، لكنني أعرفه حق المعرفة ولا يقنعني ذلك؛ صوته متحشرج ويبدو مرهقًا.

تجيبه ديب قائلة: "على عكس الرأي السائد، يمكن للمرء أن يحصل على طفل دون الحصول أيضًا على شريك".

يطلق ماركوس صوتًا كأنه يريد أن يقول: 'أوه، حقًا؟'، في محاولة منه لإبداء الاهتمام. وأحدق إلى الخيوط الدقيقة من شعر آدي بجواري، وأحاول أن أتخيل ما سأشعر به إذا وضعتها بين أصابعي.

تردف ديب شارحة: "لقد استعنت بجهة طبية مخصصة لهذه الأمور. فكرت في الاستعانة بصديق، لكن..."، تهز كتفيها: "لم أرغب في تعقيد الأمور".

يقول ماركوس: "أنا أحب تلك الجهات الطبية. إنها طريقة رائعة للحصول على المال حين يمنع أبي وإنديا عني المال. اعتدت أن أدخل ذلك المكان الموجود في تشينثسستر وأخرج منه كأني كرة من المطاط". ويتوجه إلى كيفن سائلًا: "كم بقي أماننا الآن؟". بينما ديب تستوعب هذه المعلومة المرعبة على نحو خاص. ويردف: "أحتاج للوصول إلى هناك قبل أن تتخدر ساقي تمامًا".

يقول كيفن وهو يتفقد نظام الملاحة عبر الأقمار الصناعية: "بعد هذا المنعطف، سيبقى أماننا خمس عشرة دقيقة".

خمس عشرة دقيقة. يمكنني تمالك نفسي خمس عشرة دقيقة أخرى.

مررنا فوق حفرة، وأغمضت عيني محاولًا ألا أتأوه.

تقول آدي لكيفن وهو يدخل موقف السيارات الرحيب: "أنت بطلنا. أشكرك. ألا تريد أن تأتي وتنضم إلى الحفل؟".

يرد كيفن: "هل يمكنني ذلك حقًا؟"، ويبتسم لها إحدى ابتساماته المقلقة التي يبدو فيها كأنه يكشر عن أسنانه.

أرى كيفن الآن ذا فائدة كبيرة؛ لقد نزلت آدي إلى الأرض، وأحتاج، قبل أن أنهض من مكاني، إلى قضاء اللحظات القليلة التالية في التفكير في تكشيرة كيفن.

أقول: "أنا واثق بأن كريش وشيري لن يمانعا في حضورك"، ولا ألبث أن أدرك أنهما سيمانعان بلا شك وبكل تأكيد.

تقول ديب وهي لا تزال جالسة بجوار ماركوس: "بالمناسبة، لقد حذرث شيري بشأن ما جرى".

أقول أنا وآدي في وقت واحد: "ماذا!".

تلثفت ديب ناظرة إلينا بارتباك: "ماذا؟".

"ألم تصبها نوبة هلع؟".

ترد ديب وهي تناولني هاتفها: "لا أعرف، فقد أخبرتها من خلال رسالة وردت عليّ برسالة. وأنت تعرف كيف تسرف شيري في استخدام علامات التعجب".

يتبدل لون وجه آدي حين أنزل من الكابينة وأريها الرسالة. إنها تبدأ بسلسلة من الرموز التعبيرية، التي كُتبت بعدها:

اتصلي بي حين تصلين!!! وأسرعني!!!

تقول آدي: "أعتقد أنها أصيبت بشيء من الهلع".

يقول ماركوس مشيرًا بيده: "السيارة الصغيرة في موقف السيارات. يبدو أن رودني أوقفها هنا ودخل".

تبدأ آدي السباب.

أسأل: "ماذا سنفعل الآن؟".

يقول ماركوس ناظرًا إلى ملابسه باستياء: "نقتحم السيارة الصغيرة لكي نغير ثيابنا. لا يمكنني حضور الزفاف بهذا المظهر".

تحرك آدي عينيها ناظرة إلى الأعلى: "نحتاج للوصول إلى مكان الحفل وإيجاد رودني قبل أن يحدث أي مشكلة. إن لم نكن تأخرنا بالفعل".

يقول ماركوس: "أف"، لكنه يتبعنا ونحن نخرج من موقف السيارات.

توجد لافتات ترشدنا إلى مكان الزفاف نفسه؛ جميعها مكتوبة بخط اليد المتعرج ومزينة عند الحواف بلطخات من الألوان المائية التي تحاكي تفجرات الألعاب النارية. نستغرق دقيقة تقريبًا ونحن نتبع اللافتات حتى نخرج من بين أشجار الصنوبر السامقة حول موقف السيارات، وحين نفعل ذلك، نشهق شهقة جماعية.

نرى فوقنا قلعة هائلة مزخرفة. إنها ليست قلعة بالمعنى الحرفي - أو بالأحرى هي قلعة، لكنها حين بنيت لم يكن الغرض من بنائها هو تحصين تلك المنطقة من الغزاة وقطاع الطرق - لكنها مذهلة تمامًا، لا يهم أي شيء آخر. توجد فيها أبراج بها أعلام مرفرفة، وهناك كرمة مزهرة بكثافة تتسلق حتى ارتفاع الأسوار تقريبًا، وهناك خندق له جسر متحرك.

نعبر فوق الماء مذهولين صامتين. نعرف جميعًا أن شيري وكريش كانا يخططان لإقامة زفاف كبير وباهظ التكلفة، لكن هذا شيء يفوق خيالنا.

هناك ضيوف يتجولون بالفعل فوق العشب الأخضر النضر أمام القلعة، مشكلين مزيجًا متنوعًا من الألوان: أغطية رأس وقبعات متقنة التصميم، وفساتين طويلة، مع أثواب الساري واللهينجا. وبجواري، تخفض آدي بصرها ناظرة إلى ثيابها، كأنها تذكرت في الحال أنها لا تزال ترتدي الثوب الأبيض الذي ارتدته في الصباح، مع قميص ذي ياقة وحزام خصر.

تهمهم قائلة: "يا للعناء. أكان لا بد أن أرتدي ثوبًا أبيض؟".

أتفحص الحشد باحثًا عن أي أمانة تشير إلى وجود رودني، لكن هناك العشرات من الناس بالفعل، ربما مئات، ولا أعرف ماذا كان ينوي أن يرتدي. ربما كان قد ارتدى بدلته بالفعل، نظرًا لأنه كان وحده في السيارة الصغيرة بكل ما فيها. أو ربما ارتدى ثياب نوم ديب، وهذا غير مستبعد.

يتناهى إلى أسمعنا صوت من الخلف يقول: "آدي!".

نلتفت جميعًا. نلتفت بتزامن يدعو إلى الاستغراب. أعتقد أن السبب في ذلك هو تكييف الهواء الضعيف والموسيقى الريفية التي لا تنتهي: لقد صرنا متحدين الآن، كأننا شخص واحد، بعد أن تنفسنا الهواء الفاسد ساعات عديدة.

تقول آدي بحيرة: "من؟". ما من أحد قربنا يبدو أنه ينظر إلينا. إننا بالقرب من المبنى، بجوار حوض أزهار تملؤه الأزهار الوردية والأرجوانية و... شيء أبيض اللون.

أقول مشيرًا إلى رقعة القماش البيضاء التي تتبدى خلف أجمة كبيرة: "آدي".

يهمس الصوت مرة أخرى: "آدي! تعالي إلى هنا!".

إنها شيري. وهي ترتدي ثوب الزفاف الكامل، وشعرها مثبت بالدبابيس؛ يبرز وجهها لحظة وجيزة من خلف الأجمة، بعينيها الواسعتين، وخديها الورديين.

نتحلق حولها جميعًا. ننظر إلينا شيري متفحصة وقد بدا على وجهها تعبير امرأة لا تملك الطاقة العقلية لاستيعاب أي شيء غير ذي علاقة مباشرة بأزمتها الحالية - تطرف عيناها بصعوبة حين تلاحظ وجود سائق الشاحنة الضخم بجوار ديب، وحين تلاحظ أيضًا الكدمة الكبيرة متعددة الألوان حول أنف ماركوس.

تسألنا هامسة: "ها؟ أين رودني؟ أهو هنا؟".

أقول لها وأنا أميل عليها لأقبّل خدها وأوراق الشجر تضرب وجهي: "زفاف سعيد يا شيري، كيف حالك؟".

تقول: "مجنونة. لقد صرثُ مجنونة. إياك أن تتزوج يا ديLAN. سيحولك الزواج إلى وحش".

أجيبها محاولاً ألا أنظر إلى آدي: "حسنًا، عُلِمَ وينفَّذ. اسمعي، إننا لم نجد رودني بعد، لكن...".

تزمجر شيري دافنة وجهها بين يديها.

أقول لها، بينما تزيل آدي ورقة شجر من شعر شيري: "لا تقلقي! إننا نعمل على الأمر! هل يمكنك أن تعطينا أي معلومات عما قد يخطط لفعله؟ بناء على ما تعرفينه عنه؟".

ترد شيري: "أنا لا أعرفه! كل ما هنالك أنني نمت معه! مرة واحدة فقط!".

تقول ديب بلطف: "هذا لا يحتسب".

تقول آدي: "لكنه يحب اللفتات الرومانسية، أليس كذلك؟ بالنظر إلى القصائد التي كان يكتبها وما إلى ذلك. ألا تظنين أنه سيحاول الوصول إليك قبل مراسم الزفاف؟ لكي يغير رأيك؟".

تجيبها شيري: "ولماذا، في رأيك، أقف الآن في حوض الزهور القذر هذا. فلتعلمي أن هذا الفستان من تصميم فيفيان ويستوود، وهذا فضلات طيور"، وتشير نحو ورقة شجر تتأرجح على نحو خطير بالقرب من فستانها. وكانت يداها مغطاتين بنقوش جميلة متقنة بالحناء، استعدادًا لحفل زفافها اليوم.

يقول ماركوس: "نحتاج إلى استدراجه ليخرج، ثم ننقض عليه".

ويمثل حركة الانقضاض، فتجفل شيري.

تسألها آدي: "أين يتوقع أن تكوني؟".

تجيبها: "من المفترض أن أصف شعري في حجيرة الاستعداد للعرس".

تقول ديب: "يبدو هذا شيئًا غير لطيف".

ترد شيري: "أجل، أعتقد أنهم اختاروا هذه التسمية لتنسجم مع أجواء القلعة"، وتلوح بيدها على نحو غير مفهوم باتجاه الأسوار العالية: "لكنه اختيار غير موفق إلى حد ما، أليس كذلك؟ بسبب ما تحمله من دلالة على أعمال التعذيب".

يقول ماركوس: "فلنذهب إذن إلى هناك. سوف نختبئ، وننقض عليه...".

وتختتم ديب بلهجة انتصار: "ونقيده!".

ننظر أنا وآدي، أحدهما إلى الآخر. تبدو لنا الآن خطة التقييد خطة جيدة تمامًا، وهو ما يظهر في رأيي، مدى ما وصلنا إليه جميعًا من تردّد. ولديّ شعور بأن هذه الرحلة لو كانت طالت أكثر من ذلك، لكانت تحولت بالتدريج إلى نسخة من رواية أمير الذباب، وكان ماركوس سيأكل شخصًا، على الأرجح.

نسمع صوتًا خلفنا ينادي: "آدي؟ ديLAN؟".

تصرخ شيري وهي تنبطح إلى الأسفل مرة أخرى: "أبعدوه عني! أبعده!".

تقول آدي ونحن نلتفت: "شيري! إنه كريش".

يرفع كريش يده ملوحًا لنا بشيء من الارتباك. إنه يرتدي معطف الشرواني التقليدي، ويبدو مذهلاً في اللونين الذهبي والأحمر الداكن: "هل أنتم جميعًا بخير؟". ثم يرفع رأسه: "أهذه... شيري؟ هل أنت هنا؟".

تهتف شيري قائلة: "لا يفترض بك أن تراني! إنه يوم زفافنا! ابتعد!".

يشرع كريش في الضحك: "ماذا تفعلين هنا بين الأشجار؟".

تقول ديب: "أزمة في اللحظة الأخيرة".

وتقول آدي حين تتلاشى ابتسامة كريش: "لا يوجد ما يدعو إلى القلق. فكل شيء تحت السيطرة". وتدفع حاشية فستان شيري إلى الخلف.

وتردف، ملوحة بيدها لكريش: "اذهب أنت واستمتع بوقتك. ونحن... سنتدبر... بعض الأمور".

يبدو الارتياح على وجه كريش ويقول: "أهذا سيئ جدًا؟ إذ تنتابني مشاعر سلبية جدًا". وتستقر عيناه على كيفن فيزداد عبوسًا.

أنتصب في وقفتي وأربت على ذراعه قائلاً: "كلا بالطبع. اذهب فقط واستمتع بيومك المميز".

لا يزال يبدو غير مقتنع. أنظر من فوق كتفه إلى الخلف.

وأقول: "أوه، أهؤلاء أجدادك؟ أهم يتحدثون مع بوب المجنون؟".

تتسع عينا كريش. إن ماركوس يُعد مثلاً لضبط النفس إذا قورن ببوب المجنون: من المعروف عنه أنه يخلع ملابسه كلما شرب أكثر من ثلاث كئوس، وقد اعتُقل مرات كثيرة لدرجة أنه لن يتمكن من إيجاد وظيفة إذا احتاج إلى وظيفة، لكنه لن يحتاج؛ لأنه ورث أخيراً أكثر من نصف منطقة أيلنجتون.

يخلصنا ذلك من كريش. لكنه يلفت انتباهي كذلك إلى شيء نسيتَه حقاً في خضم الإثارة والتوتر والفرح الذي واجهته، اليوم.

أبي مقبل نحونا فوق العشب. يضع ربطة عنق بيضاء، ويبدو حادًا مثل قبعته العالية؛ هناك تجاعيد جديدة قاسية في وجهه، وعشرات منها على جانبي أنفه، وانتفاخات زرقاء تحت عينيه. لا أرى أمي في أي مكان، وهو أمر غير مألوف - فهي تكون دائمًا بجانب والدي - وغياها يجعل معدتي تنقبض. من الآمن دائمًا أن تكون أمي هنا هي الأخرى.

تشرع آدي قائلة: "أوه، يا للهول، أهذا... هل علينا أن نذهب؟ لنترككما تتحدثا؟".

أمد يدي نحوها وهي تتحرك مبتعدة وأقول بحزم، لكن قلبي يتسارع: "كلا. ابق معي - أرجوك. ديب، أعيدي شيري إلى الداخل، وخذي كيفن معك، إذا سمحت".

ترد ديب: "بلا شك. هيا يا شيري، انتبهي لفضلات الطيور".

يتحرك ماركوس ليقف بجواري؛ هو عن يميني، وآدي عن يساري. أشعر بآدي تنظر إليّ مترددة؛ كانت واضعة معصمها الملتهب أمام صدرها، وشبكت يدي في يدها الأخرى، وقبضت بأصابعي على أصابعها.

يقول والدي: "ديلان".

أضغط على يد آدي بقوة شديدة، لكن يبدو أنني عاجز عن تخفيف قبضتي. كثيرًا ما فكرت في هذه اللحظة؛ تخيلت أنني أقول له: 'انظر كيف أبلبي حسنًا من دونك'؛ تخيلت أنني أقول له: 'فلتعلم أنه كان يمكنك أن تكون لطيفًا ولو مرة'. وتخيلت أنني أخبره بأنني لن أسامحه على الطريقة التي عامل بها لوك.

لكنني الآن خائف، بعد أن حانت اللحظة. والحقيقة أنني لم أبل حسنًا من دونه - ليس من وجهة نظره على الأقل. فما زلت طالب ماجستير بدوام جزئي وعليّ دين صغير، لكنه ثقيل، في حسابي المصرفي؛ وأنا عزب لكنني مغرم بامرأة أتمنى لو كان في قلبها متسع لتمنحني فرصة أخرى. لكن بالنسبة إليه، أبدو كأنني ما زلت في حالة توقف - ذلك الفتى التائه الذي يتجول في العالم، ضعيف الإرادة الحالم الذي لا يحقق أي شيء.

يسأل أبي ناظرًا إلى آدي: "من هذه؟".

أجيبه: "هذه آدي"، يخرج صوتي صافرًا فأتنحنح.

تترك آدي يدي لحظة لتصافح والدي؛ ينظر إليها من رأسها إلى قدمها، وعلى وجهه تعبير انتقادي صارخ لدرجة أنني أبدأ أهتز من الغضب الصامت المألوف.

يقول أبي وهو يصافح آدي: "أتذكر أنني سمعت عنك. لقد استعدتته، أليس كذلك؟"، ويبتسم إلى ماركوس ويقول: "لقد أخبرني جويل بأنكما تشاجرتما - فهل فعلت الشيء نفسه أيضًا؟ استعدت ابني؟".

يقول ماركوس بصوت مبتهج: "ليس الأمر كذلك بالضبط يا مايلز".

يرفع والدي حاجبيه: "حقًا؟".

"أجل. لم يكن الأمر شجارًا بالتحديد بقدر ما كان...".

يقاطعه والدي، ويقول مشيرًا إلى الكدمات في وجه ماركوس: "أكان عراكا بالأيدي، هه؟ لكن لا. لا يمكن أن يكون فتاي ديLAN هو من لكمك هكذا، فهو ليس من ذلك النوع".

تدخل آدي يدها في يدي مرة أخرى.

ويقول ماركوس: "هلا سكت قليلاً وتركتني أتكلم؟".

يخيم صمت مباغت تشوبه الدهشة. وأنظر إلى ماركوس متوقعًا أن أرى مزاجه قد تبدل بسرعته غير المعقولة المعتادة، لكن لا، ليس الأمر كذلك، إنه ليس غاضبًا؛ وإنما من الواضح أنه يحاول جاهدًا ألا يصرخ.

ويقول ماركوس: "يريد والدك أن يعرف أي نوع من الرجال أنت يا ديLAN".

قليلاً ما يكون ماركوس جاداً، ليس جاداً حقاً؛ هناك دائماً احتمال بأنه ربما يعايب من يحدثه لا أكثر، أو يخادعه، أو يتظاهر بشيء لن يلبث أن يتلاشى بعد لحظات. لكنه في بعض الأوقات النادرة، حين يكون مهتماً حقاً بما يقوله، يكون صوته مختلفاً تماماً - أكثر رزانة وأقل صخباً. وهو كذلك الآن.

ويتابع ماركوس: "لقد فعلت أشياء كرهها ديLAN - أفسدت عليه أفضل شيء في حياته - لكنه لم يتخلّ عني قط"، إنه ينظر إلى والدي، دون أن يطرف له جفن: "وقد أثبت لي دائماً أن كل ما أحتاج إليه لأستحق صداقته هو أن أحاول. وأن أعتذر".

أقول: "ماركوس...".

يلتفت ناظراً إليّ وإلى آدي.

ويقول: "وأنا... آسف. لست بارعاً في قول ذلك، لكنني أحاول ذلك أيضاً".

يقول والدي بنفور: "هذا كلام شديد العاطفية إلى حد ما"، بينما أستدير نحو ماركوس وأنظر إليه. كانت عيناه مغرورقتين وخائفتين، وخاويتين على نحو ما.

أمد ذراعي الحرة لأعانقه، لكنه يبتعد هازئاً رأسه كأنه يقول: 'لم أنته بعد'.

ويقول لوالدي وهو ينصب قامته: "أتدري قدر ذلك الإنجاز، أن يصبح هكذا على الرغم من نشأته في منزل؟"، ينظر في عيني والدي دون أي جهد إطلاقاً، كأنه ليس خائفاً قط: "أتعرف ما يتطلبه الأمر ليكون المرء صالحاً، على الرغم من وجود من يخبره دائماً بأنه ليس جيداً بما يكفي؟".

يتجمد والدي في مكانه. ويقول بلهجة متوعدة: "ماركوس".

أعرف هذه النبوة؛ إنها تجمد الدم في عروقي.

يرد ماركوس وهو يمسح وجهه بيده: "كلا، أعرف ما توشك أن تقول، وأقول لك سحقاَ لوظيفتك. سأجد وظيفة غيرها. لن أعمل معك وأنت لا تزال تنظر إلى ديLAN بهذه الطريقة. وأنت لا تزال تعامل لوك كأنه أقل من الآخرين. يا للهول. يا لك من امرئ متنمر متعصب رعديد".

تومض عينا والدي فيضيق حلقي في الحال، كأن الهواء صار أكثر كثافة، وسد حلقي. يخطو نحو ماركوس؛ نتراجع أنا وأدي، وأسمعها تتنفس بقوة، لكن ماركوس لا يتزحزح. وإنما يضحك.

ويقول: "حسناَ، سأتركك لتتعرف على أدي".

ويستدير ماركوس ناظراَ إلى عيني أدي. يبدو متعباَ جداَ، لكن تلك الشعلة لا تزال موجودة في عينيه، حتى وهو في حالته هذه، تلك الطاقة الجوهرية التي لا تنضب أبداَ لدى ماركوس.

ويقول ماركوس: "إنها أفضل مما يمكن أن تكون أنت أو أنا في يوم من الأيام، وديلان محظوظ بها".

# آدي

لا أعرف كيف أتصرف. الدموع تلهب عينيّ. وديلان يمسك يدي بقوة لدرجة أنها تؤلمني ونحن نشاهد ماركوس يبتعد، وكتفاه محنيتان. ' إنها أفضل مما يمكن أن تكون أنت أو أنا في يوم من الأيام ' .

لقد تحملت كل ذلك الهراء الذي كان ماركوس يقوله عني دائماً. إنني لست مناسبة لديلان. وأن داخلي شيئاً سيئاً، كما لو أنني أحمل قنبلة يدوية. لقد لوثني ذلك الهراء قبل أن يحاول إيتيان أن يكسرنني.

وأعتقد الآن أنه كان محقاً، بطريقته. فقد كان يمكنني إيذاء ديلان بألف طريقة، واقتربت من فعل ذلك في بعض الأحيان - وزلت في بعض الأحيان. وفي ذلك الوقت، حين التقينا جميعاً، كان يمكن أن أكون تلك المرأة، وربما تلك المرأة كانت ستحب ماركوس. ربما كانت تلك المرأة ستقبّل إيتيان.

لكنني أعرف من أنا الآن. أنا المرأة التي تمسك يد ديلان بقوة، وتنظر إلى الأب الذي دائماً ما خشي من تقديمي إليه. الرجل الذي يبدي احتقاره لكلينا بكل خلجات وجهه الرمادي.

أقول لمايلز أبوت: "حسناً، لا أتوقع أن يرى كل منا الآخر كثيراً، إلا إن كنت ستعمل بنصيحة ماركوس وتطلب من ابنك الصفح. لكنني سررت برؤيتك. وأقصد حقاً أن أقول إنه يسرني أن أراك محطماً تماماً"، وأبتسم له مرة أخرى، ثم ألتفت إلى ديلان: "هيا يا ديلان. لدينا متطفل على الزفاف، علينا أن نمسك به".

يرتجف ديلان ونحن نشق طريقنا عبر الممرات باحثين عن حجيرة الاستعداد للعرس. ويحاول الاتصال بأخيه، لكن لوك لا يجيب، ويبدو أن هذا يجعل ديلان أكثر ارتجافاً.

أتوقف لحظة وأقول له: "هل أنت بخير؟ لقد فعلتها. لقد رأيتته وتركته مبتعدًا".

يرفع يده الحرة إلى جبينه، ويضيّق عينيه: "إنني لم أقل أي شيء كذلك".

"لم يكن عليك فعل ذلك. فالبقاء هادئًا يحتاج إلى قوة أيضًا، خاصة أنه من الواضح أنه كان يتوقع أن تأتي إليه خاضعًا ذليلاً طالبًا عفوه"، وأضغط على أصابعه بين أصابعي: "أنا وماركوس ندعمك. وربما تقول شيئًا في المرة التالية، إن أردت ذلك - وربما تصلحان ما بينكما، مثلما فعلت أنت وماركوس".

يستند إلى الجدار، ويرخي قبضته أخيرًا عن أصابعي، تاركًا راحتينا تفترقان، ويسألني بهدوء: "هل يزعجك؟ أنني... أنني سامحت ماركوس بعد ما فعله؟".

أركز في التفكير. إنه سؤال بالغ الأهمية ولا يمكن أن أتركه يمر مرور الكرام، مع أن هذا أول ما خطر لي.

أقول: "أود أن تخبرني كيف حدث ذلك. بعد أن..."، ويغلبني الارتباك: "بعد ما حدث مع إيتيان".

تتغير عينا ديلان حين أنطق ذلك الاسم. ويمد يده إليّ ويقول بلطف: "هل يمكنني؟".

إن الممر من حولنا ضخم، وله سقف كبير مقوس، وجدران مغطاة بورق حائط وردي اللون، لكن العالم يبدو صغيرًا فجأة. كأنما ليس فيه سواي أنا وديلان. أخطو نحوه فيحتويني ويضمني إليه. أشعر بخده يستقر فوق رأسي. تنسرب السعادة إلى قلبي من كل موضع نتلامس فيه - رأسي، وصدري وبطني.

يقول: "بعد أن تركتك، لم أستطع النهوض من السرير فترة طويلة جدًا".

أرجع رأسي إلى الخلف لأنظر إليه، لكنه يبقيني ملتصقة بصدرة، لذلك أسترخي مرة أخرى بين ذراعيه. معصمي الملتهب مدلى إلى جانبي، لكن ذراعي الأخرى ملتفة حوله بإحكام.

ويتابع: "كان... كان ذلك اكتئابًا. هذا ما قيل حين أخذني ماركوس في النهاية إلى الطبيب".

أقول ووجهي مدفون في صدره: "لقد عانيت ذلك من قبل"، أسمع نبضه يتسارع في أذني:  
"قبل أن نلتقي. وحين كنت مسافرًا. وعانيت منه أحيانًا... حين كنا معًا، أليس كذلك؟".

"لم يحدث... وإنما كنت أعتقد...".

"أنا أعرفك حين تشعر بالضيق يا ديLAN. أنا أعرفك. لكنني كنت... كنت... لا أدري... كنت خائفة، فيما أعتقد، من التحدث معك عن الأمر".

يهمس وهو يحرك خده على شعري: "مِمَّ كنت خائفة؟".

"ربما من أن أظهر لك مدى تعلقي. كنت خائفة من أن هناك جوانب فيك لا يمكنني الوصول إليها، لكن ماركوس يمكنه".

يقول ديLAN بصوت خفيض: "لقد كان معي منذ البداية، حين كنت مراهقًا. وهو ولوك كانا يعتنيان بي. أما أبي...".

"لم يفعل".

فيرد ديLAN بأسى: "كلا، لم يفعل. وهذا سبب لي بعض المشكلات، بلا شك".

"وهل اعتنى بك ماركوس حين انفصلنا؟".

"ليس في البداية. لم أسمح له بالاقتراب. كنت أكرهه، ولم أستطع أن أخبره بحقيقة ما حدث لك، لذا كان يعتقد أنك... أنك خنتني، ولم... لم أستطع احتمال البقاء معه. وقد أقيت اللوم عليه وحده، في البداية، في خسارتي إياك. لكنه اقتحم حياتي عنوة في النهاية. لقد جرنني من السرير وأخذني إلى الطبيب مباشرة، وحصل لي على مضادات الاكتئاب والعلاج السلوكي المعرفي والعلاج النفسي"، أحسست بأنه يبتسم، ثم يتابع: "وذهبت إلى الطبيب

بشرط أن يستعين هو الآخر بطبيب نفسي. فخلال تلك الفترة، اقتترف ماركوس المزيد من الأمور الغبية - ذهب إلى عتبة باب جريس وقذفها بكل أنواع السباب المعيبة، ولكم خافيير...".

فأقول وأنا أحرك رأسي لأنظر إليه مندهشة: "لكم خافيير؟ لماذا؟".

يحوّل ديلان عينيه إلى الأعلى ويقول: "أعتقد أن ماركوس كان يتصرف بغرابة لأن العلاج النفسي كان يذكّره بأشياء لم يستطع تجاوزها، على المستوى الشخصي. لكن خافيير ولوك كانا يتشاجران حول شيء، فتدخّل ماركوس في الأمر".

"يا للمهزلة".

"أعرف. لذا قاطعته. قالت طبيبتي النفسية إنها تعتقد أن هذا قد يفيد، و... كان مفيدًا بالفعل، لكننا، فيما أعتقد. لذا لم نتحدث أنا وماركوس طيلة العام الماضي. إلى أن اتصلت به وسألته عما إذا كان يريد أن يسافر معًا لحضور الزفاف".

"لأنك سمعت أن...".

"أجل. كان الجميع يقولون إنه تغير، وإنه يحاول. وقد اعتذر لكل من يعرفهم تقريبًا - ولم يبقَ غيري أنا وجريس. و... وأنت أيضًا".

أبتسم قليلًا وأقول: "لا أعرف إن كنت أملك موهبة الصفح. أعتقد أنني سأحتاج إلى بعض الوقت لكي...".

يقبّل رأسي من الأعلى، ويقول: "بالطبع. سأفهمك إن كنت لا تريدين وجوده أبدًا في حياتك. سأفهم ذلك بالطبع".

أبتعد عنه لحظة. إنه لمن الرائع أن أكون بين ذراعيه، لكن...

أقول له: "علينا أن...".

يقول: "أجل، صحيح. رودني".

حين نجد أخيرًا حجيرة الاستعداد للعرس، نجد أنها لا بأس بها إطلاقًا. وأحد الجدران مغطى بالساتان المنقوش عليه ورد، من الأرضية إلى السقف، والجدران الأخرى مغطاة بورق الحائط الوردي الباهظ نفسه الذي رأيناه في الممر. إن كل شيء هنا مزخرف. هكذا كنت أتخيل الحجرة التي عاشت فيها ماري أنطوانيت.

هذا يليق بشيري تمامًا. وتأتي شيري مرحبة بنا وسط سحابة من الساتان الأبيض والعطر.

تقول: "تعاليا! تعاليا! ساعداني!".

وتسأل مصففة الشعر شيري: "أيمكنني البدء الآن؟ لم يبقَ على الزفاف غير نصف ساعة، ولا أريد أن أثير هلعك، لكنني عادة ما أصف الشعر قبل أن ترتدي العروس فستانها، وأنت ما زلت بحاجة إلى التحدث مع الموثق، و...".

ترد شيري: "لا تقلقي، أنا في قمة الهلع بالفعل". وتجلس متنهدة وسط هفهة القماش. فستانها مذهل: فستان هائش تمامًا من الأسفل، ومشد على خصرها، وبتلات هائلة من الساتان تتفتح حول صدرها، وكتفاها عاريتان. وهناك ساري أحمر مطوي بعناية على الطاولة خلفها، ومغطى بأحجار كريمة لا يحصى عددها وقد طُرز بخيط ذهبي أنيق. أمرر إصبعي برفق على حاشيته. يا لجماله.

تقول شيري حين تراني: "هذا من أجل الحفل. أليس رائعًا؟ لقد دبرت أم كريش صنعه من أجلي".

لم تبدُ بهذا الهدوء طوال اليوم. وكان يجدر بي أن أدرك أن الأزياء هي الوسيلة التي ينبغي تهدئة شيري بها.

أسألها: "ألديك شيء يمكنني استعارته لأرتديه؟".

كان ماركوس، وديب، وكيفن، وديلان خلفي يناقشون أفضل طريقة لتقييد رجل دون وجود شيء لتقييده سوى مفارش طاوولات الزفاف. ابتسم لي ديلان ابتسامة خاطفة حين رأى أنني أنظر إليه. إنه يربت على كتف ماركوس بقوة، وهي إحدى الحركات الذكورية التي يقوم بها الرجال حين لا يستطيعون الإفصاح عن مشاعرهم.

تأمل شيري ثيابي وتقول مرتعبة: "أوه، يا إلهي، أجل، لا يمكنك ارتداء هذا. ادخلي الحمام، وستجدين فيه حقيبة شهر العسل. سوف أساعدك على ارتداء شيء".

تقول مصففة الشعر: "لا"، ثم تبدو مندهشة من جرأتها المفاجئة. ولا تلبث أن تتلمل في مكانها بتوتر، وتستدرك قائلة: "أسفة. أعني فقط... أيمكنك البقاء جالسة لأنزع البكرات من شعرك؟ إذا سمحت؟".

تزمجر شيري، لكنها تعاود الجلوس: "جربي الفستان الأزرق الزاهي يا آدي. وأعطي ديب الفستان الأحمر القصير، إذا كانت تريد الاستمتاع برفيق، الليلة".

تصيح ديب بينما تختبر مدى إحكام إحدى العُقد: "موافقة. لقد وعدني كريش برجال غير مرتبطين".

ترد شيري، بينما تبدأ مصففة الشعر فك بكرات شعرها: "يوجد الكثير منهم. إنهم في كل مكان هنا - وذلك الثوب الأحمر سيكون مثل نقطة دم في الماء. أوه، لقد كان هذا تشبيهاً تصويرياً مدهشاً. من أنت، بالمناسبة؟".

يرد كيفن: "أنا كيفن. مرحباً. زفاف سعيد. وشكراً لاستضافتي".

"أوه، لا يمكن أن تكون هنا إطلاقاً، لقد تجاوزنا بالفعل الأعداد المسموح بها حسب لوائح الصحة والسلامة، وليس لدينا بالتأكيد ما يكفي من الطعام. آدي؟ هل الفستان الأزرق

مناسب؟".

لقد وصلت إلى الحقيبة في الحال. إن حجم هذا الحمام يقارب حجم غرفة المعيشة في بيت والدي، وفيه حوض استحمام له أرجل على هيئة أقدام الحيوانات أسفل نافذة هائلة الحجم. والأرضية من الحجر الرمادي. وحقيبة شيري متروكة بجوار الدش، مائلة على جانبها. وهي كبيرة لدرجة أنها تتسع لكي أدخل فيها بكل سهولة وأسافر معهما إلى تايلاند في شهر العسل.

أسمع كيفن يهمهم مخاطبًا شخصًا خارج الحمام: "هل من المفترض أن أغادر؟".

تقول ديب: "كلا، لا أعتقد أنها تقصد ما قالت. حاول فقط ألا تلفت الانتباه. ضع قبعة على رأسك أو أي شيء من هذا القبيل".

تنادي شيري: "ما الأخبار يا آدي؟".

أصبح مجيبة وأنا أفتش في الحقيبة: "لحظة واحدة!".

أتحجر في مكاني حين أصل إلى الفستان الأزرق. إنه ليس مجرد فستان أزرق، إنه... فن. حمالات كتف رفيعة، من الساتان. وهو من طراز فيه شيء من التسعينيات - يذكّرني بالفستان الذي كانت ترتديه جوليا ستايلز في فيلم 'عشرة أشياء أكرهها فيك'.

أخلع عني فستاني الأبيض وأرتدي الفستان الأزرق. ربما يكون من الصعب أن ترتدي شيري هذا الفستان بسبب تفصيلته الضيقة عند الخصر، لكنه ينزلق على انحناءات جسدي بكل يسر. أحب ذلك. إنه يصل إلى كاحلي أيضًا؛ أي أنه سيكون متوسط الطول إذا ارتدته شيري.

وتنادي شيري في الخارج قبل أن أسألها: "انتعلي الحذاء الفضي رفيع الأشرطة!".

أنتعله بصعوبة، محاولة ألا أستخدم يدي المصابة. هذا الحذاء ضخم جدًا بالنسبة إليّ وسيؤلمني أشد الألم، لكنني لا أحفل بذلك الآن. أشعر بأنني شرسة ومتألقة وجميلة. وكان الأمر سيكون مثاليًا بلا شك لو كان لديّ الوقت للاستحمام، لكن لا يهم.

أفتح باب الحمام في اللحظة التي يطرق فيها شخص باب جناح العروس. نتجمد جميعًا في أماكننا. تلتقي عينا ديLAN بعينيّ، ويضطرم الهواء بيننا. أتذكر ما شعرت به، ذلك الصيف، في فرنسا. وأكاد أحس بشمس بروفانس، وأسمع أصوات صراخير الليل. عينا ديLAN تبثان نارًا. إنه ينظر إليّ، ليس كأنه لم يرني من قبل، وإنما كأنه لم يرَ أي امرأة من قبل.

ينادي رودني خارج الباب: "شيرري! افتحي الباب يا شيرري أرجوك!".

يتحول ديLAN بعينه بعيدًا عني، بينما تنهض شيرري، وتدخلنا جميعًا الحمام. أعود إلى الداخل لأفسح مكانًا للجميع، وتقفل ديب الباب خلفها. قلبي ينبض بسرعة رهيبة. لا أعرف ما إذا كان ذلك بسبب المترصد خارج الغرفة، أم بسبب وجود ديLAN في هذه الغرفة. لا أحتاج إلى النظر إليه لأشعر بالانجذاب بيننا. وتلك الصلة التي لم تنفصم حقًا قط.

يقول رودني متوسلاً عبر الباب: "تحدثي إليّ يا شيرري. دعيني أدخل أرجوك!".

نتجمع كلنا قرب الباب. حتى ماركوس يبدو جادًا. ديب وكيفن واقفان بيني وبين ديLAN الآن، لكنني ما زلت أشعر بنظرته مصوبة نحوي ونحن نميل واضعين آذاننا على الباب منصتين.

تفتح شيرري الباب ليدخل رودني الغرفة.

تقول: "ينبغي حقًا ألا تكون هنا".

يجيبها: "وكيف أكون في أي مكان آخر؟".

يد ديLAN على مقبض الباب، مستعدًا لنخرج كلنا فجأة.

ويتابع رودني: "لن أذهب إلى أي مكان قبل أن تدركي أن هذا الزفاف خطأ يا شيري!".

لقد زاد الأمر على حده تمامًا، كأنما يحسب نفسه في مسرحية. ولا يدهشني أن أسمع شيري تضحك.

وتقول له: "رودني. أرجوك. ما الذي يدعوك إلى هذا الاعتقاد؟".

"هل يسعدك حقًا؟ هه؟".

تجيبه شيري بجديّة أكبر الآن: "ما من أحد في الدنيا أسعدني مثلما يسعدني كريش. إنه كل شيء بالنسبة إليّ. لم أغرم بإنسان هكذا قط. وأنا لم أحبك قط يا رودني".

أسمع صوت حركة. نتأهب جميعًا. أعتقد أنها مضت إلى الباب وفتحته ليخرج، ربما.

يقول رودني بيأس لا يوصف: "إننا ينتمي كل منا إلى الآخر يا شيري! إننا مثل... مثل ديLAN وأدي!".

أجفل لدى سماع ذلك. وينظر الجميع إليّ.

ويواصل: "لقد خسر ديLAN أدي، لكنه لم يستسلم، واستعادها مرة أخرى".

يخيم الصمت برهة طويلة لدرجة مؤلمة.

وتقول شيري: "إن ديLAN لم يخسر أدي حقًا قط يا رودني. وأنت لم تفز بي حقًا قط. لسنا في الوضع نفسه".

فيرد رودني: "لن أتركك تفعلين ذلك. سوف... سوف... سوف أقف هنا في مدخل هذا الباب! إلى الأبد!".

فتقول ديب بصوت عالٍ: "أوه، ما هذا كلام الفارغ. لا وقت لدينا لهذا الهراء".

وتفتح الباب فنخرج منه جميعًا مندفعين.

يصيح رودني ونحن ننقض عليه: "ما هذا!". ويمسكه ديLAN من إحدى ذراعيه، وكيفن من الأخرى.

ويقول ماركوس وهو يمد يده ساحبًا الكرسي: "هيا يا رودني، فلتجلس هنا".

فيسأل رودني: "ماذا تفعلون؟".

فتجيبه ديب: "نقيدك".

"ماذا!".

يبدأ رودني يقاوم. إنه قوي على نحو غير متوقع. نتحرك أنا وديب وماركوس لنساعد ديLAN وكيفن. لا أشكل فارقًا كبيرًا في الحقيقة. وأشعر بأنني أشبه ذلك الشخص الزائد على الحاجة الذي يشارك في نقل الأثاث، فيمسك أحد الجوانب دون أن يحمل أي وزن حقًا.

وبطريقة ما، ومع الكثير من الصيحات والسباب والركلات واللكمات، نرغم رودني على الجلوس ونقيده.

يقول وهو يخفض بصره محدقًا إلى معصميه وكاحليه المقيدين مذهولًا: "لا أصدق أنكم فعلتم ذلك. هذا سخيف تمامًا!".

فيرد ماركوس وهو يُحکم شد عقدة على كاحل رودني الأيسر: "قوية، أليس كذلك؟ لم أفعَل هذا من قبل".

ويقول رودني وهو يحاول تحرير معصميه: "ماذا لو صرخت وجاء شخص لينقذني؟".

فترد ديب: "هممم، سؤال في محله. أيجدر بنا أن نكلمه؟".

نحدرق إليها جميعًا.

ويسارع رودني قائلاً: "لن أصرخ. سأجلس هنا فقط".

يقترح كيفن عليه قائلاً: "يمكنك الاستماع إلى كتاب صوتي. فهذه الكتب تساعد حقًا على قتل الوقت خلال الرحلات الطويلة".

وتقول شيري متأملة رودني: "إنه ليس شريراً مخيفاً تماماً، أليس كذلك؟". كانت قد بقيت بعيدة عن المعركة لتحمي فستانها. وترد: "إذا كنت سأختار رجلاً ليمنعني من الزواج في يوم زفافي، فلن أختار رودني. لا أقصد أي إهانة يا رودني".

يبدو رودني مجروح الكرامة، ويقول: "ما زلت أحبك". ثم يضيف ناظرًا إلى كاحليه المقيدين: "مع أن حبي ربما يكون قد صار أقل الآن".

تضربه شيري على رأسه وتقول: "أنت لا تحبني يا رودني، وإنما لديك بعض المشكلات التي ربما عليك معالجتها حين ينتهي كل هذا. ماركوس، فلتنزل له كتاباً صوتياً. إن هاتفه في جيبه، واحرص على أن تتركه بعيداً عن متناوله. هل كل شيء على ما يرام؟ آدي؟ يستحسن أن أذهب لأقابل الموثق".

أقول لها: "انتظري"، وأتناول قلمًا وورقة عن منضدة الزينة وأكتب تنبيهاً.

' ممنوع الدخول! هذه الغرفة مخصصة للعروس والعريس '، وأرسم وجهًا يغمز.

وأقول لها وأنا ألصقها على الباب من الخارج: "لا نريد أن يكتشف أحد الرهينة في الداخل. هيا. انهبي وتزوجي الآن". وأقبلها على خدها.

تبتسم لنا جميعًا، ثم تلاحظ مصففة الشعر تحدرق إلينا من ركن الغرفة.

هممم. نسينا مصففة الشعر.

وتقول شيري وهي تبتمس لها ابتسامة مشرقة: "آسفة. هكذا هم الأجابة السابقون دائماً، كما تعلمين".

# ديلان

يقيم كريش وشيري حفل زفافهما على سطح القلعة؛ الأسوار مزينة بشلالات من الزهور المنظمة تنظيمًا معقدًا، ومن خلفها تمتد سماء لازوردية لا نهاية لها. وتلامس الريح الساتان اللامع لفستان شيري حين يقودها والدها في الممر، ووجهه مفعم بالعواطف. يبتسم باكيًا في وجه كريش حين يقبلُ خد شيري ويتركها، لكن كريش لا يرى ذلك، فعيناه مصوبتان إلى شيري، وقد اتسعتا وأشرفتا؛ لشدة ذهوله. إنه يحبها مثلما أحب آدي، وهذا بارٍ على وجهه بكل جلاء.

قرر كريش وشيري إقامة نسخة مختصرة ومعدلة من الزفاف الهندي التقليدي. فهناك نار صغيرة موضوعة بعناية داخل دائرة من الصوان في نهاية الممر، تحت قوس طويلة من الخضرة والأزهار، ويترجم المعلم كل ما يستطيع ترجمته من السنسكريتية إلى الإنجليزية بينما يُلقى الأرز المحمص والتوابل في النار البرتقالية.

أبكي كالأطفال حين يُميل كريش رأسه بوقار، وتضع شيري إكليلاً من الزهور الزاهية حول رقبتة، ثم تميل رأسها ليفعل هو الآخر مثلما فعلت. وحين تنتهي الجولات الاحتفالية، يُربط معصاهما بشريط من الحرير الأحمر، والدموع تتساقط من ذقني.

تهمس لي آدي وأنا أمسح خدي: "أنت رومانسي لدرجة ميئوس منها".

أفتح فمي لأرد.

لكنها تقول: "أنا سعيدة جدًا لأن هذا لم يتغير"، وأحس بذلك الانفجار الناري في صدري مرة أخرى. القصيدة التي بدأتها قبل أن نقطع ما يزيد على ستمائة كيلومتر لا تزال تتشكل، وحين تبتسم لي آدي، أقرر أن الكلمات ' لم تتغير وتغيرت ' ستعود وتكرر بوصفها نعمة

قصيرة، كأنها جملة موسيقية متكررة، مثل أمنية يتمناها المرء كلما أطفأ الشموع أو فقد رمشًا.

كان عشاء الزفاف وليمة من عدد لا يحصى من أنواع الكاري، وكانت الحلويات مكدسة على طاولات بالغة الجسامة كأنها درر تفيض بها صناديق الكنوز، متراسة بتوازن في أكوام لا حصر لها: حلوى المانجو وحلوى التين مكومة بجوار كمأ الفراولة وجرار صغيرة من الشيكولاتة البيضاء المخفوقة بالغة الخفة. كم كان مضحكًا أن تظن شيري أنه لن يبقى من الطعام ما يكفي كيفن.

طاولتنا هي الأكثر صخبًا بلا منازع، بفضل كيفن في المقام الأول. فقد كان يتبع ديب في الساعات القليلة الأولى بعينين متلهفتين؛ وبعد ذلك جرى تقديمه إلى عمي تيري، وما لبث كلاهما أن دخلا في صداقة حميمة قوية ومفاجئة تمامًا. نُسيت ديب كليًا؛ تيري وكيفن يشربان معًا ويربت كل منهما على ظهر صاحبه، متضاحكين بصوت شديد الصخب لدرجة أن ماركوس لم يحتمله. وأنا واثق تمامًا بأن تيري لم يكن من المفترض أن يكون على طاولتنا، لكنني لا ألبث أن أدرك أن كيفن أيضًا لم يكن يفترض وجوده من الأصل - من الواضح أن خطة الجلوس المنظم بدقة فشلت.

الأجواء كلها تسر القلب. لكنها لا شيء حين تقارن بوجودي قرب آدي. إنها جالسة أمامي على الجانب الآخر من الطاولة، لكن أعيننا لا تنفك تلتقي عبر الطاولة المركزية الضخمة، وكلما حدث ذلك اشتعلت شرارة صغيرة في معدتي، كما لو كانت أيدينا تتلامس، لا أن أحدنا ينظر في عيني الآخر فحسب. أنا مستغرق كل الاستغراق في التحديق إليها عبر الطاولة لدرجة أنني لا ألاحظ اقتراب شيري إلا حين تلوح بيدها أمام وجهي.

تقول: "مرحبًا! العروس هنا!".

أدور ناظرًا إليها وهي تميل بجانبني، وأقول: "أوه، آسف، أهلاً. لقد تزوجت".

"أعرف! هذا جنوني! لكن مهلاً، هل رأيت أخاك؟".

كنت قلقًا على لوك أيضًا: "كلا، ولا خافيير".

تفكر شيري قليلاً وتقول: "هاه! ربما أرسلنا رسالة - إن هاتفني في جيب كريش".

أتفقد هاتفني - لم يصلني أي شيء من لوك، مع أنني اتصلت به أكثر من مرة حتى الآن. أتجهم.

تقول شيري: "أيمكنني أن أطلب منك معروفًا؟".

أجيبها وأنا أعيد هاتفني إلى جيبني: "بلا شك، قولي فقط ما هو".

"أيمكن أن تذهب أنت وأدي لإحضار الساري وبدلة كريش؟ إنهما في الغرفة التي قيدنا فيها رودني، وكنت قد أخبرت كريش بأننا قيدنا مترصدًا في تلك الغرفة، فأصبح غيورًا فجأة على نحو مفرح، وقال إنني غير مسموح لي إطلاقًا بدخولها. لكننا نحتاج إلى تغيير ملابسنا وارتداء ملابس السهرة، ونحتاج إلى مهلة كافية؛ لأنني لا أستطيع ارتداء ذلك الساري دون مساعدة أم كريش".

أقرر ألا أشير إلى أن إحضار قطعتي ملابس من الغرفة لا يُعد مهمة تحتاج إلى شخصين، وبدلاً من ذلك، أميل نحو صديقتي وأطبع قبلة على جبينها.

وأقول لها: "أجل، أشكرك".

فترد شيري قائلة وهي تغمز لي: "لا داعي للعجلة. أوه، ربما يمكنك أن تأخذ بعض الطعام لرودني. ماذا؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟ ولا بعض الحلوى كذلك؟".

أجيبها: "عليك أن تحسني على أمر اعتقال للرجل، وليس أن تقدمي إليه الحلوى"، فتنهض.

وتقول: "لا أحد غير قابل للإصلاح يا ديLAN"، وتمد يدها لتعبث بشعر ماركوس وهي تنهض واقفة. وينتفخ فستانها من حولها.

يقول ماركوس وهو يميل إلى الخلف: "معذرة! لا تساوي بيني وبين ذلك الكائن البشري دائم الاعتذار".

فترد شيري بمرح ملتفتة بوجهها من فوق كتفها وهي تمضي إلى الطاولة المجاورة: "أنت على حق، كنت ستصبح مترصدًا مخيفًا وأكثر جاذبية كثيرًا. أكثر جاذبية وأكثر سُكرًا. هذا أفضل كثيرًا!".

يعبس ماركوس ويغوص في مقعده حين يجد الضيوف من حولنا ينظرون إليه باهتمام، ويقول: "يا للمهزلة".

وتميل ديب نحوه عن جانبي الآخر.

وتقول وهي تختطف من طبق ماركوس آخر قطعة من حلوى الشيكولاتة: "مرحبًا بك في النظام المعياري للأخلاق يا عزيزي".

أنظر عبر أرضية حفل الزفاف باحثًا عن لوك وخافيير - وأمي، حين أتذكرها. لكنني أرى بدلاً من ذلك امرأة ترتدي فستانًا أصفر فاتنًا، وتشق طريقها نحونا من طاولة أخرى يجلس حولها أصدقاء آخرون لشيري؛ شعرها مصبوغ باللون الأرجواني الفاتح، وفستانها دون حمالات يكشف عن وشم وردة على كتفها. إنها جريس.

يقول ماركوس: "إنني أشعر..."، ويعض على شفته.

أقول: "بالذنب؟".

فيقول: "أف".

أقول: "بالخزي؟".

فيرد وهو يفرك وجهه بيديه: "كفى. إنك تتكلم مثل طبيبي النفسي. ما الفائدة من هذه المحاولة الإصلاحية؟".

ألقي نظرة أخرى إلى جريس. لقد خاضت رحلتها الخاصة هي الأخرى على مدى العامين الماضيين. قضتهما في إعادة التأهيل، واليقظة الروحية، وكسرة قلبها. لقد غيرتها تلك الرحلة. انتهت المرأة التي تفسد اللحظات النادرة التي تشعر فيها بالكمال؛ لن ترضى جريس مرة أخرى أبدًا بأقل من قلب الرجل الذي تحبه تمامًا.

لكنها لا تزال جريس - لا تزال فاتنة على نحو مرهف، ولا تزال حادة جدًا نوعًا ما، ولا تزال أذكى من بقيتنا مجتمعين. وعيناها مصوبتان إلى ماركوس، كدأبهما دائمًا، حتى حين حاولت إنجاح علاقات عاطفية أخرى. حتى حين كانت عينا ماركوس منجذبتين أغلب الوقت إلى آدي. لم تتوقف قط عن النظر إليه بهذه الطريقة. لم تياس منه قط، ليس تمامًا.

يقول ماركوس أمرًا: "ديلان؟ أجبني. ما الفائدة؟".

أجيبه: "أعتقد أنك، إذا كنت محظوظًا جدًا، فربما ستعرف قريبًا".

# آدي

أقول وأنا أدور حول نفسي: "لقد كنا في هذا الممر من قبل. أتذكر هذه اللوحة".

وأشير نحو صورة رجل عجوز يضع تاجًا على رأسه داخل إطار على الجدار.

يميل ديلان رأسه: "حقًا؟ أنا متأكد من أن هذا هو الدوق جون أوجونت، وأعتقد أن الآخر كان ريتشارد الثاني".

أرد ضاحكة: "لقد نسيت أنك تعرف الكثير من الأشياء. حسنًا، إلى اليمين أم اليسار؟".

يقول ديلان وهو يمضي بالفعل إلى الممر عن يسارنا: "أؤكد لك أنها معرفة عديمة الفائدة. إلى اليسار".

أبتسم. وينتبه إلى التعبير البادي على وجهي.

يسألني: "ما الأمر؟".

أجيبه: "قبل عامين كنت ستطلب مني أن أقرر"، بينما نسير في ممر أوقن أننا سرنا فيه من قبل. وليس معنى ذلك أنني أشتكى. فأن نتوه الآن أمر مثالي تمامًا.

يقول ديلان وهو يتوقف بجانبني: "دائمًا ما دفعيني لكي أتخذ قراراتي بنفسى. ولم ألاحظ ذلك إلا بعد أن افترقنا".

تلامس يده يدي، فأنتهز الفرصة لأشبك أصابعي في أصابعه. إن إمساك كل منا يد الآخر هو أقصى ما وصلنا إليه حتى الآن، كأننا مراهقان في الصف السابع. تجعلني هذه الفكرة أبتسم. إنه يبدو شديد الوسامة - استعاد هو وماركوس بدلات السهرة من السيارة حين

أخذنا المفاتيح من رودني، وكانت رؤية ديLAN وهو يرتدي بدلة سهرة تعبت بمخيلتي على نحو خطير.

ويقول ديLAN وهو يمرر إبهامه على ظاهر يدي أثناء سيرنا: "قبلك، كان لديّ دائماً أبي أو ماركوس. كان لديّ من يخبرني بما يجب فعله". لا يمكن أن نسير أبطأ من ذلك - من الواضح أنه ليس حريصاً مثلي على توصيل حلوى الشيكولاتة هذه إلى رودني.

أسأله: "والآن؟".

فيرد ساخراً: "الآن لديّ معالجي النفسي ليخبرني بما يجب فعله"، ويضحك، ثم يستدرك: "لا، لقد أوشكت أن أبلغ مرادي. لقد بنيت لنفسي حياة جديدة. إنني أعمل على رسالة الماجستير، وانتقلت إلى شقة ميكروسكوبية في شارع كوبر".

لقد تساءلت مرات عديدة عن المكان الذي يعيش فيه. وتخيلت أن أصادفه في حديقة قصر الأسقف أو وهو يتناول شراباً في مقهى فخم. وفكرت فيما سأشعر به إذا وقفت في الغرفة معه مرة أخرى، وتساءلت عما إذا كنت سأتمكن من فعل ذلك دون أن انفجر باكياً.

أقول: "أريد أن أعرف كل شيء عن أطروحتك. هل سأفهم عنوانها؟".

يبتسم قائلاً: "أتمنى ذلك، وإلا فسأكون قد فشلت فيها. إنني أكتب عن فكرة السعي في قصيدة ملكة الجن لسبنسر، وفي أعمال فيليب سيدني، عن الأسفار. أوه، هذا هو الباب!".

يشير ديLAN إلى باب عليه ملاحظة مكتوبة بخط يدي. لقد استطعنا على نحو ما أن نصل إلى حجيرة الاستعداد للعرس. نتردد قليلاً خارج الباب، ويرمقني ديLAN بنظرة من عينيه.

يسألني: "ألا تريد أن نتكلم... دقيقة؟ قبل أن ندخل؟".

توجد أريكة تحت النافذة عن يسارنا، إنها مقعد للمحبين. نجلس معاً، وكل منا يوجه ركبتيه نحو الآخر. لا أترك يده.

يسعل ديلان ويقول: "أريد أن أسأل...". إنه ينظر إلى أيدينا المتشابكة، وركبة كل منا تلمس الأخرى برفق. ويتابع: "أن أسأل عما إذا كنت قادرة... إذا كنت تريدين أن تخبريني... عما حدث بعد أن رحلت، بعد أن انفصلنا...".

تبدأ الدموع تلهب عيني، وأتحكم في أنفاسي بعناية، لكن قلبي ينبض بسرعة شديدة بالفعل.

يسارع ديلان قائلاً: "أنا آسف. كل ما في الأمر... أنني أريد منك أن تعرفي أنني أريد التحدث عن الأمر. متى كنت تشعرين بأنك مستعدة. وأني كنت أموت ألماناً لأنني لم أكن بجانبك في تلك الفترة، وأنا..."، وينظر إليّ بقلة حيلة ويكمل: "أنا آسف".

أجيبه وأنا أضغط على يده: "أعرف. لقد تركت المدرسة. أعتقد أن هذا شيء متوقع. ولديّ وظيفة جديدة الآن - أتعرف مدرسة البنات الواقعة على طريق فيشبورن؟ أجل، هناك. إنها جيدة، كما تعرف. وأنا بخير هناك"، وأبتسم: "لم أكن كذلك في البداية، لكنني كذلك الآن".

يقول ديلان وهو يضرب ركبتي برفق بركبته: "لم تكوني لتقولي ذلك قبل عامين".

أجيبه برزانة: "حسناً، لديّ هذه الأيام كوب مكتوب عليه 'أفضل معلمة في العالم' لأثبت ذلك. وقد حاولت أن أواعد شخصاً. اسمه جيمي - أحد المعلمين من مدرسة باروود".

أكره حين يتهدج صوتي وأنا أنطق اسم مدرسة إيتيان، وأواصل الكلام وأنا أشعر بوجهي يلتهب. وديلان متجمد في مكانه.

"كانت تجربة... فوضوية. كان اختياراً غريباً - معلم آخر من مدرسة باروود - لا أدري. لا شك في أنه كان هناك شيء غريب يحدث في عقلي حينئذ. وكان يعلم بما حدث لي - لا أعرف كيف، لكنه كان يعلم".

يقول ديلان بهدوء: "لقد رأيتُ إيتيان حين قبضوا عليه. لكنك لم ترفعي قضية؟".

أجيبه رافعة حاجبي: "لا، لقد حاولت. قالت الشرطة إنه لا توجد أدلة كافية. لكن بالنسبة إلى مويرا فقد كانت الأدلة كافية لتحرص على التخلص منه. لقد كانت... كانت طيبة معي".

يسأل ديLAN بصعوبة: "وماذا عن... جيمي؟".

أضغط على يد ديLAN وأقول: "كان لطيفًا. لكن لم يكن هناك أي... لم تكن العلاقة لتتطور بأي شكل. وتبين أن الدخول في علاقة عاطفية... بعد ما حدث...".

تلهب الدموع عيني مرة أخرى. يقترب ديLAN قليلاً، بتردد، ثم يلف ذراعه حولي وأميل مستندة إلى كتفه. وأضحك بارتعاش.

وأقول: "لنقل فقط إن الأمور لم تعد كالسابق".

يضغط عليّ بذراعه على نحو تشنجي تقريبًا، كأنما يؤلمه أن يسمع ذلك. نزل جالسين برهة. ويتنفس محاولاً تهدئة نفسه.

ويقول: "حسنًا، لقد بدأنا في المرة السابقة بممارسة العلاقة، أليس كذلك؟ ربما هذه المرة..."، ويمسك عن الكلام حين يدرك ما قال.

أرتد إلى الخلف لكي أستطيع النظر إليه. وأرى لديه تلك الثنيات الصغيرة حول عينيه التي تعني أنه يشعر بالحرج، فأبتسم.

أقول: "هذه المرة؟".

يجيبني بصوت خفيض: "لم أقصد أن أستبق الأمور. لكن... يا آدي...".

يغزوني الاضطراب. ويرفع يده بتلك الطريقة التي أعرفها جيدًا، مبعداً شعره عن عينيه، مع أن شعره الآن قصير ولا يمكن أن ينسدل على عينيه.

يقول متعجلاً: "آدي، هل ستفكرين في الأمر؟ سأفهم إن لم ترغبين... لكن... إنني لم أتوقف عن حبك. لم أتوقف عن حبك، ولا أعتقد حقاً أنني قد أتوقف في يوم من الأيام؛ لأنني حاولت بكل الطرق أن أجعله يزول، ولم أقدر قط على التوقف. وأفهم موقفك كل الفهم إذا لم تستطيعي أن تعودتي معي بعد ما فعلته. لكنني أريد بشدة أن تعرفي أن إخباري إياك بأنني لن أستمع إليك بشأن ما حدث في ذلك اليوم كان أسوأ شيء فعلته على الإطلاق يا آدي، وهو أكثر شيء أكرهه تماماً في نفسي، وأنتك لو منحتني فرصة أخرى، فلن أترك مرة أخرى أبداً. سأستمع إليك دائماً. ولن أدير لك ظهري أبداً. أقسم على ذلك".

أستغرق وقتي في استيعاب ما قال. وأغمض عيني فحسب، وأسمع الكلمات التي يقولها، والعرشة في صوته. والطريقة التي تتمسك بها يده بيدي كأنه لن يفلتني أبداً.

أهمس له بصوت خافت لدرجة أنه ينحني مقترباً ليستمعني: "سينبغي لك أن تثق بي. وسينبغي لي أن... أكتسب تلك الثقة".

يقول على الفور: "أنا أثق بك"، لكنني أهز رأسي.

وأقول: "سأشرح لك. إنني لم... إن ما حدث مع إيتيان... أعني، ما حدث قبل..."، آخذ نفساً مرتعشاً ومضطرباً: "المغازلة والرسائل. كان ذلك سلوكاً غيبياً تماماً. أعتقد أنني كنت خائفة من السطوة التي كانت لديك عليّ. حبي الشديد لك، وألمي الشديد حين اخترت ماركوس. كان إيتيان مجرد مهرب ودليلاً على أن هناك شخصاً آخر يريدني. كان الأمر...".

يقاطعني ديLAN وهو يشدني إليه: "كان ذلك في الماضي، ونحن في الحاضر".

أبكي عندئذ، ووجهي مدفون في القطن الصلب لياقته وفي دفء بشرته. يضمني إليه، وشعوري بذراعيه تحيطانني يكاد يكون فوق احتمالي.

يقول لي صوت داخل عقلي: 'ينبغي ألا أتركه يراني في هذه الحال'. لكنني قطعت رحلة طويلة، العام الماضي. وأعرف أنه يجدر بي ألا أستمع إلى ذلك الصوت.

أقول بعينين دامعتين: "أحبك. وقد أحببتك حتى حين كرهتك. أحببتك حتى حين أردت أن أفعل أي شيء آخر. ديلان، لا يمكنني... " وأبكي على كتفه: "لا يمكنني احتمال فكرة أن تكون معي، أن يكون لدينا هذا، أن نكون معًا... لا يمكنني العيش إذا انتهى ذلك مرة أخرى".

يضمني بقوة أكبر: "لن نسمح بحدوث ذلك إذن".

أقول له بصوت غيَّرتَه الدموع: "لست... لست الشخص الذي كنت عليه. أنا الآن مختلفة تمامًا".

يقول: "وأنا أيضًا. أو هذا على الأقل ما أتمناه. سيتعرف كل منا على الآخر من جديد إذن. سنتواعد. وسأخذك لتتعشى معًا. ولن يكون الأمر كالسابق، لأنني أعيش في فقر مدقع الآن، وهذا سيكون أمرًا جيدًا".

أنا أضحك حقًا الآن، أرد ظهري إلى الخلف؛ لأن هناك خطرًا بأن ينزل من أنفي مخاط على بدلة السهرة. ينزع ديلان المنديل الذي لفناه حول حلوى رودني ويناولني إياه. أخذه ممتنة.

يقول ديلان وهو يحرك رأسه إلى الجانب: "أتسمعين شخصًا يتحدث؟".

أتوقف منصتة. إنه محق: هناك صوت هادئ صادر من داخل حجيرة الاستعداد للعرس. أنهض واقفة، وأمضي إلى الباب لأسمع على نحو أفضل.

أسمع الصوت: "وإن كان البحر، دائم الأمواج، يلتهم اليابسة..."

يأتي ديلان ليقف بجواري، وتلوح على وجهه ابتسامة.

أهمس: "ماذا؟".

يرد هامسًا: "إنه الكتاب الصوتي. لقد اختار له ماركوس أسوأ كتاب استطاع أن يفكر فيه".

"وما هو؟".

يقول ديLAN مبتسماً: "ملكة الجن. إنه يستمع إلى ملكة الجن".

أميل لكي أسمع سطرًا آخر...

"لأنه ما من شيء ضائع لا يمكن العثور عليه إذا بُحث عنه".

# ديلان

رودني في حالة معنوية جيدة تمامًا، بالنظر إلى وضعه، مع أنه في حاجة ماسة إلى ما قد تسميه ديب 'استراحة لدواعي اليأس الشديد'. وحين تفقدنا أسيرنا وقابلنا شيري وكريش في جناح العروسين لنعطيها الملابس التي طلبها، مضيئا، أنا وآدي، مرة أخرى إلى القاعة الرئيسية عبر متاهة من الممرات، بينما أصابعنا لا تزال متشابكة.

لم يترك أحدنا الآخر تقريبًا، طيلة اليوم. لن أخطئ مرة أخرى أبدًا، وأعدُّ شعوري بأن آدي جيلبرت ممسكة يدي أمرًا مفروغًا منه.

وحين وصلنا إلى طاولتنا، وجدت جريس جالسة في مقعدي، وتميل نحو ماركوس، الذي كان يتحدث وعيناه مصوبتان إلى الأرضية، ويبدو عليه عدم الارتياح. نتمهل أنا وآدي لحظة، نشاهدهما قبل أن ينتبها لنا. إنه لمن الرائع أن أرى جريس في صحة جيدة مرة أخرى - فمنذ عام لا أكثر، لو كانت جريس جالسة هكذا، لكنت رأيت النتوءات الحادة لعمودها الفقري.

تقول آدي بهدوء: "أتظن أنه يعتذر لها أيضًا؟".

"أتمنى ذلك".

"أعتقد أن... ماركوس وجريس...؟".

"لا أعرف. لا أعرف إن كان مستعدًا بعد أم لا، أنت تعلمين... أو إن كان يستحقها". أنظر بطرف عيني إلى آدي، حين أدرك فجأة أنني أتحدث عن امرأة كانت لي بها علاقة، وهي معنا هنا، لكنها تومئ مؤيدة، وجبينها متجدد على نحو يجعلني أرغب في تقبيل تلك المساحة بين حاجبيها.

تنتبه إلينا جريس عندئذ؛ تنهض وتعانق آدي أولاً - تقول لها: ' تبدين فائنة يا حبيبتي ' -  
وتصيح كل منهما حين تتأمل فستان الأخرى وشعرها الجديد، ويدخلان في محادثة  
حميمة كأنهما صديقتان افترقتا منذ مدة طويلة.

تقول جريس وهي ترجع رأسها إلى الخلف ضاحكة: "أوه، كتابي؟ لقد أحرقتة. حرفياً".

ترد آدي وقد اتسعت عيناها: "أحرقتة؟ لكنك كنت تعملين على ذلك الكتاب... طوال الفترة  
التي عرفتك فيها! لقد قلت لي إنني مذكورة في الفصل السابع منه!".

تمد جريس يدها لتضعها على خد آدي وتقول: "أدليلين. إنك تستحقين أن تكوني الفصل  
الأول".

تبدأ آدي الضحك: "كيف تستطيعين جعل كل ما تقولينه يبدو عميقاً؟".

ترد جريس بابتسامة فاترة: "هذا بسبب التعليم الباهظ. لكن كان لا بد من التخلص من  
الكتاب. لا أقول إنني لن أكتب كتاباً آخر أبداً، لكن ذلك الكتاب لم يكن عن صيف حياتنا  
حقاً. كان كله يدور حول رجل. وحينما أدركت ذلك، لم أستطع ببساطة أن أحتمل النظر  
فيه".

تجذبها آدي بعيداً عن الطاولة، إلى حيث يغني تيري الآن ما يبدو كأنه نوع من الأهازيج  
البحرية مع كيفن.

وتتابع جريس: "لقد حاولت إعادة كتابته، والبدء فيه من جديد، حاولت كل شيء، لكنه ظل  
يدور حول هذا الرجل".

وترفع ذقنها قليلاً في اتجاه ماركوس.

فتقول آدي: "آه، فهمت".

تقول جريس متنهدة: "بالضبط. وهو بلا شك لم يستحق تأليف كتاب كامل عنه، أليس كذلك؟ لذا أحرقتة. رأيت أن ذلك قد يساعدني على..."، وتشير بيدها نحو صدرها.

فتكمل آدي مستفهمة: "في التخلص من حبك إياه؟".

فتجيبها جريس بشيء من الأسى: "أجل. ذلك ما قصدته. لأنني سئمت تمامًا من التعلق  
برجل ليس في الحقيقة سوى أحرق كبير".

تنفجر آدي ضاحكة: "وهل أخبرته بذلك؟".

فترد جريس: "كنت في الحقيقة عازمة تمامًا على ذلك، لكنه اعتذر. إنه ماركوس. عليّ أن  
أعترف لك يا آدي، لقد تخيلت هذه اللحظة مرات لا تحصى ولا تعد، وبعد ذلك، وحين  
فقدت كل أمل...".

تسألها آدي: "أتمنين الآن لو أنك لم تحرقى الكتاب؟".

ترد جريس رأسها وتضحك، ثم تقول بحزم: "كلا، كلا بالتأكيد. أنا امرأة مختلفة تمامًا الآن،  
وإذا أراد أن يلعب دور البطولة، فعليه أن يخضع لتجربة أداء".

تبتسم لها آدي وتقول: "لقد افتقدتك"، وأبتسم، لأن تلك الصراحة، وتلك العاطفة الخالية  
من كل تحفظ، شيء جديد عليها - أو بالأحرى جديد عليّ.

ترد جريس: "وأنا افتقدتك يا فتاتي العزيزة. وماذا عنكما؟"، وتنظر إليّ عندئذ: "لقد حسبت  
أن ما بينكما انتهى، لكن... إلأم وصلتما الآن؟".

تعض آدي على شففتها. أشبك أصابعنا بقوة أكبر.

وأقول: "إننا في الفصل الأول".

لا أسمع رد جريس بسبب صوت شخص يقترب من مكبر الصوت - فينطلق ذلك الصغير الحاد المزعج - فيطغى على صوت جريس، لكن ابتسامتها تعبر عن كل شيء. هناك فرقة موسيقية من اثني عشر عازفًا أخذة في الاستعداد، وتُرفع الطاولات القريبة من ساحة الرقص بواسطة جيش من الخدم الذين يرتدون ثياب الزفاف؛ يتمكن وصيف كريش من إيقاف صفيير مكبر الصوت بما يكفي ليعلن أن وقت الرقصة الأولى قد حان.

تنضم إلينا ديب ونحن نقرب من ساحة الرقص. تمد يدها بالهاتف نحو آدي؛ هناك صورة لرايلي على الشاشة، يبتسم كاشفًا عن فمه الخالي من الأسنان، بينما تتسع عيناه البنيتان. إنه جميل جدًا؛ عليّ أن أحاول جاهدًا كبح موجة الرغبة العارمة في الإنجاب. وأذكر نفسي بعدم التسرع. لم أكن بارعًا في ذلك، على وجه التحديد.

تقول ديب لآدي: "لقد أنهيت مكالمة فيديو في الحال معه ومع أبي. لقد اشتريا له كرسيًا هزازًا سخيًا، كلفهما مبلغًا طائلًا بلا شك. إنهما يفرطان في تدليله".

تبدى شيئًا من عدم الرضا، لكنها فرحة، بالطريقة التي تبدو على الناس حين لا يكونون مسرورين فحسب، وإنما يطفحون سرورًا. وأدرك أنني سأقابل رايلي - سأكون جزءًا من حياته، وحياة ديب، وسأعرف كل الجوانب الجديدة في حياة آدي.

ينادي صوت من خلفنا: "ديلان؟".

تنطلق الموسيقى حين ألتفت. الأغنية التي يرقص كريش وشيري رقصتهما الأولى على أنغامها هي أغنية شانيا توين 'دائمًا وأبدًا' - لا يسعني إلا أن أفكر في أن كريش اضطر إلى التخلي عن الجدل حول تلك الأغنية، وترك شيري تقرر.

أجد لوك وخافيير خلفي. يبدو عليهما أنهما جاءا متعجلين، ووجه لوك يبدو عليه الاحمرار.

يقول لوك بهدوء وهما يندسان إلى جانبنا ليشاهدا الرقصة: "ديلان".

يبدل كريش جهدًا لا بأس به إطلاقًا ليرقص على أغنية شانيا توين، مع أن شفتيه تتحركان قليلاً وهو يعد خطواته، والتركيز البالغ المتجلي على وجهه يدعو إلى الضحك نوعًا ما.

يقول لوك هامسًا: "لقد هجرث أمي أبي يا ديLAN".

"ماذا؟".

أسأله بصوت عالٍ جدًا لدرجة أن شيري وكريش يلتفتان إلينا.

وتنادي شيري مستفهمة، بينما هي منثنية إلى الخلف على ذراع كريش: "هل كل شيء على ما يرام؟".

أجيبها: "كل شيء بخير!"، وألثفت إلى لوك: "وأنت كما كنت أقول، ماذا؟".

يقول خافيير: "كان أمرًا مذهلًا!". إنه يتقافز قليلاً في مكانه؛ شعره مجموع خلف رأسه على هيئة ذيل حصان، ويتقافز معه: "لقد وصلنا من فورنا إلى الجسر المائي خارج القلعة، ووصل والداك في اللحظة نفسها، وحاول والداك أن يذهب من الاتجاه الآخر لئلا يتقاطع طريقه مع طريقنا - أو بالأحرى مع طريقي - و...".

ويستكمل لوك وهو يهز رأسه مبتسمًا: "لقد ثارت أمك عليه. رمته بقبعتها وقالت له إنها ستكون ملعونة في كل كتاب إن حضرت معه أي مناسبة اجتماعية أخرى متظاهرة بأنها زوجته المحبة، وأن قلبها ينفطر لعدم رؤيتها ابنيها، وأنها سئمت من الوقوف في صفه. وقد أخذناها إلى أحد الفنادق وأنزلناها فيه. هنا، سأرسل إليك التفاصيل لكي تذهب إليها فيما بعد - إنها تتحرق شوقًا لرؤيتك".

يخرج هاتفه. وأنقل نظري بين كريش وشيري وهما يرقصان، وبين خافيير ولوك المفعمين فرحًا وسرورًا.

تسألني آدي: "هل تركت والدتك والدك في الحال؟". وتبتسم للوك وخافير بخجل وتقول:  
"مرحبًا مرة أخرى، بكما أنتما الاثنين".

إن اللحظة التي ينتبه فيها أخي وصديقه، بشكل متأخر، إلى أن يدي ويد آدي مشتبكتان هي لحظة جميلة حقًا. يبتسمان معًا في وقت واحد، كما لو كانا قد تلقيا إشارة واحدة، ويربت لوك بيده على كتفي.

يقول خافير: "أوه، هذا رائع. فديلان يكتب شعرًا جميلًا جدًا، لكنني لا أعرف إلى متى كنت سأتحمل قصائده التي تتحدث عن كسرة القلب".

أمد يدي وأدفعه بها فيضحك، ويختبئ خلف لوك.

وأقول لآدي، خافضًا بصري إليها مذهولًا: "يمكنني تقديمك إلى أمي. دون وجود أبي هناك. سيكون هذا... أفضل في الحقيقة".

تبتسم لي: "يسعدني ذلك".

تنتهي الرقصة الأولى - أو هذا ما يوده كريش على الأقل. إنه يشير إلى وصيفه نحو ساحة الرقص بشيء من اليأس؛ وفي النهاية، يتعاطف معه بعض الحاضرين، ويبدأ الحشد التحرك نحو العروسين.

أسأل آدي حين تتغير الموسيقى: "هلا رقصت معي؟". إنها أغنية أخرى هادئة الإيقاع، وهي تقليدية شيئًا ما، أغنية ' لن أستسلم ' لجيسون مراز.

نمشي نحو ساحة الرقص؛ تضع آدي يديها بعناية خلف رقبتني وأضع يدي على خصرها. وأنظر إلى هاتين العينين الزرقاوين النهريتين اللتين سحرتاني منذ اللحظة الأولى التي رأيتهما فيها. نتمايل معًا بينما تمتلئ ساحة الرقص من حولنا؛ أرفع رأسي لحظة، فأرى ديب تراقص كيفن، ولوك يراقص خافير. وينهض ماركوس هو الآخر، ويمد يده بإغراء إلى

جريس، ووالد شيري يراقص والدة كريش، وأرى حولي مزيجًا شديد التنوع من الألوان والقبعات والأجساد يتمايل كأننا كلنا جسد واحد.

أعود النظر إلى وجه آدي المرفوع إلى الأعلى. أكاد لا أصدق أنها هنا؛ وأجد نفسي مضطربًا فجأة لعد كل بقعة نمش، وأن أحفظ في ذاكرتي الظل الدقيق لشعرها بينما لا يزال ذلك بإمكانني، وأعود إلى تذكير نفسي بأنها قالت إنها تحبني. إنها لن تذهب إلى أي مكان.

وأقول لها: "بخصوص ما قلته من قبل عن..."، وأطبق شفتي معًا، وألاحظ عينيها تنتقلان إلى فمي: "أعرف أننا قلنا إن العلاقة الحميمة قد تحتاج إلى شيء من التمهل، هذه المرة، لكن... أيمكنني أن أسأل عن موقفك من التقبيل في الوقت الحالي؟".

تبدأ الابتسام وتقول: "التقبيل؟".

أجيبها: "من الناحية النظرية فقط".

فتقول، بينما تزداد تلك الابتسامة البطيئة: "إنني في الحقيقة لم أحظ بالكثير من ذلك في الآونة الأخيرة. لكنني أعتقد أنني لن أجد بأسًا في التقبيل".

أخفض رأسي قليلًا، وترفع هي رأسها في اللحظة نفسها، كما لو كانت الخيوط التي تربطنا قد شُدت.

أهمس وشفتي على بُعد عقلة إصبع منها: "أتريدين أن تجربي؟".

تقطع المسافة بيننا كنوع من الإجابة. وهناك، في ساحة الرقص، وفوضى ماضيها خلفنا ومجموعة متشابكة من أصدقائنا يحيطون بنا، وشعرها يلتصق بلونه الفضي، وقلبي مفعم بالفرح ويتفجر سعادة، أقبل آدي جيلبرت القبلت الأولى للمرة الثانية.

# شكر وتقدير

أتوجه بالشكر، كعادتي دائمًا، إلى تانيرا سيمونز، التي استطاعت أن تكون شديدة الذكاء وواسعة الحيلة ولطيفة وداعمة على نحو لا يصدق. إنني ممتنة أشد الامتنان لكل ما فعلته أنت وفريقك من أجلي.

وإلى سيندي هوانج، وإيما كابرون، وكاسي براون - لقد جعلتُ هذا الكتاب أكثر قوة وعمقًا (وأكثر جاذبية - أنا أقصدك بذلك يا إيما). أشعر بأنني محظوظة جدًا لأن أحظى بكن جميعًا في فريقتي. وإلى الجميع في كويركوس آند باركلي: أشكركم على شغفكم وبراعتكم، وعلى إيمانكم بي. وأخص بالشكر هانا روبنسون، التي أصغت حين كان الإصغاء هو المطلوب.

لقد أهديت هذه الرواية إلى وصيفاتي المذهلات، إلين، ونوبس، وأماندا، ومادي، وهيلين، واللاتي لم يستطعن للأسف أن يسرن معي في الممر في حفل زفافي، لكن حبهن لي ودعمهن ألهماني جميع روابط الأخوة في هذا الكتاب. شكرًا لكُنَّ يا فتيات على ما لا يحصى من الأحاديث القلبية الصادقة، وتوصيلكن لي وفناجين الشاي على مدى سنوات. أنا محظوظة حقًا بوجودكن جميعًا في حياتي.

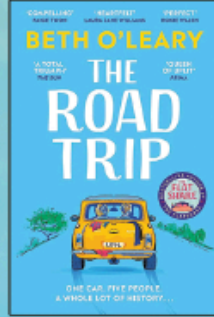
والشكر الكبير إلى جيلي على الرسائل الصوتية، والمحادثات التي لا تنتهي، والمناقشات المهمة بشأن من منا تملك كلبًا أكبر من الأخرى. لقد أنقذت حياتي عام 2020. وشكرًا لبوجا على حماسها الدائم كلما تلقت جزءًا من الرواية في بريدها الوارد، وعلى مساعدتها إياي في التفاصيل. وشكرًا لتوم، الذي سيكون هذا الكتاب بالنسبة إليه دائمًا هو كتاب مرسيدس - أعتذر عن تجاهل معظم المعلومات التي قدمتها إليّ. وأعدُّ أن العائق كان بسبب التراخيص الفنية.

وأنا ممتنة تمامًا لمدارس تافيرنرز على تقديم تلك الملاحظات القيّمة عن المسودات الأولى من هذا الكتاب. وشكرًا أيضًا لبيتر على تبادل الأفكار معي في بروفانس، التي تشكل فيها

جزء كبير من هذه القصة. وشكرًا لفيل، الذي أجاب عن أسئلة غريبة، وهيلين، المعروفة باسم مستشارة الأتداء، التي أجابت عن أسئلة أغرب. وشكرًا لكولين، الذي علمني القيادة بكل صبر. كما أنني ممتنة أبلغ الامتنان لوالديّ، اللذين كانا موجودين دائمًا من أجلي، وذلك شيء لا يمكنني أن أوفيه حقه من الشكر.

وأخيرًا، شكرًا لزوجي سام. أحبك مثلما تحب آدي ديLAN، ومثلما يحب ديLAN آدي، ومثلما تحب مولي الكمثرى. نخب عمر كامل معًا.

# الغلاف الخلفي



"رواية كوميدية مألوفة ولطيفة".

مجلة ريد

"هذه الرواية مثالية".

روزي والش

تنطلق آدي وشقيقتها في رحلة برية لحضور حفل زفاف أحد أصدقائهما في ريف أسكتلندا، ولكن بعد فترة قصيرة من بدء رحلتها، تصطمم سيارتهما بسيارة أخرى، وحينها تكتشف آدي أن سائق السيارة هو حبيبها السابق الذي لم تره منذ انفصالهما قبل عامين. ديلان وصديقه المقرب كانا في طريقهما إلى حفل الزفاف كذلك، لذا تضطر آدي إلى أن تعرض على ديلان ورفيقه أن توصلهما معها إلى حفل الزفاف. وبما أن الطريق لا يزال طويلاً، لا يسع ديلان وآدي سوى التطرق إلى ماضيهما المأساوي ... تُرى هل سيصلان إلى وجهتهما ويلحقان بحفل الزفاف، والأهم من ذلك، أتلک حقاً نهاية الطريق لآدي وديلان؟

"أفضل ما كتبت أوليري حتى الآن".

جيليان ماكاليستر

"كتاب لطيف وشيق ومكتوب ببراعة".

صحيفة صنداي إكسپريس

مكتبة جرير  
JARIR BOOKSTORE  
...for you & Bookstore  
...للتسكوت متخطية





1. الغلاف
2. الغلاف الأمامي
3. حقوق الطبع والنشر
4. إشادات بهذه الرواية
5. إهداء
6. الحاضر
7. ديلان
8. آدي
9. ديلان
10. آدي
11. ديلان
12. الماضي
13. آدي
14. ديلان
15. الحاضر
16. آدي
17. ديلان
18. الماضي
19. آدي
20. ديلان
21. آدي
22. الحاضر
23. ديلان
24. آدي

25. [الماضي](#)
26. [ديلان](#)
27. [آدي](#)
28. [ديلان](#)
29. [آدي](#)
30. [الحاضر](#)
31. [ديلان](#)
32. [آدي](#)
33. [الماضي](#)
34. [ديلان](#)
35. [آدي](#)
36. [ديلان](#)
37. [الحاضر](#)
38. [آدي](#)
39. [ديلان](#)
40. [الماضي](#)
41. [آدي](#)
42. [ديلان](#)
43. [آدي](#)
44. [ديلان](#)
45. [آدي](#)
46. [الحاضر](#)
47. [ديلان](#)
48. [الماضي](#)
49. [آدي](#)

50. [ديلان](#)
51. [الحاضر](#)
52. [آدي](#)
53. [ديلان](#)
54. [الماضي](#)
55. [آدي](#)
56. [ديلان](#)
57. [الحاضر](#)
58. [آدي](#)
59. [الماضي](#)
60. [ديلان](#)
61. [آدي](#)
62. [ديلان](#)
63. [آدي](#)
64. [الحاضر](#)
65. [ديلان](#)
66. [آدي](#)
67. [الماضي](#)
68. [ديلان](#)
69. [آدي](#)
70. [ديلان](#)
71. [آدي](#)
72. [ديلان](#)
73. [آدي](#)
74. [ديلان](#)

- .75. آدي
- .76. ديبلان
- .77. آدي
- .78. ديبلان
- .79. آدي
- .80. ديبلان
- .81. آدي
- .82. الحاضر
- .83. ديبلان
- .84. آدي
- .85. ديبلان
- .86. آدي
- .87. ديبلان
- .88. آدي
- .89. ديبلان
- .90. آدي
- .91. ديبلان
- .92. شكر. وتقدير
- .93. الغلاف الخلفي